بسم الله الرحمن الرحيم

الأبحاث تعبّر عن آراء أصحابها ولا تتحمل الجامعة مسؤولية ما ورد فيها.

لقد تم ترتيب الأبحاث حسب حروف المعجم.

أخطار العامية والأمية والعجمية
على الفصيحة في الجامعات العربية
محاولة لتشخيص مشكلات عصرية تواجه العربية
واقتراح الحلول التقنية

إعداد

د/ سليمان يوسف بن خاطر أسو

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين محمد بن عبد الله وعلى آل محمد وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد فإن العربية الفصيحة لسان القرآن الكريم كتاب الله المجيد، ولسان نبيه المرسل محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم ولسان المسلمين الأول، واجهت أخطارا كثيرة في تاريخها الممتد عبر العصور الإسلامية المتعاقبة، وما زالت تواجه اليوم كثيرا من تلك الأخطار المتنوعة التي نسعى جميعا إلى إزالتها عن وجه العربية؛ لننشرها على أوسع نطاق في العالم؛ لأنها الوسيلة الأولى لفهم النصوص الشرعية التي عليها يقوم الإسلام ديننا القويم الذي نسعى إلى نشره في العالمين حتى يعم الأرض ويبلغ ما بلغ الليل والنهار، إن شاء الله،عز وجل.

ومن أخطر تلك المشكلات المعاصرة التي تحد من انتشار الفصيحة في الحياة ثلاثة أخطار أراها العقبة الكأداء في سبيل العربية الفصحى اليوم، وهي:

١- العامية الدارجة في أقطار العالم العربي والإسلامي، التي تزاحم العربية في الأعمال الرسمية وغيرها من مجالات الحياة بصورة مزعجة.

٢- الأمية التي تتمثل في عدم القدرة على القراءة والكتابة بصورة تمكن على التعلم والتعليم والبحث والدراسة الحقيقية، من أكثر ناشئة الإسلام والعربية والشادين في دراستها وتعلمها في الجامعات العربية، فلا يملكون الوسيلة الأولى للتعلم المفيد.

٣- العجمية من ألسنة الأمم الأخرى عموما وخصوصا الإنجليزية التي نرى محاولات حثيثة وكثيرة وكبيرة لإحلالها محل العربية في الجامعات العربية بعامة والأقسام التطبيقية بخاصة.

وقد دار بحثي الذي أسعى إلى المشاركة به في هذا المؤتمر المفصلي المهم في قضايا العربية المعاصرة، حول هذه الأخطار الثلاثة التي تبدو لي من أسوأ وأكبر وأخطر ما يواجه العربية المعاصرة اليوم بصورة مستمرة متجددة.

وقد حاولت في كل منها تحديد المشكلة بجلاء وتشخيص الداء في صراحة ووضوح، ثم التماس الأسباب التي أدت إلى وجود المشكلة وانتشارها الواسع الذي يكاد يعم جميع مؤسساتنا التعليمية والعلمية والتوجيهية اليوم ،ومن ثم طرح الحلول التقنية غير التقليدية التي طرحت من قبل في عديد من البحوث العلمية والمقالات والبرامج بعد عرض موجز في رصد شامل للجهود السابقة للبناء عليها والانطلاق منها، وذلك من خلال ثلاثة مباحث بتخصيص مبحث لكل مشكلة، وتناولت كل مبحث من خلال ثلاثة نقاط، الأولى لشرح المشكلة، والثانية لبيان أسبابها، والثالثة لاقتراح حلولها العصرية التقنية الممكنة من وجهة نظري بعد عرض موجز شامل للحلول والجهود السابقة، في إيجاز غير مخلّ وتفصيل غير مملّ.

وقد ختمت البحث بتلخيص موضوعه وعرض أهم النتائج والتوصيات والمقترحات التي أراها كفيلة بعلاج تلك المشكلات وإزالة تلك الأخطار، ثم المراجع التي اعتمدت عليها بتوفيق الله في إعداده.

المبحث الأول: خطر العامية على العربية الفصيحة في الجامعات العربية.

مقصودي بالعامية اللسان العربي الدارج في شؤون الحياة اليومية في البيوت والشوارع والأسواق ونحو ذلك من التجمعات الشعبية اليومية للحصول على الحاجات المعيشية الضرورية والكمالية، فهو الحديث اليومي الذي يجري بين أفراد الأسرة والمجتمع في البيت والشارع والسوق، وموضوعه التواصل المعتاد للتفاهم والتعاون والتنسيق والبيع والشراء والأخذ والعطاء في جميع أمور الحياة غير الرسمية، وعلى الرغم من عربية معظم مفردات هذا الحديث تجد فيها عادة غير قليل من التحريف الصوتي والتحوير اللفظي الذي يبعدها قليلا أو كثيرا عن أصولها العربية الفصيحة في القرآن والحديث وكلام العرب، يضاف إلى ذلك الاختلاف الكبير غالبا بين المجتمعات العربية المعاصرة في هذه العامية؛ إذ يكاد كل مجتمع عربي معاصر في كل بلد له عاميته التي تختلف قليلا أو كثيرا عن أخواتها في المجتمعات والبلاد العربية الأخرى، بل قد تجد هذا الاختلاف واضحا جليا بين جهة وأخرى في البلد العربي الواحد، وقد لا تجد تباعدا جغرافيا بين الجهتين أو الناحيتين أو الجانبين، وهذا أمر مشاهد معروف. وهنالك جانب ثالث في الفرق بين العامية والفصيحة هو طريقة بناء الجملة في العاميات العربية تختلف عنها في الفصيحة بالتقديم والتأخير، والحذف والزيادة، ودمج الكلمات بعضها في بعض بما يؤدي إلى ذوبان أكثر أحرفها أحيانا، هذا بالإضافة بالتموجات الصوتية المميزة لكل عامية ولكل لهجة من لهجاتها

العديدة في كل بلد، مما لا يمكن توضيحه بالكتابة أو الرسم أو الرمز؛ لأنها من الأمور الصوتية البحتة.

أما العربية الفصيحة فمعروفة بأنها اللسان العربي المشترك بين الناطقين به في كل مكان وزمان. وقد نزل به القرآن الكريم كما تكلم به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حديثه، وهو لسان المسلمين الأول ولسان العرب الوحيد الذي به يتكلمون ويكتبون ويتواصلون؛ فهو من أوثق العرى الرابطة بينهم قديما وحديثا، يتكلم به الجميع بلا عناء ولا تكلف يذكر، فيفهمه الجميع بلا إشكال؛ ولهذا كان من أهم شعائر الإسلام الجامعة به تؤدى العبادات، وأكبر دعائم الوحدة الموحِّدة بين الأمة، وأوسع روابط الأخوة الشاملة بين جميع المسلمين وغيرهم ممن يتكلم به سواء أ كان عربي الأصل أم لا.

الجامعات العربية هي التي تنص في أنظمتها الرسمية على أن العربية الفصيحة هي لسانها الأول وإن لم تلتزم بذلك في بعض شؤونها العامة والخاصة، كما هو مشاهد اليوم، سواء أ كانت الجامعة في بلد تجعل العربية لسانها الرسمي أم لا؛ لأن العربية اللسان؛ فمن تكلم العربية فهو عربي، والعكس صحيح، فليست العربية بأحد من أم أو أب. وفي هذا المعنى حديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – اتفق العلماء على ضعف سنده كما اتفقوا على صحة معناه بلا خلاف بينهم نعرفه (١)

---

(١) الحديث بلفظ "يا أيها الناس إن الرب واحد، و الأب واحد، و ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، و إنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي . رواه ابن عساكر في تاريخه (٣ / ٢٠٣و ٨/١٩٠) وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في =

وبناء على ذلك للعامية مجالات في الحياة ربما تعرض المتحدث بالفصيحة فيها لشيء من السخرية والاستهزاء من العامة، أو اتهم بالتكبر والتعالي عليهم والازدراء بهم؛ فلا مناص من مخاطبة العامة في تلك المواطن الشعبية بمعتاد خطابهم اليومي، وللفصيحة مجالات كثيرة في الحياة لا يجوز اللجوء إلى العامية فيها إلا لضرورة ملحة ملجئة، والضرورة تقدر بقدرها. ومن تلك المجالات والشؤون والمواطن التي لا يصلح الحديث فيها إلا الفصيحة خطب الجمعة والعيدين ونحوها، ووسائل الإعلام بأنواعها المختلفة المقروءة والمسموعة والمشاهدة، والتدريس في المراحل المختلفة عموما، على رأسها المرحلة الجامعية، والاحتفالات والاجتماعات واللقاءات والمناقشات والكتابات الرسمية، وما أشبه ذلك من البرامج الإعلامية والدعوية والإرشادية.

ولا أرى إشكالا في استخدام كل من العامية والفصحى في موضعها المناسب من شؤون الحياة العامة والخاصة، ولكن المشكلة كل المشكلة في الخلط، خلط المواطن باستخدام أحد المستويين من العربية في مواطن لا يصلح فيها إلا الأخرى. ومن ذلك جميع الأعمال الجامعية من التدريس والإدارة والإشراف والمناقشات والاحتفالات وغيرها من الأحاديث والكتابات التي تنظم العمل الرسمي في المؤسسة الجامعية التي اختارت العربية لسانا لها في لوائحها الرسمية.

= اقتضاء الصراط المستقيم ص١٦٩، وقال: هذا الحديث ضعيف، وكأنه مركب على مالك، لكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح من بعض الوجوه". وقال الألباني في السلسلة الضعيفة بالرقم (٩٢٥): "ضعيف جدا" وقد أطال في تخريجه. والله أعلم.

وقد تصورت هذه المشكلة من خلال عملي في عدد من مؤسسات التعليم العالي في العالم العربي، أعضاء هيئة التدريس فيها من جميع الجنسيات العربية وغيرها،وتدرس القواعد العملية للعربية فيها لجميع الطلاب في جميع التخصصات، ثم أسمع غالب من بها يدرس طلابه بعاميته في بلده، وتقدم المحاضرات العامة وجميع الأنشطة الجامعية إلا ما ندر بالعامية أو بمزيج هجين تختلط فيه العامية بالفصيحة مع غلبة العامية غالبا! هذا مع كثرة الكلام والأخذ والرد في ضرورة الالتزام بمعايير الجودة الشاملة وأهمية الحصول على الاعتماد الأكاديمي، وكأن ذلك يشمل كل شيء إلا اللغة العربية! والله المستعان.

فمتى يستقيم الظل والعود أعوج * وهل ذهب صرف يساويه بهرج ؟

ومتى يبلغ البناء يوما تمامه * إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟

ولا يختلف عاقلان في أن هذا الوضع القائم في كثير من جوانب العمل في الجامعات العربية فيه خطر عظيم على العربية الفصيحة التي ينبغي شرعا وعقلا وطبعا أن تسود وحدها في مثل هذه البيئات العلمية الرسمية، ولا تزاحمها فيها العامية في أي جامعة عربية وبأي حال كانت؛ لأن العربية الفصيحة هي لسان القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث الإسلامي العريق الممتد عبر القرون الإسلامية ولسان العرب وتراثهم منذ وجدوا، ولسان المسلمين الأول أنى كانوا من أي شعب كانوا، وهي بعد أفضل الألسنة وأغناها وأوسعها وأولاها برعاية أهلها وحفاظهم عليها في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض من عليها. والله المستعان(١).

(١) ينظر مقدمة كتاب (فقه اللغة وسر العربية) لأبي منصور الثعالبي

هذا شرح موجز لتصوري هذه المشكلة من المشكلات التي تواجه لساننا الفصيح اليوم في جامعاتنا العربية وغيرها من مواطن الحياة، أكتفي به لأنتقل إلى الحديث عن أسبابها في النقطة التالية؛ لأن الإلمام الجيد بأسباب أي مشكلة من أهم المعينات على علاجها من أقرب الطرائق.

يظن كثير من الباحثين أن مشكلة استخدام العامية في مواضع الفصيحة سببه الازدواج اللغوي، أي التحدث بمستويين من اللغة عامي وفصيح، فيطغى العامي على الفصيح؛ لكثرة استخدام العامي في الحياة منذ الصغر، ومن تعود على شيء صعب عليه التحول إلى غيره أحيانا[1]

وهذا واحد من الأسباب وليس هو السبب الوحيد، بل الذي يبدو أن هذا سبب ثانوي؛ لأن هذا موجود منذ القدم؛ إذ قد لا يكون امرؤ القيس نفسه يتحدث مع أهله في البيت بلغة (فقا نبك من ذكرى حبيب ومترل). ومع وجود هذه الظاهرة قديما لم تكن تؤدي إلى ما نراه اليوم من شيوع العامية في مواطن الفصيحة. والله أعلم.

السبب الأول فيما يبدو لي هو قلة الاكتراث بالعربية في حياتنا اليوم عموما، فما عاد الكاتب يضرب سوطا وينقص من عطائه إذا لحن في كتابته، ولا الوزير يقال من منصبه ولا الأستاذ أو المدرس يطرد من مدرسته

(١) هذا ما ذهب إليه كثير من الباحثين المعاصرين، مثل الدكتور/ أبي أوس إبراهيم الشمسان في بحث له بعنوان (مجابهة الضعف اللغوي) نشر في العدد المزدوج ٢٣،٢٤ من مجلة العقيق، المجلد ١٢ الصادر في محرم – ربيع الآخر ١٤٢٠هـ. وقد ذكر فيه كثيرا من آراء الباحثين المعاصرين الذاهبين إلى هذا الرأي.

أو جامعته إذا تكلم بالعامية أو العجمية، فَهَوانُ العربية على أكثر أبنائها وضعف مترلتها في نفوسهم سبب واضح يجعل الناس يتجرؤون على التهاون بها واستسهال العامية التي درجوا عليها منذ الصغر في كل موطن من شعب الحياة ومسالكها وشؤونها العامة والخاصة.

وهنالك سبب ثالث هو عدم إنكار هذا المنكر اللغوي من أكثر الناس اليوم، فإذا كان كل من بدا منه استخدام العامية في الجامعات العربية مثلا يواجه بنظرات الإنكار والدهشة والتعجب ممن حوله من مسئولين وزملاء وطلاب وينهى عن ذلك ويطلب منه التحدث بالفصيحة لما استمر هذا المنكر الذي انتشر انتشار النار في الهشيم. ومن الواضح أن أكثر الناس اليوم لا يرى التحدث بالعامية في تلك المؤسسات الرسمية منكرا ينبغي إنكاره كما ينكر كل منكر شرعي أو اجتماعي أو عرفي خاص بتلك المؤسسات أو في مثل تلك المواطن من الحياة، وفضلا عن المنكرات الشرعية هنالك عادات وتقاليد وأعراف عامة في كل مجتمع وخاصة في كل مؤسسة لا يجرؤ أحد على ارتكابها وإلا توجهت إليه الأنظار بالدهشة قبل الأصوات بالإنكار والنصح والتوجيه والنهي.

لعل تلك تمثل أكبر أسباب هذه المشكلة التي تمثل خطرا عظيما على العربية الفصيحة اليوم، يمكن الاقتصار عليها والانتقال إلى التماس العلاج في النقطة القادمة، والله المستعان.

من نافلة القول أن أهل العربية وحراسها الغُيَّر عليها وعلماءها في كل عصر ومصر ظلوا يرصدون هذه الظاهرة الدخيلة ويحاربونها ويدعون إلى القضاء عليها

بكل وسيلة ممكنة؛ ولهذا أحب أن أعرض لبعض ما وقفت عليه من جهود العلماء والباحثين في محاربة الظاهرة والحلول التي اقترحوها لحل هذه المشكلة، قبل تقديم ما أراه من حلول تقنية وغير تقنية. والله المستعان.

فيما وقفت عليه من أقدم من كتب في هذه القضية أبو فهر محمود محمد شاكر في كتابيه رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، وأباطيل وأسمار، والدكتورة/ نفوسة زكريا سعيد في كتابها تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، وهو في الأصل رسالتها للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة الإسكندرية في مصر عام ١٩٥٦م، وقد طبع في نحو ٥٣٧ صفحة من القطع المتوسط، تتبعت فيه الدعوة إلى استخدام العامية بدلا من الفصيح في مصر، وما نتج عن هذه الدعوة التخريبية المشبوهة التي كان وراءها جماعة من أعداء الإسلام والعربية ومن تقيلهم من أذنابهم في البلاد العربية، وما حدث في مصر امتدت آثاره السيئة إلى غيرها من العالم العربي والإسلامي عموما.(١) وكذلك كتب فيها الدكتور/ محمد محمد حسين في كتابه

---

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا كتاب صغير في نحو ١٨٠ صفحة من القطع الصغير، طبع ملحقا بكتاب المؤلف(المتنبئ) كما طبع منفصلا عدة مرات، منها طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٧م، وكتاب أباطيل وأمثال عبارة عن مساجلات فكرية وثقافية وأدبية حول عدة قضايا في الدين واللغة والأدب مع عدد من رموز الدعوات التغريبية في مصر والعالم العربي والإسلامي، طبع بمكتبة الخانجي في القاهرة عام ١٩٥٧م، وكتاب الدكتورة/ نفوسة زكريا طبع بدار المعارف في القاهرة طبعة ثانية عام ١٩٨٠م.

حصوننا مهددة من داخلها[١] والدكتور/ مازن مبارك في كتابه نحو وعي لغوي[٢] والدكتور/ يوسف القرضاوي في كتابه ثقافة داعية[٣] والدكتور/مقداد ياجلن في كتابه دور جامعات العالم الإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة[٤] والدكتور/ عدنان على رضا النحوي في كتابه اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء [٥] والدكتور/ أحمد مختار عمر في مقدمة كتابه أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين[٦] والدكتور/ أحمد محمد الضبيب في كتابه اللغة العربية في عصر العولمة[٧] والدكتور/ إبراهيم محمد أبو عباءة في كتابه لغة القرآن، مكانتها والأخطار التي تهددها[٨] وأيضا في كتابه الصراع بين الحق والباطل[٩] والدكتور/ محمد إبراهيم الحمد في كتابه الارتقاء بالكتابة[١٠] وكان من أكثر المعنيين بهذه

(١) طبع مكتبة الرسالة ببيروت في عام ١٩٨٩م.

(٢)طبعته دار البشائر بدمشق طبعة رابعة عام ٢٠٠٣م.

(٣) نشرته مكتبة الوهبة بالقاهرة في طبعته العاشرة عام ١٩٩٦م.

(٤) الطبعة الثانية بدار عالم الكتب في الرياض عام ٢٠٠٤م.

(٥) الطبعة الأولى بدار النحوي في الرياض عام ٢٠٠٨م.

(٦) الطبعة الثالثة بمكتبة عالم الكتب في القاهرة ٢٠٠١م.

(٧) الطبعة الأولى بمكتبة العبيكان في الرياض عام ٢٠٠١م.

(٨) الكتاب الأول من سلسلة الإصدارات العامة للجمعية العلمية السعودية للغة العربية، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٨م.

(٩) الطبعة الأولى بمكتبة العبيكان في الرياض عام ١٩٩١مز

(١٠) الطبعة الأولى بدار ابن خريمة في الرياض عام ٢٠٠٦م.

القضية تنبيها على خطرها ودعوة إلى محاربتها الدكتور/عبد الله سليم الرشيد الذي ظل يكتب فيها لمدة طويلة حتى وصلت مقالاته فيها إحدى عشرة مقالة نشرت بالصحف والدوريات العامة في سنوات مختلفة ثم جمعها ونشرها أخيرا في كتابه الصيف والعصا، مذاكرات في مشكلة الفصحى والعامية[١] كما كتب فيها الدكتور/طالب عبد الرحمن عبد الجبار في كتابه العربية تواجه التحديات[٢] وقدم فيها الشيخ/ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي دراسة شرعية تاريخية تأصيلية في كتابه كف المخطئ عن الدعوة إلى الشعر النبطي، دراسة تأصيلية على ضوء الكتاب والسنة[٣] وممن كتب فيها أيضا الدكتور/سليمان يوسف خاطر في الجزء الأول من كتابه اللغة العربية للباحثين بها، مقالات نظرية وأحكام تطبيقية[٤] وكتب فيها الأستاذ/حسين العفنان مقالة أدبية نقدية تاريخية بعنوان معركة داحس والغبراء الفضائية، قنوات الشعر العامي الفضائية فتنة اليوم[٥].

وقد شعرت بخطر العامية على الفصيحة جهات علمية ومؤسسات

(١) الطبعة الأولى بمطبعة الحميضي في الرياض عام ٢٠٠٦م.

(٢) نشر بالرقم (١١٦) من سلسلة كتاب الأمة التي تصدرها كل شهرين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٦م.

(٣) الطبعة الأولى نشرته مكتبة دار البيان الحديثة بالطائف عام ٢٠٠٠م.

(٤) الطبعة الثانية نشرته مطبعة جي تاون غرافيك بالخرطوم عام ٢٠٠٣م.

(٥) نشرت في موقع ألوكة الشبكي ونقلت إلى عدة مواقع شبكية أخرى، ينظر هذا الرابط: http://majles.alukah.net/archive/index.php/t-١٤٩٢٨.html

رسمية كثيرة؛ فعقدت عدة مؤتمرات دولية وندوات محلية للنظر فيها ضمن الأخطار الأخرى التي تواجه العربية الفصيحة بخاصة والأمة في كل شأن من شؤونها بعامة، والبحث عن حل لها، أذكر منها الندوة العامة لمعالجة ظاهرة الضعف اللغوي، وقد عقدت في كلية المعلمين بمنطقة حائل في السعودية على أسبوع كامل بالتعاون مع إدارة التعليم بالمنطقة، وكان ذلك عام ١٤١٤ه، وجمعت بحوثها ومناقشاتها وتوصياتها في كتاب منشور[١] وندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، وقد عقته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض على مدى ثلاثة أيام في العام ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، وجمعت بحوثها الكثيرة ونشرت في أربع مجلدات ضخمات[٢] في نحو (٣٤٠٠) عالجت المشكلة من جميع جوانبها معالجة نظرية شاملة. وقد ركزت معظم بحوث هذه الندوة على خطر العامية على الفصيحة ومزاحمتها لها في جميع مجالات الحياة. ومن الكتب التي تناولت هذه القضية ضمن قضاياها الأخرى المعاصرة، بصورة شاملة، وعالجتها معالجة عميقة كتاب قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، للدكتور/سمر روحي الفيصل الذي جعل مزاحمة العاميات العربية المعاصرة للفصيحة أولى المشكلات المعاصرة تواجه العربية اليوم[٣]

---

(١) الطبعة الأولى نشرته مكتبة دار الأندلس بحائل عام ١٤١٤هـ.

(٢) نشرت الطبعة الأولى بمطابع الجامعة بالرياض عام ١٤١٨ - ١٩٩٥م.

(٣) نشرت الطبعة الأولى منه بمركز زائد للتراث والتأخير بعين في دولة الإمارات العربية المتحدة عام ٢٠٠٧م.

ومثل هذا يقال عن الكتاب القيم الفصحى ونظرية الفكر العامي، للدكتور/ مرزوق بن صنيتان تنباك[1] كما أن هنالك سيل جرار من البحوث والمقالات منشورة عن القضية في الشبكة الدولية للمعلومات وفي الصحف والدوريات، ولكن يكثر فيها الإعادة والتكرار، ولم أجد فيها جديدا.

تلك أهم الجهود السابعة التي وقفت عليها من المحاولات لتشخيص هذه الظاهرة وتحديد أسبابها وتقديم مقترحات لعلاجها. وخلاصة ما خرجت به من قراءاتي لتلك المراجع تتمثل في:

١- ركزت جميع تلك الجهود في الجانب الفكري النظري من المشكلة، فنجحت في كشف الظاهرة كشفا تاما وبيانها للناس بصورة لا تحتمل المزيد، مع التتبع التاريخي لها منذ القدم.

٢- نجحت تلك البحوث والدراسات والكتب في فضح أهداف الدعوة إلى العامية في العالم العربي والإسلامي في الوقت الذي تسعى فيه الدول الغربية الكبرى وغيرها من العالم إلى محاربة العاميات فيها بكل ما تملك وتوحيد البلاد على لغة واحدة، كما فعلت فرنسا وبريطانيا واليابان على سبيل المثال. هذه الدول وغيرها من دول العالم غير العربية والإسلامية بذلت جهودا كبيرة شارك فيها فئات المجتمع جميعها في التوحيد اللغوي للبلاد ومحاربة اللهجات العامية.

٣- حددت تلك المراجع أيضا جميع الواقفين وراء الدعوة المشبوهة إلى العاميات العربية في كل بلد وترك الفصيحة، من جماعات وأفراد

---

(١) نشرت الطبعة الأولى منه مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤٠٧هـ.

ومؤسسات صحفية وإعلامية وغيرها، ومن الحاقدين على الإسلام ولغة كتابه الكريم سواء أكانوا من الغربيين والمستشرقين خصوصا بكل مللهم ونحلهم أم من تلاميذهم العرب المخدوعين أو الخادعين الذين باعوا دينهم ولغة تاريخهم وحضارتهم وأمتهم بثمن بخس.

٤- يكثر الهجوم على دعاة العامية في تلك المراجع بأشد العبارات وأوضح الكلمات مع دعوة حارة مخلصة إلى التمسك بالفصيحة وعدم التفريط فيها؛ لسان القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربي الإسلامي الممتد عبر العصور في مجالات الحياة كلها والعلوم والمعارف ولسان التاريخ والحضارة والفكر والثقافة والهوية الجامعة للأمة والرابط القوي بينها.

٥- بيان مكانة العربية الفصيحة في الإسلام وعناية السلف الصالح بها عبر العصور التاريخية المتعاقبة والقرون الإسلامية المتطاولة مع الأحداث والتقلبات المختلفة والمصائب التي أصابت العرب والمسلمين عموما، وبيان أنه لن تكون لنا صلة بالقرآن والإسلام وتراثه الشامل إذا نحن فرطنا في لساننا العربي الفصيح.

هذا وقد قدمت تلك المراجع لحل المشكلة مقترحات عمومية غير محددة واختيارية غير ملزمة، مثل الدعوة إلى القراءة بكل أشكالها خاصة القراءة الجهرية والإكثار منها مع دعوات إلى الجهات الرسمية في الدول والمنظمات الإقليمية والدولية والمجامع العربية والمؤسسات العلمية البحثية والتربوية للالتفات إلى العربية الفصيحة وأبعاد شرور العامية عنها في الجامعات والمدارس ووسائل الإعلام العربية والإسلامية.

أما الحل الذي أراه ناجعا اليوم فيتكون من ثلاثة أجزاء:

١- لطلبة الجامعات في مراحلها المختلفة وشداة الباحثين فيها ومن يتلقون دورات تدريبية فيها، أن يؤخذوا بالجد والصرامة وعدم التسامح في الحرص على أداء جميع الأعمال العلمية والعملية بالعربية الفصيحة، وإدراج الأداء الشفهي والكتابي بالفصيحة في السنة التحضيرية بكل جامعة؛ وبذلك تظهر جوانب الضعف فيهم؛ ليركز عليها بكثرة تعريضهم لسماع الفصيحة من خلال التلاوات المختارة والقراءات الفصيحة لنصوص منخولة من الحديث والشعر والنثر في العصور المختلفة، وإلزامهم بتسجيل ذلك في الأجهزة الصوتية الحديثة وتكرار سماعها ومحاولة تقليدها باستمرار مع كثرة المران على التحدث بالفصيحة بإشراف لصيق وجد تام من الإدارة المسئولة، وإتاحة غرف صوتية فضائية مع تشجيع الجميع على الدخول فيها والاستماع إلى ما يقدم فيها من دروس ومحاضرات وخطب ومناظرات وحوارات تحرص الجامعة على إعدادها إعدادا محكما من أساتيذ مقتدرين علميا وعمليا، وتسجيل أكبر قدر من المواد الصوتية بالفصيحة في مختلف شؤون الحياة وفروع المعارف الإنسانية كافة وحتى الرياضة والترفيه والتعليقات السياسية والاقتصادية والمالية، ونشر ذلك كله على أوسع نطاق وبثه في قناة الجامعة أولا ثم المواقع التقنية الصوتية كاليوتوب والغرف الصوتية الأخرى، وتسجيلها كذلك في أشرطة وأقراص وتوزيعها على أوسع نطاق ممكن؛ ليكون ذلك كله في متناول الجميع وبأقل الأسعار

والأثمان، على أن يكون التحدث بالعربية الفصيحة قدر الإمكان جزءا مما يمنح عليه درجات الاختبارات الشهرية والنهائية وشهادات التزكية وغيرها من الجوائز المعنوية.هذا في جانب الترهيب أما في الترغيب فيمكن منح جوائز مادية ومنح الدراسات العليا والإعفاء من الرسوم المالية لمن يجيد التحدث بالفصيحة ويحرص على الالتزام بها وعد ذلك جزءا لا يتجزأ من الالتزام الشخصي لكل أحد، كما يمكن عمل مسابقات ومباريات محلية وإقليمية ودولية في التحدث بالفصيحة وإكثار الجوائز عليها قدر الإمكان، فهذا أولى من الإنفاق على بعض أنواع الرياضة إن يكن أولى من جميع أنواعها التي فتن بها العالم اليوم. وفي التجربة القطرية الأخيرة دليل كاف ومؤشر واضح على إمكانية نجاح المباريات الخطابية بالفصيحة؛ إذ شارك في المسابقة الدولية للتحدث بالفصيحة التي أقامتها دولة قطر[(١)] قبل أيام أربعون وفدا من دول العالم المختلفة ونجحت نجاحا منقطع النظير مع أنها تجربة جديدة لم يوفر له الإعلام كما ينبغي.

٢- لأساتيذ الجامعات العربية والمسئولين فيها. ويبدأ جانب الترهيب فيه باشتراط الحد الأدنى من التحدث الفصيحة لمن يختار لأي عمل أكاديمي أو إداري في أي جامعة عربية، كما يشترط ذلك وبحد أعلى غيرنا من الشعوب

---

(١) يمكن الاطلاع على أخبار تلك المناظرات وتفاصيلها كاملة من هذا الرابط:
http://www.alarab.com.qa/details.php?docId=١٨٥٧٩٧&issueNo=١٢٣٢&secId=١٦

والأمم، وأن تضاف إلى شروط الترقيات العلمية والإدارية وتولي المناصب الجامعية ونحوها الالتزام بالفصيحة والحرص عليها، وإيجاد جهة رقابية في كل جامعة عربية تتابع الجميع متابعة دقيقة وتراقب التزامهم بالفصيحة خاصة في المحاضرات والاجتماعات والاحتفالات والمناقشات وجميع الأنشطة والمناسبات الرسمية، ومدى سعيهم إلى تأهيل أنفسهم في هذا الجانب، وتنبيه المتهاونين والمهملين ثم تحذير من يتمادى في الإهمال منهم، على أن تتاح الفرص واسعة لكل من يريد تطوير قدراته في ذلك وإنشاء مركز متكامل لهذا الغرض مزود بجميع الوسائل التقنية الحديثة من الأجهزة والأدوات والكوادر المؤهلة تأهيلا عاليا علميا وعمليا وتربويا؛ على أن يتولى هذا المركز تسجيل نماذج كافية من جميع الأنشطة العلمية الأكاديمية والتربوية ثم فهرستها وحفظها لمن يريد الاطلاع عليها في المكتبة الصوتية لكل جامعة، ولمن يلزم بالاطلاع عليها؛ للتأكد من أدائه ومدى التزامه وسد النقص والخلل والقصور إن وجد. وفي جانب الترغيب إعطاء جزء من نقاط الترقية للتحدث بالفصيحة والحرص عليها وتكريم المبرزين والمتميزين والحريصين على الالتزام بالفصيحة من جميع التخصصات العلمية بكل جامعة، بالشهادات والجوائز التشجيعية لهم وبكل ما يحقق هذا الهدف النبيل.

٣- التواصي والتناصح بين الجميع في الجامعة في لفت الأنظار إلى أهمية الالتزام بالفصيحة والابتعاد عن العاميات في الأعمال الرسمية وغيرها داخل الجامعة، فيعين كل أخاه على الالتزام وينهاه عن الإخلال والإهمال في هذا الجانب مثل سائر الجوانب المهمة الأخرى.

ويحسن التعاون مع المواقع والشبكات المتخصصة في العربية وعلومها على الشبكة العنكبية؛ لتحقيق هذا الهدف الكبير، ولشبكة الفصيح لعلوم العربية في هذا المجال تجارب ثرة باسم غرفة الهتاف[١] يحسن الاطلاع عليها والوقوف عندها والتعاون مع القائمين عليها، بدعوتهم في الجامعات واستضافتهم والاستماع إليهم والاستفادة من تجاربهم وتشجيعهم بكل السبل وإقامة برامج مشتركة معهم ما وجد إلى ذلك سبيل. والله الموفق[٢].

---

(١) يمكن الاطلاع عليها على هذا الرابط:

http://www.alfaseeh.com/vb/forumdisplay.php?٤١-

(٢) ينظر كتاب: التكامل بين التقنية واللغة، للدكتور/سعيد عبد الله لافي، ط/١ ، مكتبة عالم الكتب بالقاهرة عام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

الفصل الثاني: خطر الأمية على العربية الفصيحة في الجامعات العربية.

من نافلة القول أن المقصود بالأمية هنا ليس الجهل التام بالقراءة والكتابة أو الجهل التام بالتقنية مما يسميه بعضهم الأمية التقنية، ولكن المقصود هو الضعف الشديد بالقراءة والكتابة، مما لا يمكن معه مواصلة الدراسة الجامعية بصورة مقبولة. وهذا ما يسميه بعضهم بالأمية الجديدة (١)

وبناء على ذلك فإن مصطلح "الأمية الجديدة" مصطلح حديث الاستعمال. فقد بدأ تداوله في المجتمعات الغربية المتقدمة وخاصة بجامعاتها. فبعض جامعات هذه الدول مثل الولايات المتحدة الأميركية وكندا قررت عدم قبول الطلاب والطالبات في برامجها وأقسامها إلا بعد نجاحهم في امتحانات لغوية (بالإنكليزية) تعدها المؤسسة الجامعية المعنية. بينما قررت جامعات أخرى تقديم دروس لغوية إنكليزية إضافية للطلاب والطالبات المقبولين من أجل تحسين مستوى لغتهم الذي يؤهلهم في نهاية الأمر للدراسة الجامعية. إن منطق مسؤولي هذه الجامعات في التركيز على أهمية المقدرة اللغوية قراءة وكتابة لدى الطالبات والطلاب الجامعيين لا يمكن أن يخفى على كل من يعرف العلاقة الوثيقة بين المقدرة اللغوية واكتساب المعرفة بكل أنواعها وفروعها. وقد أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة مدى أهمية علاقة

---

(١) ينظر مقال الدكتور/محمود الذوادي بعنوان: الأمية الجديدة بجامعات الوطن العربي، المنشور بجريدة الوطن العمانية في عدد ٢٠٠٧/٥/١١م، ص ٦ – ٧.

المهارات اللغوية ليس في فهم المرء واستيعابه للمعرفة الإنسانية فحسب وإنما أيضا في تحديد نوعية عملية التفكير عند الإنسان. ويبدو أن الوعي بهذا الأمر شبه غائب عند المسئولين بالجامعات العربية. فمعظم الجامعات العربية تدرس العلوم باللغات الأجنبية على الرغم من ضعف مستوى الطلبة في اللغات الأجنبية مقارنة بمستواهم في اللغة العربية. وتتمثل النتيجة المباشرة لذلك في عدم سهولة الفهم الكامل لدى الطلبة للمادة العلمية التي يدرسونها. ويتوقع أن يكون لهذا الواقع اللغوي انعكاسات سلبية على مسيرة التقدم العلمي عند خريجي تلك الجامعات العربية الذين لا تمكنهم اللغة الأجنبية من سهولة الفهم للعلوم، من ناحية، وسهولة التعبير عنها والابتكار فيها، من ناحية أخرى[١]

لا بد من التذكير هنا بمعنى الأمية التقليدية (القديمة): وهي عدم القدرة على القراءة والكتابة. أما مفهوم الأمية الجديدة في هذا البحث فهو يعني أن المتعلم ذا المستوى العالي من التعليم والثقافة كالطالب والأستاذ الجامعيين، غير قادر لا على القراءة ولا على الكتابة ولا على الحديث بطريقة سليمة باللغة العربية الفصيحة التي بدأ احتكاكه بها منذ المرحلة الابتدائية في التعليم إلى المستوى العالي الجامعي.

يقول الدكتور/ محمود الذوادي في مقاله المشار إليه في الهامش السابق:بالنسبة لأعضاء هيئات التدريس بالجامعات العربية، فقد سجلنا الملاحظات التالية مؤشرات ميدانية ذات دلالة واضحة على وجود ظاهرة

---

(١) الموضع السابق بتصرف يسير

الأمية الجديدة بين أساتذة ومدرسي الجامعات العربية:

١- يقل بين أعضاء هيئة التدريس بالجامعات العربية (بما في ذلك من يدرس اللغة العربية نفسها) من يدرس بالفصحى. فوسيلة التدريس الشائعة في قاعات التدريس بالجامعات العربية هي العاميات العربية المتنوعة من المشرق والمغرب العربيين. فجامعات الجزائر ومجتمعات الخليج كانت ولا تزال هي أكثر الجامعات العربية عرضة لموجة اللهجات العربية الكاسحة لقاعات التدريس وذلك بسبب حاجة هذه الجامعات لاستجلاب هيئات التدريس من مجتمعات عربية مختلفة كمصر والسودان والأردن والعراق وسوريا وتونس والمغرب.

فاستعمال العاميات في التدريس أصبح سمة لغوية من سمات هذه الجامعات. وفي جو تعدد وطغيان اللهجات العامية العربية هذه في قلب المؤسسة الجامعية العربية هل يبقى من معنى للقائلين بأن للجامعة دورا مهما في تعريب و" تفصيح " لغة المجتمع العربي المعاصر ؟ أليس أكثر دقة وواقعية القول بأن الجامعات العربية تسهم هي الأخرى في تعزيز مركز العاميات على حساب الفصحى بهذه المجتمعات العربية ؟

٢- إن الأمية الجديدة عند أعضاء هيئات التدريس بالجامعات العربية تنتشر ملامحها أيضا خارج قاعات التدريس. فمن النادر مثلا أن يتحدث عضو هيئة التدريس سواء أ كان في ندوة علمية أم في اجتماع قسم أم في مجلس مناقشة رسالة أو أطروحة طلابية ويتقيد في حديثه باللسان العربي الفصيح. وهو إذا لجأ إلى قراءة كلمته أو محاضرته بالفصحى المكتوبة غير المشكولة فيندر أن لا يلحن حتى إذا لاذ

إلى حيلة الوقوف على السكون تكرارا ومرارا؛ ليسلم لسانه ظاهريا. فالأمر هنا بيّن أن ظاهرة الأمية الجديدة بالتعريف الوارد هنا شائعة فعلا بين أعضاء هيئات التدريس بالجامعات العربية. لكن قد يعتقد البعض أن اللجوء إلى اللهجات العامية من طرف هؤلاء في قاعات التدريس لا يمكن أن يكون في حد ذاته دليلا قاطعا على جهل المدرسين والأساتذة بالفصحى. فقد يحجم عضو هيئة التدريس عن استعمال الفصحى على الرغم من إلمامه بها نظرا لأن المعايير اللغوية الاجتماعية لا تسمح له بذلك. فهو قد يوصم بالانحراف إن استعمل الفصحى، وذلك حتى داخل قاعات التدريس الجامعية. ومع ذلك يبقى في أيدينا وسائل أخرى يمكن بواسطتها اختبار مقدرة الشخص في معرفته للفصحى. فمقدرة الكتابة والقراءة للنصوص غير المشكولة هي أدوات تساعد فعلا على التحقق من مدى قدرة عضو هيئة التدريس على استعمال الفصحى لغة تدريس. إن السلوك اللغوي القرائي والكتابي ذو علاقة ارتباط قوية مع السلوك اللغوي الكلامي، وهذه خاصية مميزة للغة العربية الفصحى. فمن يقرأ مثلا النص العربي غير المشكول بطريقة سليمة يكون قادرا أساسا على التحدث بالعربية الفصحى بصورة صحيحة نحوا وصرفا، فكثرة اللحن في القراءة عند أعضاء هيئة التدريس هو مؤشر كاف على ضعفهم (الأمية الجديدة) في الفصحى وبناء على ذلك فتحاشي التدريس بها لا يقتصر على مجرد الخوف من وصمهم بالانحراف اللغوي الاجتماعي فحسب وإنما يرجع ذلك أيضا إلى عدم الإلمام السليم بقواعد النحو والصرف للغة العربية الفصحى.

ولاختيار مدى إلمام الطلبة والطالبات باللغة العربية الفصحى لجأنا في مناسبات عديدة خاصة أثناء نقاش أفكار المطالعات الأسبوعية مع الطلبة إلى دعوتهم بطريقة

عشوائية لقراءة فقرة أو صفحة غير مشكولة من كتب أو مقتطفات المادة التي ندرسها لهم، علما أن عملية القراءة هي أسهل من عملية التحدث باللغة نفسها، لأن عملية التحدث تتطلب مجهودا أكبر يشبه الفرق من حيث الصعوبة بين عملية فهم اللغة بالاستماع إليها وعملية التحدث بها. وكانت تجربتنا هذه رغم ضيقها وقصرها قد أكدت لنا بطريقة متكررة أن الطلبة لا يستطيعون فعلا قراءة نص عربي فصيح (غير مشكول) بدون الأخطاء المتكررة نحوا وصرفا وحتى في نطق أواسط الكلمات. وعندما نقترح على الطلبة التحدث بالفصحى أثناء المناقشة والتدريس للمواد المدرسية يقابل اقتراحنا غالبا بالتهكم والامتعاض من الجميع. وبدا لنا أن سلوكهم كان يمكن أن يكون أفضل (أي أقل سخرية) لو أننا طلبنا منهم التحدث بالإنكليزية أو الفرنسية في صورة معرفتهم لكلتا هاتين اللغتين أو إحداهما. ويغلب على الطلاب والطالبات قراءة النصوص العربية الفصيحة بنطق يشبه كثيرا نطق الكلمات والجمل نفسها بالعاميات العربية. وهذا أمر منتظر من وجهة نظر تحليل علم الاجتماع للظاهرة اللغوية. فاستعمال العاميات العربية واقعا لغويا سائدا في الجامعات العربية لا بد أن يؤثر بإضعاف قدرة الطالب على القراءة السليمة نطقا ونحوا للنص العربي الفصيح.

وفيما يخص ضعف الطلبة العرب في الإلمام بالفصحى كتابة وقراءة وحديثا، فالأمر يبدو أنه متفق عليه من لدن كل من كان له احتكاك بهم وكان له معرفة بالفصحى تسمح له بقياس مقدرة الطالب والطالبة في لغة الضاد. نتوقف عند وضع اللغة العربية عند الطلبة السعوديين مثالا لمستوى الطالب الجامعي العربي. فقد كان طرح مجلة اليمامة السعودية لقضية تدهور مستوى الفصحى وما جاء في نتائج ذلك

التحقيق الصحفي برهانا دامغا لكل من لا يزال عالقة في قلبه ذرة واحدة من الشك في خصوص هذا الموضوع.

فالدكتور محمود كامل الناقة الذي أجرى أبحاثا لغوية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة قد أدلى لمجلة اليمامة بملاحظات كاشفة حول جهل الطلبة بلغة الضاد؛ إذ ذكر أن علامات ضعف الطالب في الفصحى تتمثل في الآتي: "الضعف الواضح في مهارة الكلام والحديث أو ما نسميه مصطلحا التعبير الشفوي... بل يصل الأمر في كثير من الأحيان إلى إحجامه عن الحديث لعدم قدرته على ذلك. والضعف في مهارة القراءة. فالشكوى صارخة في عدم قدرة طلابنا حتى في التعليم الجامعي على قراءة فقرة قراءة صحيحة وفهمها فهما واعيا... أضف إلى ذلك الضعف في القراءة الجهرية حيث نجد اللعثمة والتردد والحشرجة والنبرة النائمة والصراخ المزعج... وبعد أن كان الكتاب خير رفيق وجليس وأنيس أصبح في حياة طلبتنا شيئا مكروها غير مرغوب، هل هناك ضعف أكثر من ذلك في اللغة العربية ؟ " فهل يمكن تعميم تدهور مستوى الفصحى هذا على بقية الجامعات العربية ؟ الإجابة على مثل هذا السؤال لا يمكن حسمها بسهولة. لكن على الرغم من عدم وجود دراسات رسمية معروفة حول وضعية الفصحى بكل الجامعات العربية عند الطلبة والأساتذة فإن ملاحظاتنا الشخصية وملاحظات الآخرين للتكوين اللغوي الفصيح للطالب العربي بصفة عامة تسمح بالقول بأن مستوى الطالب العربي في الفصحى مستوى لا يتجاوز المقبول في أحسن الأحوال. وهاتان الصورتان للأمية الجديدة على المستوى الجامعي عند كل من الأستاذ والطالب في الجامعات العربية اليوم تطرحان سؤالا أكبر وأوسع وأشمل على الأنشطة التربوية

التعليمية في الوطن العربي: كيف هو حال تعليم الفصحى واستعمالها في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية في هذه الأنظمة ؟:

هل الفصحى تدرس بالعامية قواعد يتم حفظها دون استعمالها نحوا وصرفا وتعبيرا وحديثا من طرف التلاميذ ومعلميهم وأساتيذهم حتى في قاعات المدارس ؟

هل تدرس اللغة العربية فعلا بكل جدية وبكل التزام من طرف هيئات تدريس يتقنون هم أنفسهم هذه اللغة ويحبون استعمالها على الأقل في قاعات التدريس وفصول المدارس؟.

إن حالة الفصحى المتردية على المستوى الجامعي، كما رأينا، لا يمكن تفسيرها بما جاء في السؤال الثاني. إذ لو كان الأمر كذلك لاستطاع تلامذة وطلبة الإعدادي والثانوي والعالي أن يقرؤوا قراءة صحيحة وأن يكتبوا كتابة سليمة وأن يتحدثوا بالفصحى حديثا مقبول المستوى تعبيرا وقواعد. ومن هنا فأزمة الفصحى كما وصفت هنا لابد أن تكون لها علاقة قوية مع ما جاء في السؤال الأول.

ومهما اختلفت أسباب تدهور مستوى الفصحى بالجامعات العربية فإن هذا الواقع اللغوي مؤشر، ذو دلالة بالغة على أن الأمن اللغوي للمجتمعات العربية مهدد فعلا، فإذا كانت حالة الفصحى قد بلغت تلك الدرجة من التدني في المؤسسات الجامعية فما بال حالها بين سواد المتعلمين الأقل تعليما وثقافة ؟.

إن مصير اللغات المكتوبة والمقروءة فقط مصير معروف جدا. فمصير

اللغة اللاتينية لا بد أن يعتبر به أولو الألباب. فاللغة كائن حي لا يمكن أن تكون له حياة طبيعية فاعلة ومتفاعلة دون أن يستعملها مجتمعها بعفوية في صلب كل القطاعات الاجتماعية حديثا وكتابة وقراءة. فإذا كانت ممارسة الحديث والكلام بأي لغة هي عصب حياتها، فإنه يتضح مدى ما تخسره اللغة العربية الفصحى من نبض الحياة الاجتماعية عندما تحتل العاميات العربية مكانها في الحياة.

ليس من الواقعية أن ينتظر المرء وعيا شعبيا عاما بقضية التدهور في وضعية اللغة العربية الفصحى بالوطن العربي. وكيف يمكن ذلك والحال أن نسبة الأمية التقليدية نفسها (ناهيك عن الأمية الجديدة) ما زالت سائدة في كثير من المجتمعات العربية ؟. أما بالنسبة للمتعلمين، فمسألة تردي الفصحى لا تطرح بحماس وجدية من طرف أغلبيتهم اليوم. ولعل هذا الصمت يرجع إلى بعض أو كل الأسباب التالية:

١- الخلط في التصور (نتيجة لعامل تأثير التشابه) بين استعمال العامية والفصحى. وهو يشبه الخلط بين مفهوم التعريب ومفهوم استعمال الفصحى السليمة.

٢- إن استعمال العامية، من جهة، في الحياة الاجتماعية لسان تخاطب جماعي والجهل الشائع، من جهة أخرى، بأسس اللسان العربي الفصيح حتى بين نخبة المثقفين (من أساتذة وطلاب جامعات) لا يشجع بأي حال من الأحوال على إثارة حقيقية لقضية تدهور الفصحى نحو وصرفا وتعبيرا وكتابة

وقراءة وحديثا في العالم العربي الحديث على العموم.

٣- إن معرفة الفصحى لا يضمن العيش الكريم كما هو الحال في العديد من ميادين العمل بمجتمعات المغرب العربي وغيرها من المجتمعات العربية. وهذا لا يعني أن ليس هناك من أبناء وبنات هذه الأمة من يعد حالة الفصحى المتردية في المجتمعات العربية وحتى مؤسساتها الثقافية قضية لا يمكن الصمت عنها. لكن نداءات هذه الأقلية الواعية بأزمة الفصحى في المشرق والمغرب العربيين لا ينبغي أن ينتظر منها أن تحدث تغييرا ملموسا ما لم تترجم هذه الاحتجاجات إلى تطبيقات فعلية على مستويات شعبية ورسمية. فالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مثلا، لا يبدو أنها واعية بمفهوم تدهور اللغة العربية الفصحى كما طرحت هنا. فالمنظمة تعددت أنشطتها وأعمالها، لكن تجذير الفصحى السليمة في الوطن العربي بين المتعلمين ابتداء من مراحل تعليمهم الأولى لا يبدو أنه همّ من هموم المنظمة، وهي قادرة على أن تؤثر عبر حملات التوعية بأزمة الفصحى في كل أنظمة التعليم بالعالم العربي. ولكن صمت المختصين والمهتمين بميادين الثقافة والتربية والعلوم عن قضية غربة الفصحى السليمة بالعالم العربي حتى في الجامعات العربية هو ظاهرة في حد ذاتها حرية بالدراسة.

ومن هنا نرى أن مفهوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

لـــ "الأمن اللغوي" للوطن العربي يحتاج إلى أكثر من وقفة. وعند اتصالنا باتحاد الجامعات العربية بالرياض لمعرفة ما إذا كانت هناك دراسات أو إحصائيات عن مدى استعمال الفصحى بالجامعات العربية عبر الوطن العربي اعترف المسئولون الذين التقينا بهم بأنهم يجهلون وجود مثل هذه الدراسة. وأن كل ما يعرفونه هو عقد ندوات ومؤتمرات تمس من قريب أو من بعيد قضية التعريب. وتوصي جميعها على العموم بإعطاء كل الإمكانات لدفع حركة التعريب في كل الميادين. وعلى الرغم من العلاقة الظاهرة بين عمليتي تعريـــب المصطلـــحات والعبــــارات و" تفصيحها " نحوا وصرفا وتعبيرا وحديثا... فإنه بوجود العاميات العربية ذات الاستعمال الواسع أصبحت العلاقة بين التعريب والتفصيح علاقة غير طردية بالضرورة كما بيّنا، أي أنه ليس صحيحا أنه كلما عربنا تحسنت استعمالاتنا للفصحى السليمة. ونظرا لاستعمال العاميات العربية بنسبة عالية حتى في تدريس الفصحى نفسها فإن التعريب أصبح يعني أساسا تحسين وتوسيع العاميات وليس تمكين الإنسان العربي المعرب بالضرورة من إلمام بالفصحى يجعله قادرا على استعمالها كتابة وقراءة وكلاما بطريقة سهلة وسليمة.

لقد حددنا في هذا البحث بعض المؤشرات لقياس تدهور مستوى الفصحى بين المتعلمين في الوطن العربي اليوم، ومن ثم الأخطار المحدقة بالأمن اللغوي للأمة العربية. فما ما ترى انعكاسات هذا الواقع اللغوي المتدني على موقف الطلبة الجامعيين إزاء اللغة العربية الفصحى مثلا ؟ ثم ما آثار هذا الموقف في المجتمعات العربية ؟.

إن الموقف العام الذي يصادفه الملاحظ لموقف الطالب العربي ذي التكوين المتردي في اللسان العربي الفصيح هو موقف الحب والكراهية معا حيال الفصحى.فمن ناحية يشعرك الطالب العربي بعفوية بأن للعربية الفصحى في نفسه مكانة محترمة تستمد تجذرها من كونها الوعاء الرمزي للمسات القدسية والتراثية للانتماء العربي الإسلامي. لكن، من ناحية ثانية، يلحظ المرء ملامح الموقف العدائي المتخنس أو الصارخ عند كثير من الطلبة إزاء الفصحى خاصة تلك التي تنحرف عن أسلوب الجرائد والمجلات الشعبية. ومثل هذا الموقف ليس بغريب فعلا. فجذور الكراهية المستترة أو الناطقة ترجع بكل اختصار إلى مبدأ قانون: "من جهل شيئا عاداه". وأما الشعور بالاحترام والحب للسان العربي الفصيح فهو يعود باختصار إلى مدى اقتران هذا الأخير خاصة بأسس ذاتية الإنسان العربي المسلم. ومن هنا فتدني الفصحى في حد ذاته ليس قضية لغوية بحتة كما يتبادر إلى الأذهان وإنما تمس انعكاساتها ذاتية الإنسان العربي نفسه طالما ظل هذا الأخير يعتبر اللغة العربية الفصيحة مذكرة تاريخه الماضي وبطاقة تعريفه في الحاضر وأداة تعبير عن أماله المستقبلية. وبانتشار مثل هذا الموقف (الحب والكراهية) بين المتعلمين العرب يصبح للظواهر الآتية منطق ذو ثقل وأخطار على مستقبل هذه الأمة:

١- تفشي العزوف العام عن القراءة بالفصحى بين المتعلمين بالعالم العربي اليوم.
٢- ندرة الابتكارات بالوطن العربي. ويرجع هذا حسب آخر البحوث اللغوية إلى العلاقة الوثيقة بين معرفة اللغة الوطنية والمقدرة

الذهنية المعرفية.

٣- إن تردي الفصحى وسطوة العاميات المتعددة على مجرى الحياة في مجتمعات الوطن العربي بما فيها الجامعات العربية قد يؤديان إلى ضعف رابطة الانتماء العربي الكبير. فالفصحى لا تزال كما كانت في أيام الفتوحات الإسلامية أكبر عامل موحد بعد الإسلام لأمة العرب[١].

وهنالك جهود كثيرة درست هذا الخطر على العربية الفصحى وحاولت أن يبحث له عن علاج. ومن ذلك ما كتبه الشيخ/ علي الطنطاوي وأذاعه عام ١٩٥٧م ثم نشره في كتابه فكر ومباحث، بعنوان (لغتكم أيها العرب)[٢] والدكتور/ مازن مبارك في كتابه مقالات في العربية[٣] والدكتور/ عبد الفتاح سليم في أوائل كتابه موسوعة اللحن في اللغة، مظاهره ومقاييسه[٤] والدكتور/نهاد الموسى في كتابه اللغة العربية وأبناؤها، أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية [٥]

---

(١) هذه خلاصة الأفكار التي وردت في المقال المذكور حاولت إيرادها بألفاظ كاتبها مع تصرف ضروري أحيانا بالحذف والإضافة والتقديم والتأخير وإعادة الصياغة بما يوافق أهداف هذا البحث. والله الموفق.

(٢) نشرت الطبعة الثالثة منه دار المنارة بجدة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م. ينظر ص٧ وما بعدها.

(٣)نشرت الطبعة الأولى منه دار البشائر بدمشق عام ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٤) نشرته مكتبة دار الآداب بالقاهرة الطبعة الثانية منه عام ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

(٥) نشرت مكتبة دار العلوم بالرياض الطبعة الأولى منه عام ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.

والدكتور/سليمان يوسف خاطر في بحثه بعنوان: الأخطاء اللغوية في صياغة الاختبارات النهائية، أسبابها وأنماطها وعلاجها، دراسة وصفية تحليلية تقويمية. [١] وكذلك بحثه بعنوان: الإعراب العملي، مفهومه ومنهجه وأثره في إتقان العربية وعلومها [٢]وكذلك في كثير من المراجع التي سبقت في الفصل الماضي حديث طويل عن هذا الخطر وانتشاره في الجامعات العربية والمؤسسات التعليمية والتربوية عموما مع محاولات لتقديم مقترحات للعلاج، لا تختلف كثيرا عن المقترحات التي سبقت في الفصل الماضي.

أما العلاج الذي أراه اليوم فهو الاعتماد على الوسائل التقنية الحديثة في تعليم القراءة والكتابة،مع التركيز على السنوات الأولى من التعليم الجامعي وما قبله، وإنشاء مركز تأهيلي لتلافي ما قصرت فيه مراحل التعليم العام في هذا الشأن،وهو ما يعرف بالسنة التحضيرية في الجامعات العربية اليوم، وإدخال جميع المواد الضرورية لتقوية القراءة والكتابة في أجهزة حديثة ووضعها في مواقع شبكية يسهل وصول الجميع إليها مع تشجيعهم على الاستفادة منها بكل سبيل، وعدم السماح لأي طالب بالانتقال إلى الفصل التالي إلا بعد التأكد من مستواه الكتابي والقرائي الذي تؤهله لذلك الانتقال، واستخدام جميع الوسائل التقنية والإدارية في إلزام كل طالب ببرنامج تقني متكامل متدرج لتحسين القراءة والكتابة. والله المستعان.

---

(١) نشرته مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية، في عددها الثاني عام ١٤٢٩هـ.

(٢) نشرته مجلة الحكمة في عددها الواحد والأربعين في رجب ١٤٣١هـ.

الفصل الثالث: خطر العجمية على العربية الفصيحة في الجامعات العربية

الدعوة إلى استخدام اللغات الأجنبية في التعليم بدلا من العربية معروفة في بلاد العربية والإسلام قديمة متجددة لها أصحابها وأنصارها ودعاتها المتحمسون لها، وكذلك المتصدون لها من أبناء العربية والإسلام في كل عصر ومصر على امتداد تاريخنا الحديث،وهي معركة طويلة مستمرة.

ويمكن تصوير هذه القضية من خلال الأسئلة الآتية[١]:

١- هل اللغة العربية قادرة على أن تكون لغة التعليم في مراحل التعليم العالي ؟
٢- هل تصلح العربية للتأليف العلمي التجريبي ؟
٣- هل في العربية من المصطلحات ما يكفي لسد حاجة البحث العلمي والتأليف فيه ؟
٤- هل اللغة العربية لغة شعر وأدب وتاريخ فقط ؟
٥- ماذا تعني الدعوة إلى التخلي عن اللغة العربية في التعليم العالي وفي البحث العلمي ؟

الإجابة عن هذه الأسئلة تمثل جوهر هذه القضية التي كثر الجدل حولها وطال النزاع واستحر القتال والسجال الفكري حولها هجوما ودفاعا وأخذا

---

(١) ينظر كتاب: اللغة العربية في التعليم العالي والبحث، محاضرات تتناول التعريب في الوطن العربي تدريسا وتأليفا ومصطلحا، للدكتور/مازن مبارك، ط/٢، دار النفائس بدمشق عام ١٤٠١هـ — ١٩٨١م.

وعطاء حتى صارت أشهر من أن نعيد هنا ما أكثر قيل فيها قبولا وردا. وإنما أكتفي بإيراد شهادات بعض أهل الاختصاص في تلك العلوم التطبيقية التي تدرس باللغات العجمية اليوم في الجامعات العربية بدعوى عدم صلاحية العربية لذلك. والله المستعان.

تدريس العلوم بالعربية يحافظ على الهوية الثقافية:

تحت هذا العنوان كتب الطبيب العربي الدكتور/ عبدالعزيز أحمد محمد الغراس الأستاذ بكلية الطب في جامعة القصيم مقالا بصحيفة الجزيرة السعودية (١) أكد فيه أن الجميع يعلم ما تعانيه اللغة العربية في البلدان العربية من غربة وسط بعض أبنائها، وهذا أمر ليس مستحدثاً على اللغة العربية أو على أهلها، فهي الآن تتعرض لأشكال مختلفة من الغزو، وتختلف أشكال هذا الغزو من بلد إلى بلد عربي آخر حسب المؤثرات والظروف المختلفة للمجتمع وبالرغم من أن محاولات القائمين على اللغة أو المهتمين بأمرها دق نواقيس الخطر في التصدي لهذه الغزوات إلا أن اللغة العربية ستبقى هي أجمل اللغات وأبلغها ويعجز اللسان عن وصفها ولا بد أن نسعى جاهدين لإعادة مجدنا العربي الذي ضاع من بين أيدينا حيث كانت عقول العرب نشيطة ومفكرة وكان العالم العربي نشطاً في عدة مجالات علمية وليس في مجال واحد، وكان الغرب في ظلمة الجهل والاعتقادات الخرافية ثم ينعكس الحال حيث يستيقظ الغرب ليدرك أنه لا بد أن يتحرك ويفيق ويأتي دورنا في

(١)في عددها ليوم السبت ٢٨ من ذي الحجة عام ١٤٢٦هـ

التلقي دون التفكير والاستغناء عن أصالتنا حتى دخلت الكلمات الإنجليزية أحشاء لغتنا وأصبح حتى من لا يعرف الكتابة والقراءة يستخدم (أوكيه) في أغلب كلامه. ومن هذا المنطلق فلا بد من تأييد تدريس العلوم التطبيقية وكل المجالات الهندسية والطب والعلوم الأخرى التي يمكن الاستغناء عن اللغة الإنجليزية فيها حتى لو كان ذلك صعباً فهو ليس مستحيلاً؛ إذ إن تعليم العلوم الدقيقة بلغات أجنبية غير اللغة العربية من شأنه أن يصيب أجيال الأمة بالفصام الفكري ويهدِّد هويتهم بالضياع فضلاً عما تسببه من ضحالة التحصيل العلمي وحرمان الطالب من الفهم الصحيح للمعاني حيث إن الطالب ينشأ معها ويتشربها على امتداد مراحل عمره التعليمي وإن تدريس العلوم باللغة العربية يسهم في الحفاظ على الهوية الثقافية من الضياع والحفاظ على حيوية اللغة عبر اتصالها مع تطورات العلم وإنجازاته لكن المسألة لا تقتصر على ذلك، فالدراسة باللغة العربية وفقاً لدراسات علمية تحقق للطالب فهماً أعمق وأسرع ونتائج أفضل وقد أوصت منظمة اليونسكو باستخدام اللغة الوطنية في التعليم إلى أقصى مرحلة ممكنة من المراحل الدراسية ولا شك أن تجربة تعريب الطب في سورية هي تجربة رائدة بلا شك، وقد قطعت الجامعات السورية في ذلك شوطاً كبيراً، وخرّجت الآلاف من الأطباء الذين أثبتوا نجاحهم داخل البلاد وخارجها. إلا أن هذه التجربة تواجه الآن تحدياً كبيراً يتهدد استمرارها، لا يمكن التغلب عليه إلا بإعادة تقويم التجربة ودراسة نقاط الضعف فيها؛ إذ لا بد أن نبدأ من حيث انتهى إليه الآخرون ولنا بالتجربة السورية أكبر برهان على النجاح حيث إنه

قد مضى خمسة وسبعون عاماً أو نحوها وأساتذها يدرِّسون أحدث نظريات الطب، ويعملون بأدقِّ الأجهزة، ويتحاورون حول الأمراض بلغة عربية سهلة واضحة لا يتعثر في فهمها المستمع طالباً كان أم طبيباً، ومع كل هذا لا يُحمل كلامي في مجمله دعوة لنبذ اللغات الأجنبية والابتعاد عنها بل على العكس، فأنا من أشد المتحمسين لدراسة اللغات الأجنبية والتفوق فيها ولكن عليَّ أن أكون أشد تفوقاً في لغتي وحبًّا؛ إذ لا بد أن نبدأ بترجمة المراجع الطبية التي تتطلب جهوداً هائلة من الأساتذة والهيئات التعليمية؛ لتتمكن من تقديم كتب ومراجع عربية قوية المادة سلسة الأسلوب بلغة سليمة سهلة الفهم ومحتوى يوازي كفاءة الكتب والمراجع الأجنبية. ولعل تحقيق ذلك يتطلب إصلاح نواحٍ كثيرة في الجامعات وغيرها من المؤسسات التعليمية، كتغيير القواعد الناظمة لتأليف وإصدار الكتب الجامعية إلى قواعد أخرى في أنظمة عمل الجامعات التي لا مجال لذكرها هنا، وإعادة النظر في قصور المراجع الطبية العربية عن تغطية تطورات الطب المتسارعة وهذا لا يغنينا عن إتقان اللغات الأجنبية ولا سيما الإنكليزية؛ لذا يجب تطوير الترجمة أولاً وإدخالها بقوة أكبر في مناهج الكليات، وكذا وجوب إيجاد مكتبة طبية عربية حقيقية وتزويد الطلاب والأطباء بكمية كافية من المواد الجديدة المترجمة، ويجب تشجيع طلاب الترجمة على ترجمة الكتب والدوريات الإنكليزية للاطلاع على المستحدثات والتطورات الأخيرة؛ إذ إن الترجمة تتطلب مهاراتٍ رفيعةً وفهماً عميقاً للنص الأصلي ومقدرةً على تحويله إلى نص سلس وقوي ومفهوم بشكل جيد وصحيح نحوياً، ويشعر معظم الأطباء

بأن بعض المواد المترجمة حالياً التي يشكل بعضها جزءاً مهماً من منهاجهم لا توافق هذه المعايير، وقد كان وسيبقى لذلك تأثيرٌ مهمٌ على مستوى فهم هذه الموضوعات وربما على مستوى الرعاية الصحية المقدَّمة للمجتمع. وقد اقترح تشكيل خبراء من أقسام الترجمة واللغات الأجنبية للترجمة التخصصية ملحقة بدعم حكومي كافٍ ولا بد أن توجد المراقبة اللازمة لتقويم ومراقبة الترجمة وخاصة في مجال الكتب الطبية الجامعية وغيرها لضمان توفر مواد التدريس الحديثة المميزة.

وفي الختام أحب أن أنتهي بما بدأت به من أن الدعوة إلى تعليم الطب والعلوم الطبية باللغة العربية وهي دعوة تنبثق من منطلقين: أولهما أن اللغة العربية قادرة على استيعاب العلوم الطبية. وثانيهما: أن الأطباء والعاملين في المجال الصحي أقدر على التعبير عن أنفسهم، كتابةً وقراءةً وحواراً وعلى الاتصال بكل من المريض والمجتمع، بلغتهم الأم، ولعلنا ندرك قيمة تعريب الطب إذا عرفنا أن كثيراً من الدول الأوربية مثل السويد، والنرويج، وفنلندا وألمانيا، والنمسا تدرس الطب بلغاتها وعلى مستوى عالٍ من الأداء في الوقت الذي نجد فيه أن البلاد العربية وعدد سكانها نحو ربع بليون نسمة وفيها أكثر من ٩٠ كلية طب، كلها تدرس الطب بلغات أجنبية هي الإنجليزية والفرنسية والإيطالية ما عدا خمس كليات، ولعلنا لا نندهش حينما نعلم أن التكامل بين بلدان الوطن العربي يمكن أن يتم حتى في الحفاظ على اللغة العربية باستفادة كل دولة عربية بما لدى الأخرى من وسائل الحفاظ على اللغة ومحاربة أساليب الغزو المختلفة.

يقول الدكتور زغلول النجار عضو هيئة التدريس بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن سابقا: "الإنسان لا يمكن له أن يبدع بغير لغته الأم التي نطق أول ما نطق بها ونشأ منذ حداثته عليها مستمعاً إليها ومتحدثاً بها..." إلى أن قال: "وهذا لا يتنافى أبداً مع تعلمه لعدد من اللغات الأخرى التي قد يحتاجها في حياته العملية أو في اطلاعه على إنتاج غيره من أصحاب اللغات المغايرة، وذلك بعد إتقانه للغته الأم، وعلى ذلك فإننا إذا كنا حقاً نريد لأبناء الأمة العربية أن يتفوقوا في دراستهم وأن يبدعوا في تخصصاتهم المختلفة فعلينا أن نعلمهم بلغتهم العربية..." إلى أن قال: " أدركت من تجربتي الطويلة في التعليم الجامعي التي بدأت في أوائل الخمسينيات من هذا القرن أن الطالب العربي الذي يتعلم العلم بغير العربية يواجه صعوبات جمَّة في فهم اللغة الأجنبية كلغة وفي استيعاب المادة العلمية التي تعبر عنها تلك اللغة كمضمون، وذلك لأن كل لغة من اللغات لها أصولها وقواعدها وضوابطها واشتقاقاتها وروابطها الجذرية مع عدد من اللغات الأخرى، ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى في مجال العلوم البحتة والتطبيقية التي اتفق الغربيون على نحت مصطلحاتها من جذور لاتينية أو يونانية... " وأضاف: "...فإذا أدركنا جهل طلابنا بهاتين اللغتين بل جهل غالبية متخصصينا بقواعدها وبضوابط الاشتقاق منها، أدركنا مدى الصعوبة التي نضعها أمام أبناء الأمة العربية من الطلاب والمتخصصين حين نفرض عليهم أن يتعلموا العلم بلغات أجنبية، فإذا أضفنا إلى تلك الصعوبات تدني مستوى تدريس اللغات الأجنبية في مختلف مدارس الدول العربية بصفة عامة زاد إدراكنا

لحجم الصعوبات التي يواجهها طلاب الدراسات العلمية والتقنية حين يفاجئون (في مطلع دراستهم الجامعية) بالمحاضرات تلقى عليهم بلغة أجنبية لا يتقنوها ولا يفهمون دلالة الأصول اللاتينية واليونانية لمصطلحاتها؛ فلا يملكون حيالها إلا الانهزام والفشل والانسحاق النفسي تحت معاولها أو الحفظ والترديد الببغاوي الذي يملأ القلب بالانكسار والشعور بمركبات النقص الذي قد يفيد على صفحات أوراق الاختبار، ولكنه بالقطع لا يمكن أن يفرز إنساناً مبدعاً على الرغم من وجود عدد من الحالات النادرة التي قد تشذ عن تلك القاعدة ".

ويضيف قائلاً: "وإذا تخرج الدارس من جامعته أو معهده دون فهم صحيح ودقيق لقواعد وأصول العلم الذي تعلمه والتخصص الذي انخرط فيه استحال عليه الإبداع فيه حتى لو نال أرقى الشهادات ووصل إلى أعلى الدرجات العلمية " (١)

ويقول الدكتور عبدالرحمن العوضي وزير الصحة الأسبق في دولة الكويت: "لن يمكننا تعليم طالب الطب المادة العلمية بنفس العمق والمفهوم بلغة أجنبية" ويقول الدكتور حسين الجزائري المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية بالإسكندرية: "إن مستوى تعليم اللغات الأجنبية في المراحل قبل الجامعية منخفض جداً في جميع البلاد العربية بحيث لا يكاد خريج المدارس الثانوية يعرف أولويات اللغة الأجنبية ثم يراد له بهذا الرأسمال الضحل أن

(١)ينظر مقدمة كتاب (تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية) للدكتور زهير السباعي، طبعة النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية.

يستوعب علوماً يستصعب الأجانب أنفسهم دراستها بلغاتهم، والنتيجة المحتومة هي انخفاض لا ريب في مستوى الطالب العلمي"[١].

هذه نماذج مما قاله المختصون في هذا الخصوص نكتفي بها ومن أراد المزيد يمكنه الرجوع إلى أدبيات هذا الموضوع وسيجد أعداداً كبيرة من ذوي الرأي والاختصاص كلهم يؤيدون تدريس العلوم باللغة الأم.

وبالرجوع إلى توصيات المؤتمرات التي عقدت بهذا الصدد نجدها قد قالت كلمتها بوضوح وجلاء، يقول المؤتمر الإقليمي لتعريب الطب الذي عقدته منظمة الصحة العالمية في القاهرة عام ١٩٩٠م ما نصه: "يؤكد المؤتمر أن تعليم العلوم الصحية باللغة الأم عمل ثقافي وحضاري وعلمي يضمن حسن الاستيعاب ويسر العملية التعليمية مما يؤدي إلى تحسن أداء الخدمات الصحية ورفع المستوى الصحي بوجه عام ".

وما دام الحال كما وصف فإن الأمل معقود على أساتذة الطب وخبرائه وهم جديرون بتحمل مسؤولية التصحيح وإعادة النظر وإفساح المجال لأصحاب الاختصاص في العلوم اللسانية بعامة واللسان العربي بخاصة بحيث يشاركوهم الرأي فيما يتعلق بلغة التدريس، وفي ذلك مندوحة للأطباء والمهندسين وأمثالهم عن الانفراد بتقرير لغة التدريس وهو شأن سيادي لا يساوم عليه، وأصحاب الاختصاص اللغوي لا شك أنهم الأجدر بإبداء الرأي فيما يتعلق باللغة العربية التي هي اللغة الأم للأمة العربية قاطبة.

---

(١)ينظر مقدمة كتاب (تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية) للدكتور زهير السباعي، طبعة النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية.

تدريس العلوم باللغة العربية ضرورة علمية ومطلب وطني وعربي:

وتحت هذا العنوان كتب المهندس العربي الدكتور/ عبدالله بن إبراهيم المهيدب أستاذ الهندسة بجامعة الملك سعود عن هذه القضية مقالا[١] بصحيفة الجزيرة أيضا، ذهب فيه إلى اللغة تمثل أهم مقومات شخصية أي أمة من الأمم، حيث تميزها عن غيرها من الأمم، كما تعبر عن واقع الأمة من حيث التطور أو التخلف ومن حيث القوة أو الضعف. فعندما تكون الأمة قوية وعزيزة فإن لغتها تعتز بعزها وتزداد انتشاراً، وعندما تضعف الأمة فإن لغتها تزداد ضعفاً وخمولاً ويدل على ذلك واقع اللغة العربية في الوقت الحاضر مقارنة بواقعها عندما كانت لغة العلوم والحضارة؛ حيث ظلت أكثر من خمسة قرون لغة العلوم والمعرفة في جميع الميادين؛ في الفلك والطب والزراعة والكيمياء والرياضيات والهندسة وغيرها. ومن المسلَّم به أنه لا يمكن لأي مجتمع أن ينهض ويتحضر إلا من خلال لغته، ومن ثم لن ينهض العرب إلا بواسطة لغتهم العربية، والمتتبع لمسيرة التعليم الجامعي في الدول العربية يجد أن لغة التدريس في الكليات العلمية كالطب والهندسة في معظم الدول العربية (باستثناء سوريا) هي اللغة الإنجليزية بالرغم من أن أنظمة التعليم العالي في جميع الدول العربية تنص على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية الواجب استخدامها في التعليم الجامعي.

واختلفت الآراء حول تدريس العلوم باستخدام اللغة العربية في الوقت الحاضر، حيث يرى البعض أنه لا يمكن تطبيق ذلك؛ لأن اللغة العربية غير

(١) نشر في العدد (١٢٥٥٧) يوم الأربعاء ٢٦ محرم ١٤٢٨هـ.

قادرة على مواكبة النهضة العلمية في هذا العصر، ولأن ذلك قد يكون سبباً في عدم التواصل مع التقدم العلمي في جميع مجالاته. وفي المقابل يرى البعض الآخر أن تدريس العلوم باستخدام اللغة العربية ممكن؛ لأن اللغة العربية لغة حية غنية بالمفردات والاشتقاقات؛ مما يمكنها من استيعاب جميع الألفاظ المعربة من لغات أخرى، كما أن ترجمة الكتب والأبحاث العلمية سيؤدي إلى التواصل مع المستجدات العلمية. وخير مثال على ذلك الوضع في دولة اليابان حيث يتم ترجمة الأبحاث العلمية إلى اللغة اليابانية بعد فترة وجيزة من صدروها ونشرها، وكذا في الصين وألمانيا واليونان وكوريا الجنوبية، وغيرها من الدول التي تدرس العلوم بلغاتها المحلية ولم تنعزل هذه الدول عن التقدم العلمي الذي يجري في العالم، خاصة وأن أسس وقواعد العلوم الأساسية والرياضيات ثابتة لا تتغير.

إن تدريس العلوم باللغة العربية يمكن تطبيقه بإنشاء مركز وطني متخصص في كل دولة من الدول العربية يقوم بوضع الخطط العامة والتفصيلية لعملية التعريب، وتحديد الفترات الزمنية والوسائل اللازمة لتنفيذ هذه الخطط وفق الأولويات، والعمل على تأهيل المتخصصين وإعدادهم وتهيئتهم من خلال برامج علمية مدروسة، كما يقوم المركز بوضع الآلية اللازمة لتسهيل طباعة ونشر وتوزيع الكتب والمراجع والمعاجم العلمية المعربة، وإقامة الندوات المتعلقة بعملية التعريب بشكل منتظم بهدف تبادل الآراء وتنسيق الجهود بين المتخصصين في هذا المجال. وقد أثبتت التجارب السابقة أن تعريب التعليم الجامعي هدف علمي كبير ليس بمقدور جهة أو

جامعة معينة القيام بأعبائه وتحمل مسؤولياته وحدها. فالمتتبع لواقع تعريب التعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية يجد أن هناك جهوداً قد بذلت ولا تزال تبذل للنهوض بعملية التعريب، فقد أنشأت كلية الهندسة بجامعة الملك عبدالعزيز برنامجاً لتعريب العلوم الهندسية في عام ١٤٠٠هـ ولكنه توقف في عام ١٤٠٨هـ لأسباب عديدة، كما أنشأت مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية مشروع البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم) كما أن لمراكز الترجمة بالجامعات السعودية جهوداً حثيثة في ترجمة بعض الكتب والمراجع العلمية المهمة.

نعم إن تدريس العلوم باللغة العربية ممكن بتوفير الكتب والمراجع العربية للمقررات الدراسية عن طريق تشجيع الترجمة وتفعيل دورها ووضع الخطط اللازمة للنهوض بها حيث تغلب العفوية على حركة الترجمة في الوقت الحاضر؛ فيتم اختيار الكتب المترجمة حسب التفضيل الشخصي للمترجم، كما أن الترجمة غير مكتملة فنياً من حيث التزامها بمعايير دقيقة من ناحية اللغة واستخدام المصطلحات العلمية. ويمكن توفير العديد من الكتب والمراجع باللغة العربية عند اشتراط أن يكون أحد الأعمال المقدمة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات وغيرها لغرض الترقية ترجمة أو تأليف كتاب باللغة العربية من كتب المقررات الدراسية في تخصص المتقدم للترقية. كما يتم ذلك بتوفير الحوافز المادية والمعنوية للعاملين في مجال التعريب؛ حيث إن المكافأة الممنوحة للأعمال المترجمة في معظم الجامعات العربية لا تعوض ما ينفقه المترجم من وقت وما يبذله من جهد، وقد كان الخليفة المأمون يمنح

مترجم الكتاب وزنه (الكتاب) ذهباً مكافأة له على عمله، وبذلك ازدهرت العلوم في عهده.

ويمكن تدريس العلوم باللغة العربية عندما يتم التنسيق بين مجامع اللغة العربية لوضع أسس عامة ودقيقة لاختيار المصطلحات العلمية وإيجاد تعاون مشترك بين المتخصصين في العلوم والمتخصصين في اللغة العربية للحد من اختلاف المصطلحات الموجودة في الكتب المؤلفة أو المترجمة إلى اللغة العربية. فتوحيد المصطلحات العلمية سوف يؤدي إلى سرعة الفهم ونقل المعلومات، كما أنه سيوفر الوقت والجهد للباحثين، ويزيل الالتباس بين المفاهيم المختلفة، وقد بينت الدراسات السابقة أن نسبة المصطلحات في النصوص العلمية في المراجع الإنجليزية ضئيلة. فعلى سبيل المثال، وجدت بعض الدراسات أن نسبة المصطلحات الطبية في معظم المراجع الإنجليزية لا تتجاوز ٣,٣% من مجموع الكلمات الواردة في كل مرجع، في حين أن ٩٦,٧% من الكلمات عبارة عن مفردات من الكلام العادي غير المتخصص. كما أن البنك الآلي للمصطلحات (باسم) يحتوي على أكثر من ثلاثمائة وتسعة وثلاثين ألف سجلّ مصطلحي في مجالات العلوم المختلفة.

فتدريس العلوم باللغة العربية ممكن لرغبة نسبة كبيرة من الطلاب والأساتذة في استخدام اللغة العربية في التعليم الجامعي. فقد أوضحت الدراسة التي قام بها كاتب هذه السطور أن حوالي ثلاثة أرباع عينة الدراسة المكونة من أعضاء هيئة التدريس وطلاب كلية الهندسة بجامعة الملك سعود يفضلون تدريس العلوم الهندسية باللغة العربية. كما بينت دراسة أخرى أن

حوالي ٥٤٪ من عينة الدراسة التي شملت طلبة وأطباء الامتياز وأعضاء هيئة التدريس في كليات طب الأسنان بجامعة الملك سعود في الرياض وجامعتي دمشق وحلب بسوريا يؤيدون التدريس باللغة العربية بسبب سهولة استيعابها.إن تدريس العلوم باللغة العربية ضرورة علمية ومطلب وطني وعربي لوجود العديد من الإيجابيات عند استخدام اللغة العربية في التدريس المتمثلة في مقدرة الطلاب على الفهم والاستيعاب والمناقشة والقراءة والكتابة بشكل أكبر مما يؤدي إلى زيادة استيعابهم للمفاهيم العلمية وتحسن تحصيلهم العلمي. ففي دراسة كاتب هذه السطور أفاد٩٠٪ من الطلاب أن فهم الطالب للمادة العلمية الهندسية باللغة العربية أسرع وأعمق، وذكر حوالي٨٠٪ من الطلاب أنهم يحتاجون وقتاً أطول لقراءة المادة العلمية المكتوبة باللغة الانجليزية مقارنة باللغة العربية، وحوالي٦٠٪ منهم يحتاجون وقتاً أطول لكتابة المادة العلمية باللغة الإنجليزية مقارنة باللغة العربية. كما بينت نتائج الدراسة التي أجريت في كلية الطب بجامعة الملك فيصل عن موقف الطلاب من تعريب التعليم الطبي أن٨٠٪ من الطلاب يوفرون ثلث الزمن أو أكثر عند القراءة باللغة العربية مقارنة بالقراءة باللغة الإنجليزية، وأن حوالي٧٠٪ من الطلاب يوفرون ثلث الزمن أو أكثر عند الكتابة باللغة العربية مقارنة بالكتابة باللغة الإنجليزية. كما يرى ٧٥٪ من الطلاب أن مقدرتهم على الإجابة الشفوية والنقاش أفضل باللغة العربية.

نعم، إن تدريس العلوم باللغة العربية ضرورة علمية ومطالب وطني وعربي لوجود العديد من السلبيات عند استخدام اللغة الإنجليزية في

التدريس، فقد أوضحت إحدى الدراسات أن تدريس العلوم باللغة الإنجليزية يعد السبب الرئيس في تسرب الطلاب من الكليات العلمية التي تدرس باللغة الإنجليزية، وهي كليات الطب والصيدلة والعلوم الطبية التطبيقية وطب الأسنان وعلوم الحاسب والعمارة والهندسة في جامعة الملك سعود، حيث تراوحت نسب التسرب ما بين ٢٥% إلى ٤٥% عام ١٤١١هـ وما بين ٢٠% إلى ٤٣% عام ١٤١٢هـ. بالإضافة إلى أن ما بين ٧٤% إلى ٨١% من الخريجين قد تخرجوا بمستوى ضعيف (جيد ومقبول) منذ عام ١٤١١هـ إلى ١٤١٨هـ.

كما بينت دراسة أخرى أن كثيراً من طلاب كلية العلوم بجامعة الكويت يعانون من استخدام اللغة العربية وسيلة اتصال تعليمية في الكلية. حيث ذكر حوالي ٦٥% من أعضاء هيئة التدريس في الكلية أن مستوى الطلاب في اللغة الإنجليزية مُتَدَنٍّ، وأن ضعف الطلاب في اللغة الإنجليزية هو السبب في ضعف استيعابهم للمفاهيم العلمية. كما أن حوالي نصف طلاب الكلية يعانون من صعوبة فهم الكتاب المقرر باللغة الإنجليزية، وكذلك المحاضرات التي تقدم لهم باللغة الإنجليزية، ولكي تستعيد اللغة العربية مكانتها ويتم الاعتراف بها عالمياً لغة علمية لابد أن تكون هي لغة العلم تعلماً وتعليماً وبحثاً وأن تُكتب وتُنشر الأبحاث والدراسات بهذه اللغة الخالدة، والله من وراء القصد. [1]

---

(١) ينظر كتاب(تعريب التعليم الهندسي في المملكة العربية السعودية، الواقع والآمال)، للدكتور/عبدالله بن إبراهيم المهيدب، ط/١، مركز دراسات =

لغتنا العربية تنتهك في مؤتمراتنا المحلية:

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ/سلطان بن محمد المالك في عموده(أفق) بصحيفة الجزيرة أيضا مقالا(١) بين فيه أنه مع تزايد الاهتمام بصناعة المؤتمرات والندوات من قبل العديد من منشآت القطاع العام والخاص التي تعقد في مملكتنا الحبيبة، إلا أن هناك ملاحظة مهمة جداً بدأت تظهر وبشكل جلي يلحظها كل من يشارك بحضور بعض المؤتمرات والندوات، وخصوصاً تلك المرتبطة ببيئة الأعمال والاقتصاد، وهي إغفال وتجاهل استخدام اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) في الكلمات الافتتاحية والعروض المرئية واستبدالها باللغة الإنجليزية. والمزعج أن من يقوم بذلك هم من أبناء الوطن، وفي ذلك التصرف (تنكر) للغتنا العربية التي يسعى العديد من غير المتحدثين بها إلى تعلمها.

ما دفعني للكتابة عن هذا الموضوع هو غيرتي على لغتي العربية التي أعتز بها، وملاحظتي تلك من خلال حضوري للعديد من المؤتمرات المحلية، ولعل أقربها ما شاهدته وسمعته شخصياً في أحد المؤتمرات الذي عقد مؤخراً في المملكة، ولكي أكون أكثر وضوحاً في مؤتمر المدن الذكية الذي عقد في منطقة مكة المكرمة الأسبوع الماضي ونجح نجاحاً كبيراً من حيث الإعداد والتنظيم. وحدث في هذا المؤتمر أن وجهت الدعوة لبعض المتحدثين الأجانب للمشاركة في تقديم أوراق عمل لإثراء تجاربهم وخبراتهم في موضوع المؤتمر، ولكن المفاجئ أن يتقدم أحد أبناء الوطن

= الوحدة العربية ببيروت عام ٢٠٠٥م.

(١) نشر في العدد (١٣٢٦٨) يوم الأحد ٢٨ محرم ١٤٣٠ ه.

ليقدم عرضاً مرئياً باللغة الإنجليزية ويطلب من جموع الحاضرين الذين تجاوز عددهم ٤٠٠ شخص ممن يتحدثون اللغة العربية مع وجود العشرات من الأجانب غير المتحدثين باللغة الغربية، السماح له وتقديراً للضيوف الأجانب الذين حضروا للمملكة أن يقدم عرضه باللغة الإنجليزية!! ما حدث كان غريباً ومفاجئاً لي وللحضور، فهل التقدير والاحترام هو للأجنبي وإغفال الحضور الآخرين، على الرغم من أنه قد تم توفير ترجمة فورية للمتحدثين بغير العربية؟.

في تصوري أن حضور خبراء ومتحدثين أجانب للمؤتمرات وإلقاءهم المحاضرات أو مشاركتهم في الحضور فقط، يجب أن لا يكون مبرراً لأن نتجاهل لغتنا العربية ونستبدلها باللغة الإنجليزية، بل يجب علينا أن نعتز بلغتنا العربية ونجعلها هي الأساس وأن نوفر ترجمة فورية للأجانب، وهي المعمول به في الكثير من المحافل والاجتماعات الدولية الرسمية، بل يجب أن نحرص على أن ندرب كبار مسؤولينا في القطاع العام والخاص على أهمية إتقان لغتنا العربية والتحدث بها في كل مشاركتهم وبالخصوص في المؤتمرات التي تعقد داخل وطننا الغالي.

حيا الله هذا الكاتب الغيور على لغته العربية وجزاه خيرا على غيرته على اللغة العربية وعلى اعتزازه بها، وقد اختارها الله لكتابه الكريم وأداة لتبليغ تعاليمه السامية، وهذا تكريم لهذه اللغة ولمن ينطق بها ويعتز بها، وقد واكبت هذه اللغة نهضة الحضارة الإسلامية فكانت خير أداة لها، ولقد حز في نفوس كثير من أهل الإسلام والعربية هجر اللغة العربية واستخدام الإنجليزية في بعض الملتقيات خاصة في بلاد الحرمين موئل اللغة العربية؛ لمكانتها الخاصة في نفوس جميع العرب والمسلمين، ولما تمتاز به

العربية من ثروة لغوية هائلة وما تتمتع به من خصائص وما تشتمل عليه من معطيات. ولقد كان للعرب وللغتهم فضل كبير على كثير من الأمم عندما انتشر الإسلام في تلك الديار فتخلى كثير من الشعوب والأمم والأفراد عن لغاتهم عن قناعة وطواعية وأقبلوا على اللغة العربية يتعلمونها؛ لأنها لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي الذي دخلوه واستوعبوه وارتفع كثير به وبرزوا في ميدان اللغة العربية وعلومها وآدابها وفقهها وبلاغتها وانصهروا في بوتقة الإسلام وتركوا لنا رصيداً ضخماً من المصطلحات العلمية بكل علم من هذه العلوم.

لقد أصبحت اللغة العربية اليوم محل اهتمام دولي وصارت محل الرغبة والدراسة من غير المسلمين حيث امتلأت مراكز علمية بطلاب يريدون تعلمها، وهناك كتب كثيرة وبحوث متعددة ومؤسسات في أوروبا وأمريكا تسعى لتطوير أدوات التعامل مع اللغة العربية كالترجمة الإلكترونية وغيرها من بحوث التقنية الخاصة باللغة العربية، لقد كان من الأولى خلال الندوات والمؤتمرات التي تعقد في بلادنا العربية اعتماد اللغة العربية لغة رئيسة في جميع التداولات مع إتاحة فرصة الاستفادة من اللغات الأخرى من خلال الأجهزة الإلكترونية المختلفة حيث إن هجر اللغة العربية في عقر دارها عقوق لها وانقطاع عن الإرث الحضاري والتاريخي وطمس للهوية الإسلامية والعربية وتنازل عن سيادة الأمة وكرامتها في دارها. والله المستعان [١]

وآخر ما وقفت عليه في هذا الموضوع هو ما كتبه الشاعر

(١) ينظر: تعليق الشيخ/عبد الله بن حمد الحقيل على المقال السابق في صحيفة الجزيرة، العدد (١٣٢٨٥) يوم الأربعاء ١٦ صفر ١٤٣٠هـ.

الدكتور/عبد الرحمن العشماوي في عموده اليومي (دفق قلم) بصحيفة الجزيرة[١] وفيه قوله:"...وحينما حدثني الدكتور صالح عباس -وفقه الله- عن مؤتمر حضره في البرازيل، معبراً عن أسفه على حال الأطباء العرب الذين شاركوا في ذلك المؤتمر، حيث كانوا هم «الوحيدين» الذين قدموا بحوثهم بغير لغتهم «بالإنجليزية» وعن شعوره هو وزملائه من أطباء العرب بالخجل وهم يجدون في المؤتمر كل طبيب مشارك يقدم بحثه بلغة قومه؛ الياباني باليابانية، والصيني بالصينية، والألماني بالألمانية.. وهكذا، إلا «أبناء العرب» سلمهم الله،... ذكرت له رأي الدكتور/زهير السباعي- وفقه الله- الذي سجله في كتابه عن ضرورة تعليم الطبِّ باللغة العربية إذا كنا نريد الإبداع المتأصل، والريادة في مجال الطب"

إنها أمانة بناء الأمة من خلال بناءِ الإنسان الذي يعرف أين يضع قدمه في طريق الحياة.

بعد عرض هذه الشهادات الحديثة من أهل الاختصاص لا أملك جديدا أضيفه إلا الدعوة إلى السير إلى ما دعوا إليه وترك المكابرة والمعاندة التي لا تجدي ولا تفيد وتضر بالأمة أيما ضرر. ومن قبل دعا كثير من أهل العلم والمعرفة والخبرة والتجارب الثرة إلى العودة إلى التمسك بالعربية الفصيحة في تدريس جميع العلوم والمعارف بالجامعات العربية ولكن لم تجد تلك الجهود الكبيرة المخلصة آذانا صاغية من المسؤولين بالجامعات العربية، فمما أسلفته من جهود الدكتور/ مازن مبارك في كتابه الذي أشرت إليه في

---

(١) في العدد (١٤٠٩٥) ليوم الاثنين ٢٨ جمادى الأول ١٤٣٢هـ – ٢/٥/٢٠١١م.

صدر هذا المبحث إلى جهود الدكتور/كارم السيد غنيم الأستاذ بكلية العلوم في جامعة الأزهر وعضو اتحاد الكتاب وعضو المجمع المصري للثقافة العلمية في كتابه اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة(١) والدكتور/السيد أحمد فرج في كتابه تعريب التعليم الجامعي ضرورة علمية وإسلامية(٢) والشيخ الدكتور/صالح بن عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى في السعودية وإمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة في كتابه اللغة العربية أساس النهضة وركن الحضارة(٣) والدكتور/ عبده بدوي في كتابه أهمية تعلم اللغة العربية(٤) والدكتور/محمد عمارة في كتابه معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام(٥). وقد جرت مناقشات واسعة حول هذه القضية في كتاب تدريس المقررات التعليمية بغير العربية في مدارس التعليم العام، الذي أعده ونشره مركز الشيخ/حمد الجاسر الثقافي بالرياض(٦) وكذلك في المراجع التي أسلفت ذكرها في المبحثين الأول والثاني كثير من الكلام حول هذه القضية

(١) نشرت مكتبة ابن سينا بالقاهرة طبعته الأولى عام ١٩٨٩م.

(٢) نشرته مكتبة دار الصحوة بالقاهرة في طبعته الأولى عام ١٤١٣هـ — ١٩٩٣م.

(٣) هو الكتاب الخامس من سلسلة الإصدارات العامة للجمعية العلمية السعودية للغة العربية، نشرت طبعته الأولى دار كنوز أشبيليا بالرياض عام ١٤٣١هـ — ٢٠١٠م.

(٤) هو الرسالة السابعة بعد المئة في الحولية السادسة عشر من سلسلة حوليات المجلس العلمي للنشر بكلية الآداب في جامعة الكويت، نشرت مطابع الجامعة طبعته الأولى عام ١٤١٧هـ — ١٩٩٦م.

(٥) نشرت طبعته الأولى مكتبة نهضة مصر بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(٦) صدرت طبعته الأولى في عام ١٤٢٩هـ — ٢٠٠٨م.

التي أرى لها حلا إلا باللجوء إلى التقنية الحديثة من وسائل الإعلام الجماهيرية الحديثة لحسمها نهائيا من خلال توعية العامة والخاصة من أفراد المجتمع بفئاته المختلفة خاصة الفئات المؤثرة كالأئمة والدعاة والطلبة والمدرسين في المراحل المختلفة بضرورة تدريس جميع العلوم في العالم العربي والإسلامي باللغة العربية؛ لأهمية ذلك وفوائده الكثيرة وضرر التدريس باللغات الأجنبية ومصائبه العديدة علما بأنه لا أحد يرفض تعلم تلك اللغات للتواصل بل هي مهمة في هذا العصر وتحت الأوضاع الحالية لأمتنا، ولكن المطلوب تعلمها فقط لا التعلم بها. والله المستعان.

خاتمة

بعد هذا التطواف مع هذه الأخطار الثلاثة التي هي من جملة ما تواجه العربية الفصيحة اليوم في جامعاتنا العربية، أقف وقفة قصيرة؛ لأسجل خلاصة ما انتهيت إليه من نتائج وتوصيات ومقترحات لمن يهمهم الأمر.

١- الأمية والعامية والعجمية من أخطر المشكلات التي تواجه اللسان العربي الفصيح اليوم وأمس وغدا وربما بعد غد، بل هي كبرى المشكلات التي واجهتها وما زالت وستظل تواجهها في حرب طويلة ضمن الصراع بين الحق والباطل إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا إلى الله ترجع الأمور. وما غيرها من المشكلات إلا داخل فيها أو ناتج عنها أو أثر من آثارها الكبيرة والكثيرة على العربية في هذا العصر.

٢- مواجهة هذه الأخطار وغيرها تحتاج إلى جهود جماعية وفردية ورسمية وشعبية من جملة الأمة؛ فلا بد من السعي الجاد إلى زيادة الوعي لدى الجميع بخطرها ودعوة الجميع للإسهام في القضاء عليها. وهذا جزء من الدعوة إلى الإسلام لا يعذر أي مقصر فيها ما دام قادرا عليها بقدر طاقته ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

٣- مع الجدوى النسبية للوسائل التي استخدمت منذ بدايات هذه الأخطار في محاربتها لا بد من إضافة وسائل أخرى وحلول جديدة تتمثل في الحلول التقنية واستغلال وسائل الإعلام الجديدة في محاربة هذه الأخطار بالكشف عنها وتقديم البديل في صورة مشرقة مع الترهيب والترغيب واستحداث أساليب مبتكرة للوصول إلى الأهداف المنشودة

في أسرع وقت ممكن.

٤- الجانب التنظيري من هذه الأخطار الثلاثة وغيرها قد أخذ ما يستحق من كشف لحقيقتها وفضح لأهدافها ودحض لحججها ورد على دعاتها؛ فلا بد من التركيز من الآن فصاعدا على المعالجات العملية الواقعية بالاستفادة من الفرص التقنية الكثيرة المتاحة في الفضائيات والمواقع الشبكية وأدوات وأجهزة ومواعين حديثة.

٥- إعطاء مزيد من الاهتمام والعناية والتركيز بالضغط الشعبي من أساتيذ الجامعات والدعاة وعامة الناس في المجتمع بكل فئاته على المسؤولين الكبار في الجامعات ووزارات التعليم العالي لحملهم حملا على استجابة لرغبات الأمة في الحفاظ على لسانها المشترك لغة كتاب ربها – عَزَّ وَجَلَّ – وحديث نبيها – ﷺ – ورمز وحدتها الجامعة وإحدى عرى هويتها المميزة لها بين الأمم والشعوب، وذلك كله بالطرائق النظامية والوسائل السلمية والأساليب الحضارية؛ فنحن في زمن الاستجابة لطالب الجماهير، وهذا من أهمها إذا أحسنا التصرف واهتبلنا الفرص السانحة، فوسعنا دائرة الوعي بالمشكلة وخطرها على حاضر الأمة ومستقبلها في جميع شؤونها.

وأوصي بالحرص على تنسيق جهود العاملين في مواجهة هذه الأخطار وضم الجهود الفردية الشعبية إلى الجهود الرسمية المؤسسية والاستفادة من المنظمات العربية والإسلامية كجامعة الدول العربية ورابطة العالم الإسلامي واتحاد الجامعات العربية والإسلامية والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة

والعلوم وغيرها من المنظمات الإقليمية والدولية ما وجد إلى ذلك سبيل.

وأقترح إنشاء مركز شامل متكامل في كل جامعة أو في كل بلد على الأقل لمواجهة هذه الأخطار وغيرها، يتولى هذه المهـــمة الكبيـــرة على نحو ما أوضحته في تضاعيف البحث. والله الموفق والمستعان والهادي إلى سواء السبيل وحده ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦] وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات

عولمة الفصحى وتطويرها بين الإلزام والالتزام، والضرورة والإمكان

إعداد

د/سليمان حسن سعد زيدان

الحقيقة البينة دون الحاجة لاستخدام أي آلية تقنية حديثة كالمجهر أو العدسات المكبرة تنبئ عن نفسها؛ فتخبر بأننا قوم مفرطون فيما وُهبوا من فضل عظيم تجلى في التمسك بما جاء في التتريل الحكيم الذي ضمن لنا ريادة العولمة. عولمة الفكر واللغة والثقافة، ليست العولمة السائدة الآن التي لا تمت لها بصلة، والتي منشؤها أماكن لا طهر فيها ولا قدسية لها، في حين انطلقت عولمتنا من أقدس بقاع الأرض وأعظمها بركة، وقد عمَّم ربُّ العزة ذلك ليسقطه على الكون كله؛ فقال في محكم التتريل ﴿**إِ نَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ**﴾ - **آل عمران** ﴿**٩٦**﴾- فعولم قَدْرَ المكان، والغاية الطيبة من وضعه.

إنَّ العولمة القويمة ـــ التي هي نهجنا ـــ عولمة الإقرار والإدراك لقدرة ذي الجلال والإكرام ورحمته وفضله، وتعميم ما أمر به من اتّباع وتمسك بالفضائل السمحة والخلق العظيم، والسلوك القويم الهادي إلى الصراط المستقيم. وإسقاط الخير (الفضائل) على الإنسانيَّة كلِّها.

إنَّ كلَّ ذلك نزل بلسان عربي مبين. ذلك اللسان الذي فرطنا فيه بالأمس ونكاد ننكره اليوم بما برعنا فيه من تجاهل له وانصياع لغيره وتكالب محموم عليه. اللسان الذي نزل به القرآن، وأوتي به خير الأنام (**محمد**) ـــ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ـــ جوامع الكلم، وهو العالمية فضائله؛ بقول (الحق) في شأنه ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ ـــ الأنبياء. ﴿١٠٧﴾. وقوله ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ ـــ الفرقان ﴿١﴾

وسيقوم البحث على فرضيات تجمع بين الإفراط والتفريط والإلزام والالتزام في اللغة وبها، والعلو والدنو التعاملي باللسان المبين؛ ودرجات تقاطعها مع الواقع اللامقبول شكلاً ومضمونًا، وانتماءً وهويَّة، واللاقابل لمزيد من التهاون والركون والتراخي، وهي تلك المُنصبَّة ـــ توافقًا مع عنوان المؤتمر ومحاوره ـــ في عدد من الفقرات الواردة في محاور المؤتمر؛ إذ إنَّ كلَّ فقرة ما هي إلا جزء من كلٍّ هو (اللغة العربية ومواكبة العصر)، فهي وإن جاءت بصيغة الإفراد (فقرة...= فقرات) إلا أنَّ مهمة البحث وهدفه يكمنان في حصرها لتكون بصيغة الجمع الذي لا مفرد له، كون العربية لا تعني إلا الواحد الصحيح ولا تقبل القسمة إلا على نفسها، في الوقت الذي لا يجب أن نقبل لها أن تكون منغلقة على نفسها، حبيسة عصرها الأول لا تبرحه، دون حظ في التعاطي مع العصور اللاحقة لعصرها التي تكونت فيه ومنه مادام ذلك لا ينقص من أصالتها شيئًا.

نشأة اللغة وأثر اللَّهجة:

لا ننفك نكرِّر القول المتواتر في كثير من كتب العربية، الصَّادر عن علماء اللُّغة العربيَّة قديمًا وحديثًا الذي ينصُّ على أنَّ اللُّغة العربيَّة هي جماع لهجات قريش التي أسهم الموقع الجغرافي والمكان العقدي في تكوينها؛ فقعِّد للغة على أساس منها. **لقد** اعتمد العرب في تقعيد اللُّغة العربية على أربعة أدلَّة (السماع "النَّقل" — القياس — الإجماع — استصحاب الحال)، لكنَّ الاعتماد الأكبر كان على دليلين اثنين هما: (السماع والقياس)، حيث إنَّ "السماع عند العرب (النقل) هو الدليل الأول

المعتبر"(١)، كما إنَّ " علم العربية – بعد السماع – يعتمد على الذوق والحس اللغوي وإتقان الصنعة والقياس"(٢)، ولعلماء العربية آراء تتفاوت في درجات الأهمية والأسبقية لهذين العنصرين وما يلحق بهما، لكنَّ هذا التفاوت لا يصل إلى نفي أحدهما، ولا مجال لذكر ذلك في هذه المساحة البحثية، فتلك قضية أشبعت بحثاً، وما قادنا إليها إلا الاستدلال بأنَّ لهجات الأقوام السابقة لمرحلة التقعيد هي أساس اللُّغة، لكن لا يمكن أن نجعل هذا ينسحب في مقارنة تعسفية طرفاها اللَّهجات القديمة، واللَّهجات الحديثة، فإنَّ العقل يجافينا، والمنطق يجانبنا إذا قلنا إنَّ لهجات الأولين، هي ذاتها لهجاتنا اليوم، ومكانتها هي المكانة ذاتها، فلهجات القبائل السالفة – معادل الدول في عصرنا – كانت لغات صرفة، اشتهرت وأخذت مكانتها، منها: لغة هذيل، ولغة تميم، ولغة طيء،... ومن مجموعها كانت اللُّغة العربية التي قوَّى اللَّه بنيانها، ورسَّخ وجودها بأن منحها الفضل والشرف، حيث "شرَّفها اللَّه عزَّ اسمه وعظمها، ورَفَع خَطَرَها وكرمها، وأوحى بها إلى خير خلقه، وجعلها لسان أمينه على وحيه، وأسلوب خلفائه في أرضه، وأراد بقاءها ودوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخير عباده ، وفي تلك الآجلة لساكني دار ثوابه"(٣)

ولا يمكن بحال فصل اللُّغة عن المجتمع، فهي لسان حاله، ومؤثرة في

---

(١) د. إبراهيم عبد الله رفيدة: النحو وكتب التفسير، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ج١ ، ط١ / ١٩٨٠ م ، ص ٩٧

(٢) نفسه: ص ٩٤

(٣) أبو منصور الثَّعالبي: فقه اللُّغة وأسرار العربية، شرح وتعليق: د. ديزيره سقال، دار الفكر العربي للطباعة والنشر – بيروت – ط١ / ١٩٩٩ م ، ص ١٠، ١١

توجهاته، ومتأثرة بما يطرأ عليه من أحداث، فالعلاقة بين المجتمع ولغته علاقة تداعٍ تكافلي تفاعلي محمود ، إذ أنَّه " لا يمكن فصل اللُّغة عن التفاعل الاجتماعي " (٤)، فكلما تغيرت ثقافة المجتمع، أو طرأ عليه تطور ما؛ انعكس أثر ذلك على اللُّغة، ولا يعني هذا أنَّ التَّطور ذو مردود إيجابي في عمومه، فاللُّغة العربية تأثرت سلباً بتطور المجتمع العربي على مستوى الاتصالات، حيث إن سيطرة اللُّغة الإنجليزية – وبخاصة – زاحمت العربية في عقر عقول أبنائها. وبما أنَّ اللُّغة تتفاعل مع حركة المجتمع، فاللَّهجة – كذلك – لابدَّ أن تواكب المجتمع؛ لأنَّها الأكثر استعمالاً في الأوساط المجتمعية –ولاسيما– الطبقة غير المتعلمة، وغير المثقفة، وهي تشكِّل نسبة كبيرة.

والحال اليوم وقبله أشبه بذلك؛ إذ توسَّعت الرقعة التي ينتشر فيها الناطقون بالعربية فتعدَّدت المجتمعات وتنوعت وهو ما جعل لكلٍّ مصر من الأمصار لهجته الشبه خاصة به يتعاطها في محيطه دون أن تنسلخ عن المحيط العام (العربي) ودون أن تنبت علائقها باللُّغة؛ إذ كثيرًا ما نجد لها أصلاً في اللُّغة لكنَّ انزياحًا أصابها في الرَّسم والنَّطق لغاية التَّخفيف الذي هو سمة اللَّهجة لسهولة الخطاب اليومي العادي.

وبالتَّقصي العاجل نلحظ تقاربًا بين عدد غير قليل من ألفاظ اللهجات المتعددة يميزها المنبع الواحد (المعادل المعنوي) حيث تؤدي معنى مشتركًا برغم تعددها. وهو ما يولي الأهمية لمحاولات البحث عنها لتحقيق

---

(٤) د. نوزاد حسن أحمد: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة قار يونس، ط١ / ١٩٩٦ م ، ص ١٩

غايات شموليَّة تحدِّث المعاجم العربيَّة دون أن تبتدع فيه.

بدأ الكيان المجتمعي العربي يتشعب مع التطور الناشئ عن الأحداث العظام التي تعاقبت على أمتنا العربية، كما بدأ كلُّ شعب يتخذ لنفسه وسيلةً خاصة للتواصل والتعبير، فنشأ عن ذلك ما يعرف بـــ(اللَّهجات المحلية). وقد نشأ على ضفاف هذه (المحليات) لهجات إقليمية خاصة، ترعرعت داخل اللَّهجة العامة، ومثال ذلك (اللَّهجة القاهرية. لهجة الوجه البحري – لهجة الوجه القبلي في مصر، ولهجة برقة – لهجة طرابلس – لهجة الجنوب في ليبيا... إلخ. لكنَّ هذا التنوع اللُّغوي المؤسس على التَّنوع الاجتماعي، لم يمسَّ – في حقيقة الأمر- الأصل (اللُّغة)، أو يتطاول عليها؛ لأنَّها تعني له صلة الرَّحم مع بني قومه، فلقد بقيت محافظة على كيانها، وأثبتت أنَّها المقوِّم الثابت الضامن لوحدة الكيان العربي، ووسيلة التواصل والتعبير المشتركة التي تفك غموض اللُّهجات، فنصل من وراء ذلك إلى "أنَّ سبب وجود مؤسسة اللّغة هو التكافل الجماعي مثلما أنّ سبب تعايُش الأفراد في خلايا جماعيّة إنّما هو الكلام ذاته"(١). ولنلج القضية كي نحقق الغاية المرجوة الكامنة في العولمة المستحقة للسان العربي سيكون علينا أن نأتي من محاور عميقة لننجز الهدف.

(١) د. عبد السلام المسدِّي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط٢ / ١٩٨٦ م ، ص ٥١

أولاً- الإسهام في ربط اللهجات المعاصرة بأصولها في العربية، وحصر مُؤتلفِها ومن ثم إضافته:

إبرازًا لصلة اللهجات المعاصرة بالفصحى وأثر المشترك اللفظي فيها. وهذا أمر قائم بشهادة العصور كلِّها؛ إذ "إنَّ طبيعة التطور الذي يهز المجتمعات لا بُدَّ وأن ينعكس على لغتها فيحل ألفاظًا محلَّ ألفاظٍ، وتراكيب وجملاً محلَّ غيرها ، كما أنَّ اتساع المجتمع وتفرُّعَه وانشعابَه سيوجِد لهجاتٍ ولغاتٍ تتصل بالأصل وتدل عليه ولا تنبتُّ عنه بشكل قاطع".

من شواهد ذلك:

اللفظ	البلد	المعنى في اللَّهجة	المعنى في اللُّغة	المرادف اللغوي:
توًّا ــ هالوقت	ليبيا	حالا ــ الآن	نفسه	للتو ــ هذا الوقت
توًّا ــ	شرق الجزائر	حالا ــ الآن	نفسه	للتو
دي الوقت	مصر	حالا ــ الآن	نفسه	هذا الوقت
هسَّع	العراق	حالا ــ الآن	نفسه	هذه السَّاعة
دا الحين	بعض دول الخليج	حالا ــ الآن	نفسه	هذا الحين
هلَّا	عدد من دول الشَّام	حالا ــ الآن	نفسه؟؟؟	

فهذه كلُّها ألفاظ مستخدمة في لهجات العرب حديثًا يجمع أصل لغوي مشترك نرى من الضرورة أن تعطى صفة الفصحى وتدخل المعجم اللغوي وهذا ــ دون شك ــ بالإمكان وتمليه الضرورة. وكذلك لفظ دائمًا:

اللفظ	البلد	المعنى في اللَّهجة	المعنى في اللُّغة	المرادف اللغوي:
دايمن	مصر	باستمرار (على طول)	نفسه	دائمًا
دائما	العراق	باستمرار (على طول)	نفسه	دائمًا

ديما	ليبيا	باستمرار (على طول)	نفسه	دائمًا
ديمه	سوريا ــ الأردن	باستمرار (على طول	نفسه	دائمًا

-السعي إلى الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة في خدمة اللغة العربية:

لا ينكر في عصرنا سطوة التَّقنية على عصرنا إلا أعمى بصر وبصيرة؛ فالتَّقنية قبل وبعد وأمام وخلف كلِّ شيء في حياتنا، ولم تقف عند اختصاص بعينه أو تتناول شيئًا دون آخر بل سَرت في كلِّ أمر ومن ذلك الاتصالات. لقد تعدَّدت وسائط الاتصال والتَّواصل لطرح الرؤى والأفكار وحشد الدَّعم في كلِّ شأن وهو ما جعل الإعلام قوة ضاربة وسلاحًا ماضي الأثر يُعلي ما أراد ويلج بما لم يرد إلى بواطن الحضيض. والخيرة لمن أجاد توظيفه فأحسن استغلاله لبيان قَدره ومن ذلك اللُّغة. ونحن العرب لم نستفد بعد من هذه التَّقنية (الإعلام المرئي والمسموع وشبكة الاتصالات الدَّوليَّة: مقروء ومسموع) في فرض لغتنا العربيَّة لغة خطاب وتواصل خارج إطارها الجغرافي والمجتمعي كما هو واقع غيرها كالانجليزية والفرنسيَّة. وهذا راجع لإيلاء أهلها الاهتمام المطلوب للغتيهم وتأسيس أرضية انتشار وتعميم بالمنجز الذي يحتاجه الآخرون كأجهزة (الكمبيوتر وملحاقاها: كيس ــ ماوس ــ كي بورت ــ برنتر ــ سي دي ــ فلاش...).

علينا لنحقق العولمة للغتنا أن نطوِّر فكرنا ونستثمر العقل العربي في الصِّناعة والابتكار، وأنَّ نطلق على كلِّ مصنوع أو مبتكر اسمًا عربيًّا خالصًا وبهذا نفرض تداول المسمَّى العربي بتداول السِّلعة التي تحمله كأن نكتب على

الثَّوب العربي الذي نصنعه ـــ وهو لباسنا العربي الخالص ـــ اسمه (ثوب) وكذلك المسميات المرادفة له حسب المتعارف عليه في لهجة كلِّ قطر عربي كدشداشة ـــ جلابية ـــ.. إلخ. وكذلك (شماغ ـــ خمار ـــ عباية) وأن نروج لذلك بإقامة المعارض في الدول غير النَّاطقة بالعربيَّة، ونحرص الحرص البليغ على نقلها وبثِّ فعاليات هذه المحافل التَّسويقيَّة في وسائط الاتصال كلِّها ، ولزامًا أن نلتزم بإبراز الاسم العربي للمُنتَج كتابة على عليه في علامة التَّصنيع ونطقًا في تعامل التَّرويج والبيع، وألا نجنح لذكر الاسم باللفظ غير العربي تسهيلاً لإفهام المشتري فحينها تكون غاية الربح أهم من صون اللُّغة وهذا ظلم للسان العربي المبين.

ولا تقلُّ المنتجات الزِّراعيَّة للبلاد العربيَّة قيـــمة في نشـــر اللُّـــغـــة إذ ما حرصنا على كتابة الاسم العربي على النوع (تفاح ـــ تمر ـــ رُطب، بطاطس ـــ خس ـــ برتقال ـــ موز... إلخ بحروف عربيَّة بارزة وأن نحرص على اللفظ العربي حين عرض المنتج والدعاية له ومن ثَمَّ في التَّداول لحظة البيع لربطه في ذاكرة المشتري باللفظ العربي ذاته وبالتأكيد سيعود إلى بيته وسينطق اسمه العربي أمام أفراد أسرته ولو من باب المداعبة لهم وهذا ـــ على الأجلين دنى والمتوسط ـــ في صالح العربيَّة.

ثانيًا – توثيق الصلة بين أقسام اللغة العربية والمجتمع:

كم نحن بحاجة ماسة لمدِّ أواصر التَّواصل بين مؤسسات المجتمع وأفراده، ومنها المؤسسات التَّعليميَّة بمراحلها المتعدِّدة دون إغفال لقيمة أي مرحلة: ابتدائية كانت أو جامعيَّة؛ فإذا ما ربطنا بين التِّلميذ واللُّغة واستطعنا

جعله يتذوقها ويفاخر بالنَّطق بلفظ اللُّغوي سليمًا دون الاتكاءِ على اللَّهجة أنشأنا حميمية بينهما بخاصة أن الآخرين المستمعين له من الأهل وسواهم سيطربون لذلك ويتندرون به وهو ما يخلق حركًا لُغويًّا سينقلب ـــ لاحقًا ـــ من حالة التندر إلى الرسوخ فيحلُّها النَّاس محلَّ اللَّهجة تلقائيًّا؛ وأمَّا في المراحل التَّالية وبخاصة الجامعية فالعلاقة بين أقسام اللُّغة العربيَّة في كلِّ قطرٍ عربي والمجتمع الحاضن له لزامًا أن تكون وطيدة طيبة بتثقيف أهله بأصول اللُّغة وربطها بمعاملاتهم في العلاقات الاجتماعيَّة والتِّجارية وإفهامهم أن يتكلموا الفصحى في سياق اللَّهجة الأمر الذي يجعلها سهلة المطلب؛ فاللَّهجة الليبيَّة ـــ على سبيل العينة ـــ فيها الكثير من أبواب النَّحو التي يمارسها النَّاس في خطابهم العادي دون أن يدروا، منها:

الظواهر الصَّوتية في اللَّهجة:

هناك بعض الظواهر الصوتية التي تعدُّ من مكونات اللَّهجة في الشَّرق الليـــبي، ويشترك في تداولها الحضر، والبدو على حدٍ سواء، وهي ظواهر طبيعية ذات علاقة بالأداءِ الصَّوتي، تخدم المتكلم والسَّامع من حيث يُسْر النُّطق بها، والاستيعاب لها. نذكر منها ما هو مستعمل في اللهجة الليبية كنموذج وقد تكون واردة في لهجات الدول العربية الأخرى لكن الظروف لم تسمح لي بحريَّة البحث للوقوف عليها جميعها، ومن هذه الظواهر:

ظاهرة المخالفة:

تكمن في اللجوء إلى تغيير حالة الألفاظ بإضافة صوت، وإحلاله مكان آخر لغرض التخفيف، وكثيراً ما يقع هذا مع الأفعال المضعَّفة والمهموزة

حين إسنادها إلى ضمائر الرَّفع، مما يوفر راحة في النُّطق. كأن يقال: جرَّيت من جَرَرْتُ، مدينا من مددنا، وشديت من شددت، وفكينا من فككنا. وكما يقال مع المهموز: كليت، بدلاً من أكلت. ومثلها: كلينا. من أكلنا، وخذيت من أخذت، وخذينا من أخذنا، وريت بدلاً رأيت، وذيب بدلاً من ذئب، وبير بدلاً من بئر. فالملاحظ أنَّ حرفا التضعيف والهمز اللذين شكلاً مصدر ثقل في النُّطق قد أرغما العامة على مخالفة النُّطق الصحيح للألفاظ في اللُّغة ، بإبدال بعض الأصوات. وكذلك لفظة "معي" فقد قُلبت في اللَّهجة إلى "معاي" بزيادة ألف قبل الحرف الأخير. وكلمة: برتقال ينطقونها "بردقان"، ويقلبون حرف التاء دالاً في كلمة "خدش" لتصبح "ختش".

ظاهرة القلب المكاني:

وهي الحاجة إلى تغيير مكان الحرف بتقديم المتأخر في الكلمة على المتقدِّم لضمان السرعة في الأداء الحركي عند النُّطق، والتَّخلُّص في بعض الحالات من الوقفة الاضطرارية التي تفرضها حركة السكون. كأن يقال: (متجوز) عوضاً عن (متزوج)، و(جوز) عوضاً عن (زوج) المقصود "اثنين" مثل: جوز حَمَام. وقبيح "من يأتي بأقوال أو أفعال تتنافى مع الأخلاق " ومثلها في الفصحى (قبيح) ذميم اللفظ والفعل والخلقة.

الأداء الصوتي:

ويتمثل في نمط الأداء الصوتي بين السُّرعة والبطء مما يجعل المتكلمين باللَّهجة، وهم – غالباً – يجنحون إلى السُّرعة، ينطقون حرفاً مكان آخر دون الحاجة إلى قلبه: أي إزاحته عن مكانه. فهم ينطقون اسم "جبريل"

"جبرين"، واسم: إسماعيل: إسماعين. كما تقودهم سرعة الأداء الصوتي إلى إلغاء بعض الحروف مثل قولهم: سي محمد بدلاً من سيدي محمد. وأيضاً يقال: قتلك. اختصار لجملة: قُلْتُ لك، وذلك بحذف حرف "اللام"، ودمج الفعل والضمير المسند مع شبه الجملة في كلمة واحدة. ويقول المتكلِّم عندما يريد مناداة شخص بعيد غير منتبه: اسمَـــ. ببلع حرف العين، فالقصد: اسمعْ.. وهكذا.

أبواب النَّحو في لهجة أهل الشرق الليبي:

لو تأملنا في لهجة سكان الشرق اللِّيــبي، لأمكننا وبكل يسر أن نستنبط وجود الكثير من أبواب النحو العربي فيه، حيث إنَّها تُستخدم بسلاسة بين أفراد المجتمع، في أحاديثهم العابرة، وفي أسماء الأشياء (الإنسان – الحيوان – الطَّير – النبات – الآلات والأدوات)، وفي الحِرف، والصناعات. ولم يكن – كما ذكر – بالإمكان تقعيد اللُّغة دون العودة إلى اللَّهجة والأخذ منها، وهذا ما جعل كثيراً من اللَّهجات – وبخاصة لهجة الشرق في ليبيا – تسير بعفوية في ركب اللُّغة، وتتوافق مع بعض أبواب النَّحو. أورد - مدعِّماً القول بذكر الشواهد – بعض هذه الأبواب على سبيل المثال لا الحصر.

باب التَّصغير:

تعريفه: "التَّصغير هو تحويل الاسم المعرب إلى صيغة فُعَيْل أو فُعَيْعِل أو فُعَيْعِيْل للدلالة على صغر حجمه أو حقارة شأنه أو قلته أو قرب زمانه أو قرب مكانته أو تدليله أو تهويله". وهو خاص بالأسماء وحدها دون الأفعال والحروف، مع وجود استثناءات لبعض الأسماء التي يمتنع تصغيرها؛ إمَّا بوازع عقائدي كأسماء الله،

والنبيين، والملائكة، وإمَّا للثِّقل، أو عدم الجواز للخروج عن المعنى، كأسماء الشهور، وألفاظ: بعض، وكل، وغير، وسوى...

ومن أمثلة التَّصغير في اللَّهجة التي تتوافق مع اللُّغة قولهم في تصغير الصِّفة على وزن فُعَيْل: (خويخ) من خوخ، و(عنيب) من (عنب)، و(بصيل) من (بصل)، و(فويل) من (فول)، و(قميح) من (قمح)، و(قريد) من (قرد)، و(غزيل) من (غزال)، و(جريو) من (جَرو). أمَّا التَّصغير على وزن فُعَيْعِل فأمثلته: (رويجل) من (رجل)، و(شويعر) من (شاعر)، و(شويطر) من (شاطر)، و(قويطع) من (قاطع)، وعلى وزن فُعَيْعِيْل: (نعينيع) من (نعناع)، و(تفيفيح) من (تفاح).

وهناك بعض الألفاظ التي وردت بصيغة التَّصغير، لكنها لا تقع تحت الأوزان المذكورة في التَّعريف.أمثلة ذلك: (عطيشان) من (عطشان) و(ازعيلان) من (زعلان)، وكذلك تصغير اسم العلم: (أوريدة) من (وردة)، و(أفطيمة) من (فاطمة)، و(أرزيق) من (رزق)، و(فضيل) من (فضل).

لكن البدو يتجاوزون في تصغيرهم، فيصغرون ما لا يجوز تصغيره، فهم يصغرون لفظ الجلالة: رب. بقولهم مثلاً: يا ربــــيـــبي الطف بحالي.

باب الإغراء والتحذير:

- **الإغراء**. تعريفه: "تنبيه المخاطب إلى أمرٍ محمود ليفعلـــه " ومثالـــه في اللُّغة: الاجتهاد الاجتهاد. ومن أمثلته في اللَّهجة بذات ألفاظ الفـــصحى قولهم:(الطَّاعةَ الطَّاعةَ) أي: اِلْزَمِ الطاعة. الكرم الكرم، الخيرَ الخيرَ

- **التَّحذير**. تعريفه " تنبيه المخاطب إلى أمرٍ مكروه ليتجنبــه ". ومثالــه في الفصحى: الكذب الكذب، و إيَّاك من الإهمال؛ أمّا أمثلته في اللَّهجة قولهم: (الغشَ الغشَ). أي: احذر الغش. الرزالة الرزالة. أي ابتعد عن الرزالــة " الأفعال غير المحمودة " واللفظ فيه تحريف، فالأصل: الرَّذالة. وجملة: البير البير، وأصلها: احذر البئر. الصَّوت الصَّوت. أي: تحذير من أثر الــصوت. وإيَّاك تذكرني على لسانك. أي: أحذّرك من أن تأتي بذكري.

باب المشتقات:

المشتق: اسم يؤخذ من غيره ويكون له أصل يرجع إليه، والمشتقات هي: اسم الفاعل – اسم المفعول – اسم الزمان – اسم المكان – صيغة المبالغة – اسم التفضيل – الصفة المشبهة.

أولاً: اسم الفاعل:

لن أتعمَّق كثيراً في الحديث عنه من حيث: أوزانه، وشروطه، وعمله، وأحكامه؛ إنما أكتفي بذكر ما ورد على صيغته في اللَّهجة، وكان مطابقاً لما في اللُّغة، أو له أصل فيها يعود إليه. وأمثلته: (صابر) من (صبر) ثلاثي صحيح "سالم"، و(شاعر) من (شعر) ثلاثي صحيح "سالم"، و(ناصح) من (نصح) ثلاثي صحيح "سالم"، و(باير) من (بار) ثلاثي معتل "أجوف"، و(واقف) من (وقف) ثلاثي معتل "مثال"، و(شاكي) من (شكا) ثلاثي معتل " ناقص"، و(ماشي) من (مشى) ثلاثي معتل "ناقص" والملاحظ في المثالين السَّابقين إثبات اللَّهجة لياء لازمة في آخر المشتق، بخلاف القاعدة النَّحوية التي تنص على حذف حرف العلة وتنوين ما قبله على النحو الآتي:

" شاكٍ – ماشٍ "، (متهوِّر) من الفعل الرُّباعي (تهوَّر). و(متجول) من الفعل الرُّباعي (تجوَّل).

ثانياً: صيغة المبالغة:

تأتي صيغة المبالغة للزيادة في عمل الاسم مثل: صدق – صادق – صدوق. واللَّهجة تستخدم المبالغة للغرض نفسه، وتكاد تكون بالألفاظ، والأوزان نفسها، وأمثلة ذلك على وزن فعَّال: كذَّاب – نصَّاب - سكَّار - عوَّام. وعلى وزن فعيل: غضيب– بهيم – غشيم" وهو الذي يتصرف دون فكر وهداية، كأنه يتحرك في ظلام". وعلى وزن مفعال: محراك. وهو الذي يسعى إلى بثِّ الخلافات وتذكيتها. وعلى وزن فعول: كسول – خجول – عَجُول.

ثالثاً: اسم المفعول:

اسم مشتق يدل على معنى مجرد غير دائم وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى المجهول فاعله. ومن أمثلته (مبسوط) من (بسط)، و(مشروط) من (شرط)، و(مدبوغ) من (دبغ)، و(مدهوك) من (دهك)، و(مجبور) من (جبر) و(مطعون) من (طعن)، و(مضروب) من (ضرب)، و(موجوع) من (وجع)، (محروم) من (حرم) و(موزوز) من (وزَّ)، و(مُستعمَر) من (عمر)، و(مجردَق) وتعني الرغيف الذي يحضَّر سريعاً، وهو لفظ فارسي الأصل، مشتق من الفعل (جَرْدَقَ)

رابعاً: الصفة المشبهة:

وهي صفة تدل على حدث ثابت في الموصوف ثبوتاً ملازماً له. ومن أمثلة الصفة المشبهة في اللَّهجة: (وَقِح) يقولون: فلان وقح. صفة له على سوء خلقه. و(سمح). يقولون فلان سمح. أي حسن الشكل. (عوج)، يطلقون صفة عوج على من يخالف الرأي المتفق عليه، أو من يأتي بآراء بعيدة عن الصواب.

خامساً: اسم التفضيل:

هو اسم يحمل صفة تدل على أنَّ شيئين اشتركا في صفة واحدة وزاد أحدهما على الآخر.

ومن أمثلة ذلك في اللَّهجة قولهم (أشطر) في معرض مقارنة بين تلميذين في صف واحد. فيقال: أحمد أشطر من خالد. وكذلك قولهم: (أصعب). في مقارنة بين عملين مثلاً. فيقال. العمل في الزِّراعة أصعب من الوظيفة الإدارية. ويقولون (أنشط)، في جملة الرَّاعي الجديد أنشط من الرَّاعي القديم.

أمَّا أسماءِ الزَّمان والمكان سنتطرق إليها لاحقاً حينما نتناول دلالات الأسماء في اللَّهجة، ومطابقتها للُّغة.

الصفة:

الصفة تابع مشتق أو مؤول به يكمل متبوعه بمعنى جديد يناسب السياق. ومن أمثلة الصِّفات المستخدمة في اللَّهجة بذات اللَّفظ في اللُّغة قولهم: أصلع: صلعاء، أجرد: جرداء، يقولون: وطن أجرد "يعنون بوطن: مساحة من الأرض"، وأرض جرداء.

دلالة المسمَّى في اللَّهجة:

البدوي في الشرق اللِّيبي صاحب ثقافة خاصة في كيفية تدبير شؤونه، والتَّعامل مع محيطه، ومدلول كلمة ثقافة – هنا – لا يعني بالضرورة المعرفة الإيجابية، والإطلاع المفيد؛ لأنها رهن بالموروث - ولاسيما – فيما يتعلق بالعقيدة في الشيء. ومثال ذلك صفة (فَقِيْهٌ)، فهو ينطقها كما تنطق في الفصحى (فَقِيْهٌ)، وبالوقف على السكون في النُّطقين. وهي – في اللُّغة – تدل على الرَّجل المتفقه في الدِّين، الضليع بأحكامه، العالم بأصوله، لكنها في اللَّهجة، تشمل كلَّ من له صلة بالعقيدة، كمعلم القرآن، ومَنْ يقومون بكتابة الرُّقية (الحجاب) بغض النظر عن سلوكهم. وكلمة (عمدة) تطلق على الشخص الذي يعتمد عليه في سياسة القبيلة، وهو الذي يتَّكئُ عليه في الشدائد، وتؤخذ عنه الأوامر. وهناك مسميات لها علاقة بالإنسان في ذاته، وأخرى فيما يحيط به، منها: كاسم العلم، وأسماء المكان والزَّمان.

اسم العلم:

البدو بصفة عامة يعيرون أسماء مواليدهم أهمية مضاعفة، حيث إنَّها وسيلة إعلامية، تنبئ بما في نفوسهم، فتسمية البدوي لأبنائه تحمل – في الغالب - مدلولات تعكس حالته النَّفسية، وتحدِّد موقفه من الأمر، فتكشف عن سخطه، أو رضاه. قبوله، أو رفضه. حرصه، أو خوفه؛ فاسم (كلينا) الذي شاع في فترة زمنية ليست بالبعيدة، مشتق من الكلل "الملل" وعندما تقوم بمسح ميداني للأسر التي سمَّت بناتها بهذا الاسم، تجد أنَّ المواليد قبل هذا الاسم، في كل الأسر (إناث)، كإشارة لعدم الرضا على استمرار إنجاب

البنات؛ لأنَّ للذَّكر عند العربي عامة، والبدوي خاصة شأنه. ويطابقه في القصد والمعنى اسم (سدينا). واسم (صابرين) الذي يوحي بعدم الرضا الدَّاخلي دون التَّصريح بذلك، وقد يكون – فعلاً – دالاً على قناعة "المُسَمِّي" ورضاه بما يأتي من الخالق، ولكن على نطاق ضيق. واسم (مالية) الذي يعبِّر به البدوي عن اعتزازه بالمولودة، واستبشاره وتيمنه بها، وهي لفظ فصيح. ومن الأسماء الذُّكورية ذات الدَّلالة اسم (معفن)، صفة تطلق على العفن الشديد، واسم (خويزيق)، وهو تصغير لفظ (خازوق)، وهي آلة حادة مسننة طويلة كالرُّمح كانت تستخدم وسيلة للإعدام، هذه الأسماء المنفرة للسمع سمَّوا بها أبناءهم عن عَمْدٍ لدرء الحسد عنهم.

اسم المكان:

هو اسم يدلُّ على حدث مع مكان حدوثه. ومن أسماء المكان التي دأب قاطنو الشرق الليـــبي على ذكرها في لهجتهم كلمة (مَبْرَكْ) على وزن(مفعل)، وهي مكان بُرُوك الإبل للراحة؛ لأنَّ الإبل تترل على ركبتيها. وكذلك اسم المكان (مجلَّم)، وهو المكان الذي تقاد إليه الأغنام لجزِّها، وله دلالة معنوية كبيرة لارتباطها بالعز والخير. واسم المكان (مَبْحَر)، يقال: بَحَرَ الأرض شقَّها، والأرنب عندما تريد النَّوم نهاراً فإنَّها تأوي إلى نبتة، أو صخرة وتحفر تحتها شقاً يواريها، وهو ما يسمى (المبحر)، وقد وظَّف النَّاس، – وخاصة من يهوون الصَّيد – هذا اللَّفظ للدلالة على ضياع الشيء، وفوات زمن مغنمه فيقولون: "اضربْ مَبْحَرها" أي أن الأمر المبتغى لا وجود له، فلم يبق إلا أثره. والمثل مركَّب من فعل أمر، وفاعل مستتر واسم مكان

مفعول به وضمير، وهي ألفاظ فصيحة كلُّها تستخدمها العامة من أهل الشرق الليـــبي، والتغيير الوحيد هو تسكين حرف الرَّاء في حين يلزمُه النَّصب، وهذا مقبول للتخفيف. اسم المكان (مَجْرَن) وهو مكان تجميع المحاصيل من الزَّرع والثمار لاستخلاص الحبوب، أو تجفيف الثمر. واسم الزمان (مَوْعِد): اسم مشتق من الفعل (وعد) يستخدم استخداماً خاصاً، يكاد يخرجه عن معناه الأصل، فعندما يتلفظ شخص قائلاً: عندي موعد، فإن الأذهان تذهب مباشرة إلى (العلاقة الغرامية). وليس في هذا نفي للمعنى الأساس هو: إعطاء وعدٍ بلقاء لإنجاز عمل، أو تبادل حديث... إلخ. كما أنَّهم يربطونه بمواعيد العبادات كقولهم: قرب موعد الصلاة، أو مواعيد الوجبات: قرب موعد العشاء، مع تخفيف الفعل (قَرُبَ)

اسم الزمان:

وهو يدلُّ على حدث مع زمان حدوثه: ومن أسماء الزَّمان المتداولة في اللَّهجة: (موسم) ويرتبط هذا الاسم المشتق بدلالات كثيرة، فهو يقود إلى الفصول الأربعة (الخريف – الشتاء – الرَّبيع - الصَّيف)، وما ارتبطت به، كموسم الأمطار والحرث: شتاءً، وموسم: ولادة المواشي "الضأن والماعز" ربيعاً، وما يترتب على ذلك من خير يكمن في كثرة الإدرار (اللَّبن والإِدام)، ويطلق البدوي على ما يولد من الضأن والماعز في هذا الموسم (ميلاد ربيع) كناية على الصحة والعافية لوفرة الكلأ، وموسم الحصاد وجني الثمار صيفاً، وفيه – أيضاً – المرحلة الثانية للولادة، ويطلق على ما يولد في هذا الموسم (ميلاد صيف) كناية على الضعف؛ لأنَّ العشب يتلاشى في هذا الموسم؛

فتقل تغذية الأمهات مما ينعكس سلباً على نمو الأجنة وصحتها، وكذلك الحال بعدما تولد، كما أنَّ لحرارة الصيف تأثيرها على المواليد.

لغة النَّوع:

يوحي هذا العنوان في ظاهرة أنَّ لكلِّ نوع بشري لغة تختلف عن لغة النَّوع الآخر، أي أنَّ للذكور لغتهم، وللإناث لغتهنَّ، وأن للصغار لغتهم، وللكبار لغتهم، لكنَّ القصد يكمن في أنَّه "هناك في كل مجتمع تنوعات كلامية لها نوع من الخصوصيات اللغوية والاجتماعية التي سوغت لعلماء اللغة الاجتماعيين أن يشيروا إليها إشارات خاصة"(١). لذلك أمكننا القول بأن للمرأة في الشرق الليبي - كما هو الشأن في المجتمعات كافة - جملاً ومفردات تختص بها، ويعاب على الطرف الآخر (الرَّجل) التفوه بها، واستخدامها في حديثه، لذا فإنَّها حكرٌ على المرأة، وكذلك الرجُل الذي له هو الآخر معجمه اللَّهجوي، وهذا ما دعانا لأن نخصَّ كلَّ واحدٍ منهما بلغة. فنقول: "لغة الرَّجل " و" لغة المرأة".

١– لغة الرَّجل: ومن أمثلة ذلك أنّ الرَّجل البدوي في الشرق الليبي يحلف – عادة – باليمين فيقول على سبيل المثال: علي اللمين تقعد للغد، وعلي اللمين ما علمت الموضوع. ولا يقبل من المرأة – إطلاقاً – أن تحلف به. ويقول الرَّجل على سبيل طلب العون العاجل: دونك يامرا، دونك يامرا. والقصد: مد ساعدك للمساعدة في رفع شيء اكتشف الرَّافع فجأة

(١) د. كمال بشر: علم اللُّغة الاجتماعي " مدخل"، دار غريب للطباعة والنَّشر والتَّوزيع – القاهرة - ، ط١٩٩٧/٣م ، ص ٢٠١.

ثقله ، أو حدوث أمرٍ مفاجئ غلب الشخص على أمره، فأحوجه إلى دعم من شخص آخر حاضر. وكلمة " مرا " تحريف لكلمة: " امرئ ".

٢- لغة المرأة: ومن أمثلة ذلك. قولها في حالة القسم عند الغضب الشديد وبخاصة في حالة الخصومة مع الزَّوج: "علي العطاب ما نقعد فيه": فهي تحلف على اتخاذ قرار ترك المترل له بالسوء (العطاب) وهو (العُطب). ومن ذلك أيضاً قول المرأة أثناء الحديث مع أخرى: يا حنَّه مينه (حن + أم). أي يا حنِّي، وحنِّي تعني (جدتي) من الحنان، ومينه أي: مينتي وتعني (أمي)، أو تقول لها: يا خيتي، وقولها: عليك سبر. وتعني التعجب من حدوث أمر مستهجن، وغير مألوف، ويعني في اللُّغة: الشَّكل والهيأة، حَسَنُ السِّبر. وسيء السِّبر، وتقول المرأة التي تندب ابنها عند فقده، أو عند إصابته بمكروه: يا جنيني، يا جنيني (من الجنين) كما تقول عندما تعلم بحدوث أمر غير محمود من ذي صلة لها: يا فضيحتي، يا فضيحتي، أو تقول: يا شنعتي، ياشنعتي (من التشنيع)، بينما لا يقبل هذا القول من لسان الرَّجل.

الدُّعاء في اللهجة:

الدُّعاء في اللهجة كثير الحضور بطبيعة المجتمع، وأثر العقيدة فيه، وأحياناً للجهل الذي قد يقود الأم في حالة الغضب أن تدعو على ابنها وتقول: فرِّق بيني وبينك، لقد استخدمت اللُّغة وهي تتكلَّم اللَّهجة، وهي التي لم تقرأ كلمة، و لم تمسك قلماً. لقد قصدت في دعائها أن تقول: فرَّق اللَّه بيني وبينك، فاستخدمت باب الحذف لمعرفة السامع بالمحذوف، وقصد الدَّعاء: يريحني اللَّه من مشاكساتك ومشاكلك بأخذك. وهو دعاء ليس من القلب؛ إنَّما قاد إليه الغضب. وفي مقابل

ذلك نجد أنَّ دعاءِ الخير هو أثمن ما يمكن أن يكافئك به البدوي في شرق ليبيا على صنيعٍ أديته له، كأن تساعده في قطع طريق، أو ترشده إلى مكان، أو توصله إليه، أو تقرضه مالاً، ومن هذه الأدعية قولهم: (يعليك الله كيف ما علا الزيت عا الماء)، أي يرفع اللَّه قدرك ومكانتك كيفما يرتفع الزّيت على الماء، لقد شبَّه العلو المرجو بعلو الزيت على الماء، وهذه نظرية علمية توصل إليها البدوي ربما بالتجربة.

ومن الأدعية المعبرة عن حالة تضمُّرٍ لا يرقى إلى مستوى السَّب والشتم، بقدر ما هو نقد على فعل ما كأن يقوم شخصٌ بخداع آخر على سبيل الممازحة، فيقول له: أخزي عليك !! أي عليك الخزي. ويقولون: أعوذ باللَّه من البلاء والتلاء " بتخفيف نطق الهمزة، وهو دعاء فصيح تستخدمه العامة الأمية في لهجتها، ويعنون به التَّعوذ من البلاء وهو الشر، والتلاء؛ إمَّا يكون قصدهم ما يلحق بالبلاء، ولابدَّ أن يكون التالي للبلاء بلاءً، وإمَّا يقصدون به "الذِّمة والجوار" سواءً التعوذ مما يسبب حدوثهما، أو ما يترتب عليهما من مسؤوليات.

الأفعال في اللَّهجة:

ما ينشأ التفريق بين اللُّغة واللَّهجة من فراغ، إنما يعود إلى كيفية الاستعمال، حيث إنَّ علماء اللغة الاجتماعيين " يبنون التحديد أو التفريق بين اللغة واللهجة على أساس التوظيف والاستعمال بوصفهما أداتي اتصال، أي على أساس طرائق

استخدام المتحدثين لأساليبهم التي يسيطرون عليها"(١)، ولهجة الشرق الليـــبي تضمُّ في قاموسها عدداً كبيراً من الأفعال العربية الفصيحة (الثلاثية والرباعية)، ينطق بها الناس بكل طلاقة وعفوية، ومن أمثلة ذلك:

الأفعال الثلاثية:

روَّح – بان – بار – بحث – يبحث (يبحث في الأرض عن شيء ضاع منه) – بخس – دسَّ – برم " فتل الحبل " – بحَّ – بشر – قشر – بلَّ – بصم – بطَّ – بقع – كبَّ الإناء – بَشَمَ – دبغ – دَعَكَ: دعك الثوب " ألان خشونته " – دقَّ: دقَّ الشيء كسَّره " – دلق: دلق الماء على جلده " سكبه بسرعة واندفاع " – داس " داس الشيء: وطئه برجله " – طبخ – عفس " عفس عليه برجله: ألصقه بالتراب – كشط: كشط الزُّبد، وكشط الشعير – غثَّ " غثَّ في القول: أي تلعثم فيه – صرع – نهدَ " تنهد الرجل أخرج نفساً عميقاً " – خثر " خثر اللبن" – هكع " أكبَّ على الأرض بقوة " ويطلق مجازاً على الذي يقع في خطأ جسيم " – لفَّ: لفَّ الميت في كفنه، ولفَّ عمامته على رأسه – جلق: جلق رأسه: حلقه، وتطلقه العامة على الاعتداء على الغير وأخذ ما عندهم؛ إمَّا بالخديعة، أو بالاختلاس – وزف: بمعنى أسرع. يقولون: جاء موزف " – وزأ. دفع الناس بعضهم على بعض: خففت بحذف الهمزة وتضعيف الزَّاي ، يقولون: وز بينهم – شلط ، شاط – لغا – وغم – وكس – ولف: من العشق... إلخ.

---

(١) د. كمال بشر: علم اللُّغة الاجتماعي " مدخل"، دار غريب للطباعة والنَّشر والتَّوزيع – القاهرة – ، ط٣/١٩٩٧م: ص ٢٢٣

الأفعال الرُّباعية:

بدَّر: جاء باكراً – بدَّل: غيَّر ملابسه – دبَّر: أحسن التَّصرُّف – طوَّح: ألقى الشيء بعيداً – وسوس – موَّث: ضغط على الشيء بعنف – عربد: خاطب السَّامع بحدَّة، وبصوت مرتفع – رمَّس – رعى الأغنام ليلاً – شَمَّلَ: لفَّ ثديي النَّاقة بالقماش، أو الكتَّان. لفَّ رأسه – كرمش: كرمش الثوب فقد الاستواء – لكلك: لكلك في القول أي تلعثم وأخطأ. جرجر: جرجر القضية، عقَّدها ودفعها إلى مزيد من التَّصعيد. عوذق: استخدم قطعة من الحديد بعد ربطها بخيط لسحب شيء وقع منه في الماء، ولا تصل إليه يداه، وتسمى عوذاقة، وأصل الفعل: عودق.

الكلمات الفصيحة الدَّالة على الحيوانات وما يتعلق بها:

للبدوي علاقة خاصة بالحيوانات، وبخاصة الأنعام. ولقد ورد في القرآن الكريم ما يؤكد قرب الأنعام من الإنسان "الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون"[(١)]، ولكنَّ البدوي دون غيره يهتمُّ بها اهتماماً خاصاً، ويرتبط معها بعلاقات حميمية، يسره ما يسرها، ويؤذيه ما يؤذيها، وهي تعني له العز والخير، كما تعني له الشرف فهو صاحب علاقة حميمة بالخيل، وعلاقة أكثر حميمية بالإبل التي يرى فيها ذاته، حتى أنهم إذا أرادوا مدح رجل بالصبر، وقوة التَّحمل، والشموخ. قالوا: فلان جمل !! وأغلب الكلمات التي تطلق على هذا الحيوان القريب من نفس الإنسان البدوي في

(١) سورة: غافر ، الآية: ٧٩

الشرق الليـــبي، والبدوي عامة؛ فصيحة. فمثلاً عندما قال الشاعر: خالد رميلة الفاخري:

ركبت علي هايج مدورم خفَّه ** نابه شبك ما يعرف التقييده[(١)]

فكلمة هايج المشتقة من الفعل هاج، وهي لصيقة جداً بوصف الجمل تطلقها العامة عليه في وضع معين: عند اشتداد الغضب، هي عربية فصحى. يقال: هاج البحر للدلالة على علو موجه، واشتداد ريحه، وثوران قاعه. وهَوَّج الحرُّ: اشتدَّ.

الضأن والماعز هي الأخرى قريبة من البدوي في الشرق الليـــبي، فهي تمثل له رأس مال مادي ومعنوي؛ لأنَّها المساعد الأول على إبراز صفة الكرم عنده، فالذبيحة أول إشارات الكرم، ودون شك لابدَّ أن تصحبها طلاقة في الوجه، وعذوبة في القول؛ لذلك اهتموا بها اهتماماً كبيراً، لقد أفردوا لوصف شكلها الخارجي ألفاظاً تطابق هيئتها، وهي ألفاظ فصيحة، كقولهم:

طوقاء: على الشاة التي يلفُّ وجهها بياض.

الغرَّاء: بيضاء الوجه. من الغرَّة.

النَّقطاء: التي يحوي وجهها نقطاً حمراء.

ويقولون في بعض شأنها كجلمها: جَلَمَ، وجَزَّ، ومكان الجلم (مجلَّم)، والأداة: جَلَمْ، والذي يقوم بعملية الجَلْمِ (جَلاَّم) صيغة مبالغة على وزن فعَّال، وعلى

(١) د. يونس عمر فنوش، وآخَرَين ، ديوان خالد ارميلة الفاخري "مكتبة التـــراث" الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والأعلان – بنغـــازي، ط١ / ١٩٩٨ م ، ص ١٥٢

الذي يقوم بالإمساك بالأغنام، وتجهيزها لجزِّها (العضروط)، وهو في اللُّغة: القوي المفتول العضلات، وبالفعل لابدَّ أن يكون قوياً ليتمكن من الإمساك بالأغنام، وصرعها وربطها بوثاق. وعندما تعطس الشاة، وتنثر ما في أنفها. يقولون: عفطت: وهي من الفصحى، تقول الفصحى: ليس له من عافطة ولا نافطة. والعافطة الواحدة من الضأن، والنافطة الواحدة من الماعز.

ويقولون: عند منع الصغار عن الرِّضاعة: فطام.

ويقولون: الغلم ترتع: وترتع من الفصحى؛ أمَّا كلمة " الغلم" ففيها إبدال لحرف النون، فأصل الكلمة "الغنم".

ويقولون: يرمس. أي يرعى الضأن ليلاً، وفي الفصحى: الرَّوامِسُ الطير الذي يطير بالليل، وكذلك وكل دابة تخرج بالليل، فهي رَامِسٌ.

ويقولون: وذح " بقايا البول والبراز والعرق العالقة بصوف الشَّاة.

ويقولون: عبس: رائحة الإبل. ويقولون: فلان معبس إذا كان كثير الوسخ.

ويقولون: انبشمت الشاة إذا أكثرت من الأكل حتى أصيبت بالتخمة.

ويقولون: بوعقنقل: وهو اسم الأمعاء الغليظة في اللَّهجة، والعقنقل في اللُّغة: الوادي العظيم، أو الكثيب العظيم المتداخِلُ الرَّمْل.

ويقولون: وَسَمَ الشَّاة أي وضع عليها علامة الملكية، ولكلٍّ قبيلة، أو بطن من بطون المنطقة وسم متعارف عليه.

ويقولون: شد على الحمار: أي جهزه للركوب، وكلمة شد فصيحة، ومعناه وضع على الحمار عدَّته، أو سرَّج الجواد. ومن ذلك قول الشَّنفري

الأزدي:

أقيموا بني أمي صـــــــدور مطيكم ** فإنِّي إلى قــــوم سواكم لأميلُ
فقد حمَّت الحاجــــــات والليل مقمرٌ ** وشدَّت لطيَّات مطــايا وأرحل
وفي الأرض منــأىً للكريم عـــن الأذى ** وفيها لمن خاف الــقلى متعزَّل

وإنِّي جدُّ متيقن أن في اللهجات المعاصرة للبلدان العربيَّة جميعها من ذلك الكثير لكن الظروف الآنية في بلادي التي صادفت وقت إنجاز البحث وإرساله في الأجل الأقصى المحدَّد للاستلام (١/٦/٢٠١١م أجبرتني على الاستعجال به والاكتفاء بالمتاح في أسوء ظروف نمرُّ بها.

- المجتمع والتصحيح اللغوي وأثرهما في مقاومة لحن العامة:

اللُّغة وسيلة تخاطب يتم عن طريقها التَّواصل بين طرفين: متكلِّم ومستمع، وهي ـــ أيضاً ـــ أداة الرَّبط بين الكاتب والقارئ، وهذا ما يجعلها أمراً لازماً للعلاقات الإنسانية، فبدونها تتلاشى القدرة على الفهم، ويصعب التَّلاقي. كما أنَّها عامل مؤثر في التَّوجيه؛ فالحكم، والأمثال، والأشعار، والقصص، والرِّوايات تعتمد اعتماداً كليًّا على اللُّغة، وما تحدثه هذه المفردات في النَّفس من تأثير، وفوق كلِّ ما ذكر فإنَّ اللُّغة العربيَّة خاصة هي الوسيلة التي أُبلِغ بها (الذِّكر الحكيم)، حيث كانت سبيل إعجازه الذي فاق كلَّ قدرة بشريَّة، فأثَّر في النُّفوس القاسية ورققها، وتـــمَّم مكارم الأخلاق وهذَّبها. ويُسجِّل كلَّ هذا في خانة القيمة الفعلية للُّغة التي ينبغي أن تكون عليها، وأقصد هنا (اللُّغة العربية الفصحى)، فهل هي حقاً كذلك ؟

بالإقرار المؤسف المرِّ نقول: إنَّ الواقع يشهد بغير ذلك، ويرجع السَّبب

إلى مزاحمة اللَّهجة لها، وتأثيرها على حضورها، واعتماد أغلب النَّاطقين بالعربية على لهجاتهم المحلية حتى في حواراتهم الرَّسمية، الأمر الذي انعكس سلباً على مكانة اللُّغة ومعرفة أسرارها، وقلل الارتباط بها، ومن اللافت للبصيرة أنَّ المجتمع يستهجن – لجهله- الحديث بالعربية ويعتبره شذوذاً، فإذا ما سمع النَّاس شخصًا يتكلَّم بالفصحى نظروا إليه باشمئزاز، واتهموه بالتَّعالي، وأخذوا يلوكونه بعبارات تشعره بالغربة، ومن ذلك أيضاً عدم القبول بأي تصويب في اللُّغة ولو كان التَّصويب في مستند رسمي، ويعتبرون ذلك من باب التَّنطع، وتعقيد الأمور، وأن لا فرق بين قولنا: (إنَّ المسلمين)، و(إنَّ المسلمون) فهذا وذاك ــ في فهمهم القاصر ــ يقودان إلى المعنى ذاته. وللأسف يقف الحاضرون في وجه هذا المُحاول للتَّصويب، ويؤيدون القول الخاطئ، ويشجِّعون مُمَارِسَه، وقد يترتب على ذلك أن ينأى هذا المتمسك بلغته عن لغط أولئك المتآمرين عليها دون وعي، فيتوقف عن الخوض في جدالهم، ويكون ذلك انتصاراً للخطأ على الصواب، وتغليباً له حتى يعمَّ ويسود بكثرةَ الاستعمال، فيحول ذلك بينهم وبين الأداء اللُّغوي القويم، في الوقت الذي تتجاوب فيه اللَّهجة مع أي صيغة، فهي لا تشترط قواعد ثابتة؛ كونها " تستمد ظواهرها من هنا وهناك؛ ولأنَّها تجري في مسارها العامي بحرية تامة، فتزيد أو تنقص من بنيتها أو تعدل وتغير فيها، دون ضابط أو معيار معين تسير على وفاقه "(١)

(١) د. كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي " مدخل "، دار غريب للطباعة والنــشر والتوزيع – القاهرة – ط٣/١٩٩٧م ، ص١٨٩

وليس من العدل والإنصاف أن نعزي هذا الهوان إلى اللُّغة؛ لأنَّه في حقيقة الأمر عائد إلينا نحن أهلها بما فرَّطنا في حسن التَّعامل معها، وبما أهملنا في حمايتها من سطوة اللَّهجات المحلية من ناحية، ومن تغلغل الألفاظ الوافدة عليها من اللُّغات الأجنبية، التي استباحت (بفعلنا) حماها، في سعي محموم لإزاحتها عن موقع الصَّدارة في أوطانها من ناحية أخرى، فكنَّا العاقين في المتن، كما كان الأعداء بالجنب، ولو أصغينا إلى الحوار التَّالي بين اثنين عبر جهاز اتصال لوقفنا على علَّة شأننا:

ألو

ألو ورحمة اللَّه وبركاته

كيف حالك ؟

فَري فَري نايص

ألم تخبرني بأنك ستخبرني عن عنوان صديقنا خالد على الموبايل

صحيح، لكني نسيت، عندي (هد) لم يعد يضبط المواعيد

- اسمع: أرسله في مسج
- أوكيه، لكنه عنوان طويل، والموبايل الذي معي لا يمكنه إرساله
- إذن لم يبقَ أمامك إلا أن ترسله عالفاكس
- هناك خيار آخر
- ماهو ؟
- أن ترسله عبر الإيميل
- أوكيه، أوكيه، هذه أفضل طريقة، لكن اليوم بليز

- سوري فاليوم الكهرباءِ عندنا كت
- اتفقنا
- شور.
- الكارت قارب على الانتهاء
- سأنهي الاتصال
- أورايت.. باي

لو قمنا بحصر الكلمات الأجنبية في هذه المحادثة السَّريعة وهي (ألو ـــ فري فري نايص ـــ هد ـــ مسج ـــ موبايل ـــ فاكس ـــ إيميل ـــ أوكيه ـــ بليز ـــ شور ـــ الكارت ـــ أورايت ـــ باي) لوجدنا أنَّ مجموعها يتجاز نصف عدد الألفاظ المستخدمة في الحوار، الذي كان بين شابين عربيين، والمؤسف أنَّ كلَّ الألفاظ المستخدمة لها ما يقابلها في اللُّغة العربية، وأنَّ حشوها في الحوار جاء من باب السَّذاجة المؤسَّسة على التَّباهي الأعمى، والتَّقليد الأعور لمن يدسُّون لنا السُّم في أقراص فياجرا الفكر التي تثير الشَّهوة والانتشاء المؤقَّتين، ثمَّ ما تلبث، وفي أمد قريب أنْ تودع صاحبها قبر الجهالة والتَّبعية، فهؤلاء متأثرون بالعولمة التي تروِّج لمثل هذه الثقافات، والتي مؤدَّاها سلخُ العربي عن هُويته، وقطع صلة رحم التَّواصل بين الأجيال جيلاً بعد جيل، بسلبهم من لغتهم، وزعزعة ثقتهم في قدرتها على أداء وظيفة التَّواصل والتَّعبير. ولا سبيل آمن يقود إلى الحفاظ على وجودنا؛ إلا سبيلٌ تكون بدايته احترام اللُّغة وصونها من كلِّ عبث؛ لأنَّ " المحافظة على اللُّغة وما فيها من ثمار العقل والقلب أحد الأساس* التي يبني عليها الشعب وحدته ومجده

---

* الصواب: الأسس.

وفخره"[(١)].

ويغيب عن أذهان هؤلاء أنَّ اللَّغة العربية ــ أساساً ــ هي الأجدر بالعالمية، والأحق بأن تعمَّ الإنسانية لسبب واضح، لا يقبل اللبس، ولا يرقى لصحته ريب: إنَّها لغة القرآن الكريم، والقرآن كتاب الإسلام، والإسلام هو الدِّين الكامل الشَّامل الجامع لما سبقه بنص الآية الكريمة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[(٢)(٢)] والله حافظ لدينه، واللُّغة العربيَّة لسانه. وعلى التَّاسيس المشَّفَّع بالدَّليل السماوي، نقول: إنَّ الله هو الذي يحفظ اللغة العربية، فلا خوف - مطلقًا- من زوالها، وما تخوف بعضنا من اندثارها، وتسليم بعضنا بذلك إلا دليل خلخلة فينا، واهتزاز في علاقتنا بثوابتنا، ومنها العقيدة؛ فالأمر يعود إلى نمط علاقتنا باللُّغة، وكيفية التَّعامل معها.

إنَّ القوة التي تمتَّعت بها اللُّغة العربيَّة ولا تزال، تضمن لها الصُّمود لتظهر جلية في الحضارة العربية الإسلامية، تلك الحضارة التي شهد لها من في الكون جميعًا بالبنيان المرصوص، فما تنفكُّ تفرض على الآخرين إجلالها، والاعتراف بها أهم الحضارات الإنسانية، لما حوته من فكر جسَّد الالتقاء بين

---

(١) أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة – بـــيروت -، ط٢٨ / ١٩٧٨م، ص ٨

(٢) سورة آل عمران. الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران. الآية ١٩.

كلِّ الموجودات، وخلق رابطاً قوياً بين الثُّنائيتين اللتين تُشكِّلان مسيرة الخلائق بين حدَّي الوجود (الدُّنيا والآخرة)، في تناغم غريب إذا سار مُريده وفق النَّهج الذي رسمته الديانة السَّماوية، التي شَرُفَتْ بها العربية، والتي هي أساس قدرتها على المواجهة؛ ضمن السَّعادتين.

ـ التَّعليم والأدب وأثرها في بناء الشخصية اللغوية للأطفال:

سيظل القول المأثور " العلم في الصِّغر كالنَّقش على الحجز " راسخًا في الأذهان متوافقًا مع الواقع؛ فما من معلومة يتلقاها الصَّغير إلا وترسخ في عقله وفكره يرددها ويتشبث بها ولو كانت خاطئة وبخاصة إذا جاءت من الأبوين أو المعلِّم. ومثال ذلك من واقعنا التَّعليمي أن أبًا سمع ابنه ــ التلميذ في السَّنة الأولى من المرحلة الابتدائية يردد ــ وهو يراجع دروس القرآن والتربية الإسلاميَّة ــ فيقرأ سورة قريش بهذا الشكل " **ليلى في قريش** بدلا عن ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[1]وآخر سمع ابنه يقرأ مفردة (يَعظُهُ) في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]؛ (وهو يعضُّه) على أنَّ (**العضُّ**) لا (**الوعظ**) فاستغرب الأبوان وعندما تحققا من الأمر وجدا أن تلاميذ المرحلة كلَّهم ينطقون السورة والآية بالكيفية ذاتها؛ وزاد العجب والهول أن عُلِمَ أنَّ معلمة الصَّف كانت وراء ذلك؛ فهي من نطق بها وعلمها لهم بهذه القراءة وتصرُّ على أنَّ قراءتها هي الصَّواب.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

(١) سورة قريش. الآية ١

(٢) سورة لقمان. الآية ١٣

إن أدب الأطفال ومن في حكمهم ذو أثر بليغ في تكوين الحصيلة اللُّغوية عندهم؛ فقديمًا كنَّا ندرس قصصًا عن الحيوانات وعن الطبيعة فنعيش في أجوائها فلا ننفك نردِّد الألفاظ والتراكيب اللُّغوية في القصة. ونعجب بالحوارات فنقلدها بالأسلوب ذاته وهو ما يجعلنا نمارس اللُّغة بشكل ترفيهي محبَّب فنتعود نطق الجمل صحيحة كما وردت. وتطور الأمر فدفع إلينا بقصص الأنبياء ومن ثم الصحابة.. لكن الحاضر يشهد غير مبالاة بهذه الأمور ذات القيمة العالية لنشر اللُّغة وتربية النشء على أساس معرفة بها وحبٍّ لها، وفي المقابل صار الصغير لاهيًا عن القراءة بفعل كمِّ المعروض من المسلسلات والأفلام الكرتونيَّة التي جنحت به لترسيخ ثقافة أخرى: عنف – لهو – غرام. مع وجود برامج قليلة اهتمت بتعليم اللُّغة لكنَّ حضورها أمسى متواضعًا. أشهرها برنامج: افتح يا سمسم الذي عني بتقريب اللغة بأسلوب الفكاهة والتيسير الأمر الذي قاد إلى فهمها والتَّرغيب فيها.

ولقد عمدت بعض الفضائيات العربية في الآونة الأخيرة إلى ترجمة بعض الأفلام والمسلسلات والبرامج المرئية الموجهة إلى الأطفال؛ إلى ترجمتها باللهجات المحليَّة عوضًا عن اللُّغة العربيَّة في ظن خاطئ من القائمين عليها بأنهم بذلك يخدمون الأطفال وييسرون عليهم في الوقت الذي أعطى فيه التَّصرُّف مردودًا سالبًا انعكس في سيادة اللهجة على حساب اللُّغة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(١) د. إبراهيم عبد الله رفيدة: النحو وكتب التفسير، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ج١ ، ط١/ ١٩٨٠ م.

(٢) أبو منصور الثَّعالبي: فقه اللُّغة وأسرار العربية، شرح وتعليق: د. ديزيره سقال، دار الفكر العربي للطباعة والنشر – بيروت – ط١ / ١٩٩٩ م.

(٣) أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار الثقافة – بيروت –، ط٢٨ / ١٩٧٨ م.

(٤) د. عبد السلام المسدِّي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط٢ / ١٩٨٦ م.

(٥) د. كمال بشر: علم اللُّغة الاجتماعي " مدخل"، دار غريب للطباعة والنَّشر والتَّوزيع – القاهرة –، ط٣/١٩٩٧م.

(٦) د. محمد أديب عبد الواحد جمران: معجم الفصيح من اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية. مكتبة العبيكان ــ الرياض ــ ط١/ ١٤٢١ هـــ ــ ٢٠٠٠م.

(٧) د. نوزاد حسن أحمد: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة قار يونس، ط١ / ١٩٩٦م.

(٨) د. يونس عمر فنوش، وآخَرَين ، ديوان خالد ارميلة الفاخري، مكتبة التراث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان – بنغازي- ليبيا، ط١ / ١٩٩٨ م.

فهرس الموضوعات

السلم اللغوي في الوطن العربي
حركيّة اللغة العربية وتدبير التعدد اللغوي والازدواجية اللغوية

إعداد

الدكتور/ عبد الرحمن أحمد يجيوي

مقدمة

المتتبع للوضع اللغوي في العالم العربي تستوقفه مسألتان أساسيتان: المسألة الأولى تتعلق بواقع اللغة العربية، وتداخله بواقع اللغات ومحيطها، وما يطبعه من حراك وتفاعل وتزاحم وتدافع يجعل اللغة العربية موضوع مساءلة في وظائفها وفي وجودها. والمسألة الثانية تتعلق بوصف هذا الواقع، وبأدوات وصفه، والمناهج المعتمدة في ذلك، وما خلّف ذلك من تراكم معرفي هام في الكمّ والكيف، على مستوى المادة والمنهج والنتائج، وهو أمر يحتّم علينا –في الوقت الحالي– إعادة قراءة هذا الإنتاج العلمي قراءة نقدية وعلمية تجعلنا ننظر إلى المسألة اللغوية وفق إكراهات وضغوطات ذلك الواقع، ونستشرف مستقبلها ببناء أسس للسلم اللغوي اعتماداً على سياسة لغوية تحفظ للعربية مكانتها، وتدبّر شأن التعدد اللغوي تدبيراً عقلانيا، يحدّ من السعي إلى تكريس الأحادية اللغوية، وهيمنة النمطية الثقافية، وتخطيط يُسخّر لتطوير أداء الفصحى، وتدعيم استعمالها الذي به تضمن وجودها، ويرشّد شأن الازدواجية اللغوية بشكل يحفظ للفصحى وظائفها بكبح جماح التلهيج (نسبة إلى اللهجة)، وتبديد أجواء الاحتقان اللغوي، ترشيدا يضمن استمرار دَفْق العربية وتداولها وعطائها وإسهامها في إغناء التجربة الإنسانية، وفي إنتاج المعرفة وترويجها اعتماداً على تخطيط لغوي يضمن للهجات حقوقها، ويدعم عفويتها وسليقيتها، ويحفظ لها مراتبها. والهدف من ذلك هو ترسيخ الوعي اللغوي، وتعزيز الهوية اللغوية في ظلّ مسخ الهويات، وتدويل النمط الساعي إلى خلق هوية كونية لا يمكنها أن تخلق لغة كونية. إن العرض نقد في الأوضاع اللغوية، ونقد للوصف اللغوي لهاته الأوضاع.

١- المسألة اللغوية وفق منظور جديد

يهدف هذا العمل إلى النظر في اللغة العربية ليس باعتبارها نظاما شكليا مكين البناء، ومحكم التنظيم. وليس باعتبارها مجالا للدراسة اللسانية الشكلية والبنائية التي تجعل اللغة نظاما من الإشارات الممكن ضبط دلالاتها إلى درجة غاية في الدقة اعتماداً على دراسة المستويات اللسانية، أي دراسة اللغة باعتبارها لغة تخضع لقواعد صوتية وتصريفية وتركيبية ودلالية وبلاغية تنضبط لها، وتنتظم بها... وإنما يهدف، أولا، إلى النظر في اللغة العربية باعتبارها منظومة فكرية وتصورية، وقضية معرفية تنبني عليها كل التصورات والنظريات، ونسقا ذهنيا تنطلق منه كل الرؤى والمواقف، ومرصدا تنكشف من خلاله كل التوافقات والتوازنات، وعملا للفهم، و(وطنا للكينونة)، حيث الترابط بين الوعي بمرجعياته، والوجود اللغوي بتجلياته، معتمدين في كلّ ذلك على استقراء الأدبيات الغزيرة التي تناولت الموضوع بشكل من الأشكال، ومستخلصين النتائج من التراكم المعرفي الذي تحقق في الموضوع اعتماداً على مبدأ التجريد، دون تكرار ما سبق إنتاجه. ويهدف، ثانيا، إلى ترسيخ الوعي اللغوي للمتكلم العربي، وتركيز المسألة اللغوية في مخيلته، وربط اللغة العربية وقضاياها والنقاش الدائر حولها بمسألة الهوية بمختلف أبعادها وامتداداتها، والتحسيس بمحورية اللغة في كل تنمية ننشدها، وثقافة ننتجها، وبقاء أو استمرار نطمح إليه، أو مصالح نحافظ عليها، أو مقاصد نصبوا إليها.

والغرض من ذلك كله هو الانتقال في دراسة اللغة العربية في مناهجها وخططها من دراستها باعتبارها نظاما ثابتا شَغَلَ ولا يزال يشغل بال اللسانيين وغيرهم ممن يشتغل باللغة، أو على اللغة، أو يتخذ اللغة أداة للتبليغ، أو موضوعا

للبحث. والخروج بها من دائرة الخيارات السياسية النفعية الضيقة، إلى دراسة اللغة العربية في تجلياتها الطبيعية، وباعتبارها ممارسة فعلية حقيقية تفاعلية، أي النظر في اللغة، وإلى اللغة من حيث يستعملها المتكلمون بها بما هي أداة الإنتاج الفكري والثقافي، ومن حيث هي وسيط إنتاج المعرفة، أو من حيث هي تجليات للمعرفة وآلياتها. "فالمعرفة بمعناها الواسع تعتمد بشكل أساسي على اللغة، فاللغة لم تعد أداة للتعبير عن الفكر والثقافة فحسب، ولكنها أصبحت كذلك أداة أساسية في توليد المعرفة، وتطويرها ونشرها، خاصة مع المستجدات المتراكمة لتقنيات العلوم والاتصالات، وبهذا بدأت تزداد بشكل ملحوظ أهمية اللغة كعنصر اقتصادي أساسي. فثقافة المعرفة أصبحت صناعة في ذاتها، ومدخلا أساسيا من عناصر الاقتصاد الجديد... ومن خلال ذلك، وبشكل متزايد، أخذت اللغة بعدا اقتصاديا جديدا إلى جانب البعد الثقافي والحضاري التي كانت تضطلع به دائما"[(١)]. إن الانشغال بالمسألة اللغوية وبحركية اللغة في علاقتها بالحياة العامة، وفي علاقة الفصيح منها باللهجي من جهة، وفي علاقتها بالمحيط العالمي والمجال الحضاري وما ينطوي عليه من تفاعل لغوي، أو يترتب عليه من تعدد لغوي من جهة أخرى، قد يكون -في هذا السياق- أجدر من الانشغال بالقضايا اللغوية الداخلية؛ الأصوات والتصريف والتركيب والدلالة؛ لأن مظاهر الأخطار المحدقة بالعربية لا تعدّ، واستهدافها في وجودها واقع لا يرفع، وحقيقة لا تدفع، "فاللغات الأجنبية، وبخاصة اللغتين الإنجليزية والفرنسية تنافسان العربية في عقر دارها، وتقتطعان

١- الشريف حسن: العولمة والثقافة واللغة: القضايا الفنية. في: أسئلة اللغة. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. المغرب.٢٠٠٢.ص.٤٣.

مساحات واسعة من استخداماتها في مجالات متعددة في المجتمعات العربية، وأبـــرز ما يكون هذا الاقتطاع في مجال التعليم العالي، وبخاصة في أقسام العلوم والهندسة والطب وإدارة الأعمال. لقد كان اختيار الإنجليزية أو الفرنسية للاستخدام مرتبطا بالمستعمر السابق، لكن الحال قد تغيرت، وبدأت عوامل جديدة تتحكم في الاختيار، وأبرزها استخدام لغة السلطة، والسلطة النسبية للغة"[١]، فالنتائج السلبية لمظاهر العولمة بالسعي إلى إلغاء الحدود السياسية والاقتصادية والثقافية، وتعميم قيم الكونية يهدد العربية كلغة أولا، وكتجسيد لثقافة وحضارة وقيم وكيان ثانيا، "إنّ محاربة الآخر للغة العربية أصبح أمرا بديهيا، وإثباتها كأنه ضرب من تحصيل الحاصل... بل أمسى عند أهل الرويّة والمتابعة من المعلوم بالضرورة، والجدل حوله استتراف للجهد وهدر للتفكير"[٢]. ومن مجمل الأدلة البارزة التي لا تحتاج إلى كثير إمعان نظر أنه "كلما ارتفعت أصوات مطالبة بإحلال العربية محل الفرنسية في كثير من القطاعات إلا وأقامت الفركنوفونية القيامة، وجيشت الأقلام والعواطف والمعاول للنيل من العربية أساسا"[٣]، أو كلما نادت تلك الأصوات بإقامة نوع من

١ــ محمد راجي الزغلول: لغة القوة وقوة اللغة في التعليم العالي في العالم العربي: الصراعات والهيمنة والتحول في الاستخدام اللغوي. في مجلة. اللسان العربي. العدد ٥٨. ١٤٢٥هـــ/ ٢٠٠٤م.ص.٧٢.

٢ــ عبد السلام المسدي: العرب والانتحار اللغوي. ص.٩٣. دار الكتاب الجديد المتحدة. لبنان. ٢٠١١.

٣ــ مبارك حنون: الوضع اللغوي بالمغرب في أفق العولمة. في مجلة. فكر ونقد. العدد ٢٤.السنة الثالثة. ١٩٩٩، ص.١١١.

التوازن في استعمال اللغات، وكبح جماح الإنجليزية أو غيرها إلا واتُّهِم المنادون بذلك بأشنع التهم؛ كالانطوائية والانغلاقية. بل كلما أثيرت حقوق اللغة العربية، أو أفكار تدافع عنها إلا وكان ذلك "مصدر إزعاج لأولئك الذين تعوّدوا على انزعاجهم كلما أُثير أمامهم حديث صادق عن العربية ومكانتها التي ينبغي أن تتبوأها في حقول التعليم والإدارة والإعلام والحياة الاقتصادية والمجالات الأخرى، ومصدر قلق أيضا لكل من بات لا يؤمن بمستقبل الوحدة التي ننشد للشعوب العربية والأمة الإسلامية"[١].

إن البحث في المسألة اللغوية من هذا المنظور هو بحث في علاقة اللغة بالإنسان، وهو بحث في أصول الفكر، ومرجعيات المفكرين، إنه نقد للأوضاع، بل نقد لوصف تلك الأوضاع؛ لأن كل منظومة لغوية هي انعكاس لمنظومة فكر المتكلمين بها وثقافتهم وتصوراتهم، ولذلك فالمسألة اللغوية من هذه الجهة مسألة إيبستيمولوجية في نظامها وآليات إنتاجها، يقول محمد عابد الجابري: "العربي يحبّ لغته لدرجة التقديس، وهو يعتبرها السلطة التي لها عليه تأثير ليس فقط عن قوتها بل عن قوته أيضا"[٢]. بل أكثر من ذلك إن من بين ما يستأثر باهتمام المنشغل بهموم العربية في العصر الراهن هو مدى قدرتها على (تطوير وتطويع الآليات العلمية لاستخدامها في تقنيات المعلومات والاتصالات)، وانخراطها في إنتاج المفاهيم وآليات المعرفة.

١ـــ عبد العالي الودغيري: اللغة والدين والهوية. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. المغرب. ١٤٢٠هـــ/٢٠٠٠م. ص.٩.

٢ـــ محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي. ص،٧٧. (بتصرف).

"فأية لغة لا يمكن أن تكون فاعلة إلا إذا كانت متداولة عبر شبكات المعلومات العالمية، وهذا سيؤدي عمليا إلى زوال تدريجي للعديد من اللغات التي تعجز عن التطور مع مستلزمات تقنيات المعلومات وشبكاتها. وهذا هو التحدي الأساسي الذي يواجه اللغة العربية حاليا حتى في إطارها العالمي الإسلامي المنتشر بين أكثر من بليون من البشر"[١]. ولذلك فحركية اللغة العربية وحيويتها مرتبطة بكيفية تدبير المسألة اللغوية من الداخل والخارج، أي البحث عن التوازنات اللغوية التي تجعل اللغة العربية في المركز الذي يُدَعّم باستثمار الازدواجية والتعددية الاستثمار الأمثل. ويؤسّس للسلم اللغوي المبني على سياسة لغوية واعية وهادفة، وتخطيط لغوي محكم، وتهيئ لغوي داخلي وخارجي يجعل العربية لغة المعرفة التكنولوجية، ولغة التنمية.

٢_ التأسيس لنقد الوضع العام للغة العربية ومؤهلاتها الذاتية والموضوعية:

المشهد اللغوي العام والقائم في العالم العربي بتجلياته، وصوره، وآلياته، وأوضاعه، ومتغيراته، وفسيفسائه يحتاج إلى إعادة تنظيم وترتيب، وإعادة تشكيل وتحليل اعتماداً على ما تراكم من دراسات لغوية أكاديمية في البحث اللساني، وفي البحث المرتبط باللغة في جانبها الاجتماعي الاقتصادي والسياسي والنفسي والتربوي[٢]، تراكما يكاد الإنتاج المتأخر منه يكرر ما

١_ الشريف حسن: العولمة والثقافة واللغة: القضايا الفنية. في: أسئلة اللغة. ص٤٢.

٢_ انظر: دليل الرسائل الجامعية "الماجستير والدكتوراه" للباحثين المعنيين في موضوعاتهم بمنطقة الخليج والجزيرة العربية. أمل يوسف العذبي الصباح. مركز =

سبقه شكلا ومضمونا، ويكاد المُنتَج منه في المشرق والمغرب يتشابه إلى درجة التطابق في الموضوعات والعناوين والتحاليل والنتائج والإحالات والمصادر... ويحتاج ذلك المشهد إلى فحص ونقد اعتماداً على الوقائع والمستجدات والتحديات وموازين القوى التي تواجهها، وهي وقائع وأحداث منها الثابت والمتحول، والمؤثر بالسلب أو الإيجاب على العربية. ويعتمد ذلك في مرحلة أولى على مسألتين أساسين: المسألة الأولى تتمثل في واقع اللغة العربية في الوطن العربي. والمسألة الثانية تتمثل في واقع الوصف لهذا الواقع.

= دراسات الخليج والجزيرة العربية. الكويت ٢٠٠٦. ودليل والرسائل الجامعية ومستخلصاها من الجامعات العربية.مكتبة الجامعة الأردنية. وانظر: ــ إدريس واحي: الازدواجية والثنائية في الوضع اللغوي بالمغرب. بحث لنيل (د.د.ع.). جامعة محمد الخامس، كلية الآداب.. بالرباط، المغرب، ١٩٩٢.

ــ آمنة إبراهيمي: التخطيط اللغوي ووضع اللغة العربية بالمغرب أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الآداب... جامعة محمد الخامس، الرباط. ٢٠٠٣. (مرقون)

ــ محمد نافع العشيري: المشهد اللغوي المغربي: دراسة في ضوء مفهوم الازدواجيات المتراكبة: بحث لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات. كلية الآداب ظهر المهراز فاس. المغرب.١٤٢٩هــ/٢٠٠٨م.

ــمحمد الأوراغي: التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي. منشورات كلية الآداب بالرباط. المغرب. سلسلة بحوث ودراسات: رقم:٣٦. ٢٠٠٢

أ_ المسألة الأولى: في واقع اللغة العربية في الوطن العربي:

أما بخصوص المسألة الأولى فيمكن تلخيصها في النقط التالية:

١_١_ اللغة في الحياة العامة والخاصة؛ أي واقع العربية في المحيط اللغوي العام السائد في الوطن العربي، أو لنقل واقع اللغات (بصبغة الجمع)؛ الفصحى واللهجات العربية، واللغات الأجنبية، وهو واقع معقّد. والسؤال الأول الذي يستأثر باهتمامنا هو حركية اللغة العربية في هذا الواقع وتفاعلها معه، وتأثير الانتصار للغة ما، أو تغليبها على العربية. أو التدخل بوجه من الوجوه لتغيير هذا الواقع أو التأثير فيه وزعزعته، أو توجيهه لتحقيق مصالح آنية، أو مستقبلية غير مصالح العربية ومصالح متكلّميها ومستعمليها. أما السؤال الثاني الذي يشغل الناظر في هذا الواقع هو الاختلالات التي تطبع هذا الوضع، أو ما أصبح يصطلح عليه (بأزمة اللغة)، أو (محنة اللغة)، والجهد والوقت اللذان استنفذا في معالجتها، والنتائج المتواضعة التي تحققت في ذلك. فالمسألة اللغوية "متّسمة بضعف الإتقان، وانعدام التماسك، وعدم استقرار التوازن بين الرغبة في تعزيز الهويّة، وضرورة الانفتاح، ممّا حال دون أن تلعب اللغة دورها الهام كأداة أساسية لاكتساب المعارف والمهارات، وتوسيع الآفاق الفكرية للمتعلم، وإقداره على التواصل"[١].

إنه لا يمكن لأحد أن ينكر التطور الذي عرفته العربية في استعمالها، أو ينكر انتشارها الواسع وتداولها الكبير في الحياة العامة؛ في الإعلام والاقتصاد

١_ عبد القادر الفاسي الفهري: أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثرات الترجمة. دار الكتاب الجديدة. لبنان ٢٠١٠.ص١٥.

والسياسة والتعليم، ولا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يغيّب ما حققته الدراسات اللسانية وما جرى مجراها من نتائج على مستـــوى تهيئ المتن، أو ما عرفته العربية على مستوى التنظيم والتشريع اللغوي، وتقنين المجال... وهو في اعتقادنا أمر طبيعي، بل يجب أن يدعّم على المستوى الرسمي. ويتقوى على المستوي الشعبي. غير أنه ومن حيث الممارسة اللغوية، وتوظيف اللغة العربية في الحياة العامة يلاحظ المتتبع للشأن اللغوي ما يشبه الفوضى اللغوية، ويتمثل ذلك في الازدواجية اللغوية في صورها القائمة والمجهولة المصير، وذلك بتوظيفها توظيفا يحاول إضعاف الفصحى بتبني سياسة (التلهيج). والتعدد اللغوي في صورته غير الإيجابية، حيث لا يرقى إلى مستوى التعدد المغني[١]، وإلى مستوى التعايش اللغوي الذي لا تهيمن فيه لغة (قوية) على لغة (مستضعفة)، ولا يصل إلى الكفاية اللغوية المستقرة والمثالية، ولا إلى تناوب لغوي سليم ومتكافئ. فاللغة العربية "لغة قوية ونسقية يمكنها أن تصبح أكثر وظيفية وعالمية، وهذا رهين بإنصافها، وتثبيت مشروعيتها ورسميتها عبر تمكينها في محيطها وتعميمها، ودعم دورها في التربية والتكوين، من خلال تهيئ العوامل النفسية والبيئية حتى نتمكن من النجاح في اكتسابها كلغة رسمية مع تعلم موفق ومتزن للغات أجنبية، وهذا يتطلب تنسيقا على مستوى عربيّ، لإقامة برامج وسياسات لغوية فاعلة، من شأنها ترسيخ

١ــ انظر: محمد الرامي: أنماط السياسات اللغوية والوضع اللغوي بالمغرب. في: لغة الحق ولغة القانون. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. الجزء الثالث. ٢٠٠٤. ص.٤٠٧.

استعمال اللغة العربية، والتصدي لكل أشكال التشكيك في قدرتها، أو طمس وظيفتها"[١].

١_٢_ تفاعل اللغات، أو احتكاكها وتدافعها حيث يتميز الوضع اللغوي في الوطن العربي بتنافس لغوي معلن أحيانا، ومستتر أحيانا أخرى. فإذا كانت "الازدواجية هي استخدام فرد أو جماعة مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، أو التنافس بين لغة أدبية مكتوبة، ولغة عامية شائعة في الاستعمال اللغوي"[٢]. فإنّ الازدواجية اللغوية على الحال التي هي عليه يُجنح بها إلى أن تكون ازدواجية فاتنة (تحرض على الفتنة)[٣]. لأنها من قبيل الازدواجية اللغوية غير المتكافئة، وغير النسقية حيث الخلط عمدا بين (النوع العالي الرفيع (High variety)، والدوني السفلي (Low variety)، والخلط قصدا بين الْمُمَعْيَر وغير

---

١ _ أمينة اليملاحي: اللغة العربية بين التعدد والرسمية. في: لغة الحق ولغة القانون. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. الرباط. المغرب. الجزء الأول. ٢٠٠٤.ص.١٩٣.

٢_ عبد الرحمان بن فرّاج القحطاني: أثر المجتمع والأسرة في الازدواج اللغوي بين الفصحى والعامية: في بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في الرحلة الجامعي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. كلية اللغة العربية في الرياض. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. المجلد الأول. ص.٨١.

٣_ ينظر بعض الغربيين ومن تعلّق بهم إلى الازدواجية في الوطن العربي بالطريقة التي ينظرون بها إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوربية المتفرعة عنها وهو قياس مغلوط، وإسقاط وذريعة للنيل من اللغة العربية وإضعافها.

الممعير، وحيث الخلط بين (لغة التواصل المكتوب، ولغة الأدب والعلم والقانون والاقتصاد والإعلام والسياسة والإدارة والثقافة في مستوى عال رفيع راق أنيق منطقي..)، من جهة، وبين (اللغة المستعملة في أمور عادية معتادة مألوفة ترتبط بالحياة اليومية وتفاصيلها الحسية البسيطة)[١]، و(المعاني الساذجة العامية المتعارفة والمبتذلة)[٢] من جهة أخرى. وهو في الحقيقة خلط في الوظائف، أو تعطيل لها، وتشويش على البيئة اللغوية وتوازنها. إنّ للغات المحلية أدوارا ترتبط باليومي والمحلي والذاتي الخصوصي العفوي، وبالاندماج الضيق أو النطاقي، والجهوي أو الإقليمي، وهي أدوار لا ترقى إلى تحقيق الانسجام الاجتماعي، والتثقيف الوطني، والتعامل المؤسساتي، والاستعمال الفوقي، والتداول القومي، والتواصل الدولي، فكل نمط لغوي يؤدي وظائف توكل إليه. وغُلّف الدفاع عن سيادة العاميات بشعارات متعددة منها؛ الحفاظ على اللغات الشفوية، أو الاهتمام باللغة الأم، أو حماية الأقليات اللغوية، أو الحرية اللغوية، أو الهوية اللغوية. وهو منزع لا يختلف في جوهره عن (سياسة الاستيعاب والانصهار، أو سياسة

١ــ انظر: ثريا خربوش: الازدواجية اللغوية: خصائص ومحددات. في: فكر: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.ع.٧. السنة ٣ــ٢٠٠٥. ص.٩٦. المغرب.

٢ــ ازدواج اللغة العربية في المدارس والجامعات: عبد القدوس أبو صالح: في بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. كلية اللغة العربية في الرياض. ١٤١٨هــ،١٩٩٧م. المجلد الأول. ص.١٠٩.

الانفتاح، والتمدن والتحضر، أو التحديث). وهي نفسها السياسة الرامية إلى حلول غير العربية مكان العربية. ولم تكن تلك الشعارات كلها سوى شعارات تهدف إلى التشكيك في الثوابت، حيث أصبح يُرَوّج معها لمقولة زائفة هي عدم قدرة العربية على التعبير عن مضامين الحداثة[١] وروح العصر، بما في ذلك أنها لغة غير علمية، ولا تستطيع أن تكون لغة العلم والتكنولوجيا والاقتصاد والإدارة التدبير والسياسة. وبموازاة ذلك ظهر تيار يعادي العربية ويحاربها ويعتبرها لغة مهيمنة وهاضمة للحقوق اللغوية المحلية. يقول علي النجدي ناصف: "وأعجب ما عجبنا له من شؤون العامية أنها استطاعت في وقت ما أن تقتحم مجمع اللغة العربية، وتجد من المجمعيين من يحنو عليها، ويدعو إلى اصطناعها في إنتاج لون من ألوان الأدب للشعب؛ لأنه يعيش بسبب اللغة الفصيحة واستئثار الخاصة بها في عزلة ووحشة في دنيا الأدب"[٢]. لقد روّج إلى سيادة العامية جماعة "لم يجدوا في أيامنا هذه إلا التشبث باللهجات العربية العامية وتشجيعها لتنافس العربية الفصيحة وتحلّ

١ _ هذا الإشكال له أصول قديمة، ثم أصول استشراقية موجهة، ثم حمل في العصر الحديث لواء هذه الدعوة مجموعة من الباحثين نذكر منهم لويس عوض (وهو أشهر من ألف بالعامية)، ومحمد حسين هيكل وأمين الخولي وتوفيق الحكيم ولطفي السيد وعبد العزيز فهمي وسعيد عقل. ويوظف بشكل آخر الآن.

٢_: علي النجدي ناصف: من قضايا اللغة والنحو. مكتبة نهضة مصر بالفجالة. ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م. ص.٤٨.

محلها"[١]، اقتداء بما كان يُروّج له في بعض العواصم الأوروبية التي أعطت لدراستها صفة (أكاديمية)، التي خصصت لها الكراسي العلمية والمعاهد[٢]. واستجلبت لهذا الغرض عددا من الطلبة والباحثين من الدول العربية، ومنحتهم الإجازات العلمية. وهيأت لهم المختبرات العلمية ليطبقوا ما تشبعوا به من نظريات.

أما التعددية اللغوية فهي تعددية غير مهيكلة، وغير مؤسسة، وغير طبيعية. تعددية في ظاهرها أحادية في مقاصدها. لقد تخلت عن وظيفتها الموكلة إليها تاريخيا؛ الانفتاح والتثاقف والتحاور والتسامح، وما إلى ذلك من أشكال التفاعل، وصيغ التشارك. "فإذا كان التعدد يهدف إلى الإغناء، والدفع إلى التعدد الثقافي والمساواة بين الثقافات والشعوب ومشروعيتها، والمحافظة على العادات والقيم الإيجابية فيها، وتغذية الفروق التي من شأنها رفع حظوظ الجماعات الاِثنية في الحضور الثقافي، فإنه ينبغي ألا يكون عائقا في وجه الانسجام الوطني، والارتباط باللغة الوطنية الرسمية، وعودة بها إلى التراجع والتقهقر، وتسريب الهيمنة الأجنبية عبر مفهوم إيجابي"[٣]. لقد استفادت اللغات الأجنبية من هذا الوضع، واستقوت

---

١ ــ علي القاسمي: مشكلات التعريب في الوطن العربي: الفيصل ع.٣٢/١٩٨٠.ص.١٥.

٢ ــ نذكر من ذلك على سبيل المثال: مدرسة نابولي للدروس الشرقية. ومدرسة القناصل في فيينا، ومدرسة باريس للغات الشرقية، ومدرسة لازاروف للغات الشرقية في موسكو.

٣ــ عبد القادر الفاسي الفهري: اكتساب اللغة العربية والتعليم اللغوي المتعدد. في: =

لتكرس الهيمنة اللغوية، والاحتكـــار اللغوي، بسوء تدبير التعدد اللغوي الذي زاغ عن هدفه المتمثل في خدمة البلدان العربية بطريقة إيجابية[١]. ومظاهر هذا الحراك اللغوي وتجلياته تفصح عن نفسها في البرامج الدراسية، وفي جميع المؤسسات والقطاعات، وفي ميدان الإعلام والاقتصاد والسياسة. "إنّ التشكيك في اللغة العربية واحتقارها، كانا مدخلا واسعا إلى التشكيك في الهوية"[٢]. والقبول بسيادة لغة أجنبية، أو نيابتها عن العربية في تأدية وظائفها هو تنازل عن مقومات الهوية. ولقد كان هذا حُلُما للقوى الاستعمارية، التي عملت على تحقيقه بشتى الوسائل، وأملا لأعداء العربية "الذين أدركوا بخبراتهم وحروبهم الاستعمارية الصليبية السابقة، أنّ أكبر صدمة تتصدى لعدوانهم بإيمان لا يقهر، تتمثل في الإسلام واللغة العربية التي هي لغة القرآن، وهما عنصرا القوة والوحدة"[٣] التي تربط بين الدول العربية والإسلامية. لفرنسا، مثلا، الحق في الدفاع عن الفرنسية بأي شكل من الأشكال، ولبريطانيا الحق في الدفاع عن الإنجليزية بالطرق التي تراها مناسبة، بل لأية دولة، أو أمة الحق في الدفاع عن لغتها، لكن ليس لأحد الحق في أن يفرض

= أبحاث لسانية. المجلد ٤/العدد ١ـ٢. ١٩٩٩. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. ص.٢٤ و٢٥.

١ــ انظر: أمينة اليملاحي: اللغة العربية بين التعدد والرسمية في لغة الحق ولغة القانون. الجزء الأول. ص.١٨٥.

٢ــ عبد العالي الودغيري: اللغة والدين والهوية. ص.٧.

٣ــ إدريس الكتاني: ثمانون عاما من الحرب الفرنكفونية ضدّ الإسلام واللغة العربية. منشورات نادي الفكر الإسلامي الرباط. المغرب. ص.١٤٤.

طوعا أو كرها لغته على شعوب أو أمم أخرى لها لغاتها[١]. لقد اعتبر الكثير من المثقفين ورجال السياسة ما فعلته فرنسا حسنا وجميلا عندما أصدرت قانون حماية اللغة الفرنسية سنة ١٩٩٤. "لكن ما هو حسن وجميل في فرنسا يعتبر في نظر الكثير من رجال السياسة والثقافة الفرنسيين رديئا وقبيحا في الجزائر.... حيث لا يحق للجزائريين الدفاع عن لغتهم في مواجهة هيمنة لغة أجنبية على دولتهم"[٢].

١ــ٣ــ وسائل ووسائط تصريف هذا الحراك من إعلام ومدرسة ومنشورات وأنشطة ثقافية واجتماعية. إنّ التأمل في الشأن اللغوي في الوطن العربي يوصل إلى إدراك نوع من التطور غير الطبيعي لهذه الوسائط والوسائل، وهو تطور يعكس الوضع غير الطبيعي للمشهد السابق، فلِمَ أصبحت تنتشر الجرائد باللغة العامية في كل البلدان العربية؟ فالذي يقرأ الصحيفة بالعامية هو نفسه القارئ لها بالعربية. والذي يستمع إلى خطبة الجمعة بالعربية هو نفسه المتلقي لها بالعامية. بل لا يستطيع المحلل للوضع وجود أسباب علمية حقيقية لأن تُقدّم محاضرة في النقد الأدبي، أو في علم أصول الفقه، أو تاريخ الإسلام بالعامية؟ كما لا يستطيع تفسير الدعم الأجنبي للقنوات والإذاعات التي تقدم برامجها بالعامية، وتصرّف إنتاجها باللغة الأجنبية على نطاق واسع؛ من لغة الإشهار... إلى لغة الأفلام الوثائقية والرياضية. فرغم أن مرجعية بعض أنواع الخطاب الموجهة إلى الجمهور؛ الخطاب الديني، والخطاب السياسي، والخطاب الإعلامي مرجعية شفاهية

١ــ انظر: عبد السلام المسدي: العرب والانتحار اللغوي. ص. ١٠٢

٢ــ عبد السلام المسدي: العرب والانتحار اللغوي. ص. ١٠٢.

فإن الخطابات عندما تكتب ترقى إلى درجة اللغة المكتوبة الراقية. "إنّ حقيقة اللغة العربية الفصحى... تكمن في كونها لغة مكتوبة (الأدب، العلم، الفن)، وقليلا ما توظف في المجال المنطوق. لكن هذا لا يعفي من أن تظل الكتابة فِعْل كلام خاضع لمواصفات صارمة ترقى إلى مستوى القواعد (نحو، صرف، تركيب، معجم)، كما أنّ الكلام، وهنا وجه التداخل بين الشفهي والمكتوب، يصبح أحيانا فِعْل كتابة لدى المشتغلين بالكتابة حين يتكلمون (المثقفون حين يتحدثون عبر الراديو التلفزيون"[١]. إنّ الوظائف تؤدي حتما إلى اختلاف طبيعة اللغة. ولا يمكن أن تقوم العامية بوظيفة الفصحى.

أما بالنسبة إلى اللغات العالمية فهناك تنافس شديد بين اللغات[٢]، وسباق محموم حول تعلم الإنجليزية على امتداد العالم العربي[٣]. ونقدم في هذا الصدد

١ــ عبد الوهاب الرامي: عربية الصحافة المكتوبة: من وهم التوحيد إلى شرط التعدد في عربية الصحافة. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. المغرب. ١٩٩٨.ص.١٣٩ و١٤٠.

٢ــ لم يعد التنافس اللغوي حكرا على العربية واللغات الأجنبية وإنما احتدم بين اللغات الأجنبية في البيئة العربية إذ لا تريد الفرنسية أن تتنازل للإنجليزية عن الإدارة والاقتصاد والمعاملات في بعض الدول، ولا تسمح الإنجليزية للفرنسية أن تدخل إلى دول أخرى، أو قطاعات تحتكرها هي.

٣ــ يقول محمد راجي الزغلول: "لقد كان اختيار الإنجليزية، أو الفرنسية للاستخدام مرتبطا بالمستعمر السابق، لكن الحال قد تغيرت، وبدأت عوامل جديدة تتحكم في الاختيار، وأبرزها استخدام لغة السلطة، والسلطة النسبية للغة. ففي المغرب بدايات تحول من الفرنسية إلى الإنجليزية للعوامل السابقة الذكر، في حين يزداد =

نموذجين خاصين بالمغرب والجزائر يمكن تعميمهما على دول أخرى يبرزان حدّة هذا السباق، "فإلى عهد قريب لم يكن أحد يتصور في المغرب أنّ اللغة الإنجليزية ستشق طريقها بسرعة مذهلة في بلد فرنكوفوني سيطرت فيه الفرنسية على كل مناحي الحياة لعدة سنوات. فالسباق المحموم في أوساط الطلاب المغاربة نحو تعلم الإنجليزية بدا كأنه سباق نحو امتلاك مفاتيح اللغة التي تهيمن على تكنولوجيا العصر.... إنّ عدد مدرسي اللغة الإنجليزية أصبح يوازي عدد مدرسي اللغة العربية، ويزيد عددهم بكثير عن مدرسي لغات أخرى كالإسبانية والألمانية والإيطالية، وأن عدد مدرسي اللغة الفرنسية لا يزيد إلا قليلا عن مدرسي اللغة الإنجليزية. كما تشهد معاهد اللغات إقبالا كبيرا للمغاربة من مختلف الأعمار ذكورا وإناثا. وفي السياق ذاته انطلقت منذ العام الدراسي المنصرم دروس لتعليم الإنجليزية داخل المدارس الثانوية بالمغرب تحت إشراف برنامج "فولبرايت" الأمريكي للتبادل الثقافي بمشاركة عدد من المدرسين الأمريكيين"(١). وفي الجزائر "طُرح بديل اللغة الإنجليزية على أساس أنّ الفرنسية كانت في المنظومة التربوية اللغة الأجنبية الأولى إلى غاية الثمانينيات (من القرن الماضي)، وبعد تعميم المدرسة الأساسية أصبحت اللغة الثانية بعد الإنجليزية"(٢). كيف يُفسّر إذن هذا التحول

= الاستخدام اللغوي للإنجليزية في المشرق للعوامل ذاتها". (لغة القوة وقوة اللغة في التعليم العالي في العالم العربي: الصراعات والهيمنة والتحول في الاستخدام). اللسان العربي. العدد ٥٨. ١٤٢٥هـ،٢٠٠٤م. ص.٧٢.

١ــ العرب والانتحار اللغوي: عبد السلام المسدي. ص.٦٤..

٢ــ صالح بلعيد: قرار تعميم اللغة العربية واستعمالها: (رأي في التجربة الجزائرية). =

بهذه الطريقة، وفي هذا الزمن القياسي؟ وكيف تغيرت الخريطة اللغوية؟

ومن مظاهر هذه الوسائط ما يلاحظ من دعم منظم ومؤسّس للغات الأجنبية في البلدان العربية، في التعليم والاقتصاد والإعلام وفي غير ذلك من القطاعات الحيوية حيث لم يعد الأمر يقتصر على تعليم الإنجليزية أو الفرنسية باعتبارهما من قبيل (اللغة الثانية)، أو (اللغة الأجنبية)، وإنما باعتبارهما أكثر من ذلك. كما ظهر في السنين الأخيرة نوع من الميل إلى الألمانية والصينية والإسبانية ليساهم ذلك في حدّة المنافسة. ويلعب الدعم السخي، والتحفيز الكبير المادي والمعنوي؛ من منح الدراسة، ونشر للمؤلفين، وإغراق السوق العربية بالمنشورات الورقية والرقمية، المكتوبة والمسموعة... دورا أساسيا في نشر تلك اللغات وتداولها.

١ــ٤ــ تأثير كل ذلك على اللغة العربية، وعلى الخريطة اللغوية، أي تأثير التنافس اللغوي على العربية في راهنها، وفي المستقبل القريب والبعيد. لقد كثر الحديث في السنين الأخيرة عن (الخيبة اللغوية)، و(الفجوة اللسانية)، و(الفقر اللغوي)، و(انعدام الأمن اللغوي)، و(العدمية اللغوية)، و(الشرخ اللغوي)[1]، وهي كلها مفاهيم ترتبط بما وصل إليه الوضع المتأزم من نتائج على المستوى اللغوي. ونتيجة لذلك تعالت الصيحات في الوطن

= في. اللسان العربي. العدد.٤٦. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. ص٢٤١.

١ـــ انظر: عبد المجيد جحفة: المسألة اللغوية في تقرير(الخمسينية). في: بصمات، ٢٠٠٩/٤. ص١٠٥. مجلة كلية الآداب. بنمسيك. الدار البضاء. المغرب

العربي المعلنة عن الضعف اللغوي، وتراجع العربية، وما عقد المؤتمرات[١] العلمية المتعددة في كل أنحاء الوطن العربي، وعلى مستويات متعددة؛ المنظمات[٢] والهيئات والجامعات والجمعيات والنوادي.. إلا دليل على تفشي الظاهرة... وإذا كانت مظاهر اللحن في بعض الأحيان مبررة حيث تكون وسيلة لتقويم طرق تعليمية غير ملائمة فيما يعرف بـــ(بيداغوجيا الأخطاء)، فإن ما يعقّد المسألة هو اللحن المركّب الذي يتجاوز الملكة اللغوية إلى الملكة الكلية. فوجوه اللحن المركب متعددة نذكر منها في هذا الباب (الأخطاء اللغوية بجميع مظاهرها إذا تجاوزت الحدود التعليمية)، و(القصور عن التعبير عن الأعراض)، أو (العجز اللغوي)، و(الخطأ في المعاني)؛ من تذكير المؤنث وتأنيث المذكر...إلى إعطاء صفة المؤنث للمذكر، وإعطاء صفة الذكر للمؤنث. والخلط بين نسقين؛ نسق الفصحى ونسق العامية في المعجم والنحو. أو نسق العربية ونسق الإنجليزية[٣] والفرنسية

١ــ انظر: بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية. كلية اللغة العربية بالرياض. أيام. ٢٣ـ٢٥/٥/ ١٤١٦هــ الموافق١٧ـ١٩/١٠/١٩٩٥.

٢ــ انظر: جرد للمؤتمرات واللقاءات العلمية في الموضوع: دراسة تقويمية لمناهج تدريس اللغة العربية في الجامعة المغربية: عبد الرحمان يجيوي. في حوليات كلية اللغة العربية بمراكش. ع.١٧/ ١٤٢٤هــ/٢٠٠٣م. ص.٩٩. وانظر قائمة المصادر والمراجع في هذا البحث.

٣ــ انظر: وليد أحمد العناتي: العولمة اللغوية: التداول بالإنجليزية في العالم العربي مثل من الأردن.. في اللغة العربية وتحديات العصر. منشورات جامعة البترا الخاصة. ص.١٢١. يقول العناتي:"ثم عرج البحث على وجوه التداول بالأنجليزية في حياة =

حيث ظهرت لغة هجينة. لقد تجاوز الأمر مسألة ما يعرف بتفاعل اللغات، حيث تمثل اللغة العربية نموذجا متميزا في هذا الباب لتجربتها الغنية، وتاريخها الطويل، ومنهجها في التعامل مع لغات العالم؛ الفارسية والتركية والهندية.. فتجربة اللغة العربية مع اللغات تؤهلها للتفاعل مع واقع اللغات، ويؤهلها لتطوير تلك التجربة في الأخذ والعطاء، ولكن ليس بالشكل الذي أصبح عليه أسلوب الناشئة الذي يفتقر إلى أدنى شروط الاستقامة والمقبولية اللغوية، أو بالطريقة التي تمرر بها اللغة في الوصلات واللـــوحـــات الاشـــهـــارية. أو بالطريقة التي وُصفت سابقا.

ب-المسألة الثانية واقع الوصف لذلك المشهد: من الوصف إلى التفسير:

يمكن بسط مسألة الوصف والتفسير في المحاور الأساسية الموالية حيث يشكل التفسير نوعا من أنواع النقد المتجدّد للوصف المحايد الذي ينبغي ألا يكون هدفا في حدّ ذاته، بل مقدمة للحلول. بإعادة استثمار التراث الغني، والإرث اللغوي... والمؤهلات الذاتية والموضوعية للعربية، واستثمار النظر العقلي في اللغة، وإلى اللغة في التطبيق والفعل.

أما بخصوص الوصف فإنه ينبني على أمرين اثنين:

= الأردنيين اليومية، ما أسهم في تشويه نقائه اللغوي، وخصوصيته الثقافيه والدينية..... فهذه الأوضاع اللغوية ليست قاصرة على الأردن وحده، بل إنها تسود المجتمعات العربية كلها، مما ينقل المسألة من المحلية إلى الإقليمية والقومية. فتصير هذه الأوضاع تهديدا صارخا للدين والثقافة واللغة القومية". ص١٤٨.

٢ــ١ــ التعامل مع المسألة اللغوية في بعدها العام من الناحية العلمية يتسم كذلك بنوع من الحركية، سواء على المستوى المؤسساتي أو المستوى الفردي، وسواء على المستوى الرسمي أو على المستوى غير الرسمي. ولذلك فواقع الوصف اللغوي، وما يرتبط بالنقاش اللغوي السائد، أو ما يسمى (بالصراع اللغوي). وواقع الاختيارات اللغوية، والسياسة اللغوية، والممارسة اللغوية يفرض علينا دراسته في مستويين مستقلين:

اــ المستوى الأول هو المستوى الأكاديمي والعلمي المؤسّس والمؤسساتي الحكيم والمتحكّم. حيث يجب أن تكون له الكلمة الفصل في المسألة اللغوية؛ لأنه هو المؤهل علميا وعمليا للبث في المعضلة اللغوية. والتقصير في المسؤولية خيانة للأمانة، لأنّ اللغة مؤسسة مثلها مثل باقي المؤسسات التي تستوجب الرعاية والاحترام، والعدّة والعتاد.

بــ المستوى الثاني وهو المستوى العام، والغالب عليه وصف (المتأدبين والمتفقهين والمتسيسين الذين يلبسون لكل عيشة لبوسها)، وقد تحاول احتكارَه أوساط فكرية وثقافية واجتماعية واقتصادية ونخبوية تصادر الحقوق اللغوية. وتنتدب نفسها مؤسسة الإفتاء اللغوي، أو هيئة للتحكيم اللغوي[1].

١ــ من مظاهر هذا الوصف ما ينشر على أعمدة الصحافة، انظر:
مقال: ــ (الازدواجية اللغوية في المغرب: ملاحظات على مؤتمر جمعية "زاكزرة" للتربية) في جريدة: المساء. المغربية. العدد ١٣٧٣، الاثنين ٢١ــ٠٢ــ٢٠١١.
وانظر: ــ (الطاهر بن جلون يشتكي من وطأة تقديس اللغة): محمد برادة. في جريدة الاتحاد الاشتراكي. المغرب. ٢٠٠٦/٣/١٣. العدد: ٢٠٠٦/٨١٩٨.. =

إن الخلط بين هذين المستويين يشوش على الفهم الحقيقي للواقع اللغوي، وطبيعة اللغة ووظيفتها، ويشغل الناس عن البحث في سبل تطوير اللغة وتوظيفها في التنمية. وفي كل الأحوال لا ينبغي أن يُترك لمن لا يفقه أصول المسألة اللغوية، أو لمن تسكنه لغة أخرى غير العربية، أو لمن لا يعتقد في إمكانية العربية، ولا يؤمن بقدراتها أن يُنَظِّر للوضع اللغوي في الوطن العربي، بل أن يتجرأ على الحديث فيه.

٢_٢_ في وصف التراكمات والمؤهلات الذاتية والموضوعية للغة العربية:

المقصود هنا بالمؤهلات الذاتية[١] للغة العربية أمران:

أ_ **الأمر الأول**: جملة الحقائق المرتبطة بالعربية، أو جملة المميزات والخاصيات المتصلة بها؛ من كونها لغة رسمية للكثير من الدول والمنظمات الدولية، ولغة تراث حضاري، وإرث إنساني زاخر، وناقلة لتجارب حضارية متميزة. ولغة لكثير من الشعوب والأجناس والأعراق...واللغة التي يتداولها اليوم ما يقارب ثلاث مائة مليون متكلم بها، ويستعملها عدد كبير من الناس لأغراض دينية أو اقتصادية أو سياسية أو ثقافية. وهي لغة لوسائل الإعلام بجميع أنواعها، والتدريس والتعليم، والقضاء والاقتصاد....ولغة تراث علمي

= وانظر:_(بصدد اللغة العربية والدستور): سعيد يقطين: جريدة الصباح. العدد٣٤٤٠. ٠٤-٠٥- ٢٠١١. المغرب.

١_ كتب في هذا الموضوع عدد كبير من الباحثين نذكر منهم: علي القاسمي، والفاسي الفهري، وعبد العالي الودغيري، وعبد السلام المسدي.

وفكري وأدبي وحضاري لم ينشر منه إلا القليل.

وفوق هذا وذاك فهي لغة القرآن الكريم الذي ضمن لها الانتشار الواسع، وضمن لها استمرارها وقوتها وعطاءها وفعلها، ولغة أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، واللغة التي ترجمت بها أفعاله. وفهم القرآن متوقف على العلم بالعربية، ولذلك كانت عناية العلماء بالعربية عناية بالغة تعليما وتعلّما، ودراسة وتدريسا، وبحثا وتأليفا، ونظرا وتنظيرا من أبرز المؤهلات التي يجب الوقوف عندها. وهذه العوامل مجتمعة وعوامل أخرى يصعب حصرها في مثل هذا العمل تمثل في حقيقة الأمر مصدر قوة للغة العربية.

وما كُتب حول العربية على امتداد تاريخها الطويل، وما كُتب بالعربية التي توفرت لها أسباب البقاء والاستمرار من حيث التنظير والتقعيد والدراسة والوصف والتحليل يصعب حصره، ولا يمكن الإحاطة به؛ لغناه وتنوعه وتعدّده، واختلاف أمكنة وجوده، وطول الزمان الذي أُنتِج فيه. هذا فضلا عن عوامل عامة تتحكم في بقاء اللغات وانتشارها تحكمت في اللغة العربية منها؛ العامل الديني والديموغرافي والاقتصادي والعسكري والثقافي والسياسي واللساني... وكل ذلك يشكل أيضا مصدر قوة للغة العربية وثراء. ولا يمكن في أخر هذه المسألة أن نغفل ذكر المؤسسات والمعاهد والمراكز والمختبرات والمجامع والاتحادات الخاصة باللغة العربية وبقضاياها تنظيرا ودراسة وتحليلا وصناعة وتدريسا وتعليما ونشرا. والندوات اللقاءات العلمية والمؤتمرات التي انصب اهتمامها بذلك، يقول نبيل علي: "اللغة: ذلك الشائع المجهول (المنظور العربي)، عن أهمية اللغة العربية: اللغة العربية – بلا شك – هي أبرز ملامح ثقافتنا العربية،

وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطا بالهوية. وهي اللغة الإنسانية الوحيدة التي صمدت سبعة عشر(١٧) قرنا، سجلا أمينا لحضارة أمتنا في ازدهارها وانتكاساها، وشاهدها على إبداع أبنائها، وهم يقودون ركب الحضارة، ودليلا على تبعيتهم وقد تخلوا عن هذا الركب، والحرص على العربية ليس من أجل الناطقين بها فقط. بل هو واجب إنساني وروحي تجاه جميع المسلمين من غير العرب، خاصة في ظل الحملة المسعورة لتفتيت التكتل الإسلامي في ظل العولمة، وهو أيضا واجب قومي تجاه عرب المهجر؛ حيث أصبحوا يمثلون كتلة بشرية لا يستهان بها، يمكن أن تلعب دورا حاسما في التنمية العربية، والدفاع عن الحضارة العربية والإسلامية من مواقع أقوى تأثيرا واتصالا[١].

ب_ الأمر الثاني: وهو يرتبط بما قرره العلماء بشأن اللغة العربية[٢] سواء تعلق الأمر بالحقائق العلمية القطعية، أو بالحقائق النسبية، حيث يمكن أن يكون ما قيل في العربية من كلام في جانبه العلمي الصرف، وفي جانبه والاجتهادي أو التأملي مساعدا على خدمة العربية، وخاصة ما تضمنته كتب فقه اللغة وأصول الفقه من أبواب في تمجيد اللغة، ووصف العربية، أو منزلة العربية، أو مراتب العلوم. غير أن ما يحتاج إلى زيادة تمحيص، وفائق رعاية، وكامل اهتمام اليوم هو التالي: خاصية النسقية. والمرونة في الأتمتة،

١_ نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي. عالم الكتب. ٢٦٥. ٢٠٠١. الكويت.

٢_ انظر: روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام: لابن الأزرق الغرناطي. وانظر: الموافقات: للشاطبي.

والاستجابة للتقنيات المعلوماتية وهندسة اللغة. إنّ اللغة العربية لغة "كسائر اللغات الطبيعية تشترك معها في عدد من الخصائص الصوتية والتركيبية والدلالية، وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات، وبصفتها عربية تختص بمجموعة من الخصائص التي لا توجد في كلّ اللغات، وإنما توجد في بعض اللغات"(١). بل إن دراسة الجانب التصريفي في بعده الجَبْري، والجانب التركيـــبي في بعديه الخطي والشجري، بالإضافة إلى الجانب الدلالي في بعده المبني على السمات، واستثمار ما تنطوي عليه المداخل المعجمية من شروح وتفسيرات وتعليقات قد تسهم في الدفع باللغة لمسايرة الطفرة التكنولوجية. وقد قدّمت اللسانيات الحاسوبية(٢) دعما جديدا للغة العربية سواء تعلّق الأمر بالجانب النظري، أو الجانب التطبيقي المرتبط ببرامج بناء قواعد البيانات واستغلالها، أو بأنظمة بنوك المعلومات، أو في تقنيات المعلوميات، أو بناء أنظمة التحليل الآلي للغة. أو في تعليم اللغة العربية. كما أنّ للأبحاث اللسانية المتطورة دورا أساسيا في تطوير أدوات استخدام العربية في الشابكة، "إنه لا

١ ـ الفاسي الفهري: "الفرانكوفونية في المغرب: من يخاصم من؟! في التعريب. يصدرها معهد الدراسات والأبحاث للتعريب١٣/٢٠٠٢.ص.٣١.

٢ـ ـ انظر: السجل العلمي لندوة استخدام اللغة العربية في تقنيات المعلومات. مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض. سلسلة الأعمال المحكمة (٤). المملكة العربية السعودية. ١٤١٤هـ/١٩٩٢م.

– وانظر: المعالجة الآلية للغة العربية: وقائع الندوة الدولية(CITAL'٠٧). يونيو ٢٠٠٧. معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. المغرب.

المعالجة الآلية للغة العربية.(CITALA'٠٩) ماي ٢٠٠٩.

أحد يجادل في كون هذه (التقنيات المعلوماتية) تعتبر اليوم نوعا من المنعطف الثقافي والتكنولوجي الذي تحياه أغلب المجتمعات الحديثة. بل إنها تشكل تحديا يواجه مجموع اللغات المكتوبة وبالتالي كل الثقافات وكل الممارسات، بحيث يكون رفع مثل هذا التحدي هو الاختيار الوحيد أمام أية لغة، وأية ثقافة وممارسة تريد أن تستمر في البقاء وتزدهر"[١].

٢_٤_ في نقد الوصف اللغوي: من الوصف إلى التفسير:

لقد آن الأوان في اعتقادنا ـــ وبعد أن تحقق ما تحقّق من التراكم المعرفي في الموضوع ـــ أن نتجاوز مرحلة الوصف والتحليل إلى مرحلة التفسير لعلّنا نخرج باستنتاجات تجعل اللغة العربية في مأمن آمن تستطيع به ضمان بقائها، واستمرار عطائها، وإسهامها في التطور الحضاري، وفعلها في التجربة الإنسانية والمعرفية والكونية. أقول لقد تحقّق في هذا المجال من الدراسات ومن الأبحاث الأكاديمية[٢] والتربوية والسوسيو- ثقافية ما يدفع إلى التأمل والنظر للربط بين اللغة وآليات التفكير وتفاعلها من جهة، وبين وسائل إنتاج المعرفة، بل المعرفة ذاتها من جهة أخرى. فربط الفروع بالأصول، وتجريد القضايا، واستخلاص النتائج يجعل الدارس يقف على حقيقة اللغة وتفاعلها مع محيطها العربي الخاص والعالمي العام. يقول محمد

١ــ اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة: أعمال المناظرة. المؤتمر الدولي. مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية. الدار البيضاء. المغرب. ١٩٩٣. (مقدمة).

٢ــ سبقت الإشارة إلى بعض الأبحاث في الموضوع. وانظر: قائمة المصادر والمراجع.

القبلي: " من جملة ما يلفت نظر المتتبع للإنتاج العلمي بمختلف جامعاتنا أنّ المشهد اللغوي القائم اليوم بيننا قد دفع بالكثير من اللسانيين المغاربة وغير المغاربة إلى اقتحام هذا الخضم عبر قنوات متباينة تكاد تلتقي جميعا عند الرغبة في فكّ الخيوط، وتشخيص مكترمات التفاعل دون إغفال عنصر الرهانات المتشابكة، والتوجهات المختلفة فيما يستقبل من الظروف"[١].

٢_٥_ من النظر والتنظير إلى الفعل:

أمام هذه المعطيات يصبح الربط بين اللغة والثقافة والتقنيات الحديثة والتطور الحضاري أمرا ضروريا، حيث لا يمكن التعبير عن الأدوات التقنية إلا بلغة مؤهلة محوسبة[٢] (قابلة للتأرقم (Dignitisation) قادرة على استيعاب المعلومات والمحافظة على مضمونها."وقد صممت أدوات المعالجة الآلية للغة العربية لتسهيل الولوج إلى هذه المعلومات والخدمات باللغة الأم"[٣]. إن (مجتمع ما بعد الصناعة)، أو (مجتمع ما بعد الحداثة)، أو (مجتمع المعلومات) و(مجتمع المعرفة) "يفرض إعادة النظر في طبيعة المعرفة وآليات إنتاجها وتواصلها داخل المجتمع على إثر انتشار الكمبيوتر ونظم

١_ محمد القبلي: "حول جذور الوضع اللغوي بالمغرب" في بصمات. مجلة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك. الدار البيضاء. المغرب. ع.٤_٢٠٠٩.ص.٧٣.

٢_ حسن الشريف: العولمة والثقافة واللغة: القضايا الفنية في أسئلة اللغة. ص٥٣.

٣_ وقائع الندوة الثالثة الدولية حول المعالجة الآلية للغة العربية. (٢٤ ماي ٢٠٠٩) المدرسة المحمدية للمهندسين الرباط المغرب. مقدمة.

المعلومات"[١]، ولا يمكن لأية لغة أو ثقافة أو ممارسة فكرية أن تجد لنفسها مكانا في هذا العالم، أو رواجا في أنحائه، أو استمرارا إذا بـــقـــيت خارج ما يفرضه العصر الحديث من التقنيات المعلوماتية والتكنولوجية. إن الانفجار المعرفي، وتدفق المعلومات، وانتشار التقنيات، كل ذلك أدى إلى قوة الإحساس بضرورة انتشار اللغة العربية وتداولها وتمكينها في محيطها، وضرورة العمل على تطوير أدائها، وتعزيز مكانتها.

٢_٦_ استثمار المؤهلات الذاتية والموضوعية للغة العربية في ظل المعطى التاريخي والواقعي:

إذا كانت اللغة العربية قد استجابت للتعبير عن حاجيات المتكلمين بها، وحاجات المجتمعات العربية، وأسئلة الفكر وقضايا المعرفة، بل وإنتاج المعرفة في الزمن الماضي فلِمَ يُقلّل البعض من قدرها، أو يشكّك في إمكانياها للقيام بذلك على الوجه الأكمل في العصر الراهن؟ وإذا كانت الفصحى قد تعايشت مع العاميات في وئام تامّ، وتوازن صارم، وتناغم وتكامل في الوظائف، وتوزيع للأدوار فلمَ يصطنع المصطنعون اليوم أسباب الفرقة والتعارض، وأشكال الصدام وألوان التجافي؟ وإذا كانت اللغة العربية قد عاشت في حوار مع اللغات الخارجية، وفي ندّية وتكافئ وتسامع واعتراف بالآخر، فكيف يتحول ذلك في عصرنا إلى واقع يرفع صوت اللغات الأجنبية على صوت العربية، وتزاحم هذه اللغات العربية في وظائفها الأساسية[٢]،

١_ نبيل علي: العرب وعصر المعلومات. عالم المعرفة ١٨٤/ ١٤١٤هـ/٢٠٠٠م. الكويت.

٢_ يقول محمود الذواحي: هناك ظاهرة "تتمثل في استمرار طغيان استعمال اللغة =

ويُجنح إلى تكريس الأحادية اللغوية التي لا تؤمن بالتعدد؟

إن تحويل مسار نقاش الوضع اللغوي العربي عن مساره الطبيعي الذي يخدم العربية ويعزز وجودها، ويقوي استعمالها إلى نقاش تتحكم فيه الخيارات السياسية وحساباتها المرحلية، والتوجهات الاقتصادية وهواجسها النفعية، والنمطية الدعائية وبهرجتها الاشهارية.... كل ذلك يفرغ هذا النقاش حول اللغة من محتواه العلمي والمعرفي، ولا يخدم العربية في شيء، بل يضعفها، إذ بدل أن ينصبّ الجهد في خدمة اللغة يستترف كله في الردّ على خصوم العربية، أو الدفاع عن مكتسباتها الثابتة، ويصرف الذهن عن القضية الأساسية؛ تنمية اللغة، وتنمية المجتمع. "إنّ الترصد المنظّم للغة العربية ليتخذ شكل الحرب الصامتة الناسفة، تتكشف حينا وتتقنّع أحيانا أخرى، واستتارها أخطر من تكشّفها؛ لأنه يستنجد بسلاح المسكوت عنه، وهو أوقع في النفوس، وأقدر على تملّك الأغوار، ولهذا الترصد أسبابه الموضوعية: فهناك اليوم قلق حقيقي يساور كبار المهندسين الذين يرسمون خريطة الإستراتيجية الكونية، وقد يصل ذلك

= الفرنسية في كثير من المجالات على حساب العربية...

ولا يخفى على أحد مهما كانت بساطة ذهنه أن يرى بروز الحرف اللاتيني وطغيان الكلمة الفرنسية في شوارع مدننا الكبيرة والمتوسطة والصغرى وفي قرانا وأريافنا، سواء لافتات دكاكيننا ومقاهينا أم لافتات مغازاتنا ومطاعمنا". في مخاطر الازدواجيات اللغوية والثقافية على اللغة الوطنية والهوية الجماعية. ص.٢٥. الفكر العربي. العدد ٨٠. السمة ١٨_١٩٩٥:٢.

القلق ببعضهم إلى درجة الخوف، وبعضهم إلى درجة الفزع، أما موضوع الأمر فهو احتمال تزايد الوزن الاقتصادي للغة العربية في المستقبل المنظور فضلا عن المستقبل البعيد"[١]. يجب إذن استثمار كل الأبعاد الفاعلة في تطوير اللغة، واستغلال مؤهلاتها، سواء تعلّق الأمر بقوة عدد المتكلمين بها؛ لأنّ "اللغات تستمد وجودها الفعلي من المتحدثين بها، الذين يعتقدون في أهميتها ويستخدمونها للتعبير عن أفكارهم وآرائهم"[٢]، أو وزنها الاقتصادي، أو جاذبيتها المعرفية المرنة... أو نفوذها العلمي والثقافي. أو سلطتها الرمزية والتاريخية.

إن الحديث عن اللغة العربية في السياق الذي ذكرناه، والخوض في المسائل التي أشرنا إليها ليس من باب الفضول العلمي، أو الترف الفكري، وإنما هو نظر وتأمل في مدى مواكبة العربية لمستجدات العصر، وتطور العلم، والانخراط في الركب الحضاري، والمساهمة في الطفرة العلمية والإعلامية، وإغناء تدفق المعلومات وتصريفها، ومسايرة اللغات العالمية. فما يعرفه العالم من تطورات متلاحقة، ومتغيرات متسارعة، وتقلبات حثيثة إعلاميا وعلميا ومعرفيا لم يكن ليحصل خارج اللغة. "إن ملكة الترميز عند الإنسان تبلغ أقصى تحققها في اللغة التي هي التعبير الرمزي بامتياز. وكلّ أنظمة التواصل الأخرى الخطية منها والحركية والبصرية، إلخ..، تتفرع عنها

١ــ عبد السلام المسدي: العرب والانتحار اللغوي. ص.٢٤ و٢٥.

٢ــ لويس جون كالفيه: إيكولوجيا لغات العالم. ترجمة: باتسي جمال الدين. منشورات الاختلاف. الجزائر. ١٤٣٠هــ/٢٠٠٩م ص.٢١.

وتفترضها مسبقا"[١]، ولأنّ "النظام الجديد في كونيته الثقافية تلك لا بدّ له أن يتضمّن مشروعا لغويا بلا أيّ تشكيك وفي غير ارتياب. فاللغة هي الحامل الأكبر للمنتج الثقافي، وهي الجسر الأعظم للمسوّق الإعلامي، وهي السيف الأمضى في الاختراق النفسي، وعليها مدار كلّ تسلل أيديولوجي أو اندساس حضاري؛ فدُعاة الأممية، وأنصار العولمة والمحتشدون وراء الكونية يعلمون علم اليقين أنّ اللغة هي أمّ المرجعيات: في تشييد المعمار الحضاري، وفي بناء صرحه الثقافي، وليس من عاقل يسلّم باكتساء النظام العالمي الجديد ثوب الحرب الاقتصادية والثقافية إلا وهو يسلّم تسليما طوعيا بأنه ــ على تعدد أربابه ــ حامل لبذور الصراع اللغوي المحتدم: كلّ على شاكلته، وكلّ بحسب طاقته في الجذب أو أسلحته في خلخلة النفوس وامتلاك الأذهان"[٢].

وهذا ما يجعل اللغة العربية في حراك مستمر، ومحكّ حقيقي، وحوار خلاق، فهل هي قادرة حقّا على التفاعل والانفعال والفعل في ذلك؟ وحقيقة الأمر أن هذا التساؤل تساؤل مرتبط بإشكال قديم وجديد في نفس الآن؛ قديم لأنه مرتبط بماهية اللغة، وهوية متكلميها، وجديد لأنه مرتبط بواقعها ومستقبلها، ورصد آفاقها[٣]. فما هو الطريق الأنجع لإنماء اللغة العربية،

---

١ ــ E. BENVINISTE (١٩٦٦): Problèmes de linguistique générale, ١. Ed, Gallimard, ١٩٦٦/ p٢٨

ترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي. في: دفاتر فلسفية: اللغة. ٤١، ٤٢.

٢ــ عبد السلام المسدي: العرب والانتحار اللغوي. ص.٢٩ و٣٠.

٣ ــ انظر: عبد الرحمان يجيوي: دراسة تقويمية لمناهج تدريس اللغة العربية واللسانيات في الجامعة المغربية. في مجلة: حوليات كلية اللغة العربية بمراكش.عدد١٧. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ص.١٠٠.

وتطوير طرق أدائها في نقل المعرفة، أو إنتاج المعرفة؟

٣_ السياسة اللغوية وتدبير التعدد وترشيد الازدواجية:

٣_١_ في مفهوم السياسة اللغوية: من الإصلاح اللغوي إلى السياسة اللغوية:

لقد سبق أن بينا أن الوضع اللغوي في الوطن العربي تطبعه الاختلالات، ويميّزه التعقيد، ويغلب عليه الوصف المتراكم، وتوجهه خيارات غامضة، وتتحكم فيه موازين قوات ضاغطة. ولذلك فإن الحراك الذي تشهده اللغة العربية لا يمكن أن يكون خادما لها إلا إذا دُبِّر هذا الشأن تدبيراً يقوم على نقد تلك الأوضاع نقدا بنّاء، كما لا يمكن أن يتمّ ذلك إلا اعتماداً على سياسة لغوية تخطط للغة اعتماداً على إعادة توجيه الاختيارات، وتحديد الحاجيات، ونقد السياسات التي آلت بالوضع إلى ما هو عليه الآن، تلك السياسات السكونية والانفرادية التي لم تواكب تطور اللغة العربية والتقلبات العالمية، ولا تطور المجتمع العربي وطموحاته، أو حاجياته في المعرفة، وإلى التنمية. ولم تصحّح التوظيف المضطرب للعربية في المجالات المؤثرة في المجتمع اقتصاديا وإعلاميا وتعليميا، كما لم تُرجع الثقة إلى المتكلم العربي الذي زُعزِعت قناعتُه بلغته، وفقد أمنه اللغوي، ولم تَعد كفاءته اللغوية تضمن له مكانة أو حظوة، أو تؤهله لشغل منصب، أو لرقي اجتماعي أو سياسي، أو عيش كريم.. وهي نفسها السياسة التي مكّنت اللغات الأجنبية من التغلغل في الأوساط الاجتماعية، حيث أصبح مستعملها في البلدان العربية متباهيا بها، ومفتخرا باستعمالها، ومشهرا تميزه واعتزازه

بالانصراف لها، مما يدفع إلى إنتاج مجتمع (بدون لغة، وبدون هوية، أو مجتمع يفضّل الهجرة أو الاهتجار)[١]، أو مجتمع يطبعه (الانفصام اللغوي الذي يترتب عليه انفصام ثقافي)[٢]. فأية سياسة لغوية لأية لغة؟ وأي لغة لأي تنمية؟ إن هذا الأمر بهذه الحال لا يرقى إلى مستوى السياسة اللغوية[٣] المؤسَّسة والمؤسّساتية بمرجعيتها وحجّيتها، وإن كانت فإنها سياسة (متفاقمة لها فجوات معتبرة)[٤]. لأنه لا بدّ من أن تكون السياسة اللغوية فلسفة تنظر في عمق المشكلة اللغوية، وتكون آلية لتنظيم البيئة اللغوية، وعملا لترسيخ الوعي اللغوي وتقوية الوعي بالذات، ودعما لمقومات الهوية. ولذلك فإن ما يناسب أوضاع اللغة العربية من السياسات اللغوية ليس هو التنصل مما حققته الجهود الساعية إلى النهوض بالعربية، وخدمتها وإصلاحها وانتشارها وتطويرها، أو التنكّر له، أو التغافل عنه، وإنما هو إلى جانب ذلك بحث مستمر عن الحلول لمشكلات اللغة، ونقد متجدد لتلك الأوضاع، حيث

١ـ اتظر: الفاسي الفهري: أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعدّدية وتغيّرات الترجمة. ص. ٥ـ٧.

٢ـ انظر: رشدي أحمد طعيمة: اللغة العربية بين مهدّدات الفناء ومقومات البقاء. في. لغة الطفل العربي في عصر العولمة. منشورات المجلس العربي للطفولة والتنمية. ٢٠٠٧. ص.٤٠٣.

٣ـ انظر: ا لويس جان كالفي. السياسات اللغوية، ترجمة: محمد يحياتن. ١٢. ١٣.

٤ـ انظر: صالح بلعيد: اللغة العربية والتعريب العلمي: آراء وحلول. في التعريب. مجلة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق. العدد ١٨. ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ص.٥٣.

"تظهر الحاجة إلى التخطيط اللغوي كلما ظهرت مشاكل في اللغة، وعندما نلاحظ أنّ لغة ما، لسبب ما، صارت غير وافية بالغرض المطلوب" كما يقول هاوجن(Haugen ١٩٦٦)[١]. لقد أصبح التخطيط اللغوي مجالا علميا قائم الذات، له أصوله وفروعه، وله أسسه النظرية والمعرفية، وله أهدافه ومراميه، فوصف الوضع اللغوي، ومعرفة العوامل المؤثرة فيه، أو المتأثرة به ودراستها... كلها أمور تقربنا من فهم هذا الوضع، والبحث عن أنجع السبل لتجاوز الصعاب، واستشراف المستقبل برسم السياسة اللغوية الملائمة. ولذلك فالتعريف الذي نراه منسجما مع هذا التوجه هو ما "تقترح روبن (Rubin ١٩٨٣:٣٤٠) من أن تحديد وظائف لغة ما، أو تحديد مجالات استعمالها من بين مجموعة لغات أخرى، أو ضروب مختلفة من نفس اللغة..." هو فحوى السياسة اللغوية، وهو تعريف يقترب مما يقترحه فيرجسون (Ferguson ١٩٨٣:٣٥) من أنه "يمكنك تخطيط تغيرات في وظائف اللغة أو في بنيتها، وتغيرات في استعمالات ضروبها المختلفة، أو في بنية تلك الضروب"[٢]. حيث تشمل السياسة اللغوية جوانب الوظائف والاستعمال والبنية، وجوانب التغيرات المتعلقة بذلك كله والمرتبطة به، وتنظيم المصادر

١ــ انظر: روبرت ل. كوبر: التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي. ترجمة: خليفة أبو بكر الأسود. مجلس الثقافة العام. ٢٠٠٦. ص.٧٥.

٢ــ أ. روبرت. ل. كوبر: التخطيط اللغوي. ترجمة: خليفة أبة بكر الأسود. مجلس الثقافة العام. ٢٠٠٦. ص. ٧٢ــ٧٣.

اللغوية في المجتمع[١]. فالسياسة اللغوية بذلك هي: "تحديد الاختيارات الكبرى في مجال العلاقات بين اللغات والمجتمع، وتطبيقها، أي ما يدعى بالتهيئة أو التخطيط اللغوي"[٢]، حيث لا ينفصل رسم السياسة اللغوية عن تنفيذها. ولا تنفصل معالجة الوضع الخارجي للغة (المحيط اللغوي أو البيئة اللغوية ومترلة اللغة) عن معالجة وضعها الداخلي أي متنها؛ لأن التناول الجزئي للمسألة اللغوية يفقد الموضوع وحدته، وبالتالي لا ترقى الحلول المقترحة إلى بلورة تصور تام لحل المشكلات اللغوية، ولا يدرك المسألة في شموليتها، أو يوصل إلى تجريد ضوابط كلية مؤطرة لذلك، فلا يمكن الفصل بين اللغة والهوية، ولا بين اللغة وإنتاج المفاهيم، أو اللغة وإنتاج المعرفة، كما لا يمكن الفصل بين المعرفة والتنمية. ولذلك فأي سياسة للعربية لا بدّ أن تكون مسايرة للتطورات الاجتماعية، وأن تكون وفيّة لمطالب الحياة المتجددة، وموافقة لقيم ومبادئ وهوية المستهدف من هذه السياسة، لأن السياسة اللغوية في حقيقة الأمر هي تدبير أمور اللغة والقيام عليها بما يخدمها ويصلحها في ذاتها بتمكينها، وفي محيطها بإصلاح أحوال متكلميها ومستعمليها. السياسة اللغوية هي تدبير أمرها على الوجه الذي ينتظم به حالها، ويتقوى به شأنها، ويتحصن به بناؤها ونظامها، ويتعزز به وجودها. إن الإجابة عن الأسئلة اللغوية الكبرى، ومعالجة الاختلالات، وتجاوز

١ــ أ. روبرت. ل. كوبر: التخطيط اللغوي. ترجمة: خليفة أبة بكر الأسود. مجلس الثقافة العام. ٢٠٠٦. ص: ٧٣.

٢ــ لويس جان كالفي: السياسات اللغوية..ص.٧.

الأزمة.. كل ذلك لا يتحقق إلا بحسن تدبير أمر الازدواجية اللغوية، وفي حكمة تصريف التعدد اللغوي، وواقعية الخيارات، ووضوح الرؤى؛ فحسن التدبير، وحكمة التصرف، وواقعية الخيارات في إطار شمولي مؤسساتي (الدولة/ الأمة، أو الهيئات العليا، وتعزيز السلطة اللغوية، والتشريع اللغوي) كفيلة بجعل اللغة العربية لغة في مستوى التحديات العالمية. وقد يكون من شأن هذه السياسة اللغوية أن تعيد اللغة العربية إلى تصدر المكانة الأساسية في قلوب أبنائها، وفي عمق فكرهم، وتكون سائدة ورائجة وموظفة في كل المؤسسات الاقتصادية والعلمية والثقافية، وتكون شرطا أساسيا للالتحاق بالجامعات والوظائف الحكومية والخاصة، وتكون اللغة الرسمية للمؤتمرات والندوات التي تعقد في الوطن العربي، ولغة الإعلام الأولى بمختلف وجوهه[١]. إن السياسات اللغوية "جارية في كل مكان، وتصاحب في كل مرة الحركات السياسية والاجتماعية، ذلك أنّ التغير اللغوي يأتي ليدعم بروز الأمم وتماسكها، وأحيانا على العكس يصاحب تفكك بعض البلدان إلى كيانات سياسية جديدة"[٢]. فالسياسة اللغوية من حيث هي تحديد الاختيارات الكبرى في مجال العلاقات بين اللغات والمجتمع، وتطبيقها، أي ما يدعى بالتهيئة أو التخطيط اللغوي[٣] هي تصور علمي لمستقبل مجتمع يتوق إلى الرقي الحضاري، وإلى المشاركة في إنتاج القيم الإنسانية، ولا يكون ذلك

١ــ انظر: محمود السيد: اللغة العربية واقعا وارتقاء. ص. ٩٨. (بتصرف)

٢ــ لويس جان كالفي: السياسات اللغوية. ص.١٣٢.

٣ــ لويس جان كالفي: السياسات اللغوية. ص٧.

خارج لغته وهويته وقيمه. إن "الارتقاء بالواقع اللغوي يتطلب وضع سياسة لغوية متكاملة على المستوى القومي، أو على مستوى كل قطر على حدة، تعمل في ضوء منهج يعلي شأن اللغة بوصفها عنوانا للهوية، ويحافظ عليها باعتبارها أداة ضرورية للتقدم، ويعمل على استثمارها الاستثمار الأمثل كي تحدث فعلها في تقدم الأمة ورفعتها"(١). وأن تتجلى هذه السياسة ــ فيما تتجلى فيه ــ في التخطيط اللغوي، "لأن العلاقات بين السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي هي علاقة تبعية... إذ إن التخطيط اللغوي هو تطبيق سياسة لغوية ما"(٢).

٣_٢_ التخطيط اللغوي العربي مستقبل اللغة:

التخطيط اللغوي هو الحل العلمي الأمثل للمعضلة اللغوية في اعتقاد الكثير من الدارسين(٣)، ولذلك ومن حيث هو تطبيق لسياسة لغوية يقتضي وضوح تلك السياسة التي هي أصل له، وتحديد جوانبها، إذ إنّ سوء فهم الموضوع، أو الانحراف عن مضامينه، أو التوظيف المغرض له يؤدي إلى سوء النتائج. ولذلك فمن الأولى أن تُحدّد الأهدافُ من التخطيط اللغوي، وأن تُدرك المقاصدُ منه. وأن توضع له آليات التنفيذ، وشروط التحقّق بالحماية،

١ــ محمود السيد: اللغة العربية واقعا وارتقاء. ض.٨٩.

٢ــ لويس جان كالفي: السياسات اللغوية. ص.١٠.

٣ــ انظر: ا.روبرت. ل. كوبر: التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي. ترجمة: خليفة أبو بكر الأسود. مجلس الثقافة العام. ليبيا. ٢٠٠٦.ص. ٧٥

وأن يُحدّد قبل هذا وذاك مفهوم التخطيط اللغوي(١).

ولما كان المقال لا يسع كل التعاريف التي توضح المفهوم فإنه يمكن الاقتصار على ما يناسب وضع العربية ومحيطها، واستخلاص ما يخدم هذا الموضوع منها، وذلك على الشكل التالي(٢):

ـ"يدلّ مصطلح التخطيط اللغوي على المتابعة المنظمة الهادفة إلى إيجاد حلول لمشكلات اللغة، وخاصة على المستوى القومي"(Fishman ١٩٧٤b:٧٩).

ـ"يعني مصطلح التخطيط اللغوي: كافة أنشطة مَعْيَرة اللغة التي تؤديها المجامع اللغوية واللجان المختصة بتطوير اللغة، وهي كافة أشكال الأنشطة التي تعرف عموما بتنمية اللغة، وكافة المقترحات المتعلقة بإصلاح اللغة ومعيرها"(Haugen ١٩٦٩:٧٠١).

ـ "يحدث التخطيط اللغوي عندما يستغل المرء معارفه باللغة لتغيير السلوك اللغوي لمجموعة من الأفراد، وهم أفراد المجتمع الناطقين بتلك اللغة"(Thurburn: ١٩٧١:١٥٤).

ـ "التخطيط اللغوي هو كل الجهود الواعية الرامية إلى التأثير في بيئة التنويعات اللغوية، أو في وظائفها، وهذا هو التحديد الذي يحظى بالقبول عامة. وتشمل هذه الجهود إنشاء قواعد الإملاء، وتحديث البرامج

١ـ توظف مصطلحات مختلفة للدلالة على الأنشطة المرتبط بهذا المفهوم منها: الهندسة اللغوية، والتنظيم اللغوي، وإدارة اللغة، والسياسة اللغوية، التطور اللغوي. انظر: أ.روبرت، ل. كوبر: التخطيط اللغوي. ص.٦٧.

٢ـ نقلا عن روبرت، ل. كوبر: التخطيط اللغوي. ص. ٦٧ و٦٨ و٦٩.

وتوحيدها، أو توزيع الوظائف بين اللغات في المجتمعات المتعددة اللغات، وإسناد وظائف إلى لغات بعينها"[١][٢]. إنّ المتأمل في هذه التعاريف يلحظ أن اللغة العربية بأوضاعها التي سبق وصفها لا يمكن أن تكون لغة في مستوى التحديات إلا بتخطيط لغوي عميق، يتمثل التصورات التي تنطوي عليها التعاريف السابقة، ويغوص في مرجعياتها، ويسترشد بمنهجها الذي يراعي

١ــ جيمس. أ. طوليفسن: السياسة اللغوية وتعليم اللغة. ترجمة محمد الخطابي. في: علامات: مجلة ثقافية. ع، ١٧/٢٠٠٢. مكناس. المغرب.ص.٦٤. ٦٥.

٢ــ وورد في: فلوريان كولماس: اللغة والاقتصاد. ترجمة: أحمد عوض. عالم المعرفة ٢٦٣. ص. ١٣٩ و١٤٠. التعريف التالي: ــ"التخطيط اللغوي... يشمل كل "تدخلات الحكومة في مجال الاتصال". وإذا استعرنا عبارة فينشتين (Weinstein, ١٩٩٠:١٨) فإنّ هذا المعنى يشمل بنودا مثل تلك البنود المحدّدة في الأقسام السابقة، مثل عناصر التكلفة العامة المتصلة باللغة. أي التنظيم القانوني الصارم لاستعمال اللغة في حالات تعليم التعدد اللغوي والثنائية اللغوية الرسمية، وتعليم اللغة الرسمية، وبشكل خاص تعليم لغة الأمّ في حالة لغة البلد السائد. ولذلك فنحن في هذا القسم معنيون فقط بالتخطيط اللغوي المقتصر على التدابير الممولة من القطاع العام لحل مشكلات اللغة، وكذلك الإشراف على عمليات تطويع اللغة وتوجيهها، ويتم إنجاز هذا عن طريق: (١) الأكاديمية اللغوية الرسمية والهيئات الإشرافية الأخرى. (٢) المشروعات المؤقتة لإصلاح اللغة أو تحديثها. (٣) مشروعات بحث معينة. (٤) الإعلام والترويج للحلول المرغوبة لمشكلات اللغة"

الجانب (الأداتي) حيث "يمكن تحسين اشتغالها"[(١)] اعتماداً على البحث اللساني المهتم بمتن اللغة، واستثمار ما تحقق من إنجازات في هذا الباب، وتطوير الأبحاث ودعمها. ويراعي أيـــضا (منـــزلـــة) (Statut) اللغة، أو ما يعرف (بتخطيط المترلة) "الذي يتعلق بالتدخلات في وظائف اللغة ومترلتها الاجتماعية، وعلاقاتها باللغات الأخرى"[(٢)]. وقد سبقت الإشارة في هذا العرض إلى ضرورة حفظ المراتب، ومراعاة الوظائف، وتكامل الأدوار للغات في المجتمع العربي، سواء تعلق الأمر بعلاقة الفصحى بالعاميات، أو تعلق الأمر بعلاقتها باللغات الأجنبية. إن الوعي بالمشاكل اللغوية، وتحديد أوجه الاختلالات، ومعرفة التحديات جزء لا يتجزأ من التخطيط، كما أنّ التقنينَ للوضع، وضبط آليات الاشتغال، والحرص على التطبيق، والسهرَ على التنفيذ أركانٌ له. فلا يعقل أن تكون رَسميّة اللغة في الدول العربية حبرا على ورق، وأن يكون الوضع الرمزي الاعتباري والقانوني للغة العربية غير محترم على الوجه الأكمل في الواقع. أو أن يتّسم التعامل مع المسألة (بالازدواجية) على مستوى الخطاب والممارسة على حدّ وصف الفاسي الفهري. ومن غير الطبيعي ألا تتجسّد السياسة اللغوية في التعليم أولا، وفي الإعلام والاقتصاد والإدارة وفي كل مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية ثانيا. ولا يُتصور تخطيط لغوي لا يتدخل في تنظيم استعمال اللغات، أو يطلق العنان للتنافس اللغوي، حيث تعجز السلطة الراعية لشؤون

١ــ لويس جان كالفي: السياسات اللغوية. ص.٢١،

٢ــ انظر: لويس جان كالفي: السياسات اللغوية. ص.٢٣.

العباد عن حماية حقوقهم اللغوية، والذود عن هويتهم الثقافية والحضارية، وحماية مشاريعهم وأحلامهم وطموحاتهم إلى التنمية. أي غياب السلطة السياسية المتمثلة في الدولة الموكل إليها القيام على التخطيط اللغوي. والقيام بالتخطيط المؤسساتي[١]، وضمان سلطة اللغة.

"إن وضع اللغة العربية، على غرار أوضاع لغات الحضارات الكبرى، يفرز نقط قوة وضعف، سواء تعلّق الأمر بمتنها وضوابطها وسلامتها، أو تعلّق بوظائفها الفعلية أو الكامنة في محيطها المحلي والإقليمي والدولي، أو في مجتمع المعرفة والمعلومات والاقتصاد. وهذا يتطلب خطة تأهيلية متجدّدة ودائمة للغة العربية. وإنّ إدارة الوضع اللغوي أو تدبيره لصالح اللغة العربية ولصالح متكلميها أمر موضوعي وحتمي، لا يمكن تصور بديل عنه، لا في اللغة الأجنبية، ولا في اللهجات، ولا في لغة... مزيج بين الدارج والفصيح والمقترض، ولا في منطق الاختزال المبني على أحادية لغوية لا يمكن أن تقوم تصوريا أو واقعيا"[٢]. كما أنّ التخطيط اللغوي بالمنظور الذي تمّ تحديده يجب أن يأخذ بعين الاعتبار خصوصيات مرتبطة بالعربية تغيب في كثير من الأحيان عن بعض المخططين منها؛ أن "الثقافة الدينية والإعلام والفكر

١ــ انظر: يوسف الخليفة أبو بكر: مشكلات تعليم اللغة. في لغة الطفل في عصر العولمة. ص.٤٢٩.

٢ــ عبد القادر الفاسي الفهري: دعم اللغة العربية تعزيزا للهوية القومية والتنمية المجتمعية. منشورات معهد الدراسات والأبحاث حول التعريب بالمغرب. تقارير ووثائق: رقم٦. ٢٠٠٤. ص٢.

والعلم، وأشياء أخرى كثيرة لا تصل لا بالعامية، ولا بالأجنبية في المحيط العربي الإسلامي، وإنما تصل باللغة العربية الفصيحة، لأنها لغة الدين والحضارة والإبداع الأدبي، وما إلى ذلك من مجالات كثيرة لا يتمكن نمو العربي المعرفي والديني والمجتمعي إلا بالنمو فيها؛ لأن هذه المعارف نشأت باللغة الفصيحة، وتمكنت بها، وتفتقت طاقة العربي بها"(١). إن التخطيط الذي لا يفي بالغرض الحضاري، ولا يؤدي الدور الإبلاغي والأداتي الآلي للغة العربية، أو الدور الإنتاجي والإبداعي الخلاق، أو التخطيط الذي يجعلها لغة الهامش بدل لغة المركز، لا يختلف عن التخطيط الخارجي المنبثق عن السياسة اللغوية المعادية للعربية التي سبق نقدها. "إنّ الارتقاء بالواقع اللغوي يتطلب وضع سياسة لغوية متكاملة على المستوى القومي، أو على مستوى كل قطر على حدة، تعمل في ضوء منهج يعلي شأن اللغة بوصفها عنوانا للهوية، ويحافظ عليها باعتبارها أداة ضرورية للتقدم، ويعمل على استثمارها الاستثمار الأمثل كي تحدث فعلها في تقدم الأمة ورفعتها"(٢). ولذلك فهو يشمل اللغة، والحاجيات، والأهداف والوسائل المادية والبشرية، كما يشمل التنفيذ والتقويم والتابعة والنقد(٣).

١_ عبد القادر الفاسي الفهري: عربية النمو والمعجم الذهني. في أبحاث لسانية. العدد١ز المجلد١/١٩٩٦. ص٣.

٢_ محمود السيد: اللغة العربية واقعا وارتقاء. ض.٨٩.

٣_ انظر: علي القاسمي: تخطيط السياسة اللغوية في الوطن العربي: السياسة اللغوية لوسائل الاتصال. في أبحاث لسانية. الغدد١. المجلد٢/ ١٩٩٧. منشورات معهد =

إن التخطيط اللغوي لا يتعلّق فقط باللغة باعتبارها موضوعا، وإنما يشمل التخطيط مستعمل هذه اللغة، والوسط الذي تُستعمل فيه، حيث لا بدّ من تهيئة الوسط الذي توظف فيه اللغة ليصبح أداؤها على الوجه المطلوب. ولا بدّ أن يتناول التخطيط قضية التقنيات الحديثة، والمناهج الفلسفية والتربوية الحديثة، ويعتمد على التنسيق بين الجهود المتفرقة للنهوض بالعربية في الوطن العربي. ويرى ماكي (W. Macky ١٩٩٣) "أن السياسة اللغوية ليس مسألة أكاديمية صرف، فهي في أغلب الأحيان جواب علمي عن ضغوط اجتماعية واقتصادية وسياسية"[١]. للتخطيط اللغوي إذن مظهران: المظهر البسيط، والمظهر المعقد. حيث يتجلى الأول في رصد التخطيط الحاجيات، وتحديد الأهداف، واشتراط الوسائل وتوفيرها، والسهر على التطبيق، وتقييم النتائج، وتقويم المسار. أما الثاني فيتمثل في كون التخطيط فلسفة، وسيرورة، وبحث متجدّد عن الحلول للمشكلات اللغوية، وسعي حثيث (لتحسين جودة اللغة، ونهضتها، وتوسيع مجال استعمالها، وإنتاجها للمفاهيم، واستجابتها لشروط التقييس[٢]. وهو أمر يستوجب على المؤسسات والمنظمات والهيئات التي تهتم بالتخطيط اللغوي أن تتمثل روح

= الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. المغرب. ١٩٩٧.ص.٦٨.

١ـ William Mackey (١٩٩٣): Language policy literacy وانظر: السياسة اللغوية: لويس كالفي.ص.١٣....

٢ـ انظر: لوي جون روسو: الاصطلاح والتخطيط اللغوي. نقله إلى العربية: خالد الأشهب في أبحاث لسانية.. المجلد٤/العدد ١و٢,١٩٩٩.)

العصر، وأن تعيد تنظيم الأسئلة اللغوية وفق متطلباته، وترسم خططها وفق اختياراته.... وتجعل اللغة العربية في مستوى التحديات العالمية، وفي عمق مضامين الحداثة، خالقة للتصورات، ومساهمة في صياغة النظريات، ومشاركة في توجيه الفكر الكوني ورسم معالمه. وإثراء اللغة لن يكون خارج استعمالها وتمكينها وحمايتها.

٣_٣- الحماية اللغوية وشروط الاستمرارية والإنتاجية:

من أبر غايات السياسة اللغوية وأسماها الحماية اللغوية، وهي قضية اتخذت أشكالا متعددة، وصيغا مختلفة باختلاف أوضاع اللغات، وباختلاف المشاكل التي تتخبط فيها، والظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها المستهدفون بذلك. والمقصود بالحماية اللغوية في هذا العرض مناعة اللغة العربية ضد كل موجبات الضعف، وصيانتها من كل أساليب التهجين، وأسباب التخلف، وتحصينها من كل أشكال الاختراق، وإصـــلاحها بكل ما يضمن استمرارها، ويستشرف مستقبلها. ولذلك يرتبط مفهوم الحماية اللغوية[١] بمفاهيم أخرى مثل:(التحديث اللغوي)، و(التنمية اللغوية)، و(إصلاح اللغات)، و(الصيانة اللغوية)، و(التكيف اللغوي)، وهي كلها مفاهيم لا تجنح إلى (الدفاع) أو (المقاومة)، أو (المهاجمة) وما يشبه ذلك من المفاهيم التي تنتمي إلى الحقل الدلالي للحرب والتمترس في الحصون، والتقوقع في الخنادق، بقدر ما تميل إلى التطوير اللغوي أو التنمية، والقضاء

١ــ انظر: فلوريان كولماس: اللغة والاقتصاد. ترجمة: أحمد عوض. عالم المعرفة.٢٦٣/١٤٢١هـــ/٢٠٠٠م.ص.٧١.

على أسباب التخلف عن الركب الحضاري، وعن التطور المعرفي والطفرة التكنولوجية والانفتاح على العوالم، وذلك بتطوير نظامها، وتأهيلها داخليا وخارجيا، وانخراطها في خلق المفاهيم والتصورات، وتدعيم وظائفها، وخدمتها للجماعة اللغوية.

فتفاعل اللغة العربية مع الوقائع والمستجدات، وفعلها في بيئتها وفي محيطها، والنقد المستمر والمتجدد لأوضاعها، كل ذلك يشكل الحماية. والحماية بهذا المفهوم ليست موقفا مناهضا للغير، أو تقوقعا حول الذات، أو تحنيطا وتجميدا وتمجيدا. كما أن الحماية تعني تمكين اللغة في ذاتها، وفي محيطها، وتأهيلها وتأهيل مستعمليها، وتعزيز وجودها واستعمالها في جميع مرافق الحياة، وجعلها تقوم بجميع وظائفها على التمام والكمال. فعندما تبرز القيمة الرمزية الحقيقية للغة العربية، وتكون همّا دائما يشغل المتكلّم بها، شأنها شأن جميع قيمه الدينية والوطنية، الروحية والمعنوية... عندما يكون الأمر كذلك سيتم تصريف اللغة في الحياة العامة؛ في التواصل والإعلام، وفي المدرسة والإدارة، وفي الشارع والنادي، وفي المعمل والمصنع، وفي جميع المرافق. إن حماية اللغة تبدأ بأشكال التحية وعبارات التأدب، وأسماء المأكولات والمشروبات... وتنتهي بخلق المفاهيم والتصورات، وإنتاج المعرفة.

وحماية اللغة تعني ثالثا ضمان استمرارها، والنظر في مستقبلها واستشراف آفاقها. هناك إذن ثلاثة أركان بثلاثة أبعاد: الماضي والحاضر والمستقبل، تقوم عليها الحماية اللغوية؛ التغلب على المعوقات، وتعزيز المكتسبات، واستشراف المستقبل. ولا يتمّ ذلك إلا عبر آليات أهمها التشريع

اللغوي، وتفعيل كل القرارات المنظمة للشأن اللغوي، والتشريعات الحديثة[١]... والكشف عن المواقف المشرقة التي نظمت شأن اللغة؛ الموقف الشرعي، وموقف علماء فقه اللغة، والموقف الأخلاقي من ذلك، وقد ورد في كتاب (روضة الإعلام بمترلة العربية من علوم الإسلام: لابن الأزرق

١_ نماذج التشريعات والقوانين والفرارات المنظمة للغة: ١_ المغرب: القانون رقم ٦٤٣ المؤرخ في ٢٢ رمضان ١٣٨٤ موافق ٢٦ يناير ١٩٦٥. _مذكرة للوزير الأول في ١١ دجنبر ١٩٩٨.(تأمر الإدارات والمؤسسات والجماعات المحلية باستعمال اللغة العربية في مراسلاتها الداخلية والخارجية، وتمنع استعمال أي لغة أخرى إلا في حالات خاصة). _ رسالة الوزير الأول المغربي بتاريخ ٢٢ أبريل ٢٠٠٨. (تعميم استعمال اللغة العربية في جميع المعاملات التي تهم الشأن العام المغربي). ٢ _ قرار مجلس الوزراء في دولة قطر رقم ٩ سنة ١٩٨٧، حيث ينص على (تكليف جميع الوزارات والأجهزة الحكومية الأخرى الالتزام باستعمال اللغة العربية في مكاتبها، وأي بيانات تصدر عنها داخل الدولة باعتبار اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، وفي الحالات التي تقتضي فيها استعمال لغة أجنبية يتعين استعمال اللغة العربية لغة أولى، واللغة الأجنبية لغة ثانية باعتبارها ترجمة للأصل المحرر أساسا باللغة العربية، ثم أكد مجلس الوزراء قراره السابق في تشرين الثاني(نوفمبر) علم ٢٠٠٨". ٣ _ القرار الجمهوري رقم (٤) ٢٠٠٧ الذي أصدره رئيس سوريا حيث تنصّ المادة الأولى منه "على تشكيل لجنة حددت مهمتها في المادة الثانية بإنجاز خطة عمل وطنية تستهدف التمكين للغة العربية، والحفاظ عليها، والاهتمام بإتقانها، والارتقاء بها، ومتابعة خطوات التنفيذ بالتعاون نع الجهات المعنية"([١]). ٤_المملكة العربية السعودية: قرار مجلس الوزراء: ٧٧٩_ ١٦_١٧_٩_١٣٨٩. وخاصة المادة:٢٤. والمادة ٤٦.

الغرناطي) ما يعتبر مرجعا جامعا جمعا شافيا لتلك المواقف، كما يمكن الاستفادة من (العقوبات التي تطال من يخرق حقوق اللغة فرنسا مثلا).. والانتباه إلى القرارات، والمذكرات والتوصيات والنداءات والملتمسات والصيحات والاستغاثات والخلاصات التي تصدر عن الهيئات والمنظمات والمجامع والجمعيات والباحثين الأكاديميين والمربين... إنّ في ذلك كله ترسانة قوية إذا فُعّلت، أو فُعّل جانب منها شكّل قوّة للعربية. كما أنها مواقف في عمقها نتيجة تأمل وتدبر، أو دراسة أو ملاحظة، أو إحساس تفسي، أو شعور عاطفي. وحجيتها تجعل منها قوة اقتراحية تحتاج إلى تنظيم وتأطير وإشراف حكومي، أو إقليمي أو منظماتي. وهو أمر لا يناقض مبادئ تنظيم الحقل اللغوي على المستوى الكوني، فإذا كانت بعض القوانين الحديثة قد استلهمت من القانون الفرنسي بالخصوص، والقانون الإنجليزي، والقوانين الدولية على العموم، في أمور تنظيم الحياة العامة فلمَ لم يُستلهم من روح (قانون توبون ١٩٩٤ في حماية اللغة الفرنسية) ما يخدم العربية، وإذا كانت الدول الغربية تصدر قيمها وبضائعها فلم لم تصدّر، ولا تصدّر طريقة تعاملها مع المسألة اللغوية، وفنون حمايتها للغة؟

إنّ الحماية اللغوية هي الضمان الأساسي للسلم اللغوي كما أن الحماية الاجتماعية هي الضمان الأساسي للسلم الاجتماعي، فعندما يشعر المواطن العربي أن لغته في مأمن، وهويته في أمان، وحقوقه في الحفظ، وكرامته في الصون، يشعر بحس الانتماء وقوته، ودفء الوعي بمسؤولية الواجبات. ولذلك ينبني السلم اللغوي على شرطين؛ شرط تحديد الحقوق

وتكريسها، وشرط توفير الحماية، وتفعيل دورها. لكل دولة أو أمة أو شعب أن يدافع عن لغته بأي شكل من الأشكال، وليس لأيّ كان الحق؛ دولة كانت أو مؤسسة أو سلطة... أن يفرض على الآخرين لغته. أو أن يعلّم العربيّ كيف يحبّ لغته؛ لأنه يعشقها حتى الجنون، أو حتى الموت، وأن يحميها بحبه وعشقه لها؛ لأنه بكل بساطة عربيّ، نسبة إلى العرب والعربية. فماذا يريدونه أن يكون؟

_الخاتمة

إن الاهتمام باللغة العربية ليس شعارا آنيا استهلاكيا، أو نزوعا عاطفيا اندفاعيا... وإنما هو نظر وتنظير. وعمل وتطبيق، عمل على إعطاء اللغة العربية (باعتبارها مفهوما وصفة تميز مجموع المتكلمين بها) المكانة التي تستحقها، ويجب أن تكون لها، والأجدر بها، وهي نفس المكانة التي ضمنت لها البقاء ولاستمرار، وجعلتها لغة إنتاج المعرفة، وأداة نشر المعرفة بجميع أبعادها. وهو تطبيق يبدأ بإيمان المتكلم بها، وبمردوديتها إيمانا يجعله يعتز بها، ويفتخر بها، ويحبها باعتبارها هويّة ووطنا. كما أن الاهتمام بها يجب أن يرتبط بها في ذاتها وطبيعتها ومكوناتها الداخلية كلغة لا تختلف عن اللغات العالمية المؤهلة التي مكّنت مستعمليها على تطويع الآليات العلمية لاستخدام التقنيات والاتصالات الحديثة. وكل ذلك في إطار سياسة لغوية أسسها علمية، وأهدافها اجتماعية تنموية، تمكن المتكلمين بها من النهضة الشاملة الدينية والاقتصادية والثقافية والسياسية. نهضة تجعله مساهما في الحضارة الإنسانية، ومشاركا في تصوراتها، وفي إنتاج الآليات المعرفية.

إن التعددية ليست دائما صراعا أو حربا لغوية. كما أنّ الازدواجية مظهر طبيعي في الوسط اللغوي العربي، يتسم بالتسامح والتفاهم والتعايش

والتكامل في الأدوار، التناغم في الوظائف. وزمن الزحف اللهجي، واستقواء اللغات الأجنبية لا مكان له في زمن السلم اللغوي الذي يرشّد التنوع، ويدبّر الاختلاف. وينمي الوعي اللغوي، ويعزز الهوية. وينتصر للعلم، وينظر إلى اللغة بعين العقل، ويلتزم بأخلاق المعرفة. إن المشكلة ليست معضلة اللغة في ذاتها، وأزمة اللغة ليست في اللغة باعتبارها لغة، وإنما المشكل هو مشكل خارج لغوي، أو فوق لغوي.

المصادر والمراجع

١. ــ إبراهيمي، آمنة (٢٠٠٣): التخطيط اللغوي ووضع اللغة العربية بالمغرب. أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس، الرباط. ٢٠٠٣. (مرقون).

٢. ــ إبراهيمي، آمنة (٢٠٠٧): وضع اللغة العربية بالمغرب: وصف ورصد وتخطيط. منشورات زاوية. المغرب. ٢٠٠٧.

٣. ــ الأوراغي، محمد (٢٠٠٢): التعدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي. منشورات جامعة محمد الخامس. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. المغرب. سلسلة بحوث ودراسات: رقم:٣٦.

٤. ــبلعيد، صالح (١٩٩٨): قرار تعميم اللغة العربية واستعمالها: رأي في التجربة الجزائرية. في: اللسان العربي. مجلة تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مكتب تنسيق التعريب بالرباط. المغرب. العدد.٤٦. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٥. ــ بلعيد، صالح (١٩٩٩): اللغة العربية والتعريب العلمي: آراء وحلول. في التعريب. مجلة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر. بدمشق. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. العدد ١٨. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩.

٦. جحفة، عبد المجيد (٢٠٠٩): المسألة اللغوية في تقرير (الخمسينية). في: بصمات٠٤. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء. المغرب. ٢٠٠٩.

٧. ــ جيمس.أ. طوليفسن(٢٠٠٢): السياسة اللغوية وتعليم اللغة. ترجمة: محمد خطابي. في علامات، مجلة ثقافية. العدد ٢٠٠٢/١٧. المغرب.

٨. ــ أبو حطب، سيد أحمد عبد الواحد (١٩٩٧): نظرة في الازدواج اللغوي. في بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. كلية اللغة العربية في الرياض. المملكة العربية السعودية. ١٣١٨هـ/١٩٩٧م. المجلد الأول.

٩. ــ حنون، مبارك (١٩٩٩): الوضع اللغوي بالمغرب في أفق العولمة: نحو إيكولوجيا لغوية. في مجلة: فكر ونقد.ع.٢٤. س٣. ١٩٩٩. المغرب.

١٠. ــ خربوش، ثريا (٢٠٠٥): الازدواجية اللغوية: خصائص ومحدّدات. في: فكر مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد٧. سنة ٢٠٠٥. المغرب.

١١. ــ الذواحي، محمد(١٩٩٥): في مخاطر الازدواجيات اللغوية والثقافية على اللغة الوطنية والهوية الجماعية. في: الفكر العربي. مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية. العدد٨٠، السنة ١٦ــ٢/ ١٩٩٥.

١٢. ــ الراضي، محمد (٢٠٠٤): أنماط السياسة اللغوية والوضع اللغوي بالمغرب. في: لغة الحق ولغة القانون. إشراف عبد القادر الفاسي الفهري. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. المغرب. ٢٠٠٤.

١٣. ــ الرامي، عبد الوهاب (١٩٩٨): عربية الصحافة المكتوبة: من وهم التوحيد إلى شرط التعدد. في عربية الصحافة. إعداد عبد القادر الفاسي

الفهري وتنسيق أحمد بريسول. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. ١٩٩٨.

١٤. ـ روبرت.ل. كوبر التخطيط اللغوي والتغيير الاجتماعي. ترجمة: خليفة أبو بكر الأسود. مجلس الثقافة العام.٢٠٠٦.

١٥. ـ الزغول، محمد راجي(٢٠٠٤): لغة القوة وقوة اللغة في التعليم العالي في العالم العربي: الصراعات والهيمنة والتحول في الاستخدام اللغوي. في: اللسان العربي.العدد ٥٨. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. مجلة يصدرها مكتب تنسيق التعريب. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالرباط. المغرب.

١٦. ـ الزغير، محمد عبده (٢٠٠٧): اللغة والهوية: في إطار محور تحديد أدوار اللغة العربية ووظائفها في تشكيل هواية الطفل العربي. في: لغة الطفل العربي في عصر العولمة. وثائق ودراسات، منشورات المجلس العربي للطفولة والتنمية. ٢٠٠٧.

١٧. - السيد، محمود (٢٠١٠): اللغة العربية "واقعا وارتقاء" سلسلة تمكين اللغة العربية(١). منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب. دمشق. ٢٠١٠.

١٨. ـ الشريف، حسن (٢٠٠٢): العولمة والثقافة واللغة: القضايا الفنية. في: أسئلة اللغة. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. المغرب. ٢٠٠٢.

١٩. ـ أبو صالح، عبد القدوس (١٩٩٧): ازدواج اللغة العربية في المدارس والجامعات: في. بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة

الجامعية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. كلية اللغة العربية في الرياض. ١٤١٨هـ،١٩٩٧م. المجلد الأول.

٢٠. _ طعيمة، رشدي أحمد (٢٠٠٧): اللغة العربية بين مهدّدات الفناء ومقومات البقاء. في: لغة الطفل العربي في عصر العولمة. وثائق ودراسات، منشورات المجلس العربي للطفولة والتنمية. ٢٠٠٧.

٢١. _ العشيري، محمد نافع (٢٠٠٨): المشهد اللغوي المغربي: دراسة في ضوء مفهوم الازدواجيات المتراكبة: أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات. جامعة سيدي محمد بن عبد الله. كلية الآداب ظهر المهراز فاس. المغرب.

٢٢. _ العناتي، وليد أحمد (٢٠٠٣): العولمة اللغوية: التداول بالإنجليزية في العالم العربي. مثل من الأردن. في اللغة العربية وتحديات العصر. منشورات جامعة البترا الخاصة. ٢٠٠٣.

٢٣. _ الفاسي الفهري، عبد القادر (٢٠٠٤): دعم اللغة العربية تعزيزا للهوية القومية والتنمية المجتمعية. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. المغرب. تقارير ووثائق رقم ٦. ٢٠٠٤.

٢٤. _ الفاسي الفهري، عبد القادر (٢٠١٠): أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعدّدية وتعثرات الترجمة. دار الكتاب الجديد المتحدة. لبنان ٢٠١٠.

٢٥. _ الفاسي الفهري، عبد القادر (١٩٩٩): اكتساب اللغة العربية والتعليم اللغوي المتعدد. في: أبحاث لسانية. العدد ١_٢. المجلد ١٩٩٩/٤. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. المغرب.

٢٦. ـ القاسمي، على (١٩٩٧): تخطيط السياسة في الوطن العربي: السياسة اللغوية لوسائل الإعلام. في: أبحاث لسانية. العدد١. المجلد٢. ١٩٩٧. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. المغرب.

٢٧. ـ القبلي، محمد (٢٠٠٩): حول بعض جذور الوضع اللغوي الحالي بالمغرب. في: بصمات٠٤ /٢٠٠٩. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء المغرب. ملف العدد: التعدد اللغوي بالمغرب.

٢٨. ـ القحطاني، عبد المحسن بن فرّاح (١٩٩٧): أثر المجتمع والأسرة في الازدواج اللغوي بين الفصحى والعامية. في. بحوث ندوة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. كلية اللغة العربية في الرياض. المملكة العربية السعودية.

٢٩. ـ الكتاني، إدريس (٢٠٠٠): ثمانون عاما من الحرب الفرنكوفونية ضدّ الإسلام واللغة العربية. منشورات نادي الفكر الإسلامي. الرباط. المغرب، ٢٠٠٠.

٣٠. ـ كولماس، فلوريان (١٩٩٢): اللغة والاقتصاد. ترجمة: أحمد عوض. مراجعة عبد السلام رضوان. عالم المعرفة. ٢٦٣. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. الكويت.

٣١. ـ لويس جون كالفه: إيكولوجيا لغات العالم. ترجمة: باتسي جمال الدين. المجلس الأعلى للثقافة. ٢٠٠٤.

٣٢. ـ لويس جون كالفه: السياسات اللغوية. ترجمة: محمد يحياتن. منشورات الاختلاف. الجزائر. الدار العربية للعلوم ناشرون. لبنان.٢٠٠٩.

٣٣. _ المسدي عبد السلام (٢٠١١): العرب والانتحار اللغوي. دار الكتاب الجديد المتحدة. لبنان ٢٠١١.

٣٤. _ المسدي عبد السلام وطعيمة رشدي (٢٠٠٨): استراتيجية تنمية لغة الطفل. في مجلة: الطفولة والتنمية. العدد ١٦. ٢٠٠٨. المجلس العربي للطفولة والتنمية.

٣٥. _ ناصف، على النجدي(١٩٥٣): من قضايا اللغة والنحو. مكتبة نهضة مصر بالفجالة. مطبعة الرسالة. مصر.

٣٦. _ نبيل علي (١٩٩٤): العرب وعصر المعلومات. عالم المعرفة.١٨٤ . ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. الكويت.

٣٧. _ نبيل، علي (٢٠٠١): الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة. ٢٦٥. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، الكويت.

٣٨. _ نعيمي، صادق محمد (٢٠٠٨): التاريخ الفكري لأزمة اللغة العربية. أفريقيا الشرق، المغرب.٢٠٠٨.

٣٩. _ هاليداي. م.أ. ك.:وظائف اللغة. ترجمة. محمود أحمد نخلة. في: اللسان العربي. العدد ٥٤، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. مكتب تنسيق التعريب بالرباط. المغرب.

٤٠. _ واحي ، إدريس (١٩٩٢): الازدواجية والثنائية في الوضع اللغوي بالمغرب. بحث لنيل (د.د.ع.). جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، ١٩٩٢.

٤١. ـ الودغيري، عبد العالي (٢٠٠٠): اللغة والدين والهوية. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء المغرب. ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٤٢. ـ يجيوي، عبد الرحمان (١٩٩٩): الوضع اللغوي بجامعة القرويين وسبل النهوض به. في مجلة: حوليات كلية اللغة العربية. مراكش. المغرب. العدد ١٣. ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٤٣. ـ يجيوي، عبد الرحمان (٢٠٠٣): دراسة تقويمية لمناهج تدريس اللغة العربية واللسانيات في الجامعة المغربية. في مجلة: حوليات كلية اللغة العربية. مراكش. المغرب. العدد١٧. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٤٤. ـ اليملاحي، أمينة (٢٠٠٤): اللغة العربية بين التعدد والرسمية. في. لغة الحق ولغة القانون. إشراف عبد القادر الفاسي الفهري. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. الجزء ٣. ٢٠٠٤.

أعمال ندوات وأوراق ووثائق:

١. ـ **أسئلة اللغة**: إعداد عبد القادر الفاسي الفهري وعبدالرزاق تورابي وأحمد بريسول. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. جامعة محمد الخامس ـ السويسي. الرباط، المغرب. ٢٠٠٢.

٢. ـ **التعدد اللغوي بالمغرب**. مجلة: بصمات ٢٠٠٩/٠٤. منشورات جامعة الحسن الثاني بالمحمدية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك الدار البيضاء. المغرب.

٣. _ **تعليم اللغات: نظريات ومناهج وتطبيقات**. أعمال ندوة نظمتها جامعة مولاي إسماعيل. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. مكناس. المغرب. أيام: ٢٢ و٢٣ و٢٤ أكتوبر ٢٠٠٢.

٤. _ **حماية اللغة**. أعمال ندوة. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب. جامعة محمد الخامس _ السويسي. الرباط. المغرب. ٢٠٠٤.

٥. _ **لغة الحق ولغة القانون**. أعمال الأيام الدراسية ١_٣ يوليوز ٢٠٠٣. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط المغرب. ٢٠٠٤.

٦. _ **لغة الطفل في عصر العولمة**: وثائق ودراسات مؤتمر لغة الطفل العربي في عصر العولمة. (١٧-١٩ فبراير ٢٠٠٧). المجلس العربي للطفولة والتنمية. دار العلوم للنشر والتوزيع ٢٠٠٨. القاهرة.

٧. _ **اللغة العربية وتحديات العصر**: وقائع الندوتين المنعقدتين بجامعة البترا الخاصة:

_ الهوية اللغوية والعولمة (٢٦ و٢٧/ ٠٥/ ٢٠٠٣)

_ اللغة العربية والهوية القومية (٢١/٠٣/٢٠٠٥)

منشورات جامعة البترا الخاصة، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا. الأردن.

٨. _ **ظاهرة الضعف اللغوي في المراحل الجامعية**: بحوث ندوة. (٢٣_٢٥/٥/١٤١٦هـ_ الموافق ١٧_١٩/١٠/١٩٩٥م. منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. كلية اللغة العربية في الرياض. المملكة العربية السعودية. ١٤١٨هـ_ ١٩٩٧م.

٩. _ **مستقبل اللغات بالمغرب.** (مداخلات الندوة التي نظمتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية يومي ١٠ و١١ أبريل ٢٠٠١). منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية. سلسلة الندوات رقم١٤. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. ٢٠٠٢.

١٠. _ **المعالجة الآلية للغة العربية:** وقائع الندوة الدولية التي نظمها معهد الأبحاث للتعريب. أيام: ٥-٦-٧ يونيو ٢٠٠٦. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. المغرب. ٢٠٠٦.

_ **المعالجة الآلية للغة العربية.** ندوة دولية (CITALA'٠٧). ١٨-١٩ يونيو ٢٠٠٧. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. المغرب. ٢٠٠٧

_ **المعالجة الآلية للغة العربية.** وقائع الندوة الدولية الثالثة (CITALA'٠٩). ٤-٥ ماي ٢٠٠٩. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط. المغرب. ٢٠٠٩

١١. _ **وضع اللغة والأدب العربيين في الجامعة.** أعمال الندوة الوطنية التي نظمتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة. المغرب يومي ٠٩ و١٠ دجتبر ٢٠٠٣. سلسلة ندوات ومناظرات رقم٧.

_ BENVINISTE, Emil (١٩٦٦): Problèmes de linguistique générale, ١. Ed, Gallimard

_ CALVET, Luis-Jean (١٩٨٧): La guerre des langues, Ed. Payot, Paris.

_ HAGEGE, Claud (٢٠٠٢): Halte à la mort des langues. Ed. Odile

Jacop. Paris.
_ JUDGE, Anne (٢٠٠٤): Codification, standarisation et défense de la langue française.
في; حماية اللغة. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريف. بالرباط. ٢٠٠٤.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

الفصحى واللهجات العربية المعاصرة
علاقة اتصال أم انفصال؟

إعداد

الأستاذ الدكتور/ عبد العالي ودغيري

ظاهرةُ تعدُّد مُستَوَيات الاستعمال داخلَ كلِّ لغةٍ من اللغاتِ البشَرية، هي في حدِّ ذاتها ظاهرةٌ طبيعيةٌ عاديةٌ لا تكادُ تخلو منها لغةٌ من اللغات، ولاسيما اللغات ذات الرَّصيد الحضاري والمَعرفيِّ الثقافي والعِلمي والأدبي الضَّخم، وذات الامتداد الزَّمَني والجُغرافي الواسِع والاحتكاك الطويل بأكبَر عددٍ من الثقافات واللغات والحضارات. فليس هناك لغةٌ بَشَريةٌ مُقتَصِرةٌ على مستوىً واحد من الاستعمال إلا إذا كانت لغةً معزولةً ومحدودةَ الانتشار جداً وليس لها أيُّ تاريخ ثقافي وعلمي. وأقَلُّ ما يُمكِن أن يوجَد في اللغات العادية مُستَوَيان اثنان: أحدُهما مَكتُوبٌ يَستوعِبُ اللغةَ «العَالِمةَ» التي يستعملُها العلماءُ والمُثَقَّفون عامةً ورجالُ الفكر والأدب ومختلَف أصناف العُلوم والصحافة والإعلام والإدارة، وهُم يُفكِّرون في رَويةٍ وأَناة، ويكتبُون في غيرِ ما عَجَلَة وارتجالٍ، ويُلقُون خِطابَاتهم التي أَمعنُوا فيها النَّظَرَ وراجَعُوا كلَّ كلمةٍ أو عبارةٍ منها حتى يكون لها الوَقعُ المَرغُوبُ، والثاني شَفَويٌّ يستعملهُ الناسُ عامةً ـــ مُتعلِّمون وغيرُهُم ـــ في تخاطُبهم الآني اللَّحظِيِّ السَّريع الصادِرِ عن تِلقائيةٍ وعَفويةٍ وارتجالٍ، لا عن توقُّفٍ وتَدبُّرٍ وتَأَمُّلٍ. والمستوى الأولُ هو الذي يُطلَقُ عليه عادةً اسمُ (الفصيحِ) ـــ وقد يسمَّى الأدبيَّ أو الثقافي، ويسميه فرجسون وغيرُه من علماء اللسانيات الاجتماعية بالشكل الأعلى (high variety). والثاني هو الذي يُطلَقُ عليه اسمُ (العامي)، أو الدارِجُ، أو المُرتَجَلُ، أو الشَّعبي، ويسميه علماءُ اللسانيات الاجتماعية بالشكل الأدنى (low variety)... وليس ذلك قَدحاً فيه، ولكنه مُجرَّدُ تحديدٍ لمجالات استخدامه ووصفٍ لوظيفته. وكما أن هنالك

ثقافةً عالِمةً وثقافةً شعبية، وأَدَباً فَصيحاً وآخَر يُسمّى شَعبياً، هنالك في مُوازاة ذلك، لغةٌ عالِمةٌ ولغةٌ شعبيةٌ. وقد تسمى الكلمةُ أو العبارةُ عاميةً أو شعبية لمجرد أنها أصبحت مُبتَذَلَةً (familière)[١] بكثرة تداولها بين الناس، فيتَجنَّبُ استعمالَها المُتأنِّقون والمُتحَذلقون من المُثقَّفين والفُصحاء الذين يتنافسون في البحث عما يَرفعُهم ويُميِّزُهم عن بقية مُستعمِلي اللغة، وبذلك تُضافُ إلى سِجلِّ الألفاظ الشعبية أو العامية، رغم أنها في الأصل من الفصيح الذي لا غُبارَ عليه. لا لسَبَبٍ إلا لهذا الابتذال وكثرةِ التداوُلِ الذي قد يُطلقون عليه (الإسفافَ) أيضاً، فعبارةُ (بيت الماء) مثلاً، عبارةٌ صحيحةٌ دالةٌ في المغرب على المكان الذي يُستعمَلُ للوُضوء والطهارة، لكن الفئة المُثقَّفة تَستنكِفُ من استعمالها في كتاباتها الفصيحة، وتستعيضُ عنها بكلمة (مِرحاض) أو (مَطهَرة) أو (كَنيف)، لا لسبَبٍ إلا ما ذكرتُ. وكلمةُ (عَفَس) بمعنى داسَ فَصيحة نَصَّت عليها القواميسُ القديمة، لكن المُتأَدّبين في المغرب يربأُون بأَنفُسهم عن استعمالها؛ لأنها من كثرة الابتذال أصبحت مقصورةً على المستوى الشعبي، وأصبح نادراً بين الناس من يعرف أنها عربيةٌ فصيحةٌ صحيحة. وكذلك فعلُ (حَشَمَ أو حَشِمَ) يستعملهُ العامةُ عندنا

---

[١] في الفرنسية يقسِّمون مستويات أساليب الاستخدام للغتهم إلى الدرجات الآتية: المستوى الرفيع: recherché، والمستوى الأدبي: littéraire، والمستوى المُبتذَل: familier، والمستوى الشعبي:vulgaire. وأما تَدَرُّجات اللغة فهي على النحو الآتي: langue, dialecte, parler, patois, argot (لغة ، لهجة، لُغَيَّة ، لهجة إقليمية، عامية).

فتَستنكِفُ منه الخاصةُ وتستعيضُ عنه ب(استحيَى وخَجِلَ أو احتَشَمَ)، أما المَصدر من هذا الفعل، فلا أجدُ أحداً من الخاصة يستعمل (الحُشُوم) رغم فصاحته، فقد تخلَّوا عنه للعامة التي تستعمله بصيغة التأنيث (الحُشُومة)، أما الخاصة فتستعملُ بدلَه (الحِشمةِ) و(الاحتشام). والسبَبُ هو ذاتُه دائماً.

ومن أشهر الألفاظ التي تُهجَرُ لكثرة الابتذال الألفاظُ الدالةُ على أعضاءِ الجنس وما يتعلَّقُ بها من مُمارَسات، وما أكثرها في اللغات. فكلما شاع لفظٌ منها، افتضَحَ أَمرُه، وأصبحُ ذكرُه في بعض المقامات يُسبِّبُ حَرَجاً لُمستعمِله، فيُستَبدَلُ بلفظٍ غيرِه باللُّجوء إلى أُسلوب الكناية أو الاستعارة والمجاز. والابتذالُ هو أَحدُ العوامل المؤدِّية إلى تكاثُر ظاهرة التَّرادفِ والمُترادِفات في اللغات.

وليس الابتذالُ وحدَه الذي يُميِّزُ المستوى العاميَّ عن الفصيح. وإنما أيضاً هناك اللَّحنُ والتَّحريف الصوتيُّ والدلالي والنحوي والصرفي والإكثارُ من الأعجمي دون تقيُّدٍ بالقواعد المَرعيَّة في التعريب والتعاملِ مع الأجنبي الدخيل. فالمثقَّفُ مثلاً يقول: (الأستاذ) والعاميُّ يقول: الأُستاز(بإبدال الدال زاياً كما في لهجة المصريّين)، والأول يقول: صَغيرٌ والثاني يقول (زغير) في اللهجة اللبنانية والشامية، والمُثقَّف يعرف أن العربية لا تبتدئ بساكِن، فيقول (مَتاعٌ ــ غَريب ــ كَبير...الخ) والعامي لا يحترم مثل هذه القاعدة فيقول (مْتاع ــ غْريب ــ كْبيرْ... الخ). والأول يقول (دخل الناسُ) والآخر يقول: (دَخَلوا الناس) ، والأول يقول في مخاطبة جماعة الإناث: (أنتُنَّ) والآخر يخاطبهُن بقوله (أَنتُما) كما في لهجة المغرب. والمُثَقَّفُ يعرف أن

أصوات (V – P - G) لا تُستعمَل في العربية، ولذلك فهو يُحوِّلُ كلَّ صوتٍ منها عند نَقل كلمةٍ أجنبية إلى أصواتٍ أخرى موجودةٍ في العربية، وقد يتصرَّفون في الكلمة بالتغيير إضافةً وحَذفاً وتَحويراً حتى يُلحقُوها ببناء عربيٍّ سليمٍ كما قال سيبويه[1]، والآخر يتكلَّم على سَجيَّته لا يُبالي بشيءٍ من ذلك. فالعاميُّ يستعمل كلمة (التْرامْوايْ أو الطْرامْوايْ) على هذا النحو الغريب على النظام الصرفي العربي، والمُثَقَّف لا يُرضيه ذلك، فيحاول إخراجَ الكلمة في صيغة من الصيغ المقبولة عربياً فيقول مثلاً (التِّرامُ أو الطِّرامُ) إلحاقاً لها بصيغةِ (فِعال) كفِطامٍ وقِطارٍ وكِتابٍ ونحوها. والمُثَقَّف يعمدُ في الغالب إلى ترجمة اللفظ الأجنبي أو البحث عن مقابلٍ له في اللغة المُستَقبِلة، والعامي لا يبالي بذلك، ولا يُتعبُ نفسَه بالبحث والمُعاناة، فيأتي باللفظ الأعجمي على صورته الغريبة الفَجَّة، ولذلك ترى الأول يقول (هاتف، محمول، ناسُوخ، سَيّارة أو عَرَبَة... الخ) والثاني يقول: (تلفون، بُورطابل، فاكس، طُوموبيل..).

على أننا نجدُ ـــ في العادة ـــ حتى داخلَ كلِّ طبَقةٍ من هاتين الطبَقتَين (أو شَكلَي الاستعمال المذكورَين) مُستوياتٍ ودرَجاتٍ مُتفاوِتةً. فداخلَ العربية الفُصحى القديمة مثلاً، كنا نجدُهم يُقسِّمون الكلامَ العربيَّ من حيثُ درجةُ الفَصاحة إلى: أفصَح وفَصيح وأقلُّ فصاحة، وذلك حسَبَ الهَرَمية. الآتية:

ـــ كلامُ الله (وهو أَفصَحُ كلامٍ عربيٍّ على الإطلاق) المُتمَثِّل في النَّص

[1] انظر: (باب ما أُعرِبَ من الأعجمية) في **كتاب سيبويه** ١/ ٣٠٢ .

القرآني المُنزَّل.

ــ كلامُ رسولِ الله (صلى الله عليه وسلَمَ) وهو أفصَحُ العرَب. ويتَمَثَّلُ في النصوص الحَديثية المَرويَّة باللفظ لا بالمعنى وحده.

ــ كلامُ قُرَيشٍ وهي أفصحُ القبائل العربية كما قالوا.

ــ كلامُ القبائل الفصيحة الأخرى التي أُخِذَ منها اللسانُ العربي (وهي مُحدَّدة في نص الفارابي وغيره)[١].

ــ كلامُ بقية القبائل العربية الأخرى، وهو أَقَلُّ المراتب فصاحةً يُحفَظُ ولا يُقاسُ عليه.

وقال السيوطي في التمييز بين الفصيح والأفصح: «قال في **الجمهرة**: البُرُّ أفصَحُ من قولهم القَمحُ والحِنطة، وأَنصَبَه المرَضُ أَعلى مِن نَصَبَه، وغَلَبه غَلَباً أَفصَحُ من غَلْباَ، واللُّغُوبُ أَفصَحُ من اللَّغْبِ (...) وفي **الصَّحاح**: ضَربَةُ لازِبٍ أَفصَحُ من لازِمٍ، وبُهِتَ أَفصَحُ من بَهُتَ وبَهِتَ...»[٢].

وحتى داخل مستوى اللهجات العربية القديمة، كان الناسُ يُفاضِلون بين هذه اللهجة وتلك، فقد ذَمُّوا مثلاً بعضَ اللهجات لما فيها من الكَشكَسةَ أو الكَسكَسة أو العَنعَنَة أو الفَحفَحة أو التَّلتَلة أو العَجعَجة أو التَّضَجُّع أو الاستنطاء، أو الطُّمطُمانية (وهي لهجةُ حِمير اليَمَنية)، وصَنَّفوها ضمن (المَذموم) أو (المُستَقبَح) أو (المُستَبشَع) أو (الرديء)، وفضَّلوا لغةَ قريش

---

١ انظر: المزهر للسيوطي ١/٢١١ ــ ٢١٢، **وقضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب**: ص: ١٥٩.

٢ **المزهر** ١/ ٢١٢

لكونها خاليةً من مثل هذه « العُيوب».

أما في الفُصحى الحديثة، فنحن أيضاً نستطيع أن نميِّز بين مستوى لغة النَّثر الفَنِّي التي تصدُرُ عن كبار الأدباءِ والشُّعراءِ والكُتّاب، ولغة الكتاباتِ العلمية ذات المجالات المختلفة، ولغةِ الِّدين، ولغة الإدارة والصحافة والإعلام والخِطابات السياسية. كما نستطيع في العامية أن نميِّز بين لغة الفئة المُتعلِّمة من الناس، والفئة المُوغِلة في الجهل والانعزال والأُمِّية، والفئة المتوسِّطة بين هاتين الطبقتين، كما نميِّز بين عامِّية أصحاب كلِّ حِرفة أو مِهنة أو صناعة، وبين عاميات كلِّ مِنطقة من مناطق البَلَد العربِّي الواحِد، فأحرى بين عامياتِ كلِّ بلَد على حِدة. ولا يقتصِرُ الاختلاف بين كُتّاب الفُصحى على الجانب المُعجمي وتتزيل الألفاظ في مراتبَ متفاوتة، وإنما يتجاوزُه إلى أساليب التركيب والنَّظم التي تختلفُ من مستوى لغويٍّ إلى آخر. فتجد الكاتبَ الذي يُمعِنُ في اختيار أُسلوبه وألفاظه وتراكيبه ويحاول الارتفاع بها إلى درجة الخاصةٍ أو خاصة الخاصة، وتجد الآخر الذي يكتُب بلغة بسيطة أقربَ ما تكون إلى العامية، ولا يُحرِجُه أن يضع فيما يَكتُب عباراتٍ أجنبية أو شعبية أو مُبتذَلة، فهو على سجيَّته يعبِّرُ بعفوية تامةٍ كما يُعبِّرُ الإنسانُ الشعبيُّ.

وهذا التقسيم التَّزامُني أو الأُفُقي لمستوياتِ الفُصحى والعامية يُقابِلُه أيضاً تقسيمٌ تاريخي أو عَمُودي يعكِسُ التطوّر الطبيعي الذي مَرَّت به هذه اللغةُ، فنقول في الفُصحى مثلاً: فُصحى العصر الجاهلي، وفُصحى العصر الإسلامي الأول، وفُصحى العصر العباسي، وفُصحى العُصور المتأخرة، وفُصحى بداية عصر النهضة الحديثة، والفُصحى المعاصِرة. ومثلُ ذلك يمكن أن نفعلَه مع اللهجات أو العاميات، فهي تختلفُ باختلاف التاريخ كما

تختلفُ باختلاف الجُغرافيا، واختلاف طبقات المُستعملين ومِهَنِهم ونوعيَّتهم ومُستواهم الثقافي.

ثم إن معايير الحُكمِ بالفَصاحة على كلمة أو تركيب تختلفُ من مجالٍ معرفيٍّ إلى آخر. فالفصيح نحوياً ليس هو الفصيح بلاغياً أو صوتياً أو مُعجمياً[١].

إذن هناك داءٌ-ماً مستوياتٌ من الاستعمال سواءٌ بين طبَقَتَي الفُصحى والعامية، أم بين شرائح كلِّ طبقة منهما. وإلى هنا تبدو المسألةُ عاديةً ومقبولةً وطبيعية، بل قد تبدو وكأنها علامةٌ من علامات الصِّحَّة والعافية في اللغات، وثَرائِها وغِناها وتنوُّع أساليبها ومُستوَيات استخدامها، وأن ذلك لا يتمُّ للغةٍ من اللغات إلا بعد فترةٍ طويلة من النمُوِّ والتطوُّر والتجارِب الطويلة والاحتكاك والتفاعُل مع محيطاتها الجغرافية والثقافية المختلفة. وقد تعايَشَت فُصحى العربية مع عاميتها طيلةَ العصور السابقة بشكل طبيعي دون أن يُثير ذلك أيَّ إشكال أو إزعاجٍ؛ لأن الجميع كان يعترفُ للفُصحى بمكانتها المُتمَيِّزة، ويُقرُّ بأن العامية إنما هي انحرافٌ بدرجاتٍ مُعيَّنةٍ عن الفُصحى وتطوُّرٌ طبيعيٌّ لها، وبأن كلاًّ من المُستوَيَين يقوم بوظيفته الخاصة به والمُعترَف بها اعترافاً كُلّياً من قِبَل المُجتمع[٢]. بل إن

---

١ راجع الباب الأول من كتابنا: **قضايا المعجم العربي**.

٢ يعتبر كبارُ المتخصِّصين في علم اللغة الاجتماعي وفي مقدمتهم ، فرجسون وفيشمان وفاسولد ، خاصية الوظيفة من أهم الخصائص التي تميِّزُ ظاهرة الثنائية أو الازدواجية اللغوية التي قد تتخذ أشكالاً متعددة: كأن تكون بين لغة وأخرى، أو بين لغة ولهجة من لهجاته، كما قد تكون بين أساليب لغة أو لهجة. المهم أن =

اللَّحنَ ـــ أي الخُروجُ عن قواعد الفُصحى، كان يُتَقبلُ أحياناً في بعض المقامات والسِّياقات قَبُولاً حَسَناً ويُستَملَحُ وجودُه ويُستَظرَف. وعلى ذلك جاءَ قولُ الشاعرُ يصِفُ جاريةً استحسَنَ غناءَها لما فيه من اللَّحن:

مَنطِقٌ صائبٌ وتَلحَنُ أحيا ** ناً. وخيرُ الحَديث ما كان لَحناً[١]

وكذلك كان الأمرُ في بعض المُوشَّحات التي يَتعمَّدُ أصحابُها إدخالَ ألفاظ عامية أو دخيلة فيها على سبيل الطُّرفَة والاستملاح.

لكنْ ما الذي حدَثَ حتى أصبحت الظاهرةُ خطيرةً أو مُزعِجةً في عصرنا هذا؟

عادةً ما يبرُزُ المُشكِلُ بين الفُصحى والعامية ويُصبحُ أمراً خطيراً يستدعي التدخُّل والمُعالَجة في حالتَين:

الأُولى: عندما يحدُثُ تباعُدٌ كبير، بين المُستَوَيَين المَكتُوب والمَحكِيِّ، أو حين تتحوَّلُ الهُوَّةُ بين اللغة ولَهجاتها ـــ أو إحدى لَهَجاتها ـــ إلى فَجوةٍ عميقة، يُنذِرُ بانفصالِ الشِّقَّين بعضِهما عن بعضٍ.

الثانية: حين تُستغَلُّ هذه الفَجوةُ لسَبَبٍ عارِضٍ أو إيديولوجية مُعيَّنة، لإعلان القطيعة النهائية بين الطرَفَين، وتمرُّدِ الفَرع على الأصل وإعلان

= يكون هناك شكلٌ أعلى وآخر أدنى تحدِّدهما وظيفةُ كلٍّ منهما (راجع: **ازدواجية اللغة: النظرية والتطبيق**، للدكتور إبراهيم الفلاي ص ١٢٠).

١- كان بعضُ اللغويّين القدامى، ومنهم أبو بكر بن دريد، يُفسِّرُ اللَّحن في هذا البيت بمعنى التَّورية، وهو أن تقول قولاً يَفهَمُه عنكَ ويَخفَى على غيرك. انظر: **الأمالي** لأبي علي القالي. المكتب التجاري، بيروت (دون تاريخ) ج١ص ٦.

استقلاله التامِّ عنه. وقد حدَثَ للَّهجات الرومانية (أو الرومانسية) أن أعلَنَت استقلالَها عن لاتينية القرون الوُسطى وأصبح كلٌّ منها لغةً لوحدِها. وقبل ذلك حدَث للغة العُروبية الأصلية (التي يسمِّيها المستشرقون بالساميَّة) أن انفرَطَ عِقدُ لَهجاتها حين تباعدَ بعضُها عن بعضٍ شيئاً فشيئاً، فأصبحنا أمام لغاتٍ مستقلَّة عوِضَ لهجاتٍ للغة واحدة: عربيةٍ وعِبرية وسُريانية وحَبَشية... الخ. والعربيةُ نفسُها انقسَمَت عبرَ مراحِلها التاريخية إلى بائدة وعارِبة ومُستعرِبة، وشمالية وجنوبية. ولقد حَدَثَ أيضاً للهجة العربية التي كانت سائدةً في مالطا (وأصلُها من عربية الشمال الإفريقي) أن تحوَّلت إلى لغةٍ مُستَقلّةٍ بسَببِ ابتعادها عن الفُصحى واختلاطها الشديد بلغاتٍ مَحلّيةٍ إيطاليةٍ وصِقلّيةٍ وغيرهما، وحدثَ أيضاً للهجة العربية المُستعملة في الصُّومال أن تحوَّلت بدورها إلى لغةٍ مُستَقلَّة بعد انحرافها الشديد عن الأصل العربي، ويمكن لعربية تشاد المُكوَّنة من العربية وخليطٍ من الفرنسية ولغات إفريقية محلية، أن تُصبح لغةً مستقلةً.

ولقد استغلَّ دُعاةُ الاحتلال الغربي بالفعل وضعيةَ اللغة العربية، ولاسيما حين وجَدُوها على ما كانت عليه في القرن التاسع من التخلُّف والجُمُود، والتفاوُت الكبير بين فُصحاها ولَهَجاتها. فشَنُّوا حَمَلاتٍ ضارية على الفُصحى متِّهمينَ إيّاها بكُلِّ ما هو معروفٌ عنهم من النُّعوت والأوصاف التي تتفقُ كلُّها على أمرٍ واحدٍ هو أنها لا تصلُحُ لشيءٍ في العصر الحديث. وفي مقابِل ذلك، أفاضُوا وأَسهَبُوا في الإشادة بأهمية العامّيات واللهَجَات المتفرِّعة عنها، وكانوا معها في غاية الكَرَم والسَّخاء والانسجام

والتَّشجيع، داعينَ إلى إحلالها مَحلَّ الفُصحى، ضاربينَ المَثَل دائماً بقصة اللاتينية وما جَرَى لها مع اللغات الرومانية المتفرِّعة عنها. وإذا كان الاحتلالُ الاستيطانيُّ قد ولَّى زَمنُه، أو على الأقل، قد تراجَعَ في الغالِب ولم يعُد مُستساغاً في هذا العصر، فإن الغَزو الثقافي واللغوي ما يزالُ في أَوجِ ازدهاره وعُنفُوانه وقُوَّته وتأثيره. وكلُّ هؤلاء الذين نراهُم اليوم يَهتِفُون باسم (العامِّيات واللهجات) في عالَمنا العربي، ويُطالِبون بإلغاء الفُصحى أو إخراجها من كلِّ المجالات الحيوية وحَصرها في زاوية الاستعمال الديني، هم بلا شكٍ ولا رَيبٍ من الواقعين ـــ بشكلٍ أو بآخر ـــ تحت تأثير هذا الغزو الثقافي الأجنبي. ولو تَفَحَّصتَ مَلِيّاً أَمرَ هؤلاء «المُناضلين» ـــ الذين يرفعون أصواتَهم من داخل الأوطان العربية ـــ من حُماة العامية الدارجة لوجدتَهُم في غالبيتهم العُظمى من خرِّيجي المدارس الأجنبية في الداخل أو الخارِج، وأكثَرَهم لا يعرفُون من العربية إلا وجَهَها اللَّهَجي الدارِج على الأَلسُن الذي تعلَّمُوه بالصُّدفة في الشارِع أو البَيت لا في المعاهِد والمدارس والأكاديميات، ولا علمَ لهم بالفُصحى إلا ما سَمِعوهُ عنها من أساتذهم في تلك المدارس والجامعات الأجنبية أو ما قرأُوه في كتابات أعداء العربية والحاقدين عليها أو الجاهلين بها. ولن تجد ـــ إلا القليلَ الشاذَّ ـــ أشخاصاً تعلَّموا في المدارس العُمومية الوطنية ببلد من البلدان العربية، فأحرى الذين نشأَوا منذ الصغر على حُبِّ لُغة أُمَّتهم، يقفُون في وجه الفُصحى أو يتحمَّسُون لإبادها وإحلال العامية محلَّها. وهنا يبرُزُ أَمامنا الدورُ الخطيرُ الذي تقومُ به المدارسُ الأجنبيةُ التي تنخُر كِيانَنا العربي في صَمتٍ. فإذا كنتُم

تحسبون أنها تقدِّم لأبنائنا النوعيةَ الجيِّدة أو الراقية من التعليم، فلتعلموا أيضاً أنها تعملُ زاحفَةً غيرَ مُتوانية ولا مُتَمَهِّلة، نحو تكوين أجيالٍ من النُّخبة تتقوَّى يوماً بعدَ آخر لتُحدِثَ أقصى ما يُمكنُ إحداثُه من الشُّروح داخل النسيج المُجتَمعي الذي لا يُنتِجُ سوى صراعاتٍ فكرية ولغوية تُهدِّدُ الانسجامَ والتماسُكَ الاجتماعيَّين باستمرار. ولا يعملُ سوى على تفكيك وحدته وتمزيق لُحمته إلى شرائحَ مُتباينة فكراً وسُلوكاً ولغةً، وبالتالي لا يمكن لمجتمع تَنخُرُه هذه الآفاتُ إلا أن يكون ضعيفاً مُهلهَلاً ومُعرَّضاً للخطَر في أمنه الثقافي واللغوي الذي يؤِّثرُ سلبياً على الأمن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وعلى كل مجالات التنمية[١]. ولهذا السبَب بالذات كانت الحركةُ الوطنية بالمغرب في السنوات الأولى من الاستقلال قد رسَمت تخطيطاً لغوياً مَبنياً على أُسُس وطنية من أهمها: مبدأ توحيد التعليم، بمعنى توحيد المدارس ذات الوجُّهات المختلفة التي كانت سائدة في فترة الحماية، في مدرسة وطنية تخضع لمناهج تضعها الدولةُ وتُشرِفُ على تنفيذها. حتى تتمكَّن من تخريج أجيال من المتعلِّمين المُتساوين في فُرص التكوين والتحصيل، وفي قدر ضروري من التربية الوطنية والدينية والثقافة والتشبُّع بقيَم المُواطَنة الصالحة والتعلُّق باللغة الوطنية والقومية باعتبارها مُكوِّناً أساسياً من مكوِّنات الهوية.

ولنَعُد الآن إلى سياق حديثنا عن الفَجوة الكبيرة التي قد تؤدي إلى انفصال اللهجات عن اللغة التي تفرَّعَت عنها، لنَسأل: هل بَلَغَت مَسافةُ البُعد بين الفُصحى العربية ولَهجاتها المُعاصِرة إلى الحَدِّ الذي يُشكِّلُ ذلك

١- راجع بحثنا عن: **دور اللغة العربية والتنمية** ٢٠١١م.

الخطر الذي نخشاه؟

في الجواب عن ذلك، نقول: لا مَناصَ منَ الاعتراف بأن الهُوَّةَ بين الفُصحى العربية ولَهجاتها آخِذةٌ في التزايُد، وقد يتَّسِعُ الخَرقُ على الراتِقِ إذا لم يُتَّخَذ أيُّ تدبيرٍ أو تخطيطٍ لغويٍّ فَعالٍ للحدِّ منها. ولا شكَّ في أن هنالك عواملَ ساعدَت على اتِّساعها في الماضي وتعمَلُ على تعميقها في الحاضِر. كما ينبغي الاعترافُ بأن هناك أخطاراً جسيمةً يؤدي إليها هذا الوضعُ إذا استمرَّ على ما هو عليه أو تفاحَشَ وتحوَّلَ لأكثرَ مما هو عليه.

لكننا مع ذلك نقول: إن هذه الهُوَّة رغمَ اعترافنا بوجودها، وبضرورة الحَذَر الشديد منها والتَّحَسُّب لها، فهي الآنَ قابلةً للإصلاح والعِلاج إذا اتُّخِذَت التدابيرُ السريعة اللازمة للحدِّ منها ومُعالجتها معالجة صحيحة ــ كما قُلتُ ــ، ولاسيما أن الأمر لم يصل بعدُ إلى حدِّ القطيعة والانفصال التام بين الفُصحى والعامية كما يُحبُّ بعضُ ضِعاف العُقول وذوو الأهواء المُغرِضة من أعداء الأُمة أن يُصوّروه لنا. فالمسألةُ لا تخلو من تهويلٍ وتضخيمٍ لمشكل المُزاوجة بين الفُصحى والعامية، وأن كثيراً مما يُقالُ ويُكتَب حول هذه الظاهرة فيه كثيرٌ من التضليل والمُغالطة كما بيَّناه في مقالةٍ سابقة[١].

ولمعالجة هذه القضية سوف نتوقَّفُ عند النُّقط الآتية:

أولاها: حجمُ هذه الفجوة الحاصلة، وعلاقات الاتصال والانفصال بين الفُصحى والعاميات المعاصرة.

ثانيتها: العوامل التي أدت إلى تزايُد حَجم هذه الفَجوة ماضياً وحاضراً.

---

١ - الودغيري: **الدعوة إلى الدارجة في المغرب**.

ثالثُتها: الأخطار التي قد تنشأُ عن التهاون في معالجة الظاهرة.

رابعتُها: ملامح التخطيط اللغوي الذي ينبغي العملُ به لتفادي سلبيات الظاهرة.

١ ــ اللهجات المعاصرة وعلاقتها بالفُصحى:

إذا أردنا أن نشخِّص حجمَ الفَجوة الحاصلة بين فُصحى العربية ولَهَجاتها، لا بد لنا من التطرُّق إلى ما هو حاصِلٌ في علاقات الاتصال والانفصال بين المُستَويَين، وقياسِ الدرجة التي وصلت إليها هذه العلاقاتُ من التباعُد أو التقارُب. ومن أجل ذلك نقول:

١ــ ١ ــ علاقات الاتصال:

هناك بين الفصحى ولهجاتها علاقةُ اتصالٍ وعلاقةُ انفصالٍ. وهناك اختلافٌ بين اللهجات فيما يكون فيه الاتصالُ أو الانفصالُ، بمعنى أن مظاهر الاتصال أو الانفصال ليست دائماً متشابِهةً ولا موحَّدة، بل تختلفُ من لهجة إلى أخرى. لكن بالمقابل هناك، بمثابة قاعدة عامة، مساحةٌ مُشترَكة بالضرورة بين الفصحى وكلِّ اللهجات لا بُدَّ أن تظل كذلك، وكلما اتسَعت هذه المساحةُ زاد الاتصالُ، والعكسُ صحيحٌ، أي كلما تقلَّصت مساحةُ المُشترَك زادت مساحةُ الاختلاف.

ورغم أن المجال المعجمي ــ في العادة ــ هو الأكثر عُرضةً للتحوُّلات والتغيُّرات المستمرَّة، فإنه لا بُدَّ مع ذلك من رصيد معجميٍّ ثابِتٍ ومستمِرّ، تشتركُ فيه كلٌّ من اللهجات على اختلافها واللغة الفُصحى بكل مستوياتها. وهذا الرصيدُ المعجمي الوظيفي المشترَك والثابتُ هو النواة الصُّلبة في اللغة

التي تنتقلُ من جيلٍ إلى آخر، وهو الذي يُؤَمِّن إمكانية التواصُل المُستمر بين سائر مُستعمليها على اختلاف لهجاتهم، رغم كل التغيُّرات والتحوُّلات الأخرى، فيضمن بذلك بقاءَ هذه اللغة واستمرارَها، كما يضمن ــ باستمرارها ــ وجودَ تلك العلاقة الاتصالية بين اللهجات والفُصحى. وغالباً ما يتكوَّن الرصيدُ المعجميُّ لهذه النواة الصُّلبة المُشترَكة من الألفاظ الوظيفية الضرورية، تبتدئُ من أسماء الأعضاء الأساسية في جسم الإنسان (رأس، شَعَر، جُمجمة، وجه، عَين، فم، لسان، أسنان، شفة، لحية، كتف، قفا، يَد، ذراع، أصابع، جِلدٌ، عظم، بطن، قلب، كبد، طُحال، رئة، مصارين، فَخِذٌ، وَرِكٌ، رجل ، قدَم... الخ). ثم أسماء بعض ما حول الإنسان من فضاء وطبيعة ومحيط (سماء، أرض، ماءٌ ، تراب، رَملٌ، بحر، صحراء، نهر، واد، جبل، سَهل، حجَر، سحاب، مطر، رعد، برق، نجم، شمس، قمَر، ليل، نهار، صُبح، مساء، ضوء، ظلام، برد، حَرٌّ، جَوٌّ، هواءٌ، رياح، شمال، جنوب، شرق، غرب، فوق، تحتَ، صباح، مساء، ظُهر، عصر، غروب، شروق، بيت، منزل، خيمة، سقف..الخ)، وكذلك أسماء الألوان الأساسية: أبيض، أسود أو أكحل، أزرق، أصفر، أحمر، أخضر، رمادي.. الخ. ومنها إلى بعض الأشياء الضرورية التي يحتاجُها الإنسان على الدوام: (خبز، طعام، أكل، شُرب، حليب، شجر، نبات، تَمر، لحم، زيت، مِلحٌ.. الخ)، والكلمات الدالة على القرابة مثل: (أب ــ أم ــ ابن ــ أخ ــ أخت ــ عمٌّ ــ خال ــ حفيد ــ جَد ــ ابن الأخ ــ ابن العَم ــ ابن الأخ أو ابن الأخت...)، وكذلك الألفاظ الدينية الأساسية في المجتمع المُسلِم، مثل: إلاه،

رَبٌّ، دينٌ، صلاة، صوم، حج، زكاة، سُجود، ركوع، تشهُّد، وضوء، تيمُّم، تكبير، إيمان، كُفر، شِرك، شيطان، ملاك، جهنَّم، جنة، عذاب، قبر، موتٌ، حسابٌ ، عقاب، صراط، تقوى، توبة... الخ.

هذه القاعدةُ المُعجمية العامة التي تنطبِق على كل اللغات وما يتفرَّع عنها من لهجات، نجدها أيضاً ساريةَ المفعول في اللغة العربية. فهناك نواةٌ صُلبةٌ من المُعجم المُشترك بين الفُصحى وجميع لهجاتها المُعاصرة. وهذا ما يقرّره أيضاً العالِم اللساني الأمريكي فرجسون حين يقول إن معظم كلمات الشكلين الأعلى (الفصحى) والأدنى (العامية) مشتركةٌ، وغالبية كلمات الشكل الأدنى موجودةٌ في الشكل الأعلى ولكن باختلاف في التركيب والاستخدام أو المعنى. كما يقرّر فرجسون أن الشكل الأعلى هو الذي يستخدم أكبرَ قدر ممكن من ألفاظ العلوم وما يتبعها من مصطلحات[١].

وقد ظهرت في المرحلة المعاصرة فكرةُ القواميس الوظيفية التي تتضمَّن الألفاظَ الأكثر تداولاً بين مُستعمِلي اللغة، وعَرفَت اللغةُ العربية نماذج منها، **كالرصيد اللغوي الوظيفي** الصادر عن اللجنة الدائمة للرصيد اللغوي المغربي العربي سنة ١٩٧٥م، **وقائمة الرياض للمفردات الشائعة في اللغة العربية** التي وضعها الدكتور داوود عبده، **وقائمة الخُرطوم** التي وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **وقائمةُ مكة للمفردات الشائعة**، التي أشرف على إعدادها أستاذنا الدكتور تمام حسان، وقد اشتملت على ٥٤٤٦ كلمة. وهي نموذج لهذه النواة الصُّلبة من المعجم المُشترك الذي يستمرُّ تداوله

١- راجع: **ازدواجية اللغة**، للدكتنور الفلاي.

أطولَ فترةٍ مُمكنة بين أكبر عدد من مستعملي اللغة، ويكون بمثابة المعجم المدرسيِّ الذي ينبغي تعليمُه للناشئة في سائر الأقطار العربية سعياً للحفاظ على الضروري من اللغة المشتركة [١].

ومن الناحية الصوتية، هناك لا شك قاعدة صوتية مشتركة تبدو أكثر صلابةً واتساعاً من المُشترَك المعجمي، إذ نجد أن كل أصوات العربية الموجودة في الفصحى يُحافَظُ عليها في كل اللهجات باستثناء أصوات معينة يتمُّ الاستغناءُ عنها أحياناً (كالثاء، والظاء، والذال التي تُعوَّضُ بالتاء والضاد والدال)، وأخرى يتمُّ إضافتُها (كالگاف) التي تُعوِّضُ القافَ في بعض اللهجات، وثالثة يُبدَلُ بعضُها من بعض (الثوم/ التوم ــ الظهر/ الزهر ــ القَلب / الأَلب ــ..الخ)، أو تحويلها: كتحويل الهمزة إلى ياء (كائن / كاين ــ قائمٌ قايم.. الخ)، أو إسقاطُها في النُّطق (كإسقاط همزة الوصل (العَلَوي / لعلَوي ــ القاضي / لقاضي..)، أو إدغامُ بعضها في بعض (كِيراك ؟ = كيف أراك؟). وهناك صور أخرى للتحوُّلات الصوتية لا حاجة للإطالة بذكرها.

وفي الجانب الصَّرفي أيضاً نجد أن أغلب الصيغ الصرفية في الفُصحى مُحافَظٌ عليه سواء في باب الأفعال أم الأسماء والمصادر(فَعَلَ، يفعل، افعَلْ ــ فاعِل، مفعول، مُستفعَل، افتعالٌ، فَعلٌ، مُفاعَلَةٌ ــ تفاعُلٌ ــ فَعّالٌ ــ مِفعَلٌ ــ مَفعَلٌ ــ مِفعالٌ...). وفي المجال النحوي لا نجد على وجه العُموم اختلافاً

---

١ وانظر حول قضية المتن المعجمي المشترك: الودغيري: **نحو رصيد لغوي أساسي**، ضمن كتابنا: **دراسات معجمية، نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى**.

جذرياً بين نَمَط تركيب الجُمل في الفصحى عن نظيره في العاميات إلا في جُزئياتٍ بسيطة، رغم وجود نوعٍ من التَّأثُّر بين لهجات العربية ولَهجات اللغات المحلية في الأقاليم العربية المختلفة.

وبالإضافة إلى هذه النواة المشتركة بين عامة اللهجات العربية والفُصحى، هناك علاقاتُ اتصالٍ إضافية مما هو خاصٌّ بكل لهجة لَهجةٍ مع الفُصحى المُشترَكة. ففي كلِّ لهجة عربية هناك مئاتُ الألفاظ والتعبيرات الفَصيحة ـــ لو حَصَرنا الأمر تجنُّباً للإطالة في مجال المعجم وحده ـــ التي تحتفظُ بها كلُّ لهجةٍ من اللهجات وتختصُّ بها دون بقية اللهجات. وهي إما:

أ ـــ من الفصيح القديم الذي هَجَرته الفُصحى الحديثة وظلَّ حيّاً ومستعملاً في لهجةٍ من اللهجات المحلِّية أو الإقليمية دون أدنى تغيير أو مع تغيير بسيطٍ صوتاً أو دلالةً أو هُما معاً.

ب ـــ وإما من الفصيح الجديد الذي ولَّدته الحاجةُ في منطقة معيَّنة من مناطق انتشار العربية، مع مُراعاته لكل مقاييس الاشتقاق والتوليد عملاً بالقاعدة: ما قيسَ على كلام العرب فهو عربيٌّ.

فأما الزُّمرة الأولى من الفصيح القديم المهجور الذي بقيَ حياً في بعض اللهجات على أصله نُطقاً ودلالةً، فمن أمثلته البارزة في العامية المغربية:

الزُّبية: بمعنى الحُفرة[١]، وخاصة الحُفرةُ التي تُوضَع فيها نارٌ. جاء في

[١] تُستعمل **الزُّبية** في اللهجة الجزائرية الحالية بمعنى: المكان المُهيَّإ على سَطح الأرض لإلقاء بَعرِ المواشي فيه (انظر مقالة الدكتور عبد الجليل مُرتاض بعنوان: **الأضداد الفصيحة في العامية الجزائرية** ، ضمن: مجلة: **اللغة العربية** ، الصادرة عن المجلس =

لسان العرب: « والزُّبيةُ: حُفرةٌ يَتزَبَّى فيها الرجلُ للصَّيد، وتُحتَفَرُ للذئب فيُصطادُ فيها. قال ابنُ سيدة: الزُّبيةُ حُفرةٌ يَستَتِرُ فيها الصائدُ (...) والزُّبيةُ بئرٌ أو حُفرةٌ تُحفَرُ للأسد...».

الكانُون: بمعنى: المَوقِد الذي تُوقَدُ فيه النارُ للطَّبخ، وقد يُطلقُ مجازاً على المَطبخ نفسه: وفي **الصِّحاح واللسان**: «الكانونُ والكانُونة: المَوقِدُ. والكنُونُ: المُصطَلَى».

تَفنَّقَ: أي: بَطِرَ النِّعمةَ ولم يقنَع بالموجود أو بالقليل. وفي القواميس الفصيحة: تفنَّقَ وأَفنَقَ: تنعَّمَ بعد بُؤسٍ، وفَنَّقَه: نَعَّمَه.

البالةُ: الحُزمةُ تُضَعُ فيها الأثوابُ وغيرها. وفي **اللسان**: «البالةُ: الجِرابُ ضَخماً كان أم صغيراً». وفي **كتاب العَشرات في غريب اللغة** لأبي عمر الزاهد(ت٣٤٥هـ): «والبالُ جمعُ بالة، وهو الجرابُ الضَّخمةُ». وقيل إن الكلمة من المعرَّب القديم[1]. وقد دخلت هذه الكلمةُ إلى اللغات الأوربية ومنها الفرنسية (balle) بالمعنى نفسه.

بالزَّزِّ: أي بالقُوةِ والعُنف، ويقال فَعلَه بالزَّزِّ: على كُرهٍ منه. وأصلُه في الفصيح من زَزَّه: صَفَعَه. قال في **القاموس المحيط**: « زَزَّ: أهمله جمهورُ المُصنِّفين. وفي **البسيط في النحو**: زَزَّهُ يَزُزُّه زَزّاً: صَفَعَه». وأضاف في **تاج العروس**: « نقلَه الشيخُ أبو حيان وقال: كنتُ أظنُّ أنها ليست عربيةً، إلى أن ذكر لي شَيخُنا الإمامُ

= الأعلى للغة العربية بالجزائر (راجع: قائمة المصادر والمراجع).

١ ذكر الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في: **تطور الفكر واللغة** أن الجاحظ (ق٣هـ) قد استعمل الكلمة في **كتاب البيان والتبيين** بلفظ (البال).

اللغويُّ الحافِظُ رضيُّ الدين الشاطبي أنها عربية. ورأيتُ غيرَه من اللغويّين قد ذكرها، وهي شائعةٌ بالأندلس. قال شيخُنا[1]: وقد أغرَبَ في نَقله عن صاحب **البَسيط**، فإني وقفتُ عليه في **كتاب الأبنية** لابن القطاع...».

زَرَّفَ: يقولون في عامية المغرب: زرَّفَ فلانٌ في حديثه أو كلامه وفي كلِّ شيءٍ بمعنى: بالَغَ وتجاوزَ المعقول. وفي **القاموس المحيط**: «زَرَفَ في الكلام: زادَ كزَرَّفَ». وفي **اللسان**: «كان الكلبيُّ يُزَرِّفُ في الحديث: أي يَزيدُ فيه ». وفي **محيط المحيط** للبستاني: «زَرَّفَ الرجلُ في الكلام: زادَ فيه وكَذَبَ. وزَرَّفَ الشيءَ: جمع إليه ما ليس منه».

عَمّارِيّةٌ: وهي عبارةٌ عن هَودَجٍ أو نحوه يُتَّخَذُ للعروس في حفل الزِّفاف. وهو لفظٌ قديمٌ في العربية يعود إلى القرن الرابع الهجري على أقل تقدير. جاء في **كتاب مقاتل الطالبيّين** (ص ٣٤٢) لأبي الفرَج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) قولُه في خبَر يحيى بن عبد الله بن الحسن الوزير الفضل بن يحيى البرمكي: «شَخَصَ يحيى مع الفَضل حتى وافَى بغدادَ ودخلها مُعادِلُه في عَمّارية على بَغلٍ». وقد أوردها الثعالبيُّ أيضاً في **لطائف المعارف** (راجع: **تكملة** دوزي). وكلمة (عَمّارية) استعملها أيضاً القزويني في **آثار البلاد** ص٤١٣ وهو يتحدث عن الوزير نظام الملك الحسن بن علي السلجوقي (ت ٤٨٥هـ) فقال: «وقد خرج من أصبَهانَ وبه عَقابيلُ المَرَض في العَمّارية».

---

[1] يقصد الشيخ أبا عبد الله محمد بن الطيب الشرقي الفاسي (ت١١٧٠هـ) صاحب **الحاشية** المشهورة على **القاموس المحيط**، وهو شيخ الزَّبيدي في اللغة وعنه ينقل كثيراً.

هَوتَةٌ: مكانٌ منخَفِضٌ. والكلمةُ كانت مستعملةً في الأندلس[١] ومنها انتقلت إلى المغرب. وهي من الفصيح القديم. قال في **اللسان**: « الهَوتَةُ والهُوتَةُ: بالفتح والضمِّ: ما انخفَضَ من الأرض واطمأَنَّ».

شَوَّطَ : يقولون: شَوَّطَ اللحمَ بمعنى: وضعه فوق النار أو أحرقَه بها. وفي الفصيح: شَوَّطَ وشَيَّطَ بمعنى واحد. لكن المغاربة لا يستعملون إلا شَوَّط ــ بالواو، وهي لهجةٌ يمنية ذكرها الحميري في **شمس العلوم** ٦/ ٣٥٨٧). لكنهم يستعملون المصدر بالياء (الشياط).

رَهيفٌ: رقيقٌ جداً. وفي **شمس العلوم**: سيفٌ رَهيفٌ: رقيقٌ.

الحَصيدةُ: الأرضُ المحصودة. وفي **شمس العلوم**: ٣/ ١٤٦٩:«الحَصيدُ: المَزرعة والمحصودةُ».

زَوَّلَ: يقولون في المغربية: زوَّله بمعنى: أزاله. وهذا الاستعمال المغربي نصَّ عليه الحميري في **شمس العلوم** ٥/ ٢٨٧٧ فقال: «زَوَّلْتُه عن المكان: أي أَزَلْتُه، والمصدر التزويلُ».

زَيَّرَ: يقولون في المغرب: زَيَّرَ الحبلَ أو الشيءَ أو الحِزامَ: إذا شَدَّه، وهو من أصل فصيح قديم[٢]. جاء **في شمس العلوم** ٥/ ٢٨٨٤: « الزِّيّارُ: ما يُزَيِّرُ

١ يذكر القزويني في **آثار البلاد** ص ٥١٢ مدينة بَسطة الأندلسية القريبة من جَيّان ويقول: «بها بِركةٌ تُعرَفُ بالهَوتَة، فيها ما بين وجه الماء إلى الأرض نحو قامة».

٢ وليس صحيحاً ما قاله الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في كتابه: **تطور الفكر واللغة** ص ١٨٠ من أصل الكلمة من الدخيل الفارسي الذي دخلَ إلى المغرب عن طريق التركية.

به البيطارُ الدابةَ (أي: يشدُّ به مِشفرَها) ».

شَكوةٌ: وهي في المغرب القِربة من الجِلد تُتَّخَذُ لمخض اللبَن ولحفظ الزَّيت ونحوه. وفي **اللسان**: «وهي وعاءٌ كالدَّلو أو القِربة الصغيرة وجمعُها شُكًى». ونقل عن ابن سيدة أنها وعاءٌ من أَدَمٍ يُبَرَّدُ فيه الماءُ ويُحبَسُ فيه اللبَنُ.

عَفَسَ: في المغرب يقولون: عَفَسَ عبيه: داسَه بقدميه. وهو فصيح قديم. قال في **اللسان**: «والعَفسُ: الدَّوسُ».

الزِّوانُ: نوعٌ من الحُبوب، قال في **شمس العلوم** إنها لغةٌ في الزُّؤان بالهمز.

الخُرصةُ: وهي في عامية المغرب: كلُّ حَلَقة من الحديد أو الخشَب أو شيءٍ آخر. وفي **شمس العلوم** ٣/ ١٧٥١«الخُرصُ: الحَلَقةُ من الذَّهب والفضة والجميعُ: أخراص».

الحَسيفة: في عامية المغرب: هي نوعٌ من الضغينة أو الحِقد وما يبقى في النفس من ذلك. وفي **شمس العلوم** ٣/ ١٤٤١:«الحَسيفةُ: العداوةُ. قال:

فماتَ و لم تَذهَب حسيفةُ صدره ** يُخَبِّرُنا عن ذاك أهلُ المَقابِرِ».

الفُمُّ: بمعنى الفَم، فالمغاربةُ يستعملون الكلمة بهذه الصيغة أي بضم الفاء والميم المُشَدَّدة وأحياناً تُخَفَّف، وهي لغةٌ فصيحةٌ في الفَم. فقد نقلت القواميسُ القديمة عن الفرّاء قوله: قَبَّلَها في فُمِّها وثُمِّها. ونقلوا عنه قوله: «يُقالُ: هذا فَمٌ بفتح الفاء وتخفيف الميم (...) ومنهم من يقولُ: هذا فُمٌ ومَررتُ بفُمٍ ورأيتُ فُمًّ، فيضُمُّ الفاءَ في كلِّ حالٍ كما يفتحُها في كل حال، وأما بتشديد الميم فهو يجوزُ في الشعر كما قال محمد بنُ ذُؤَيب الفُقَيميُّ:

يا لَيتَها قد خرَجَت من فُمِّه   حتى يعود المُلكُ في أُسطُمِّه»

الشناق: الحَبلُ يُربَطُ به. وفي الفصيح: الشِّناقُ: الخيطُ يُشَدُّ به فَمُ القِربةُ..».

السبُولة: السُّنبُلة. وكذلك هي واردةٌ في الفصيح (انظر: **شمس العلوم** ٥/ ٢٩٤٩).

مَديُونٌ: وهي لغةُ تميم في (مَدين). والمغاربة يستعملون على هذا القياس أيضاً: (مَبيوع) مكانَ (مَبيع) القياسية.

البَطَّةُ: آنيةٌ من الفَخّار أو الزُّجاج مثل القِنّينة يُوضَع فيها الزَّيتُ والسَّمنُ والعسَلُ وما أشبَهَ. وفي **شفاء الغليل** قال: « البَطَّةُ: القارورةُ. عربيٌّ صحيحٌ. والعامةُ تُطلقُه على ما يوضَعُ فيه السَّمنُ ونحوُهُ. قال ابنُ تميم:

دُعيتُ وكلُّ أكلي فَخــذُ طَيرٍ ولـــم أَشرَبْ من الصَّهباءِ نُقطهْ
وما يومي كأَمسِ ، وذاكَ أَنّي أَكلتُ أَوَزَّةً وشَرِبتُ بَطـــــَّه»

عَبَرَ: الشيءَ: وَزَنَه. وكذلك هي في الفصيح القديم. جاء في **اللسان**: « عَبَرَ المَتاعَ والدراهِمَ يَعبُرُها: نظَرَ كَم وزنُها وما هي ».

طَلَّسَ: الشيءَ: لَطَّخَه أو خلَطَ بعضَه ببعضٍ حتى اختفَت معالمُهُ، كذا تستعمل في عامية المغرب. وفي الفصيح القديم: يقال: طَلَّسَ الكتابَ: محاه (انظر: **شمس العلوم** ٧/ ٤١٤٩). وفي الحديث عن الرسول عليه السلام أنه أمَرَ بِطَلَسِ الصُّوَر التي في الكعبة. أي معناه: بطَمسها ومَحوها (انظر: **اللسان**).

ومن الأمثلة على ما تغيَّر لفظُه تغيُّراً طفيفاً مع الاحتفاظ بمعناه دون تغيير:

الخَليعُ: في لهجة المغرب: لحمٌ يُقَدَّدُ ويُجَفَّفُ ثم يُطبَخ بالزيت والشَّحم وبعض التوابل. وفي **شمس العلوم** للحميري ٣/ ١٨٧٦:«الخَلعُ: لحمٌ يُقَطَّعُ

قِطعاً صِغاراً ويُقلَى مع الشَّحم حتى يَجِفَّ، ثم يُجعلُ في إناءٍ فيجمُدُ. ويقال: الخَلعُ: القَديدُ المَشويُّ».

الزّلافَة: صَحفةٌ صغيرةٌ يُتناول فيها الطعامُ. وبهذا المعنى وردت في القواميس القديمة بصيغة (زَلَفة). فالفرقُ هو في مدِّ اللام في اللهجة المغربية. قال في **شمس العلوم** ٥/ ٢٨٢٢: «الزَّلَفةُ: الصَّحفةُ بلغة بعض أهل اليمن. وفي حديث النبي عليه السلام في ذكر يأجوج ومأجوج: ثم يُرسلُ عليهم مطراً فيغسِل الأرضَ حتى تتركُها كالزَّلَفَة. وبالمناسبة، نذكر أن هناك كثيراً من الاستعمالات المغربية نجد أصلها من اللهجة اليمنية القديمة.

الياجُورُ: وهو الآجُرُّ. وقد وردت لهذه الكلمة صيغٌ كثيرةٌ منها: الأَجُور، والأَجُرّ واليأجُور... وقد استعمل المغاربة الصيغةَ الأخيرة مع تسهيل الهمزة كعادتهم في أكثر الكلمات المهموزة.

العَتْلةُ: بسكون اللام في اللهجة المغربية. وهي في الفصيح القديم: (العَتَلَة) بالتحريك. قال في **اللسان**: حَديدةٌ كأنها رأسُ فأسٍ عريضةٌ في أسفلها خشَبَةٌ يُحفَرُ بها الأرضُ والحِيطانُ.

خَربَقَ: الشيءَ: أي أَفسَدَه كما في **اللسان**.

الصّابَةُ: وهي المحصول الزراعي أو الغَلَّةُ، وهي مُحرَّفةٌ من (الإصابة)، ذكرها يحيى بن خلدون وهو يصف مدينة تلمسان. وقد تنبَّه لهذا دوزي في **تكملته**.

الخُنُونة: بمعنى: المُخاط الذي يخرُج من الأنف. وجاء في **شمس العلوم** ٣/ ١٦٧٤:« الخُنانُ: داءٌ في الأنف وفي الإبل مثل الزُّكام في الإنسان ».

ومما تغيَّر معناه وتطوَّرت دلالتُه في العامية المغربية:

الشَّفّارُ: اللِّصُّ، والشَّفّارُ في الفصيح هو صاحبُ الشَّفرة (**تاج العروس**)، ولما كان اللصُّ يستعمل الشَّفرةَ سلاحاً في العادة أطلقَ عليه المغاربةُ: الشَّفّار مجازاً.

القَيطُونُ: خِباءٌ، خَيمةٌ من الثَّوب أو غيره، وهي كلمة قديمة في العربية الفصيحة دخلت إليها من اللاتينية (الرومية). وذكرها الجوهري وغيرُه بمعنى المَخدَع أو بيت في جوفه بيتٌ.

الحَريرةُ: أُكلةٌ مغربية معروفة عبارة عن حساءٍ يُطبخُ من شيءٍ من الدقيق ومواد أخرى. وفي **شمس العلوم**: الحرية: دقيقٌ يُطبَخُ بلَبَن.

التَّرّاسُ: تُستعملُ في جهاتٍ من المغرب بمعنى: الرجلُ. وهي في الفصيح بمعنى الشخص الذي يحملُ تُرساً (راجع: **شمس العلوم**). وهذا من التطور الدلالي.

السَّفُوفُ: في لهجة أهل الرباط: طَحِينةٌ يتمُّ إعدادُها بطريقة خاصة، ومعناها في الفصيح: ما يُسَفُّ من دواءٍ وسَويقٍ ونحوه (راجع: **شمس العلوم واللسان**).

الجُونَةُ: في لغة أهل الشمال المغربي: إناءٌ صغيرٌ مُقَعَّرٌ من الخَزَف أو الوَدَع أو الخَشَب يُشرَبُ فيه اللَبَنُ ونحوُه من السوائل ويسمى في المشرق: السُّلطانية. وهي في الفصيح: سُلَيلةٌ مُغَشّاةٌ بالجلد يُحفَظُ فيها الطِّيبُ. وفي الحديث: (جُونَةُ عَطّار). والجَونةُ ــ بفتح الجيم: الخابية مَطليَّةٌ بالقار وكذلك الدَّلوُ المُسوَدَّة (انظر: **اللسان** و**شمس العلوم**).

البَحِيرةُ: تُطلَقُ في المغرب منذ عهد المرابطين (ق٥هــ)على بُستان أو

مزرعة للخُضَر[١]، والبَحيرةُ في الفَصيح هي الناقةُ أو الشاةُ التي كان العربُ يشقُّون آذانَها ويتركونها لا تُركَبُ ولا تُذبَحُ ولا تُمنَعُ من ماءٍ أو مَرعَى. وهي المذكورة في القرآن الكريم ﴿ما جعلَ اللهُ من بَحِيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وَصيلةٍ ولا حامٍ﴾.

السَّفيفة: خُيوطٌ تُنسَجُ بطريقة خاصة لتزيين الملابس التقليدية كالقفاطين والجلابيب. وفي الفصيح: سَفيفةُ حِزامُ الرَّحل، وما نُسِجَ من الخُوص، وهي من سَفَفتُ: أي: نَسَجتُه (راجع: **شمس العلوم واللسان**).

القَبُّ: في الفصيح: الرأسُ، ومنه cabo الإسبانية وcap الفرنسية، لكنه في المغربية يدلُّ على الجزء العُلوي من البُرنُس أو الجِلباب يُغَطَّى به الرأسُ.

المرَمّة: آلةٌ لنسج الأثواب (وتنطقُ بسكون الميم) ، وهي مشتقة من رمَّ الشيءَ إذا أصلحه (وفي القواميس الفصيحة: مَرمَّة بفتح الميم مصدر رمَّ وليس اسم آلة)..

الرياضُ: يدلُّ في الفُصحى على معنى الجمع (جمع رَوضة) ويُستعمل في المغربية بمعنى المفرد. مثلُه في ذلك مثل **جِنان** الذي أصبح يدلُّ في المغربية على مرادف (جنة) بالمفرد.

---

١ جاء في **كتاب الكامل في التاريخ** لابن الأثير ١٠/ ٥٧٧ لا.ط. دار صادر ١٩٦٦م وهو يتحدث عن المهدي بن تومرت: «فلما رأى المصامدةُ كثرةَ المرابطين وقُوَّتَهم أسنَدوا ظُهُورَهم إلى بُستانٍ كبيرٍ عناك، والبُستانُ يُسمى عندَهُم: البَحيرةَ ، فلهذا قيل: وقعةُ البَحيرة، وعامُ البَحيرة». والوقعة المُشار إليها كانت بين المرابطين والموحدين سنة ٥٢٤هــ وفيها كانت نهايةُ المرابطين.

ومما طرأَ عليه تحويلٌ صوتي بإبدالٍ أو قلب:

بَيطَة: وهي البَيضةُ في لهجة شمال المغرب، أي بإبدال الضد طاء.

الضَّبرَة: بمعنى الجُرح الذي يكون في الدابة. وهو من الفصيح: الدَّبَرَة وهي قُرحةُ الدابة.

غطار: وهي في المغربية محرَّفة عن غُضار بمعنى: صَحنٌ للطعام.

مطرَّبة: وهي في المغربية محرَّفة عن مَضرَبَة بمعنى: لِحافٍ.

الدسارة: وهي مُحرَّفة من الجَسارة في الفصيح. وإبدال الجيم دالاً موجودٌ في بضع كلمات مغربية أخرى مثل: مدشر وأصلها: مَجشَر (أي تجمُّع سُكاني صغير) ودَشيشٌ، أصلُها جشيش (نوع من الطعام). ودازَ وأصلُها: جازَ. ودواز أصلُها: جَواز.

بَزَّاف: كثيرٌ، وهي مُحرَّفة من: بالجِزافِ، أي بدون تحديد.

الگلتة: وتُنطَقُ في المغرب بجيم قاهرية(g)، بمعنى: حُفرةٌ فيها ماءٌ أو مُستنقَعٌ. وهي من الفصيح القديم: قُلتةٌ. قال في **اللسان**: القَلتُ بإسكان اللام: النُّقرةُ في الجبل يَستَنقِعُ فيها الماءُ(...) وكذلك كلُّ نُقرةٍ في أرضٍ أو بَدَنِ أُنثَى. والجمعُ: قِلاتٌ».

لُوگيد: بالكاف المعقودة أو الجيم المصرية مع حذف الألف من (أل) التعريف كما هي عادةُ أهل المغرب: مُحرَّفٌ عن الوقيد.

المِيضَةُ: وهي مُحرَّفةٌ من المِيضَأَة. ونُطقُ هذه الكلمة على هذا النحو المستعمل في المغرب كطان شائعاً من قبلُ في عامية أهل الأندلس.

شوِيَّة: قليلٌ. وتُنطَقُ الكلمةُ في المغرب بسكون الشين وكسر الواو،

وفي المشرق بفتح الواو. وهي من الفصيح. قال في **شمس العلوم**: «الشُّوَايَةُ: الشيءُ القليلُ من الكثير. يقالُ: ما بقيَ من المال إلا شُوَايةٌ، أي: شيءٌ قليلٌ، وشُوايَةُ الخبز: قُرصٌ منه».

القَيسارية: محرَّفة من القَيصَرية، وهي بمعنى سُوقٌ تجارية. وهذا التحريف قديمٌ في اللهجة المغربية الأندلسية، يرجع إلى القرن الثالث الهجري، وقد ذكره الزُّبيدي في **طبقات النحويّين واللغويّين** في ترجمة ابن قَطَن المهري (ت ٢٥٠هـ).

وللتطور الصوتي أمثلةٌ كثيرة في اللهجة المغربية، أهمُّها وأقربُها إلى الفُصحى تلك التي تنحو إلى الاقتصاد في الجُهد الصوتي مثل: تسكين الحركات ولاسيما في الأول أو الأخير(مْليحْ في مَليح)، أواختلاسها: (شبّاك، شفّار:cheffar , chebbak)، والاستغناء عن تاء التأنيث بالفتحة الممدودة (شَفرا، قرعا) في (شَفرة وقَرعة)، وتسهيل الهمزة على طريقة القبائل الحجازية، فيقولون: (مومنون في مؤمنون ــ بير في بئر ــ قايد في قائد ، جيت في جئتُ... الخ)، وحذف الهمزة (شيّ في شيء ــ حْمد في أحمد ــ فاس في فأس ــ دْريس في إدريس ــ سْماعيل في إسماعيل ــ جِيت في جئتُ.. الخ)، وحذف صوت المدّ (مَسحة في مِسحاة ــ مَعزَة في مِعزاة... الخ). وقصر الممدود (صحرا في صحراء ــ ما في ماء ــ سما في سماء..الخ)، والانتقالُ من صوتٍ إلى مُجاوره في المَخرج، كتحويل التاء إلى طاء (الطراب في التراب)، أو الطاء إلى دال (الدراز في الطِّراز) أو الدال إلى ضاد (ضبْرة في دبَرة)، أو السين إلى صاد، ونحو ذلك. وهناك من التحوُّلات الصوتية ما هو أعمقُ من هذا وأبعد، وسنتطرّق لبعض أمثلته فيما بعد.

أما الكلمات المولَّدة التي اشتُقَّت قياساً على الفصيح القديم واستُعمِلت

في العامية، فمن أمثلتها في عامية المغرب:

العَبرَةُ: مِكيالٌ لوزن الحُبوب. من عَبَرَ الشيءَ: وزَنَه.

المَنصورية: نوعٌ من اللباس منسوبٌ إلى المنصور الذهبي سلطان السعديين (ق١٠هـ).

هَدَّنَ: بمعنى: هَدَّأَ وسَكَّنَ ، اشتقُّوه من الهُدنة. وكذلك اللازم منه: **تَهدَّنَ** بمعنى: سَكَنَ وهدَأَ.

وَحَّلَه: بمعنى أدخلَه في مُشكِلٍ. اشتقُّوه من الوَحَل. ومنه **الوَحلة** أيضاً بمعنى: الوُقوع في مُشكِل أو شَرَكٍ.

بيت الماء: المرحاض.

طَرَّفَ: غَسَلَ أطرافَه. وليست موجودة في القواميس الفصيحة.

رَيَّقَ: تناول طعامَ الفُطور، وهي من الرِّيق؛ لأنه يتناولُ طعامَه على الرِّيق. وفي بعض بلدان المشرق (كلبنان) يقولون: رَوَّقَ بمعنى: أَفطَرَ.

القانِع: الكَلب؛ لأنه يقنَع بما يُعطاهُ. وليست مستعملةً في الفصيح بهذا المعنى. وإنما القانِع: الراضي والخادِمُ والتابِعُ والسائلُ.

وإذا كانت لكل لهجةٍ عربيةٌ خُصوصياتُها المُعجمية والنحوية والصوتية، فإن نُقَطَ الالتقاء والاتصال بينها أكثرُ من نقط الاختلاف والانفصال، ولو كان هناك مجالٌ واسِعٌ لأتينا بأدلة لا تُحصى على ذلك. وللأسف الشديد، ما تزالُ الدراساتُ اللَّهَجيةُ في العالَم العربية لم تُنصَف أكاديمياً و لم يُعطَها حقُّها من البحث والوصف والمقارَنة، ولاسيما من قبل الباحثين العرب. ولو توفَّرَت لنا قواميسُ ودراسات نحويةٌ وصوتية وصرفية

مستفيضةٌ وكافية عن كل لهجة عربية ولاسيما من اللهجات المعاصرة، لكان أمامنا مجالٌ واسِعٌ للمقارنة العلمية المفيدة، ولأفادنا ذلك فائدةً جليلةً في وضع تاريخٍ للمعجَم العربي كما يُحبِّذُ الكثيرون. ومع ذلك فقد تــمكّنا مع ما لدينا من معلومات قليلة في هذا الموضوع من ملاحظة كثير من أوجه الالتقاء بين عامية المغرب وبعض اللهجات العربية الأخرى، كاللهجة اليمنية والمصرية والعراقية والشامية والمكِّية والتونسية والجزائرية ولهجة شَمَّرَ (في منطقة حائل بالحجاز)، وغيرها.

فمن المشترَك بين عامية المغرب وعامية العراق مثلاً: لَفَّيت (لَفَفتُ) ـــ حَطِّتُ (حَطَطَتُ) ـــ عَيَّطَ (صاح، صرَخَ) ـــ الحسُّ (الحركة)[١]ـــ وَيّاه (معه) ـــ عَرقانٌ (أَصابَه العرَقُ) ـــ الطهارة (الخِتانُ) ـــ الدَّلّالُ (المُنادي على البضائع في الأسواق) ـــ مَلَّسَ عليه (مَرَّرَ يَدَه عليه) ـــ ما يكون إلا الخير (لا يكون إلا خيرٌ) ـــ من تحت رأسه (من تدبيره) ـــ حَضَّرَه (أحضَرَه) ـــ بْهَل[٢]: أبلَه، (جَعَقَ) بمعنى غَضِبَ وثار وانزَعَج[٣]، (كَمَشَ) الشيءَ: قَبضَه

---

١ وهي من ألفاظ ألف ليلة وليلة أيضاً.

٢ ذكر الدكتور داود الجلبي الموصلي في كتابه: **الآثار الأرامية في لغة الموصل العامية** أن كلمة (بُهْل) كما تُستعمل في الموصل أصلُها من الآرامية (بَهَلا) بمعنى أبلَه، جاهِل، غبي. ولكن الدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه: **درس تاريخي في العربية المحكية،** علَّق على ذلك قائلاً إن الكلمة من المُشتَرَك بين العربية وبقية اللغات السامية، ثم ربَطَها ببُهلُول التي يستعملها العامة بمعنى: أبله أو مُغفَّل. وأضاف إن (بُهل) ربما كانت مقلوبة من (أبله).

٣ يقولون في عامية المغرب: جَعَقَ عليه: أي ثار في وجهه غاضِباً. وذكرها الدكتور =

بيده[1] ، غَشيم: غَمرٌ ، غِرٌّ[2] .

ومن المُشترك بين لهجة المغرب ولهجة شَمَّرَ في منطقة حائل بالجزيرة العربية: أَبي (أَبغي) وكذلك هي مستعملة في لهجة مراكش وما حولها ـــ الجايْ (الآتي) ـــ الجُغمة (الشَّربةُ من الماء) ـــ الخَرّاطُ (الذي يُكثِرُ الادعاءَ والكذبَ) ـــ صْغا (استمَعَ) ـــ عَفَسَه (طرحه أرضاً) ـــ مَزنُوگ (بالكاف) من: مزنوق في دين أو غيره: أي في ضِيقٍ ـــ ناضَ (نَهَضَ) ـــ النَّص (النِّصف) ـــ نِيشان (أمارة، علامة) ـــ الهبال (نقص العقل، الحُمق) ـــ وَشْ؟ ، وفي المغرب: واش؟ بمعنى: ماذا؟ ـــ الوُلف: الحُبُّ والتأقلُم ـــ

ومن المشترك بين اللهجتين المغربية والمكِّية:

البالة: حُزمة من القُماش تُستعمل في المجال التجاري.

البَرّاد: إناء الشاي.

بَرّاني / برانية: غريب، غريبة.

بَطّانية: غِطاءٌ يلتحفُ به النائمُ.

= داود الجلبي الموصلي باعتبارها من عامية أهل الموصل، إلا أنه قال إنها من الآرامية (شَحَقَ) بعد قلب وإبدال بمعنى: رَضَّ وسَحَقَ وضَيَّقَ وأزعَجَ. يقولون: أراكَ مجعوق اليوم ، أي: مزعوجاً. والسامرائي يردها إلى أصل سامي مُشترَك(**درس تاريخي**..) مرجع مذكور.

١ وهو من لغة العامة في الموصل وغيرها من مناطق العراق، انظر: السامرائي: **درس تاريخي**.. ص: ١٤٠

٢ نفسه ص١٣٤

بَغى يَبغي: أراد يُريد.

جابَ: جابَ الشيءَ: أتى به.

خَمَجَ: الطعامُ: فَسُدَ وفاحت منه رائحةٌ كريهة.

دَردَب: دَحرَجَ.

الشَّنطَة: الحقيبة.

الطهور: الختانُ.

الفَرُّوجُ: الديكُ أو الصغيرُ من الدجاج.[1]

ومن المشترك بين المغربية والشامية:

خَطرة: مرة.

خَزَّزَ: طال مُكثُه في الماءِ فعلته خُضرةٌ.

عَفَس: داسَ.

عَيَّطَ: رفَعَ صوتَه ، صاح.

الفَريك: القمح الطري يُشوى.

ولا حاجة بنا إلى الإطالة بإيراد الأمثلة على ما هو مُشترك بين اللهجات العربية المعاصرة، فيكفي الرجوعُ إلى ما نُشِر من دراسات حول هذه اللهجات[2] للتأكد من الكمِّ الهائل من الكلمات المشتركة بينها.

ومن المشترك مع اللهجة المصرية ولهجاتٍ أخرى: البَزُّولةُ: الثَّدي

---

١ راجع في الألفاظ المكية: **عامية مكة ومدى قُربها من الفُصحى** لفتحية حسين عبد الغفور عطار.

٢ انظر: أمثلة من هذه الدراسات في قائمة مراجع هذا البحث.

(انظر: **محيط المحيط**) ــ عَيَّطَ (صرَخ، صاح) ــ بَهدَلَ ــ شَقلَب ــ شافَ يشوف ــ شُربَة ــ شاكوش ــ شَرموطة ــ شَنطة ــ شِياطٌ ــ صينيةـــ طاجن ــ طُربُوش ــ طَنجرة ــ عَمنَوَّل (عام أول: العام السابق لهذا العام)... والقائمة طزيلة[١]

١ــ ٢ ــ علاقة الانفصال:

إن أكثر الكلمات عُرضة للتغيُّر والزوال، والأكثر عُرضة للاختلاف بين اللهجات فيما بينها ثم بين اللهجات والفصحى: أسماء الأدوات والآلات والأواني، وأسماء الألبسة، والبضائع التجارية، والمصنوعات، وأسماء الأدوية، والنباتات والأعشاب والاصطلاحت التقنية التي تختلف من منطقة إلى أخرى. ولذلك قام بعضُ العلماء بمحاولات لترجمة بعض الألفاظ الخاصة المُستعملة في بلد أو منطقة عربية إلى ما يُقابلُها من الألفاظ المستعملة في منطقة أخرى. وأكثر ما وقَعَ من ذلك في ألفاظ النباتات وأسماء الأدوية المُفردة يوم كان الطبُّ والصيدلة مُعرَّبين. والمثالُ على ذلك ما قام به الطبيب المغربي عبد السلام العلمي (ت١٣١٣هـــ) من تحويل أسماء الأدوية والنباتات الطبية والصيدلية التي أوردها داود الأنطاكي في **تذكرته** المشهورة، وهي المستعملة في مصر والمشرق، إلى ما يُقابلُها في لغة أهل فاس، وسمى كتابَه: **ضياءُ النِّبراس في حَلِّ مُفردات الأنطاكي بلغة أهل فاس**، وعلى منواله بالضبط قام محمد محفوظ (ت١٩٨٨م) في الفترة الأخيرة بتأليف كتاب

---

١ راجع على سبيل المثال: أحمد عيسى: **المحكم في أصول الكلمات العامية**.

سماه: **تفسيرُ مفردات الأنطاكي باللهجة التونسية**[١]. وقام غيرُهما بوضع مُقابِلاتٍ لكثير من الألفاظ الطبية والنباتية العربية باللهجات المغربية منها: **تفسير أسماء الأعشاب والعقاقير الشائعة** لعبد الرحمان الفاسي (ت ١٠٣٦هـ)، **وكشف الرُّموز في الطب** لعبد العزيز الرَّسموكي (ت ١٠٦٥هـ)، وقد قام فيه صاحبُه بتفسير أسماء الأمراض والأدوية باللهجة الشَّلحية البربرية، **وكشف الرموز في بيان الأعشاب** لعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري (ت ١٢٠٥هـ)[٢].

ومما يبتعدُ بالألفاظ والتراكيب اللَّهَجية عن الفُصحى العربية:

كثرةُ التحريفات والتغيُّرات الصوتية والصرفية التي تطرأ على الكلمات ذات الأصل العربي حتى ليصعُب على الكثيرين ردُّها إلى الأصل:

فمن التحريفات الصوتية بالإدغام والقلب والإبدال والنَّحت وغير ذلك من الأمور التي تبدو بعيدةً عن الأصل الفصيح، نأتي بهذه الأمثلة:

ـــ **بزّاف** في المغربية المُحرَّفة عن: بالجِزاف

ـــ **ما عَندوش**: ما عنده شيءٌ.

ـــ **ما بغاش**: لم يَبغِ شيئاً (لم يرد شيئاً).

شُخبارك: شُو أخبارك: ما هي أخبارُك؟ أو ما شأنُ أخبارك؟ ـــ

---

١ راجعه وعلَّق عليه إبراهيم بن مراد ، وصدر عن دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٩٦م.

٢ انظر حول هذه الكتب وغيرها التي أُلِّفَت في هذا الموضوع، كتابنا: **المعجم في المغرب العربي**.

عماه: معه (معه ← معاه ← عماه بالقلب).

بْهَل: مقلوب أَبلَه.

ما كاينش (ما كائنٌ شيءٌ).

بلاش: بلا شيء ، بدون.

ـــ **كيراك ؟:** كيف أراك؟ (كيف أنتَ؟)

ـــ **مْعاياش ؟:** مع أيِّ شيء ؟ (في أي وقت).

ـــ **ما عْمَلْش:** لم يعمل شيئاً.

إضافة سابقة أو لاحقة إلى الكلمة. كإضافة الكاف إلى الفعل كيعمل (ك + يعمل) في المغربية ، أو الحاء في المصرية (حيعمل). وأحياناً تتمُّ إضافةُ كلمة كاملة (غادي نعمل) في (سأعمل).

ـــ **تحويل الهاء إلى ياء:** نايض عوض ناهض، / نايضة عوض: ناهضة.

ـــ **تحويل القاف إلى همزة** في بعض اللهجات (الأمَر عوض القمر).

ومن التغيرات الصرفية في الدارجة المغربية على سبيل المثال:

ـــ التعبير عن المثنى بإضافة كلمة (زوج) عوض علامات الإعراب (زوج رجال: رجلان)، والتعبير عن الاسم النكرة بإضافة كلمة (واحد) ، فيقولون: (جخل واحد الرجل) أي: (دخلَ رجلٌ).

ـــ دمج المتكلم الواحد في ضمير جماعة المتكلمين (يقولون: أنا نعمل / نحن نعمل) في كل من (أنا أعمل، و نحن نعمل).

- اختصار الصور الأربع لتصريف الفعل الماضي إلى ضمائر الغيبة (هما خرجا / هما خرجتا/ هم خرجوا/ هن خرجن) في صورة واحدة، فيقولون مع كل

الضمائر السابقة:(هُما خرجوا). وكذلك الآمر في ضمائر المخاطب (تقول: أنتُما جيتُوا) في (أنتما جئتُما ــ أنتمم جئتُم ــ أنتُنَّ جئتُنَّ).

ــ الاستغناء عن ضمائر جَمع المخاطبين (أنتم ــ أنتُنَّ) بضمير المثنى (أنتُما) في فتقول: (أنتُما الرجال، أنتما البنات).

ــ عدم التمييز بين ضمائر الذكور والإناث في الغيبة فتقول: البنات خرجوا، الرجال خرجوا (عوض: البنات خرجت أو خرجن ــ والرجال خرجوا). ولا بين المثنى والجمع (هما خرجوا) عوض (هما خرجا / هما خرجتا / هم خرجوا / هن خرجن .

ــ اختصار جميع صيغ الاسم الموصول في الفُصحى (الذي ــ التي ــ اللذان ــ اللتان ــ الذين ــ اللائي ــ اللاتي) في صيغة واحدة مختصرة وهي: (اللي)[١] .

- اختصار الصيغ العديدة لجموع الكلمة في صيغة واحدة أو اثنتين.وعدم التمييز بين أنواع الجموع المختلفة في الفصحى(جموع الكثرة، جموع القلة، جمع المذكر السالم، جمع المؤنَّث السالم، جمع الجمع، جمع التكسير.. الخ).

ــ تحويل بعض حروف العلة في بعض الأفعال والأسماء المعتلة مثل: قيَّاد عوض قُوّاد (جمع قائد)، مبيوعٌ عوض مَبيعٍ.

ــ تحويل الواوي من الأفعال أحياناً إلى يائي: كساه يَكسيه عوض

---

١ هو الذي ــ هي التي ــ هما اللذان ــ هما اللتان، هم الذين ــ هن اللائي ــ هن اللاتي (هو اللي ــ هي اللي ــ هما اللي ــ هما اللي ــ هم اللي ــ هن اللي)

كساه يكسوه.

ــ الاستغناء عن تعدُّد حالات الإعراب واختصارها في حالة واحدة (مَداحين ــ فلاحين.. الخ) في قولهم: خرج المداحين والفلاحين ورأيت المداحين والفلاحين...

ــ استعمال (فَعَلَ) مكانَ (أفعَلَ) نحو: صابه سَهمٌ عوض أصابه، طَلَقَه عوض أطلقَه.. الخ).

ــ تحويل بعض الأفعال من لازمة إلى متعدية بنفسها (جابَه عوضَ: جاءَ به).

ــ استعمال صيغة (فَعَّل) مكانَ (أفعلَ) مثل: نَزَّله عوض: أنزلَه، وخرَّجَه ودخَّله عوضَ: أدخله وأخرجه...الخ.

ب) تَهجينُ اللغة بالإكثار من إدخال الألفاظ والاستعمالات من لغات وطنية محلِّية أو أجنبية ودَمجها في العربية. ففي المغرب يقع الإكثارُ أحياناً من الألفاظ البربرية والألفاظ الفرنسية أو الإسبانية أو غيرهما، ومَزج ذلك كله بألفاظ من أصل عربي، لتتولَّد عنه لغة هَجينةٌ لا هي بالعربية ولا الفرنسية ولا البربرية[١].

ومن باب التهجين والإمعان في توطين الدخيل التعريب، الاشتقاقُ من

١ ونمثِّل لذلك بهذه العبارات:

ــ دّاوُوه للكُوميسارية وتكرفسُوا عليه مزيان، وهزُّوه في لابيلانص للسبيطار (أخذوه إلى قسم الشرطة وعَنَّفُوه (أو ضربوه) كثيراً، وحملوه في سيارة الإسعاف إلى المستشفى).
فمثل هذه العبارة المكونة من خليط من الألفاظ البربرية (تكرفسوا ــ مزيان) والعربية (داوُوه: محرَّفة من أَداه: أي أتى به إلى مكان ما ــ (الحومة: الحي)، والفرنسية: (الكوميسارية ــ لابيلانص)، لا يمكن لغير المغربي أن يفهمها على الإطلاق.

الكلمات الدخيلة وإخضاعها للبنية الصرفية العربية (كرافا واحد الصيدي) (نَقَشَ القُرصَ المعدني graver un CD).

وقد يحدُثُ للمتكلِّم أن ينتقل من لغة إلى أخرى من اللغات المستعملة دون أن يشعر، فيبدأ مثلاً بالفُصحى وينتقلُ منها إلى العامية ثم إلى الفرنسية أو الإسبانية[١].

وما يقع للهجة المغربية من هذا النوع الغريب من التهجين والتخليط بين ألفاظ من كل لغة وجنس، يقع أيضاً لغيرها من كل اللهجات العربية التي اختلطت بالتركية[٢] والكردية والفارسية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية واليونانية والقبطية والفينيقية والسُّريانية والعبرية وسواها من اللغات. وفي هذه المرحلة التي تصل إليها الدوارجُ واللهجاتُ، تُصبح الهُوةُ بينها وبين العربية الفُصحى شاسعةً، والفَجوةُ عميقة، ويُصبح الحديث عن انفصال تلك اللهجات عن أصلها له آذانٌ مُصغيةٌ وقلوبٌ متعاطفة. ولاسيما إذا عملت على تغذية هذا الشعور نَعَراتٌ عِرقيةٌ ونَزَعاتٌ شُعوبيةٌ، ودسائسُ خارجية.

---

١ مثاله: (لما خرجتُ من البيت تلاقيت بواحد الرجل، قال لي: بونجور قلتُ بونجور) (لما خرجتُ من البيت التقيت برجلٍ قال لي: صباح الخير ، فقلتُ له: صباح الخير).

٢ استُعمِلت في الجزائر أيام الحكم العثماني لغة مكونة من التركية وخليط من التركية والفارسية تُكتَب بالحرف العربي،ا كان يُطلق عليها اسمُ: العُصمانلية أو العُثمانية. وكانت هذه اللغة تُستعمل في بعض السجلات الإدارية والدواوين والمراسلات السياسية. انظر: أرزقي شويتام: **المؤثرات اللغوية الأجنبية في اللغة العربية في الجزائر: العُثمانية والفرنسية أُنموذجاً**. ضمن: **أهمية العمل الجواري في ترقية استعمال اللغة العربية.**

ولقد أصبح شائعاً خلال السنوات الأخيرة في أحاديث الشباب وكلامهم بمنطقة المغرب العربي، أن يستعملوا هَجيناً من الألفاظ العربية والفرنسية، كلمة من هنا وأخرى من هنالك، كما أصبحت بعضُ صَيحات الأغاني الشبابية المعاصرة (مثل الرابّ) تتميَّزُ فيما تتميَّزُ به، بالإكثار من الألفاظ الفرنسية بغير ضرورية تدعو لذلك سوى إرضاء فُضول الشباب المُغرَمين بكَسر الحواجز في كل شيء. كما أصبح معروفاً دورُ المنظمة الفرنكفونية في تشجيع انتشار الأغاني والأفلام الفرنسية أو المزاوِجة بين الدارجة والفرنسية، بالمال والجوائز والدعاية والإشهار وغير ذلك من الإغراءات المادية والمعنوية. وفي هذه الحال تجدني مُصدِّقاً تَمامَ التَّصديق كلامَ السيد عبد الحميد مهري عندما يقول في محاضرة له: «عرفتُ من بعض الإخوة أن من الوسائل التي استُعمِلت مؤخَّراً عند تنظيم سنة الجزائر في فرنسا، أن من المغنِّين مَن يتقاضَون مِنَحاً خاصةً إذا أدخلوا كلماتٍ فرنسيةً في أغانيهم.. »[١].

٢ ــ العواملُ:

أما كيف حدَثَت هذه الفَجوة بين الفصيحة والعاميات، فإن ذلك يرجعُ لعوامل كثيرة ــ كما قلنا ــ بعضُها قديمٌ وبعضُها أُضيفَ في المراحل المتأخِّرة. فمن العوامل القديمة:

٢ ــ ١ــ أن عدداً من اللَّهَجات العربية القديمة ــ سواءٌ منها التي أُدمِجَت في الفُصحى المُشترَكة المُختارة من لَهجات منطقة مُعيَّنة في الجزيرة العربية

---

١ **أهمية وضع سياسة وطنية للغات**. محاضرة للسيد عبد الحميد مهري الأمين العام السابق لحزب جبهة التحري الجزائرية، ص٢٢.

كما هو معلومٌ، أم التي لم تُدمَج ــ ظلَّت قائمةً ومُستعمَلة على هامش الفُصحى، وحين انتقَلَ أصحابُها ــ أو جُزءٌ منهم ــ إلى مناطقَ مختلفة من البلاد المفتوحة، حمَلوا معهم لهجتَهُم وظلُّوا يستخدِمونها فيما بينهم، مع ما عَرَفَه هذا الاستخدامُ العَشوائي المُتحرِّرُ، مع توالي الأيام والأزمان، من تطوُّر وتحوُّل مستمرِّين. فحينَ هاجرَ جزءٌ من قبائل بني هلال وبني سُلَيم وبني مَعقِل ــ على سبيل المثال ــ من أوطانهم الأصلية، وأقامت فئةٌ منها في صعيد مصر، واستمرَّت أخرى في الرحيل، إلى أن وصلَت المنطقةَ الشرقيةَ من المغرب العربي، وأخرى ذهبَت أقصى من ذلك فاستقرَّت في المغرب الأقصى، فلا شكَّ أن كلَّ فَرع من القبائل الثلاث قد احتفَظَ بلهجته الأصلية، لكن مع الزَّمَن وكثرة الاستعمال والاختلاط مع اللغات المَحلية، تولَّدت عن كل فرعٍ من لغة بني هلال وسليم ومعقل لهجةٌ محلِّية، تجدُها في هذا القُطر غيرَها في القُطر الآخر، لأنها تلَوَّنَت في كل منطقةٍ باللغات المَحلِّية. وما قُلناه عن هذه القبائل وما تفرَّع عنها، يُقال بالمثل عن كل قبيلة عربية نزحَ جزءٌ منها نحو هذه البلاد أو تلك من أنحاء العالَم العربي والإسلامي. حتى أصبحنا أحياناً أمامَ حالاتٍ بلغ فيها التطورُ اللَّهَجي إلى أبعد مداه، فأنتَج لغاتٍ بخصائص منفردة لا هي بالعربية الواضحة ولا هي بفَرعٍ من لغات العالم المعروفة. والمثالُ هنا نقدِّمُه من لغة مالطا ولغة الصُّومال.

٢ ــ ٢ــ أن هذه اللهجات التي تُرِكَ لها، منذ البداية، حريةُ الوجود والحياة والحركة ــ عكس ما حدَثَ للغاتٍ أُخرى كالفرنسية مثلاً التي تدخلت السلطةُ السياسية والإدارية والتعليمية منذُ البداية لحماية الاستعمال الفصيح ومحاربة بقية اللغات واللهجات المحلية بشراسة وقوة قلَّ نظيرُها في التاريخ، ولاسيما بعد الثورة

الفرنسية مباشرة ـــ ظلَّت لهجات شَفويةً غير مكتوبة، فزاد ذلك من قابليَّتها للتطور السريع. ونحن نعلمُ أن اللغات واللهجات الشَّفَوية هي الأكثرُ عُرضةً للتحوُّل والتطور السَّريعَين من غيرها التي تتجاوز المرحلةَ الشفوية إلى مرحلة الكتابة فيزدادُ عليها ثِقلُ القُيود التي تحدُّ من سُرعة تحرُّكها وتحوُّلها، كلما زادت وظائفُها وعَظُمت مسؤولياتُها، كأن تصبح لغةَ تعليمٍ، ولغةَ علومٍ وثقافة وفكر وفلسفة ودينٍ وحضارة وفَنون.. الخ.

٢ ـــ ٣ ـــ أن اللغة العربية هي أول لغة صَمَدَت في وجه التغير والتطور اللذين عادةً ما يقضيان على كيان اللغات العادية ويُفتِّتانها إلى لغات متفرِّعة،وذلك فيما يشبه معجزةً يكاد اللسانيون المحدثون أن لا يصدقوها[١] أهمُ لغةٍ عالمية قامت بأداءٍ أكبر عدد ممكِن من الوظائف (الدينية والعلمية والفَنِّية والتواصلية والحضارية) لأطول مدة تاريخية ممكِنة (أكثر من أربعةَ عشرَ قرناً في ظل الإسلام وحده دون احتساب فترة ما قبل ذلك)، وفي أوسَع خارطة جغرافية، واحتكَّت بأكبر عدد من اللغات والثقافات، فكان من الطبيعي أن ينالَها الشيءُ الكثير من التأثُّر والتحوُّل، وأن ينعكِسَ ذلك على المستوَيَين كلَيهِما: الدارِج والفصيح. ومع ذلك، ظلَّت لحد الآن صامدةً في مكانها وصالحة للاستمرار عشراتٍ من القُرون الأخرى، بفضل ما تَملِكُه من مرونة في التعامُل مع سائر التحوُّلات والتغيُّرات.

٢ ـــ ٤ ـــ أن حركةَ التعريب في العالَم العربي لم تكن قد وصلت إلى

---

١ سبق لي أن تحدثتُ عن هذه الخصوصية التي تمتاز بها العربية، كما تطرق إليها المسدي في كتابه عن العرب والانتحار اللغوي.

مراحلها النهائية أو المُتقدِّمة في عدد غيرِ قليلٍ من مناطق ما يسمى بالعالَم العربي. وفي كل منطقةٍ لم يصل فيها التعريبُ إلى عُمقه المطلوب، نشأَت لهجاتٌ ابتعَدَت عن الفُصحى بدرجاتٍ تتفاوتُ بتفاوُتِ سَطحية التعريب أو عُمقه.

٢ ـــ ٥ ـــ أنه مرَّت على العالَم العربي قرونٌ عُرِفَت في التاريخ بعُصور التخلُّف والانحطاط الشامِل، فأصابَ الثقافةَ العربية وتعليمَ العربية ما أصابَ غيرَهما من أوجه النشاط العلمي والثقافي بصفة عامة، وانخفَضَ تبعاً لذلك مستوى الفُصحى، وتصاعدَ دورُ العاميات واللهجات، حتى وصلنا مرحلةً كنا نجد فيها التعبير العامي والألفاظَ الدارجة لا يكادُ يخلو منهما نصٌّ مكتوبٌ في أيِّ مجالٍ من الاستخدام اللغوي، من تاريخ وجغرافية وفقه ومراسلات إدارية وعُقودٍ ومراسيم سُلطانية وأدب وشعر[١]... كُلُّها مجالاتٌ تغلَّبَت عليها العامياتُ وكادت تُسيطِر عليها سيطرةً تامة، مع إسفاف الأساليب وركاكة التعبير وعُجمة ظاهرة ورطانة غالبة على ألسنة كُتّاب السلاطين الذين عادةً ما كانوا يُختارون ويُنتخبون من صَفوة الصَّفوة. ولولا بُزوغِ فجر النهضة الحديثة الذي أنقَذَ الموقِفَ وأعادَ للعربيةَ مكانتَها القديمة، لكانت العاميات قد حلَّت محلَّ الفُصحى بكل تأكيد.

أما العوامل التي أُضيفَت حديثاً ، فنذكر منها:

---

١ انظر من نماذج الكتابات التاريخية: **تاريج الجبرتي**، في مصر، و **تاريخ تطوان** للرهوني في المغرب، ومن كتب النوازل الفقهية، **كتاب المعيار** للونشريسي. وفي الشعر سيطر شعر الزجل والملحون في منطقة المغرب العربي والشعر النبطي والعامي بصفة عامة في المشرق.

٢ ــ ٦ ــ أن الحركةُ الاستعمارية استغَلَّت ذلك الوضعَ القديمَ الذي آلت إليه اللغةُ العربية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر الميلادي، وتلك الصورة المُشَوَّهة التي انحدرَت إليها، وحالةَ الجُمود التي أصابَها،وسَطوة اللهجات وبروزَها، وتراجُع الفُصحى أمامَها في مراحل عصر الانحطاط وخلالَ أضعف حلقةٍ من حلَقات الضَّعف العربي والإسلامي، فأصبح يُصوِّر العربيةَ الفُصحى للناس على أنها لغةٌ انتهى أَمرُها وطواها التاريخُ، وعَجَزَت وانهارت، فهي تلفظُ أنفاسَها الأخيرة ولم يبقَ سوى إعلان موتها والاحتفال بدَفنها. تدفَعه لذلك دوافعُ سياسية استعمارية محضة بيَّناها في بحثٍ سابقٍ[١]. ولقد سَخَّرَ كلَّ طاقاته من أجل محاربة العربية عُموماً، والفُصحى على وجه الخُصوص، وصار يروِّج بكل ما يملكُ من آلةٍ دعائية رهيبةٍ، وسُلطة على الأرض ونُفوذ على كل الواجهات، للعامِّيات والتمكين للهجات واتخاذها لغاتٍ محليةً رسمية في كل قُطر على حِدة.

ورغم أن وضع الفُصحى قد تغيَّرَ تماماً عما كانَ عليه في عهد ما قبل النهضة الحديثة، ولم تعُد على ذلك النحو الذي كانت عليه من التخلُّف والفَقر والجُمود ــ بحُكم ما عرفته من تطوُّر خلال القرنين الماضيَّين بشكل كبيرٍ ولافِتٍ للنظر، في معجمها واصطلاحاتها وتراكيبها وأساليب تعبيرها ومفاهيمها ودلالاتها ومجالات تداولها، وأسهَمَت في ذلك عواملُ كثيرة كانتشار التعليم والإعلام وفكِّ العُزلة وسهولة التواصل وغيرِ من الأسباب ــ فإن هناك من الناس من يحاول إلغاءَ كلَّ هذا التطوُّر الإيجابيِّ الذي عرفَته

---

١ انظر: الودغيري: **اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية.**

العربيةُ خلال القرنين السابقين، ويأبَى إلا أن يراها على تلك الصورة القديمة التي رَسَخَت في أذهانِهم عن حالتها التي كانت عليها في عصور الانحطاط، ولذلك تراهم ما يزالون يصفونها بالتخلُّف والجُمود والافتقار إلى المُصطلحات وابتعادها عن عصر الحداثة، وكأنها ظلَّت محجوزةً في كَهفٍ مُظلِمٍ و لم تعِش حياةَ التطور العصري الذي عايَشته اللُّغاتُ الأخرى. من الصحيح أن نقول عن العربية إنها ما تزالُ في حاجة إلى مزيدٍ من التطور والنُّمُو، ولكن القِسط الذي تحتاجُ إليه لا يجعلها عاجزةً عن القيام بكل وظائفها المطلوبِ القيامُ بها، كما أن تهميشَها وإقصاءَها هما السبَبُ الحقيقي فيما تُعانيه من صُعوبات.

لقد انتقَلَت هذه الروحُ العَدائية لِلُفُصحى من مرحلة ما قبل الاستقلال إلى عهود ما بعد الاستقلال في أوطاننا العربية، وظلَّت تتفاقَمُ بدلَ أن تتوارَى أو تتراجَع.

٢ ـــ ٧ ـــ استشراء داءِ الغزو الثقافي واللغوي الذي ذكرناه سابقاً وتفاحُش أسبابه وظواهره بفعل عوامل كثيرة لا يسمح المجال بالتوقُف لتحليلها وذكر تفاصيلها، مصحوباً بتلك الشُّحنة العَدائية لِلُفصحى التي غَرسَها الاستعمارُ و ظلَّ يتعهَّدُها ويُغَذَيها. ومن تجلِّيات هذا الغزو مُزاحمة اللغات الأجنبية للعربية الفُصحى داخل أوطَانها، في كل المجالات الحيوية كالتعليم والإدارة والاقتصاد والإعلام وغيرها.

٢ ـــ ٨ ـــ تهميشُ العربية الفُصحى وإبعادُها من مجالات حيوية كثيرة أهمُّها مجال التعليم التقني والعلمي والفنّي، ومجال الإدارة كما الحالُ في عدد من

البلدان المغاربية، ومجالات أخرى كالاقتصاد وقطاع واسعٍ من الإعلام. وقد تُرِكَت المجالات التي مُنِعَت منها الفُصحى إما للغات الأجنبية وحدها، وإما تقاسَمتها هذه اللغاتُ مع اللهجات الدارجة، ولم يُترَك منها للفُصحى إلا ما فاضَ عن حاجتهما، كما هو حالُ الإشهار والإعلام المرئي والمسموع والأفلام والسينما والأُغنية والمسرح والبرامج التلفزية والإذاعية ... الخ.

٢ ـــ ٩ ـــ تثبيتُ فكرة الدولة العربية القُطرية ذاتِ الحُدود الجُغرافية المُغلَقة والنظام السياسي الخاص، مما جعلَ هذه الدولة تتصرَّف داخلَ حُدودها التُّرابية بمنطق الدولة المُستقلة استقلالاً تاماً ونهائياً عن أية دولةٍ عربية أخرى حتى في المجال الثقافي واللغوي الذي هو في الأصل مجالٌ مُشترَكٌ وملكٌ مُشاعٌ بين أبناء الشعوب العربية كُلِّها. فالعُزلةُ الإقليمية السياسية والتُّرابية أَسهَمَت بوضُوحٍ في إفراز العُزلة الإقليمية اللغوية، مما حدا بعددٍ من الأصوات أن ترتفع مُطالِبةً هناك وهناك بالاستقلال اللغوي والدعوة إلى « دَستَرة» اللهجة المحلية والاستغناء بها عن الفُصحى المُشتركة. وهناك في بعض دول المغرب العربي أصواتٌ متطرِّفةٌ تذهبُ إلى أبعدَ من هذا حين تصرِّحُ بأن الفُصحى هي لُغةُ الغُزاة العرب، وإذن لا مجالَ لبقائها على أرض هذه المنطقة. وهكذا أصبحت الفُصحى ـــ والحالةُ هذه ـــ لغةً منبوذةً ومُشَرَّدةً لا ظهرَ يَحميها ولا بلداً يأويها ولا أُمّاً حقيقية تحنو عليها.

٢ ـــ ١٠ ـــ وزادَ في نَبذِ الفُصحى وعُزلتها، داخلَ أوطانها، وتقوية دور اللهجات، حالةُ الفُرقة والتمزُّق والانقسام التي يعيشُها ما نُطلِقُ عليه مجازاً اسمَ (العالَم العربي). لقد انصرَفَ العربُ عن لغتهم بما هم فيه من

التنازُع والتنابُذِ والتحارُب، فَأُهمِلَت وتُركَت لِمحنتها ومُعاناها. ويا ليتَ الأمر وقَفَ عند ذلك المستوى، فقد سُلِّطَت عليها اللغاتُ الأجنبيةُ بقُوة ضاريةٍ، وهي في عُقر دارها مَكشوفة عاريةٌ، فكشَّرَت عن مخالبها وأنيابها لافتراسِها ونَهشِ ما تبَقَّى من أشلائها المُبعثَرة وعِظامها المُكسَّرة، والناسُ من حولها في فُرجةٍ يتفكَّهون.

٢ ــ ١١ ــ انخراطُ أيادٍ أجنبية بشكل سافرٍ وواضح في الدعوة إلى الدوارج والعاميات وتشجيع استعمالها وإعداد الدُّعاة والمُنظِّرين لها من أبناء الوطن العربي، وبذل الأموال والعَطاءات السَّخية لآجل ذلك. وقد ذكرنا ــ في بحث سابق[1] ــ أمثلةً من هذا التدخُّل الأجنبي في دفع هذا الاتجاه والتحريض عليه، منذ القرن التاسع عشر، ولم يزدَد اليوم إلا اتساعاً واستفحالاً.

والخلاصة، أن العربيةُ الفُصحى، تُحاصَر اليوم من كلِّ جانِب: تُحاصِرها القُوى الخارجية العامِلة بمخطَّط واضِحٍ على تمزيق ما تبقَّى من خُيوط اللُّحمة التي تجمع الآمة العربية الإسلامية وتقوِّيها وتجمعُ بينها فتصبح قُوةً مخيفةً لها، وتُحاصَر، بإطلاق يد اللَّهجات لتعبَثَ فيها كما تشاءُ دون حسيبٍ ولا رقيبٍ، ويَدِ اللغات الأجنبية لتقضي على ما تبَقَّى من شَظاياها المُتكَسِّرة والمُبعثَرة هنا وهناك، سواءٌ في المدرسة أم في الإدارة والشارع والإعلام والإشهار والتجارة والاقتصاد وكلِّ ميادين الحياة. ويُحاصِرُها من الجوانب كُلِّها ما هو أَمَضى وأقسى وأشدُّ، وهو الموقفُ السِّلبيُّ لأصحاب اللغة منها، وكلُّهم مسؤولٌ ضالعٌ في المسؤولية، إما مُدبِرٌ منُصَرِفٌ عنها انصرافاً كلياً عن قصد ونيَّةٍ مُبيَّتةٍ، وكارِهٌ لها كراهيةً عَمياء رضَعَها–

---

١ الودغيري: **الدعوة إلى الدارجة في المغرب**...

فيما رضَعه من كراهيةٍ لدينه وتاريخه وحضارته وثقافته وانتمائه الحضاري - من لِبان المدارس الأجنبية، وإما مُهمِلٌ مُفرِّطٌ، أو غيرُ آبهٍ ولا مُبال، أو مُقصِّرٌ في حمايتها والاعتزاز بها، وهو بصَمته وإهماله وموقفه السَّلبي هذا مُتواطؤٌ على قتلها ونَحرها. وكلُّ هذا وذلك إنما بسببَ ما في نفوس أهلها من أمراضٍ وعُقَد نفسية، وبسبَب تفكُّكهم وتمزُّقِ وحدَتهم وتخلُّف تفكيرهم وتبعيَّتهم واستلابهم. كلٌّ ذلك جعلَهم يتنكَّرون للغتهم وهي الرُّكنُ الأساسُ لهويَّتهم.

وظُلمُ ذوي القُربَى أَشدُّ مَضاضةً على النَّفسِ مِن وَقعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ

إن الفُصحى لا تنهَضُ بالتعاطُف الكلامي، ولا بالشعارات الفارغة، ولا حتى بكتابتها في ديباجات كلّ الدساتير العربية، أو التَّغَنِّي بأمجادها الماضية، ولكنْ بتفعيلها وإعمالِها في كلِّ مجالات الحياة، وتَعميمها وجعلِها لغةَ تلقين العُلوم في كل مراحل التعليم بمختلف تخصُّصاته، وفَرضها في الإدارة والاقتصاد وكل وسائل الإعلام ومجالات الحياة الأخرى، فضلاً عن العمل على تأهيلها وتطويرها وتنميتها، وتطوير مناهج تعليمها، والسعي بكل وسيلةٍ لنشرها في أنحاء مختلفة من العالَم. وهذا ما لا يخوضُ فيه أهلُ اللغة العربية بشكل جدِّي، وإنما قد يُكثرون فيه الكلامَ دون جدوى ولا طائل.

٣ ــ أخطار الظاهرة:

لقد تعرَّضنا في بحث سابقٍ إلى أهم الأقاويل والدعاوى التي تطرحُها الموجة الجديدة المناهضة للفُصحى والداعية لإحلال العاميات محلَّها، في التعليم والإدارة والإعلام وكل مظاهر الحياة، ومنها:

ــ كونُ الفُصحى لغةً مَيِّتة (أو جامدة في أحسن الأحوال)، بينما

الدارجة لغة حيَّةٌ متطوِّرة ومُعبِّرة عن الحياة اليومية.

ــ أن الفُصحى لغة الماضي تُدافِعُ عنها التياراتُ المُحافِظة في المجتمع، وهم يريدون لغة الحداثة والعَصرنة.

ــ أن الفُصحى مرتبطةً بالدِّين والمُقَدَّس، فيجب تَركُها للمساجد والعُبّاد والمُتزَهِّدين والكُتُب الصفراء، والناسُ يريدون لغة الدولة المدنية اللادينية «العصرية». وأغلبُ الذين يقولون هذا من اللائكيّين الذين لهم موقفٌ معروفٌ من الدين.

ــ أنها لغة أقلِّية من المُثَقَّفين المُعرَّبين لا تأثير لهم في مُجريات الحياة. ومن ثَمَّ أصبحَ التعريبُ في نظرهم مجرَّد تخريب. والناسُ في عصر الديموقراطية ــ كما يزعمون ــ يريدون لغةَ الفئة العريضة من الشعب وهي العامية أو الدارجة.

ــ أن الفصحى في نظر فئة من المُتطرِّفين الغُلاة ــ ولاسيما في منطقة المغرب العربي الكبيرــ لغةُ أجنبيةٌ جاءت مع الغُزاة العرَب، مثلُها مثل أية لغة أجنبية أخرى جاء بها الاستعمار.

ــ أنها في نظر آخرين ليست مُكوِّناً أساسياً من مُكوِّنات الهُوية.

إلى غير ذلك من المُسوِّغات الواهية.

ولاشك في أن المرء حين يتبرَّأُ من أيِّة علاقة له أو ارتباطٍ بالدِّين أو حضارة الأمة العربية الإسلامية وثقافتها وهُويَّتها وتاريخها ومُستقبلها ومصير وحدتها، أو يختفي تحت شعار شُوفينية إقليمية أو عِرقية أو طائفية، أو مصلحة إيديولوجية أو سياسية آنية، وأحياناً تحت غِطاء«الحياد السَّلبي» الذي يمارسُه بعضُ مدَّعي «الموضوعية العلمية» الزائفة والمُداهِنة، خوفاً أو

تَقيةً حتى يُحافِظ على موقِعٍ أو منصبٍ عند ذوي الجاه والنُّفوذ، أو تملُّقاً لفئات اجتماعية معيَّنة... حين يفعلُ المرءُ ذلك، فلا عَجَبَ أن يهونُ عليه اتخاذُ موقفٍ من هذه المواقف السَّلبية والمتطرِّفة التي لا يهمُّها شأنُ هذه الأمة إن تمزَّقت أو تفرَّقت أو ضَعُفَت أو ذهَبَت يوماً إلى الجحيم. ولا عجَبَ أيضاً أن تسمع مَن يفكِّر على النحو الآتي فيقول: «إننا مغاربةٌ ونحتاجُ للغة توحِّدُنا، وهي اللغةُ الممزوجةُ بين العربية والأمازيغية والفرنسية والإنجليزية...»[١]. فالقائلُ هنا خالي الذهن عن فكرة الوحدة العربية والأمة الإسلامية حضارياً وثقافياً ودينياً وتاريخياً وسياسياً. كما هو خالي الذهن عن تصوّر جدِّي لما ستكونُ عليه مثل هذه اللغة الهجينةُ التي يدعو إليها، وكأن المغرب بلدٌ لم تكن له لغةٌ في يومٍ من الأيام، أو أنه يمكن أن يعيش مُنفصلاً تمامَ الانفصال عن بقية جاراته وشقيقاته في الدول العربية. أو أن اللغة العربية وحدها أصبحت لا تفي بالغرض. وعوضَ التفكير في إصلاح الواقع اللغوي وتقويمه، يعملون على «تَرسيمه» وتثبيته، على حساب كثير من القيَم التي لا يومنون بها.

وهكذا، فإن هذه الظاهرة التي نتحدث عنها، هي من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن ينظر إليها ويعالجها كلُّ شخص من موقعه الديني والثقافي والسياسي والاجتماعي وانتمائه الطبقي والقبلي والعِرقي...

١ من كلام نقلته رحمة بورقية عن أحد الفاعلين السياسيّين في المغرب، ضمن مقالها المنشور بمجلة: **المدرسة المغربية،** ع ٣ مارس ٢٠١١م. بعنوان: **التعدد اللغوي بين المجتمعي والسياسي.**

وباختلاف المواقع، تختلفُ الرُّؤى والمواقفُ. وأما نحن، فلا نخفي أننا ننطلقُ في معالجة المسألة من منطلق المواطن المُتعلِّق بدينه والمنتمي انتماءً قوياً لحضارة أُمته وثقافتها وتاريخها المجيد، والمتطلِّع إلى تحقيق أمال شُعوب هذه الأمة في الوحدة والنهضة والانتصار. بعد عصور من المحنة والانهيار والانقسام والتبَعية والمهانة والانكسار. ولكن هذا الانتماء لا يمكن أن يحول دون الإحساس بالمسؤولية العلمية التي تقتضي الصدق في القول والموضوعية في التحليل والشمولية في التناول.

من هذا المنطلق إذن، أرى أن تفاقُم ظاهرة العامية، وتعاظُم أصوات الداعين لها من أصحاب الموجة الجديدة، تشكِّلُ أخطاراً متعدِّدَةَ الأبعاد على مصير أمتنا ومآل وحدتها ومستقبل لغتها وثقافتها. ومن أهم الجوانب التي تتجلَّى فيها هذه الأخطار، في حالة نجاح مشروع الدعوة للعاميات والقضاء على الفُصحى المُشتركة، نذكر ما يلي:

ـــ تهديدُ كيانَ الأُمةِ العربية بالتفتيت اللغوي والثقافي والحضاري بعد التفتيت الجُغرافي الذي تُعاني منه، فيزدادُ ضَعفُها وانقسامُها على ما هي عليه حالاً من الضَّعف والفُرقة والانقسام السياسي، والإمعانُ في إحلال السُّطُوح الجُغرافية المُسَيَّجة بحدودٍ وهمية وممتدة أُفُقياً، محلَّ العُمق التاريخي والحضاري المُشتَرَك، وإحداث عشرات اللغات القومية المحلية عوضَ لغة واحدةٍ جامعة وموحِّدة.

ـــ وضع حاجزٍ متينٍ بين أجيال المستقبل وأجيال الحاضر والمستقبل التي سوف تجد نفسَها عاجزةً عن قراءة تاريخها وتُراثها العلمي والأدبي والفكري بصفة عامة بلغته الأصلية، ومن لا يستطيع قراءة تاريخه لا يمكنه

الاعتزازُ بماضيه وجذوره التي تنقطعُ صلتُه بها بانقطاع وسيلة الاتصال وهي اللغة. ومن فقدَ العِزةَ فقد ذَلَّ وهانَ.

ــ وضع حاجز يحولُ دون فهم النصوص الدينية الأصلية وخاصة القرآن والسُّنة، فهماً صحيحاً يؤدي إلى التطبيق الصحيح للديانة التي تدينُ بها الأغلبيةُ الساحقة من المنتمين إلى هذه الأمة. وأكثرُ مظاهر التطرُّف والشَّعوذة تأتي من سُوء فهم الدين وتطبيقه على غير حقيقته.

ــ التفريطُ في أهمِّ رابطٍ قويٍّ ــ بعد الإسلام ــ مَنحه اللهُ لشعوب هذه الأمة لكي تلتقي وتتواصل فيما بينها على مرِّ العصور، واستبداله بعشرات اللغات المُصطنَعة والمَخبَرية واللهجات المحلية الضعيفة.

ــ القضاء على أهم كنز من كنوز الحضارة والثقافة الإنسانية التي تختزنُها اللغةُ العربية طيلة قرون عدة لا يتوفَّرُ مثلُه لأية لغةٍ من اللغات البشرية الحية.

ــ الاستسلام للغزو اللغوي والثقافي الأجنبي، لانعدام وجود لغةٍ أخرى من اللغات واللهجات المنتشرة في العالم الإسلامي تستطيعُ أن تقف في وجه الصراع اللغوي والثقافي الذي تخوضُه الأمةُ، لضعفها وقلة حيلتها. ولا يحسَبَنَّ أحدٌ أنه بتراجع العربية ستنتصر اللغاتُ الوطنية المحلية وتحلّ محلَّ العربية، في غناها وطول تجربتها وتراثها المكتوب، فما ذلك إلا ضربٌ من الوهم والخيال، فالحقيقة التي لا مراءَ فيها، هي أن كل شِبر تتراجعُ عنه العربية وكلَّ فراغٍ تتركُه سوف ستحتلُّه الفرنسيةُ (في المنطقة المغربية) أو الإنجليزية (في المنطقة الشرقية). وليس هنالك من لغةٍ كبرى لها من المقوِّمات

والعُدَّة والسلاح ما تقاومُ به الغزو اللغوي الأجنبي في أوطاننا سوى اللغة العربية. إن المنتصر الوحيدُ والمستفيدُ الأولُ والأخيرُ من سيادة اللهجات على الفُصحى وإضعاف العربية بصفة عامة هو اللغةُ الأجنبية (فرنسية أو إنجليزية)، ولا شيءَ سواها.

هذه الأخطار الجسيمة التي قد لا يُحسَبُ لها حسابٌ، أو يُستهانُ بأهميتها ووزنها وانعكاساتها، هي التي أصبحت مَبعَثَ قلقٍ جديّ على نحو لم يسبقُ مثيلُه من قبلُ، ذلك أن وجود لهجاتٍ للعربية تُستَعمَلُ بجانب الفُصحى ليس خَطراً في حد ذاته، ولكن الخطر هو أن تُستعمَل اللهجاتُ أداةً لُمحاربة الفُصحى ــ لغة الوحدة الدينية والقومية (بمعناها الثقافي وليس العِرقي) والحضارية والثقافية ــ وتُصبح ذراعاً من الأذرُع التي تستخدمها الفرنكفونيةُ أو الأنجلوفونية وغيرُهما من اللغات الأجنبية. واستعمالُ اللهجات لمحاربة الفُصحى لم يعد مجردَ دعوةٍ تُقالُ، أو صيحةٍ تُطلَق، أو تخطيطاً يُوضَعُ، وإنما أصبح واقِعاً يُعاشُ بشكل ملموس. يقول الأديب والروائي المصري المعروف جمال الغيطاني (سنة ٢٠٠٧م): «الدعوةُ إلى العامية قديمةٌ، الجديدُ الآن أن الدعوةَ لا تُطرَحُ، بل تُنفَّذُ على الفَور»[١]. ولقد استشعر عددٌ من العلماء والباحثين والمفكِّرين هذا الخطر الزاحفَ الذي أصبح يُهدِّدُ الفُصحى في هذه المرحلة كما لم يسبِق أن هدَّدها من قبل، لدرجة أن بعضاً منهم قد استعمل في وصف الحالةَ التي تؤولُ إليها لغتُنا القومية في هذه المرحلة بحالة الانتحار، عبَّر عن ذلك الكاتبُ المصري الشهيرُ

---

١ المسدي: **العرب والانتحار اللغوي** ص ١٧٣

رجاء النقاش في كتاب جعل له عنواناً موحياً وهو: **هل تنتحر اللغةُ العربية؟**، كما عبَّر عنه اللسانيُّ والأديبُ التونسي المعروف عبد السلام المسدي في كتاب له بعنوان: **العرب والانتحار اللغوي**. ولقد كتَب المسدّي بمرارة شديدة قائلاً: «كلُّ ما في المشهد الخارجي يوحي بأن معركة اللغة العربية محسومةٌ، وكلُّ ما في النفس من تَوقٍ وأَمَلٍ، وما في القلب من سَكينة وثَباتٍ وما في الفكر من تدبُّرٍ خلاقٍ، يوحي بأن العرب قد يلغُ بهم الغباءُ حتى التفريط في آخر قلعةٍ من قلاع الذات الجماعية»[١]. ويقول في موضعٍ آخر: « فنحن ننتحر لغوياً في تواطؤٍ جماعيٍّ فظيع، وانتحارُنا اللغوي تُرجمانٌ أمين عن انتحارنا السياسي» (ص١٨٥). ثم يمضي قائلاً (ص١٨٦):«والأمرُ في موضوع اللغة العربية أصعبُ وأكثرُ تعقيداً؛ لأن انحلال الفصحى بالضياع والتآكل المُفضِيَين إلى الاندثار تيارٌ يَجرفُ الجميع، ولا يتطلَّبُ جهداً؛ إذ يكفي فيه الاستسلامُ إلى القوة الضاغطة، وكل بلَد سيلوذ بعاميَّته طبقاً لنزعة المجهود الأدنى. أما حركةُ الاستدراك فستكون متوقِّفةً على توافُق كل مراكز القرار السياسي وهي متعدِّدة مُتباينة وكثيراً ما هي مُتضارِبة..»ص١٨٦، ويصل به الإحساسُ بالأَلَم أقصاه حين يقول: (ص١٨٢):« ولكن ضرباً من الحَدس الاستشرافي يقول لي: إن غياب الوعي بالمُعضلة اللغوية لدى أصحاب القرار في وطننا العربي إذا استمرَّ على ما هو عليه، فإن اللغة العربية ستَكُفُّ عن أن تكون لغةً حيةً كما هي الآن، وذلك بعد ثلاثة أجيالٍ على أقصى تقدير، أعني بعد قرنٍ واحدٍ من الآن». وهو يقصد اللغة العربية

١ المسدي: **العرب والانتحار اللغوي** ص ١٦٧

الفصحى التي تعيش حالةً من الضَّعف بسبَب الإهمال والتهميش من جهة، وحالةً من تكالُب كلٍّ من اللغات الأجنبية واللهجات العامية عليها.

٤ ــ نحو تخطيط لغويٍّ لإنقاذ الفُصحى:

أما معالجة أخطار هذه الفَجوة والتغلُّب عليها في أوطاننا العربية، فلا يمكنان إلا باللجوء إلى التدخل المُباشر من قِبل الأجهزة الحكومية والَمجمَعية والعلمية والإعلامية، ووضع تخطيط لغوي وتدابير صارمة لحماية العربية من هذه الظاهرة الخطيرة، وهذا التخطيط لا بد أن يكون هدفُه الأساسُ تقوية مكانة الفُصحى في المؤسسات المُجتمعية، وتقليص الهوة بينها وبين اللهجات العربية المتفرِّعة عنها. ومما يجب اتخاذُه في هذه السبيل:

٤ ــ ١ــ إلزامية استعمال الفُصحى في كل مراحل التعليم وخصوصاً التعليم العالي بكل تخصُّصاته وشُعبه. وتقوية حِصصها في التَّعليمين العمومي والخصوصي.

٤ ــ ٢ ــ تعميم استعمال الفُصحى في كل المرافق الإدارية. ومنع استعمال اللهجات في كتابة اللافتات والإعلانات وأسماء المحالِّ والمتاجر والإشهار. وذلك بسنِّ قوانين صارمة وتفعيلها.

٤ ــ ٣ ــ اتخاذ تدابير على مستوى الوطن العربي كله لتقريب العامية من الفُصحى، وهذا لا يتأتى دون تعميم التعليم ومحو الأمية بالعربية الفُصحى.

٤ ــ ٤ ــ قيام الإعلام بكل أنواعه ومستوياته بدوره في هذا المجال. ولا نقصد بالإعلام نشرات الأخبار فقط، ولكن نقصد أن تُستغلّ كلُّ مساحة في فضاءات الإعلام استغلالاً جيداً لنشر الفُصحى وترويجها، كالأفلام والمسرحيات

والأغاني الفصيحة والبرامج الترفيهية الأخرى (برامج الطبخ، والمسابقات، والدردشة... وسواها)، والبرامج الرياضية، وبرامج الأطفال، والبرامج الاجتماعية، والدينية والسياسية والاقتصادية وغيرها. فضلاً عن الوسائط الإعلامية الأخرى من شبكات عنكبوتية وهواتف محمولة ونحوها.

٤ ــ٥ ــ إعادة الاعتبار للمدرسة الوطنية العُمومية داخلَ كلِّ قُطر عربيّ، بتقويَّتها مادياً ومَعنوياً وتربوياًّ، وإصلاح مناهجها وطُرُق تعليمها، وتقوية حِصص اللغة العربية فيها، والرَّفع من القيمة المعنوية والفعلية لُمدرِّسيها، وللشهادات التي تمنحُها، وإنقاذها من الإهمال والترهُّل الذي أصابَها خلالَ السنوات الأخيرة، وإعطاء الأسبقية في العمَل لخرِّيجيها في القطاعات العامة التابعة للدولة، وتقليص دور المدارس الأجــنبية (ســواء ما كان منها تابعاً لبعثة تعليمية أجنبية كالبعثة الفرنسية، أو تابعاً بشكل من الأشكال لبعثة تنصيرية وما أكثرَها في البلاد العربية) وقَصْرها على أبناء الأجانب الُمقيمين، وإجبار المدارس الخاصة (أو الأهلية) على تبنِّي مناهج الدولة التي تضعها وزاراتُ التعليم العُمومي وعدمِ الخُروج عليها، ومَنعها من تطبيق مناهِج المدارس الأجنبية أو السَّير على منوالها، وخاصةً تلك التي تُقصِي العربيةَ الفُصحى وتعليمَ الدين الإسلامي والثقافةَ العربية من برامجها. وفضلاً عن هذا وذاك، يجب أن نقول كلمةَ حقٍّ لا لبس فيها، وهي أن ديموقراطية التعليم، التي تعني بكل بساطة: المساواةَ بين المواطنين جميعاً في حق التعليم ونوعيته ومستواه، لا يمكن أن يكون لها تطبيقٌ عملي، بل لا يكون لها أيُّ معنىً في ظل الامتيازات التي تُعطى للمدارس الأجنبية وحاملي

شهاداتها، والأسبقية التي تُمنَحُ في كثير من أقطارنا العربية لخريجيها، في سُوق العمل وفي احتلال مراكز القيادة والقرار. ولا يمكن أن تغرِس قيَمَ المواطنة والولاء للأمة في نفُوس الأجيال الناشئة إلا إذا كان المُتعلِّمون جميعاً ينهَلُون من معينٍ واحد، ويرضَعون من ثَديٍ واحدة، وهو المدرسة العمومية. فالمدرسة العموميةُ هي التي تجعلُ الجميع ينالُون حظَّهم من التعليم والتكوين والمعرفة بشكلٍ متساوٍ لا ميزَ بينهُم. ولذلك يجب في نظري تقويةُ دور هذه المدرسة بالشكل الذي ذكرتُه قبل قليل. وهذا لا يعني ـــ بطبيعة الحال ـــ أننا نُقيِّدُ حريةَ الناس في تعلُّم ما يشاؤون، ونتحكَّمُ في اختياراتهم وما يريدونه لأبنائهم، ولكننا نُريدُ فقط:

أ) أن نضمن للجميع فُرصاً مُتساويةً في التعلُّم إلى أقصى حدٍّ مُمكن.

ب) وقَدراً مُشترَكاً من الثقافة والتعليم واللغة في مرحلةٍ تعليمية معيَّنة (إلى مرحلة الشهادة الثانوية مثلاً)، لأن هذا القدر المُشترَك هو الذي يضمن الحدَّ الأدنى من التماسُك والانسجام الاجتماعي والحدَّ الأدنى من الولاء الفكري للوطن.

ج) أن نضع حداً لهذا الداءَ الذي يسمى (المدارس الأجنبية) الذي ينخُر جسم المجتمع العربي الإسلامي ويُحدِثُ فيه ما يشاءُ من الشُّروخ والنُّدوب والتَّمزُّقات والصراعات.

ولقد صدقَ الأديبُ الجزائري المعروف مالك حداد ـــ وهو من الكُتاب الذين استعملوا الفرنسية في كتاباتهم ـــ حينما قال: « إن المدرسة الفرنسية تستعبدُ أرواحَنا». وقبله كان جبران خليل جبران يقول: إن

«الشابّ الذي يتناول لُقمةً من العِلم في مدرسة أمريكية قد تحوَّل بالطبع إلى مُعتَمَدٍ أمريكي، والشابُّ الذي تجرَّعَ رَشفَةً من العلم في مدرسة يسوعية صار سفيراً فرنسياً ، والشابُ الذي لبس قميصاً من نسيج مدرسةٍ روسية أصبح ممثِّلاً لروسيا... إلى آخر ما هنالك من المدارس، وما تُخرِجُه كلَّ عامٍ من المُمثِّلين والمُعتمَدين والسُّفراء...» إلى أن يقول:«نعَم سوف يعمُّ انتشارُ اللغة العربية في المدارس العالية وغير العالية، وتُعلَّم بها جميعُ العلوم، فتتوحَّد ميولُنا السياسية وتتبلور مَنازِعُنا القومية ، لأن في المدرسة تتوحَّد الميولُ، وفي المدرسة تتجَوهرُ المنازِع، ولكن لا يتمُّ هذا حتى يصير بإمكاننا تعليم الناشئة على نفقَة الأمة. لا يتمُّ هذا حتى يصير الواحد منا ابناً لوطنٍ واحدٍ بدلاً من وطَنين مُتناقِضَين، أحدهما لجسده والآخر لروحه...»[١] .

٤ ـــ ٦ ـــ تفصيح عدد من الألفاظ والتعبيرات المُستعملة في عاميات العالَم العربي ودوارجه ولاسيما ما كانت العربيةُ في أمسِّ الحاجة والافتقار إليه ، ولاسيما ما كان منها مُراعياً لشروط التوليد والاشتقاق المعروفة في العربية، أما ما لم يكن كذلك فيجبُ تهذيبُه وتنقيحه ليُصبح مقبولاً عربياً. ومن هذه الألفاظ الدارجة على ألسنة المغاربة و لم تجد مكانَها في القواميس الحديثة نذكر الأمثلةَ الآتية:

بَحيرة (بُستان للخُضَر) ـــ مِرَمّةٌ (آلةٌ للنسج الأثواب) ـــ مَلوِية(نوعٌ من الرَّغيف الذي ُطوى) ـــ شِيبة (نباتٌ يُستعمل مع الشاي مثل النعناع) ـــ دَلاّكٌ (آلة خشبية يدوية لدَلك العجين، شخص يُدلِّكُ جسم

١ راجع مجلة **الموقف** المغربية ع ٣ س ١٩٨٧م.

الإنسان) ــ كَسّابٌ (شخصٌ يتَكسَّبُ من تربية المواشي) ــ كَيّاسٌ (شخصٌ يمتهنُ تدليك الجسم باستعمال كَيس مُخصَّص لذلك) ــ مَنصورية (لباسٌ خفيفٌ يُلبَسُ فوق لباس آخر) ــ جَبّانةٌ (آنيةٌ يُوضَعُ فيها الجُبنُ أو يُصنَعُ) ــ السُّفُوفُ (نوعٌ من الطحين الُمحمَّص) ــ الشَّبّاكية (نوعٌ من الحلوى الُمشبَّكة) ــ السِّلهامُ[١] (بُرنُسٌ طويل) ــ شَفّارٌ (لص) ــ قَرعةٌ (قِنّينةٌ) ــ عَمّارية (هَودَج تجلسُ فيه العروسُ) ــ بَرّادٌ (آنيةٌ للشاي) ــ التَّفصيلة (القطعة الُمفصَّلة من الثوب، الشِّقة)[٢] ــ سَقّايَة (نافُورة يُستَقَى منها) ــ الهِندية (ثمرةٌ شَوكية أصلُها من أمريكا اللاتينية) ــ الصّينية (أداةٌ لحمل الأطباق وكؤوس الشاي وأصلها من الصين) ــ القَصرية (آنيةٌ من الفَخّار لحفظ السَّمن والعسل ونحوه) ــ

٤ ــ ٧ ــ العمل بكل الوسائل الُممكنة (عن طريق وسائل الإعلام والمدرسة وسواها) على ترويج الألفاظ العربية الُمقابلة للكلمات الأجنبية التي يُضطرُّ الناسُ لاستخدامها في حياتهم اليومية بسبب جهلهم بمقابلاتها العربية، ولاسيما ألفاظ الحِرف والصناعات وما يُتدلوَلُ من ألفاظ وظيفية في كل مهنة من المهَن الحديثة.

٤ ــ ٨ ــ تأليف قواميس تتضمَّن الرصيد الوظيفي المشترك بين

---

١ أصل الكلمة موجودٌ في القواميس الفصيحة القديمة.

٢ كلمة تفصيلة المستعملة بشكل شائع جداً في المغرب بالمعنى الذي ذكرتُه، وردت في نص **ألف ليلة وليلة** وهي قوله: «ثم رَحَت (أي: أرخَت) القناعَ وأَخذَت التَّفصيلة». وقد احتار المرحوم إبراهيم السامرائي في فهم معنى هذه الكلمة فقال: « أما التفصيلة، فلم أهتدِ إلى الُمراد منها ، فربما كانت دالةً على نوعٍ خاصٍّ من الثياب» **التطور اللغوي التاريخي** ص: ١٨١.

الناس، يتكوَّن من الألفاظ المُتداولة في كل الميادين والحرف والمِهَن والأدوات والآلات والمُستحدَثات، على أن يتمَّ تحيينُه ومراجعته باستمرار لاستيعاب المُستجدات والتطوّرات.

٤ ــ ٩ ــ فرض رقابة على الاستعمال اللغوي من أجل تصحيحه وتصويبه في كل المجالات، وخاصة في مجالات الإعلام والإعلان والإشهار والدعاية ولافتات المتاجر والمقاهي والشركات وكل المرافق الخاصة والعامة.

٤ ــ ١٠ ــ سنُّ قوانين وتشريعات لحماية اللغة العربية، والفُصحى على وجه الخُصوص، وحُسن استخدامها. ولا يكفي أن تكون اللغة العربية لغةً رسمية منصوصاً عليها في ديباجات الدساتير العربية، ولكن لا بدَّ من تفعيل هذه الدَّسترة، بتحويل استعمال العربية إلى واقع فعلي نعيشُه ونحياه ونُمارسُه ، وليس إلى مجرد كلمات محنَّطة في دساتير لا يُعمَلُ بها. فواقعُ كثير من الدول العربية ومنها المغربُ والجزائر في الشمال الإفريقي، يقول إن اللغة الرسمية الحقيقية هي اللغة الفرنسية وليست العربية، رغم أن كل الدساتير المغربية منذ الاستقلال إلى يوم، تنصُّ على أن العربية لغة رسمية.

٤ ــ ١١ ــ تقوية أواصر الوحدة والتقارب بين الدول العربية؛ لأن من شأن ذلك أن يُساعد على تعزيز وضعية اللغة المشتركة بين هذه الكُتلة البشرية الواسعة.

مراجع البحث

مصادر قديمة:

ـــ **تاج العروس**، مرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الكويت.
ـــ **شفاء الغليل بما في العربية من الدخيل**، تحق. محمد كشاش، بيروت ١٩٩٨م.
ـــ **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، نشوان بن سعيد الحميري، تحق. حسين بن عبد الله العمريوآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩م.
ـــ **طبقات النحويّين واللغويّين**، أبو بكر الزبيدي، تحق. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣م.
ـــ **القاموس المحيط** للفيروزبادي، طبعة بولاق.
ـــ **القول المُقتَضَب فيما وافَقَ لغة أهل مصر من لغات العرب**، محمد بن أبي السرور الصديق الشافعي، تحق: السيد إبراهيم سالم، دار الفكر العربي، ١٩٦٢م.
ـــ **كتاب الأمالي**، أبو علي القالي، المكتب التجاري، بيروت، نسخة مصورة.
ـــ **كتاب سيبويه** ـــ تحقيق عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.
ـــ **كتاب الكامل في التاريخ**، لابن الأثير .ط. دار صادر، بيروت ١٩٦٦م.
ـــ **لسان العرب**، ابن منظور الإفريقي، بيروت.
ـــ **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، عبد الرحمان السيوطي، تحق. محمد أحمد

جاد وصاحبه، مصر، بدون تاريخ..

ــ **مقاتل الطالبيّين** ، أبو الفرَج الأصبهاني، طبعة دار علوم الدين، بيروت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

ــ **معجم الرهوني للغة العربية العامية التطوانية**، دراسة وتهذيب، زينب نبن عبود، تطوان ،٢٠٠٧م..

مراجع حديثة:

ــ **ازدواجية اللغة: النظرية والتطبيق**، إبراهيم صالح الفلاي، الرياض ١٩٩٦م.

ــ **الأضداد الفصيحة في اللغة العامية الجزائري**، عبد الجليل مرتاض، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، ع٢٢س ٢٠٠٩م.

ــ **ألفاظ حضارية من خلال: آثار البلاد وأخبـــار العبـــاد للقزويني**، عبد العلي الودغيري، مرقون.

ــ **أهمية العمل الجواري في ترقية استعمال اللغة العربية بالجزائر**، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ٢٠١٠م.

ــ **أهمية وضع سياسة لغوية وطنية للغات**، عبد الحميد مهري، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر ، ٢٠٠٧م.

ــ **تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث**، عبد العزيز ابن عبد الله، دار لسان العرب، بيروت (دون تاريخ).

ــ **التطور اللغوي التاريخي**، إبراهيم السامرائي،

ــ **دراسات معجمية: نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى**، دار النجاح الجديدة، البيضاء (المغرب) ٢٠٠١م.

ــ **درس تاريخي في العربية المحكية**، إبراهيم السامرائي، عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٠م.

ــ **الدعوةُ إلى الدارجة في المغرب: الجذور والامتدادات ــ الأهداف والمُسوغات**، مجلة: **التاريخ العربي**، عبد العلي الودغيري، الرباط ع٥٦، ٢٠١١م.

ــ **دور اللغة العربية في التنمية الشاملة وتحقيق الأمن الثقافي** ، عبد العلي الودغيري، بحث أُلقي في ندوة: التخطيط اللغوي، المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، أبريل ٢٠٠١١م.

ــ **رحلة المعجم التاريخي**، إبراهيم السامرائي، عالم الكتب، القاهرة١٩٩٩ م.

ــ **سوسيولوجيا اللغة**، بيار أشار، ترجمة: عبد الوهاب تزو، بيروت ١٩٩٦م.

ــ **العامية الجزائرية وصلتُها بالفُصحى**، عبد المالك مرتاض، الجزائر ١٩٨١م.

ــ **عامية مكة ومدى قُربها من الفُصحى**، فتحية حسين عبد الغفور عطار، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٣٠ ط٢.

ــ **العرب والانتحار اللغوي**، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ٢٠١١م.

ــ **غريب لغة قبيلة شَمَّر: حائل وما حولها**، هَزّاع بن عبيد الشَّمَّري، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط١س٢٠٠٧م.

ــ **قائمة مكة للمفردات الشائعة**، إعداد مجموعة بحث برئاسة تمام حسان، منشورات جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، بدون تاريخ.

ــ **قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي**، عبد العلي الودغيري، منشورات عُكاظ، الرباط ١٩٨٩م.

ـــ **لغة الخطاب الإعلامي بين الفصحى والعامية**، عبد العلي الودغيري، ضمن كتاب: **اللغة العربية في الخطاب التشريعي والإداري والإعلامي في المغرب**، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ٢٠١١م.

ـــ **اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية**، عبد العلي الودغيري، مجلة: التاريخ العربي، ع٥٥ س ٢٠١١م.

ـــ **اللغة العربية بين التهجين والتهذيب، الأسباب والعلاج**، مجموعة من الباحثين ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، ٢٠١٠م.

ـــ **اللغة العربية بين الفُصحى والعامية**، خالد مُفلح عيسى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ١٩٨٧م.

ـــ **لهجات العرب** ، أحمد تيمور ، مصر ١٩٧٣م.

ـــ **المحكم في أصول الكلمات العامية**، أحمد عيسى، مصر ط١/ ١٩٣٩م.

ـــ **معجم إرجاع الدارج في المغرب إلى حظيرة أصله العربي**، أحمد محمد الصبيحي ، تحقيق محمد حجي، سلا، المغرب ١٩٨٩م.

ـــ **معجم البادية المغربية**، مجموعة من الباحثين، الرباط ج ١ س ٢٠٠٥م.

ـــ **معجم العامّي والفصيح من كلام أهل الشام**، محمد رضوان الداية ، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٤م.

ـــ **معجم الفصحى في العامية المغربية**، محمد الحلوي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٨م.

ـــ **معجم الفصيح من اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية**، محمد أديب عبد الواحد جمران ، مكنتبة العبيكان ، الرياض ٢٠٠٠م.

ـ **المعجم في المغرب العربي حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري** ، عبد العلي الودغيري، البيضاء، ٢٠٠٨م.

ـ **هل تنتحر اللغة العربية؟** ، رجاء النقاش، ، مصر ٢٠١٠م.ط٢.

فهرس الموضوعات

نحو أطلس لغويّ جغرافيّ للجزيرة العربيّة

إعداد

د . عبد العزيز بن حميد بن محمّد الحميد

مدخل:

يكشف هذا البحث أهميّة الأطلس اللّغويّ الجغرافيّ وكونه أداةً حديثة للرّبط بين اللّغة والجغرافيا، وفيه أقدّم اقتراحاً بإنشاء أطلس لغويّ للجزيرة العربيّة منذ أقدم عصورها، ومحاولة الرّبط بين تلك الظّواهر وامتداداتها في العصر الحديث. وهو ما يلبّي الهدف الرّابع من مؤتمر (اللّغة العربيّة ومواكبة العصر) وهو (الإسهام في ربط اللّهجات المعاصرة بأصولها في العربيّة).

كما أنّه يأتي تحت النّقطة الأولى من المحور الثّاني للمؤتمر، وهي: (إبراز صلة اللّهجات المعاصرة بالفصحى وأثرها فيها)، وعنوان المحور: (اللّهجات والتّأصيل اللّغوي).

يسعى هذا المشروع إلى تحقيق محاولاتٍ لم تكتمل لرسم خرائط لغويّة للهجات الجزيرة، بدأها بعض الدّارسين الغربيّين، وما وُجد من تلك الدّراسات هي في أكثرها دراسات اشتملت على خرائط وإشارات بُني كثير منها على الظّنّ والاجتهاد؛ لكونهم غرباء عن الجزيرة اعتمدوا في دراساتهم على الاجتهاد أو المعاينة تحت ظلّ ظروف قاسية وإمكانات محدودة.

أهداف المشروع المقترح:

فيما يلي أذكر أهمّ أهداف المشروع الّذي أدعو إليه في هذا البحث:

- تلبية حاجة الدارسين في الحقل اللغويّ إلى خرائط جغرافيّة تحدّد مواطن القبائل العربيّة الّتي كان لها أثرٌ كبير في التّعدّد اللّغويّ، إلى جانب المواقع المتّصلة باللّهجات العربيّة القديمة، سواء اللّغويّة والنّحويّة والصّرفيّة والدّلاليّة، مع ملاحظة العلاقة بين تلك اللّهجات القديمة واللّهجات

المعاصرة لقبائل الجزيرة، وهو ما يعدّ تأسيساً لدراسات حيويّة تربط اللّغة بالجغرافيا.

- تصوير الاختلافات اللّغويّة في لهجات أنحاء الجزيرة برسم خرائط تجمع بين العناية بجغرافية البلد والعناية بلغته بمظاهرها المتعدّدة.
- تقريب جغرافية الوطن وإعطاؤها قيمةً خاصّة بربط اللّغة بها.
- يمكن أن يكون هذا المشروع مشروعاً وطنيّاً يمثّل معلومات موثوقة عن مجموعاته البشريّة القديمة والجديدة، وخصائصها اللّغويّة، ويمكن بناء قاعدة بياناتٍ بخصائصها ومظاهرها اللّغويّة.

أهمية المشروع:

يأتي المشروع منسجماً مع أهداف السّياسة الوطنيّة للعلوم والتّقنية في سعيها إلى التّقنية مع المحافظة على أسس الانتماء، ومنها الحفاظ على اللّغة والسّعي إلى جعلها لغة التّقنية، وفي الأساس الاستراتيجيّ الأوّل للسّياسة الوطنيّة للعلوم والتّقنية –تحت السّياسة الثّامنة منه– ما يدلّ على ذلك، ففيها ما يلي: (**اعتماد اللّغة العربيّة مرتكزاً رئيساً لتنمية مكوّنات المنظومة المختلفة، مع عدم إغفال اللّغات الأخرى اللاّزمة لنقل ما يستجد من المعارف العلميّة والتّقنية من مصادرها**)، ولما لقيام دراسة علميّة ترصد لهجات الجزيرة من أقدم عصورها الّتي وصل إلينا وصفُها اللّغويّ من قيمة علميّة، مع ملاحظة العلاقة بين تلك اللّهجات واللّهجات المعاصرة في المملكة، وهو ما يكشف عن عراقة اللّغة في الجزيرة وكونها الموطن الأصليّ للعربيّة.

وفي الأساس الاستراتيجيّ العاشر للسّياسة الوطنيّة للعلوم والتّقنية تحت

السّياسة السّادسة منه ما نصّه: (**دعم وتعزيز مكانة اللّغة العربيّة في مجال تقنية المعلومات**) ولا شكّ أنّ مشروع الأطلس اللّغويّ ما يعزّز من مكانة اللّغة في ميدان تقنية المعلومات لما فيه من استخدامٍ للتّقنية في خدمة اللّغة، فالأطلس المقترح ستكون له صورة إلكترونيّة قائمة على الخرائط الرّقميّة الّتي يمكن استخدامها بصيغتها الحاسوبيّة مع سهولة التّصرّف فيها وإضافة الكلّمات والنّصوص إليها، كما يمكن طباعتها.

ولا يشكّ منصفٌ ما للغة في حياة الأمّة من أثرٍ كبيرٍ في كونها عنصراً فاعلاً في تقدّم الأمّة ونهضتها واستقلالها، إلى جانب كونها لغة التّراث الممتدّ لأكثرَ من أربعة عشر قرناً، وأهميّة اللّغة والدّراسات المحيطة بها لا يقتصر على اللّغة العربيّة، بل أصبحت كلّ أمّة تسعى إلى تطوير لغتها والمحافظة عليها.

ويمكن ذكر **مبرّرات هذا المشروع** فيما يلي:

- عدم وجود دراسة علميّة متكاملة تتناول الجزيرة العربيّة في جغرافيّتها اللّغويّة، وتكشف عن الاتّصال بين ماضي الجزيرة وحاضرها، مع رسم خرائط دقيقة لتلك اللّهجات القديمة وربطها بامتداداتها من اللّهجات الحديثة، وملاحظة قربها أو بعدها عنها، أي: أنّ الانطلاق يكون من اللّغة الفصحى ولهجاتها، ثمّ محاولة الرّبط بينها وبين اللّهجات الدّارجة بالكشف عمّا أصابها من تغيّرات عبر التّاريخ.
- يأتي هذا المشروع متكاملاً مع الدّراسات العديدة الّتي تناولت تاريخ الجزيرة وحضارتها وعاداتها وجوانب أخرى، فهذا المشروع يتناول التّطوّر اللّغويّ في الجزيرة.

- الرّبط الحيويّ بين علمي اللّغة والجغرافيا، وتصبح هذه الصّلة وثيقة لإدخال التّقنية في رسم الخرائط وتحديد المواقع، وإمكانيّة إخراج هذا الارتباط في برنامج حاسوبيّ للأطلس؛ ليحكي عن هذه الصّلة بالخرائط الملوّنة.
- ما في المشروع من التّأسيس لدراسات عميقة في هذا الحقل الجديد، وهو ما يجعل المملكة رائدةً في هذه الدّراسة، ويمكن أن تكون مرجعاً للدّارسين من الدّاخل والخارج.
- وجود وسائل حديثة دقيقة تساعد في تحديد المواقع الجغرافيّة، وهو ما يعطي المشروع والدّراسات المرافقة لتنفيذه مصداقيّةً علميّة.
- عند اكتمال هذا المشروع في صورته الإلكترونيّة يمكن أن يكون أساساً ومصدراً لدراسات أخرى أكثر عمقاً، بحيث يكون هذا المشروع (قاعدة بيانات لغويّة جغرافيّة للجزيرة) تكون مصدراً للمعلومات.

خطوات العمل في المشروع:

يحتاج المشروع إلى تخطيط دقيق لجميع مراحله، لكني أذكر هنا أهمّ خطوات العمل فيه:

- **الخطوة الأولى**: جمع الدّراسات الّتي تدور في ميدان المشروع، سواء المحاولات لوضع أطالس لغويّة، أو الكتب القديمة الّتي عُنيت بجمع اللّهجات، أو الدّراسات الحديثة حول اللّهجات العربيّة في الجزيرة، وفي ميدان الأطالس اللّغويّة لا بدّ من الاطّلاع على تجارب الدّول الأخرى في صناعة أطالسها؛ للاستفادة من تجاربها والبناء عليها بما يوافق لغتنا

العربيّة، وفي ميدان الدّراسات حول اللّهجات لا بدّ من جمع مـــصادرها القديمة والحديثة للاعتماد عليها عند بناء الأطلس.

- **الخطوة الثّانية**: جمع مظاهر الاختلافات اللّهجيّة في الجزيرة من جميـــع مصادرها القديمة والحديثة، وتصنيفها على مناطقها الجغرافيّـــة، ســـواء الاختلافات الصّوتيّة أو الصّرفيّة أو النّحويّة أو الدّلاليّة.
- **الخطوة الثّالثة**: التّخطيط لجانبين من المشروع:

الأول: وضع المعايير الدّقيقة لرسم الخرائط بتحديد مناطق كلّ لهجـــة، ووضع الأسس الّتي يُبنى عليها رسم الخرائط، أي: أنّه لا بدّ من تعـــاون اللّغويّين والجغرافيّين في وضع هذه المعايير.

الثّاني: وضع المعايير والمواصفات لإعداد البرمجيّات اللاّزمة لرسم الخرائط الإلكترونيّة، والاستفادة من الإمكانات الكبيرة الّتي يمنحها الحاســـب في الدّقة ووسائل الإيضاح على الخرائط.

- **الخطوة الرّابعة**: الصّياغة النّهائية من قِبل اللّغويّين للدّراســـات العلميّـــة المحقّقة حول اللّهجات، ثمّ رسم الخرائط اللّغويّة لكلّ اللّهجـــات الّـــتي جُمعت، ويكون ذلك اعتماداً على المعايير الّتي وُضـــعت، واســـتعانةً بالحاسب في رسم خرائط رقميّة ملوّنة، ويتعاون في هذا العمل التّقنيّون مع اللّغويّين والجغرافيّين.

المنهج العلميّ:

ستُطبّق في المشروع أفضل المناهج العلميّة الّتي تضمن الدّقّة في الجمع والدّراسة للوصول إلى النّتائج المرجوّة بأمانة علميّة، مع ضرورة تحرّي الدّقّة

عند صناعة الأطلس بخرائطه المتعدّدة، وللمنهج جانبان:

- **لغويّ**: يتعلّق بمنهج جمع اللّهجات ودراستها، والكشف عن الاختلاف والتّعارضات بين بعض النّصوص فيها، ومنهج عرضها في الأطلس والمعلومات الفرعيّة المرتبطة بها.
- **جغرافيّ**: يتعلّق بمنهج تحديد المواضع والسّعي إلى تعيين ما اندثر منها، ثمّ رسم الخرائط الجغرافيّة لتلك المواضع جميعاً.

المجموعات العاملة في المشروع:

التخطيط للمشروع تخطيطاً دقيقاً يضمن تحقيقه الأهداف الّتي يُقام من أجلها، ويكون التخطيط بتعاون عدة مجموعات:

- **الأولى**: خبراء لغويّون لوضع تفاصيل خطّة الجانب اللّغويّ من المشروع، ومراحله، وجمع مصادر المعلومات اللّغويّة المتعلّقة به، إضافة إلى الإشراف على سير العمل اللّغويّ في المشروع.
- **الثّانية**: خبراء جغرافيّون لوضع تفاصيل الخطط المتعلّقة بتحديد المواقع الجغرافيّة القديمة بالتّعاون مع اللّغويّين لتمثيل ما ورد في النّصوص اللّغويّة عن المجموعات البشريّة، ورسم خرائط دقيقة للّهجات اللّغويّة المقصودة.
- **الثّالثة**: خبراء حاسوبيّون لوضع البرمجيّات المطلوبة للمشروع، من أدوات رسم الخرائط وتحديد المواضع، وجميع تفاصيل التّقنية المتعلّقة بالمشروع.

مخرجات المشروع المقترح:

- أطلس جغرافيّ لغويّ لقبائل الجزيرة والمجموعات البشريّة القديمة، يكشف عن الاختلافات اللّهجيّة ومواطنها، ويكون بصورتيْن ورقيّة وإلكترونيّة.

- دراسة علميّة عميقة في هذا الميدان تكشف عن العلاقات بين اللّهجات القديمة ولهجات الجزيرة الحديثة، وهو ما يسهم في ملاحظة التغيّــرات اللّغويّة الّتي طرأت على الجزيرة.
- يمكن أن ينشأ مركز بحثٍ دائم في (علم اللّغة الجغرافيّ).
- إنتاج الأطلس على صور ثلاث:

١- أطلس ورقيّ يشتمل على الخرائط كلّها مصنّفة على مناطق الجزيرة، إضافة إلى الدّراسة العلميّة للمشروع.

٢- نسخة إلكترونيّة من الأطلس؛ لِيُستعمل على الحاسب الآليّ، مع الاستفادة من إمكانات الحاسب في إدخال الارتباطات التّشعبيّة على الخرائط؛ لتقديم مزيد من المعلومات القيّمة.

٣- موقع إلكترونيّ على الشّبكة العالميّة يجمع بين ما في الأطلس الورقيّ من تفصيلات الدّراسة، وما في النّسخة الإلكترونيّة من تقنيات، وبذا يكون هذا الموقع موقعاً رائداً في ميدان الأطالس اللّغويّة الإلكترونيّة. وسيعرض الأطلس بخرائطه الملوّنة الّتي توضّح المواطن اللّغويّة في الجزيرة العربيّة، إلى جانب الدّراسات العلميّة الّتي قامت تحت المشروع، والنّتائج العلميّة الّتي وصلت إليها.

وستُجرى الاختبارات العلميّة الدّقيقة لضمان صحّة المعلومات المتعلّقة باللّهجات مع السّعي إلى حلّ كثير من الإشكالات حولها، وصحّة المعلومات الجغرافيّة ورسم الخرائط، مع سلامة البرمجيات الحاسوبيّة وتحقيقها الهدف من المشروع.

المصادر العلميّة للمشروع:

لمادّة المشروع مصادر متنوّعة يمكن إجمالها فيما يلي:

- المعاجم اللّغويّة وكتب اللّغة والنّحو والصّرف، وجميع المصادر اللّغويّة الأولى الّتي عُنيت بذكر الاختلافات اللهجيّة سواء صوتيةً كانت، أو صرفيّةً، أو نحويةً، أو دلاليةً.
- الكتب الّتي عُنيت بتسجيل اختلاف اللّهجات في العصور العربيّة المختلفة، مثل كتب الرّحلات العربيّة والتّاريخ، ولا يخفى ما في هذه المصادر من حيويّة؛ لأنّها حكت اللّغات المستعملة في وقت الرّحلة، إلى جانب اعتمادها على الوصف في ذكر موضعها.
- الدّراسات العلميّة الّتي عُنيت بتاريخ الجزيرة العربيّة، وتحديد مواطن القبائل العربيّة القديمة.
- المحاولات المتفرّقة لتسجيل بعض اللّهجات على خرائط جغرافيّة.

وفيما يلي أقدّم دراسةً مختصرةً عن الأطلس اللّغويّ أداةً من أدوات الرّبط بين علمي اللّغة والجغرافيا، وتكون هذه الدّراسة إيضاحاً لاقتراح إنشاء الأطلس اللّغويّ للعربيّة:

- **الأطلس اللّغويّ:**

الأطلس اللّغويّ طريقة حديثة لتسجيل الظّواهر اللّغويّة على خرائط جغرافيّة، وذلك عند الحاجة إلى تحديد مناطق تلك الظّواهر، فتأتي الخريطة وسيلة إيضاحٍ لظاهرة لغويّة لها علاقة بمكان معيّن، وهي من أقوى مظاهر اتّصال علمي اللّغة والجغرافيا.

لم يعرف العرب الأطالس اللّغويّة، فهي وسيلة حديثة لتصوير ما ذكره القدماء والمحدثون عن اختلاف اللّهجات في البلاد المختلفة، فيأتي الأطلس ليظهر تلك الاختلافات اللّغويّة على خرائط جغرافيّة.

وفكرة الأطلس اللّغويّ بدأت في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر الميلاديّ، وكان رائدا هذا النّوع من الدّراسة فنكر(Wenker) الألمانيّ، وجليرون (Gilliéron) الفرنسيّ، فقد قام كلّ منهما بعمل أطلس لبلاده، ظهر أحدهما وهو الأطلس الفرنسيّ ولم يقدرّ للآخر الظّهور.

وأخذت فكرة الأطالس تتّسع منذ ظهور الأطلس الفرنسيّ سنة ١٩٠٦ فصدرت العديد من الأطالس لكثيرٍ من دول العالم، وممّا يجدر ذكره نشر المستشرق الألمانيّ برجشتراسر سنة ١٩١٥ أطلساً لغويّاً لسوريا ولبنان وفلسطين. فبعد أن حصل على إجازة من جامعة ليبزج سافر إلى الأستانة، ثمّ سوريا، فجمع مظاهر اختلاف اللّهجات الدّارجة في سوريا وفلسطين ولبنان. وقد اشتمل الأطلس اللّغويّ لسوريا وفلسطين على ٤٢ خريطة تفصيليّة، وخريطة واحدة إجماليّة، مع شرح لغويّ في كتاب مستقلّ، نشر في ليبزج سنة ١٩١٥م(١).

---

(١) ينظر: الأطلس اللغوي للدكتور خليل محمود عساكر - مؤتمر الدورة الخامسة عشرة، الجلسة الحادية عشرة، سنة ١٩٤٩م، ونشر البحث في مجلة المجمع الجزء السابع، ص ٣٧٩ ـــ ٣٨٤، الجغرافيا اللّغويّة وأطلس برجشتراسر - الدّكتور رمضان عبد التواب (نشر البحث بمجلة المجمع، الجزء السابع والثلاثين، ص ١١٩- ١٢٤).

وممّا يتّصل باللّهجات العربيّة الدّارجة صدر أطلسان لغويّان لمصر واليمن في سنة ١٩٨٦م للباحث الألمانيّ بينشتيد (P.BEHNSTED) بعد دراسته لعينات من اللّهجات المصريّة جمعها من مختلف المناطق، خلال إقامته في مصر بالتّعاون مع طلاب مصريّين من جامعة الإسكندرية، جمع ٧٠٠ عينة، من القرى والمدن المصريّة، واستخرج منها ٤٠٠ ظاهرة صوتيّة وصرفيّة موزّعة على ٥٦١ خريطة من الحجم المتوسّط. أمّا أطلس اليمن، فهو عبارة عن ١٦٨ خريطة لسانيّة [(١)].

أهميّة الأطلس اللّغويّ للعربيّة:

تأتي طريقة الأطلس اللّغويّ جديدة يستغربها بعض الباحثين حينما تبدو لهم بعض التّخوّفات من استعمالها في تدوين اللّهجات العامّية، ويحدث مثل هذا الموقف تجاه العديد من المناهج الحديثة في تناول مسائل بعض العلوم.

وأحسب أنّ المنهج الأسلم تجاه أيّ جديد هو النّظر إليه، فإنْ كان يمكن الاستفادة منه، وتجنّب أيّ محاذير، فيجب ألاّ تحول جدّته دون ذلك، وتبدو لي الاستعانة بالخرائط الجغرافيّة؛ لإبراز مواطن الظّواهر اللّغويّة والأحكام على اللّغات من أنفع الأساليب؛ لاستحضار المكان مع صلته باللّغة.

وقد أبان العالم السّويسريّ شتيجر عن قيمة الأطلس اللّغويّ وأهميته للّغة العربيّة بقوله من تقرير له: "وبالنّسبة للّغة العربيّة نقول: إنّ القيام بعمل أطلس

---

(١) ينظر: الأسس النظرية والمنهجية لأطلس لسان المجتمع العربي - الأستاذ إبراهيم محمّد الخطابي (مجلة اللسان العربي – العدد ٤٤ ص ١١٩، شعبان ١٤١٨هـ ديسمبر ١٩٩٧م)

لغويّ لها سيحدث ثورة في كلّ الدّراسات الخاصّة بفقه اللّغات السّامية؛ لأنّه سيكمّل من غير شكّ الدّراسات الّتي تعتمد على النّصوص القديمة بكشفه عن التّطورات المتعلّقة باللّهجات وباللّغات الشّعبيّة العصريّة. وسيكون لهذا الأطلس الفضل في إطلاعنا على تاريخ علم الأصوات والتّغيّرات الّتي أصابت اللّغة العربيّة في الأماكن المختلفة الّتي غزتها، وعن مدى انتشارها وتأثّرها بالمراكز الثّقافيّة وتنوّع مفرداتها، إلى غير ذلك من المكتشفات الّتي لا يمكن أن تتمّ إلاّ إذا جمعت هذه الموادّ. أنّه سيكون عملاً ثقافيّاً من الطّراز الأوّل وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخار في تاريخ الثّقافة العالميّة "(١).

ومع أنّ شتيجر رأى أهمية الأطلس اللّغويّ للكشف عن تطوّرات اللّهجات المعاصرة لكنّي لا أرى ذلك إلاّ إذا كانت دراستنا للّهجات المعاصرة لمعرفة قربها أو بُعدها من الفصحى، كما أدعو إلى الاستفادة من الأطلس في الكشف عن لهجات الفصحى وتطوّراتها.

ولذا يمكن تطبيق الأطلس اللّغويّ في العربيّة؛ لإبراز اللّغة الفصحى بلهجاتها على خرائط جغرافيّة، كما يمكن أن يُطبّق الأطلس على اللّهجات العربيّة المعاصرة لمعرفة ما فيها من قُرب أو بُعد عن الفصحى.

ولا بدّ هنا أن ندرك اختلاف العربيّة عن تلك اللّغات، فتلك اللّغات لا حدود لتطوّرها وتغيّرها، فهي في تغيّر دائمٍ عبر التّاريخ، أمّا العربيّة فلتغيّراتها ضوابط واضحة تحكم ما يُقبل، وما لا يُقبل؛ حفاظاً على تراثها الممتدّ لأكثر من أربعة عشر قرناً.

---

(١) الأطلس اللّغويّ للدّكتور خليل محمود عساكر، مجلة مجمع اللّغة العربيّة ٧/ ٣٧٩ ــ ٣٨٤

تطبيقات الأطلس اللّغويّ:

أحسب أنّ ما ذكرته الدّراسات اللّغويّة لتطبيقات الأطلس لم يُرَدْ بها الحصر، بل يمكن التّوسّع في استخدامها وتطبيقاتها، وما ورد في الدّراسات الحديثة من ذكر الأساليب الّتي تكون عليها الأطالس اللّغويّة لا يعني الالتزام بها وعدم الخروج عنها، وكما هو معلوم فأيّ علمٍ من العلوم يبدأ محدوداً في تطبيقاته، لكنّه بعد ذلك يزداد في التوسّع.

ويمكنني هنا ذكر التّطبيقات الّتي تقوم على الأطلس اللّغويّ، ومنها:

- إخراج الملاحظات اللّغويّة لأحد الرّحّالة العرب في مجموعة من الخرائط الجغرافيّة تُضمّ في أطلس واحد خاصّ بما ذكره ذلك الرّحّالة من ألفاظ وملاحظات لغويّة، وأعني به أن نعمدَ إلى إحدى الرّحلات ونرصد ما ذكره الرّحّالة عن اللّغات في بعض البلدان وأحكامه وملاحظاته على تلك اللّغات، ثم نجمع تلك الأحكام والملاحظات ونبرزها في مواضعها من الخرائط.
- إخراج أطلس لغويّ يشتمل على خرائط للقبائل العربيّة الّتي ذكر العلماء أنّه يُستشهد بكلامها، والّتي لا يُستشهد بكلامها، فتحدّد الخرائط الموقع الجغرافيّ للقبيلة مع ذكر خصائصها اللّهجيّة المختلفة على الخرائط.
- إخراج أطلس لغويّ شامل للعربيّة منذ أقدم عصورها، يحوي لهجاتها المختلفة أصواتاً ونحواً وصرفاً ودلالةً، ومع ضخامة هذا المشروع، لكنّه سيقدّم صورة واضحة المعالم لحالة العربيّة في عصورٍ مختلفةٍ وفي أقاليم مختلفة، وستكشف تلك الخرائط عن ميادين كلّ لهجة، والتّطوّر التّاريخيّ

في انتشارها أو انحسارها، وممّا يمكن للأطلس إبرازه منها: الاختلافات الصّوتيّة الخاصّة بأصوات اللّفظ وحركاته وطريقة النّطق به، والصّرفية الّتي تتناول صيغة اللّفظ وبنيته، والنّحويّة؛ لإبراز الاختلافات اللّهجيّة المتّصلة بقواعد النّحو، والدّلاليّة الّتي تُبرز الاختلافات اللّهجيّة حول دلالة اللّفظ الواحد، كلّ هذه الاختلافات يمكن إظهارها على خرائط جغرافيّة.. **وهذا التّطبيق للأطلس اللّغويّ هو الّذي أدعو إليه في هذا البحث.**

وقد ذهب الدّكتور جمعان بن عبد الكريم الغامديّ في دراسته القيّمة عن تحديد مواقع القبائل العربيّة، إلى اقتراحيْن:

الأوّل: إعادة رسم الخرائط اللّهجيّة مع الاهتمام بالمكان أكثر من الاهتمام بالقبيلة؛ لأنّ كثيراً من القبائل العربيّة غيّرت مواطنها أكثر من مرّة خلال عصر الاحتجاج اللّغويّ الممتدّ من قبل الإسلام إلى منتصف القرن الرّابع الهجريّ.

الثّاني: متابعة العلماء الّذين اهتمّوا بالأخذ والرّواية عن الأعراب في عصور الاحتجاج اللّغويّة، وتصنيفهم في فئات على حسب الفترة الزّمانيّة. وتجري في أثناء ذلك محاولة لتحديد موضع القبيلة الّتي أخذ منها، ثمّ مقارنتها بموطن الاحتجاج اللّغويّ المكانيّ في تلك الفترة، وما حدث فيها من متغيّرات سكانيّة أو اجتماعيّة أو لهجيّة[(١)].

---

(١) ينظر بحث: تحديدُ مواقعِ القبائلِ العربيّة ولهجاتِها في خرائطِ الدّراسات اللّغويّة وأَثَرُه في الدَّرسِ اللّهجيِّ - د. جمعان بن عبد الكريم، مجلة مجمع اللّغة العربيّة =

طرق عمل الأطلس اللّغويّ:

عُرفت في الماضي طريقتان لعمل الأطالس:

الطّريقة الألمانيّة: ابتكرها (فنكر) الألمانيّ وخلاصتها: أنّه ألّف أربعين جملة تمثّل أهمّ ما يجري على ألسنة النّاس كلّ يوم في بلاده، وطبعها على شكل استمارة بها بيانات خاصّة.

وأُرسلت نسخ من تلك الاستمارات المشتملة على الجمل إلى جهات ألمانيّة بلغت خمسين ألف جهة، وكان إرسالها على نفقة الدّولة وبصفة رسميّة، أما المسجّلون الّذين سمعوا اللّهجات من أفواه الرّواة ودوّنوها فكانوا في معظم الأحيان من معلّمي المدارس الأوّليّة؛ نظرًا لمعرفتهم بأحوال القرى الّتي ينـــزلون فيها واتّصالهم بأهلها عن كثب، ثمّ لثقافتهم الّتي أهَّلتهم لتسجيل النّطق وتصويره كتابيّاً.

وبعد أن تجمع هذه الإجابات يبدأ بعمل خريطة لكلّ لفظ على حدّة. وذلك بأنْ تفرغ أوّلاً صور اللّفظ وصيغه ومترادفاته على خرائط تفصيليّة تشتمل على بلاد الإقليم جميعها، ثمّ تحدّد عليها المناطق اللّغويّة المختلفة. وبعد هذا ترسم الخريطة العامّة على ضوء الخرائط المفصّلة، بل على أساسها. ويبيّن على هذه الخريطة العامّة الحدود النّهائيّة للمناطق اللّغويّة على وجه الإجمال.

وممّا جاء على هذه الطريقة الأطلس اللّغويّ الّذي أعدّه المستشرق

= الأردنيّ – العدد السّابع والسّبعون، موقع مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ:

http://www.majma.org.jo/majma/index.php/-٣٦-٠٩-١٠-٠٢-٢٠٠٩
٢-٧٧-٣٦٠/٠٠.html

الألمانيّ برجشتراسر للغة سوريا وفلسطين

الطّريقة الفرنسيّة: وهي الطريقة الّتي كانت سائدة في عمل الأطالس، وطريقتها أن تُعمل خريطة للإقليم المراد عمل أطلس له، وتنتخب منه قرى وبلاد يلاحظ في كلّ منها أن تمثّل إلى حد ما البيئة اللّغويّة الّتي توجد البلدة أو القرية فيها. وقد بلغ مجموع هذه البلاد في أطلس إيطاليا حوالي أربعمائة بلدة.

ثمّ يؤلّف كتاب خاصّ يعرف بكتاب الأسئلة (Fragebuch) يحتوي على ألفي سؤال أو على ألفين وخمسمائة، يتوخّى فيها أن تكون شاملة لأهمّ الأشياء الّتي تشاهد في الرّيف وفي المدينة ولأكثر الألفاظ شيوعاً في الحياة اليوميّة، ويكون ترتيب هذه الأسئلة موضوعيّاً بحيث يختصّ كلّ جزء من الأطلس بموضوع، أو بعدة موضوعات.

فإذا تمّ ارتياد المدن والقرى المعينة على الخريطة الّتي وضعت أساساً للعمل جمعت صيغ اللّفظ ومرادفاته في البلاد المختلفة وأخذ في دراستها وترتيبها؛ تمهيدًا لوضعها في شكلّها النّهائيّ وصورها الأخيرة على الخريطة.

والفرق بين الطّريقتيْن في عمل الأطلس أنّ الطّريقة الألمانيّة تمتاز بالشّمول؛ لأنّها لا تترك جهة إلاّ ذكرت رواية اللّفظ فيها، على حينٍ تمتاز الطّريقة الفرنسيّة بالدّقة؛ لأنّ الرّواد الّذين يقومون بجمع مادّة الأطلس قد درّبوا التّدريب الكافي في النّاحيتيْن اللّغويّة والصّوتيّة، وبذلك يعتبرون ثقة فيما يدوّنون عن الرّواة اللّغويّين.

وقد اعتمد العلماء السّويسريّون على الطّريقة الفرنسيّة، مع زيادات وتحسينات أكسبتهم إياها الخبرة والتّجربة، لذلك لم يجئ الأطلس اللّغويّ

لإيطاليا صورة طبق الأصل من أطلس فرنسا لجييرون، بل جاء تطوّرًا له، وتنقيحاً لطريقته[١].

ونلحظ في الطّريقتيْن أنّهما قائمتان على تسجيل اللّغة الدّارجة، فاللّغات الغربيّة في تطوّر دائم، ولذا اعتمدتا على تسجيل الاستعمال اللّغويّ في المناطق الجغرافيّة المقصودة، **أمّا ما أدعو إليه فهو الانطلاق من لهجات العربيّة الفصحى في بناء الأطلس، مع مراعاة اللّهجات العربيّة المتّصلة بالفصحى في عصور تاريخيّة مختلفة حتى عصرنا الحاضر.**

ومع أنّ الطّريقتيْن السّابقتيْن تبدوان قديمتيْن؛ لاعتمادهما على وسائلَ قديمةٍ، لكنّي أوردتهما للتّعريف بهما لأوّليّتهما، أمّا في هذا العصر، فيتيح الحاسب الآلي وأدوات الرّسم إمكاناتٍ متقدّمةً؛ لإضافة الألفاظ والملاحظات اللّغويّة على مواضعها في الخرائط.

مصاعب في طريق أطلس الجزيرة اللّغويّ:

مع إيماني بأهمّيّة الأطلس اللّغويّ للجزيرة، لكنّي أدرك مشقّة العمل فيه؛ ليخرج مصوّراً لهجات العربيّة في مساحة مكانيّة واسعة، مع التّتبّع الزّمنيّ لما أصاب العربيّة من تغيّرات، ومن المصاعب الّتي تبرز في طريق

---

(١) ينظر عن طرق عمل الأطلس: الأطلس اللّغويّ للدّكتور خليل محمود عساكر، - مؤتمر الدّورة الخامسة عشرة، الجلسة الحادية عشرة، سنة ١٩٤٩، ونشر البحث في مجلة المجمع ٧/ ٣٧٩ ــ ٣٨٤، الجغرافيا اللّغويّة وأطلس برجشتراسر - الدّكتور رمضان عبد التّواب (نشر البحث بمجلة المجمع، الجزء السّابع والثّلاثين، ص ١١٩- ١٢٤).

الأطلس اللّغويّ ما يلي:

- يقوم الأطلس على تصوير لهجات العربيّة وإبرازها في خرائط على مدى عدّة قرون تبدأ من أقدم عصور العربيّة إلى عصرنا الحاضر، ولا يخفى ما يحتاج إليه هذا الرّصد الطّويل من جهود كبيرة دقيقة للخروج بصورة صادقة.
- تحديد مواضع القبائل العربيّة في الجزيرة، مع مراعاة أن بعض القبائل تنقّلت من مكان إلى آخر عبر التّاريخ، وهو ما يلزم منه تتبّعها ورصد مظاهر لغتها، والمؤثّرات الّتي نالتها بتأثير المواضع المختلفة الّتي تحلّ فيها، أي: أنّ الأطلس لا بدّ أن يراعي التّغيّرات الّتي أصابت اللّهجات في المتغيّرات المكانيّة والزّمانيّة.

والتّغيّرات الّتي أصابت اللّهجات العربيّة على مدى التّاريخ بتغيّر مواطن القبائل من مكان إلى آخر، مع تأثير تجاورها على لهجاتها، جعل الدّكتور جمعان بن عبد الكريم يوليه عناية بالتّنبيه على ضرورة مراعاة هذه التّغيّرات عند دراسة لهجات القبائل وتحديد مواطنها، وذكر بعض الأخطاء الّتي وقع فيها بعض الباحثين؛ لإغفالهم هذا الجانب، كما مثّل بالعديد من القبائل الّتي غيّرت موطنها، وهو ما انعكس على لهجتها(١).

---

(١) ينظر بحث: تحديدُ مواقعِ القبائلِ العربيّة ولهجاتِها في خرائطِ الدّراسات اللّغويّة وأَثرُه في الدَّرسِ اللهجيِّ – د. جمعان بن عبد الكريم، مجلة مجمع اللّغة العربيّة الأردني – العدد السابع والسبعون، موقع مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ:

http://www.majma.org.jo/majma/index.php/٢٠٠٩-٠٢-١٠-٠٩-٣٦-٢-٧٧-٣٦٠/٠٠.html

=

● ضرورة الاستفادة من الوسائل العلميّة الدّقيقة لتحديد مواطن القبائل على الخرائط، مثل استخدام مقاييس الرّسم، والموقع بخطوط الطّول والعرض، وتحديد المواقع باستخدام تقنية (GPS)، وهو ما يوجب سلوك منهج علميّ دقيق يعتمد على التّحقيق في وصف القدماء لمواطن القبائل بالرّجوع إلى أوثق المصادر، ثمّ السّعي إلى تطبيق تلك المواقع على الأرض.

محاولات لوضع خرائط لأطلس لغويّ:

أمثّل هنا ببعض المحاولات الّتي قام بها بعض الباحثين لصناعة خرائط جغرافيّة يمكن أن نعدّها محاولاتٍ لصنع أطلس لغويّ، سواء كان خاصّاً بإقليم محدّد، أو كان أكبر من ذلك، ويدخل فيه ما إذا جاء استعمال الخرائط الجغرافيّة لإبراز ظواهر لغويّة:

■ ختم الدّكتور أحمد عبدالله عبد ربّه ياغي رسالته للدّكتوراه (الملاحظات اللّغويّة للجغرافيّين العرب: دراسة في ضوء علم اللّغة) بخرائط جغرافيّة لغويّة للتّبادلات الصّوتيّة الّتي ذكرها الجغرافيّون، وقد بدأ بخريطة تبيّن أماكن سكنى القبائل العربيّة في الجزيرة العربيّة؛ لتتضح أصول التّبادلات؛ لأنّ أصولها منسوبة إلى القبائل العربيّة، وقد اعتمد في توزيع التّبادلات على ثلاثة أركان: **الأوّل**: تحديد نوع التّبادل، **الثّاني**: نسبته إلى القبائل العربيّة في الجزيرة، **الثّالث**: انتشار التّبادلات في الأقاليم الجغرافيّة المختلفة، وجعل لكلّ تبادل رمزاً أبجدياً.

=

أمّا الخرائط فقد قسمها إلى ثلاثة أنواع: **الأوّل**: خرائط خاصّة بالتّبادلات الصّوتيّة الشّائعة في المناطق العربيّة، **الثّاني**: خرائط خاصّة بالتّبادلات الصّوتيّة غير الشّائعة مع انحصارها في إقليم معيّن، **الثّالث**: خرائط تبيّن أشهر التّبادلات الصّوتيّة للأصوات العربيّة في المناطق غير العربيّة.

وقبل أن يورد خرائط **النّوع الأوّل للتّبادلات الشّائعة**، وهي أربع خرائط، ذكر أنواع التّبادل والقبائل والمناطق المنسوب إليها، وجعل لكلّ تبادل رمزاً، وبلغ عددها ثلاثة عشر تبادلاً، أذكرها فيما يلي باختصار دون ذكر المناطق الّتي وقع فيها الإبدال:

أ- إبدال الهمزة عيناً، والعين همزة.

ب- إبدال الهمزة هاءً، والهاء همزة.

ج - إبدال الهمزة واواً، والواو همزة.

د- إبدال الهمزة ياءً.

هـ - إبداء التّاء طاءً، والطّاء تاءً.

و- إبدال الثّاء فاءً، والفاء ثاءً.

ز- إبدال الضّاد ظاءً، والظّاء ضاداً.

ح- إبدال العين نوناً.

ط- إبدال القاف كافاً، والكاف قافاً.

ي- إبدال الكاف شيناً.

ك – إبدال لام التّعريف ميماً.

ل - إبدال اللاّم نوناً، والنّون لاماً.

م- إبدال النّون ميماً، والميم نوناً.

ووضع الحرف الّذي يشير إلى أحد التّبادلات السّابقة في الخرائط الأربع الّتي رسمها وهي (أماكن سكنى القبائل العربيّة) و(العراق وبلاد الشام) و(مصر وليبيا) و(المغرب والأندلس)، فقد وضع الحرف المقصود على الخريطة بجانب اسم القبيلة الّتي نُسب إليها هذا التّبادل[١].

وفيما يلي أورد خريطةً من الخرائط الأربع، وهي **خريطة (أماكن سكنى القبائل العربيّة)**، وستتّضح فيها البلدان والقبائل الّتي نُسب إليها كلّ إبدال سيأتي ذكره، فبالنّظر إلى اسم القبيلة والحرف الّذي بجانبها نعرف الإبدال الّذي نُسب إليها:



وهذه الخريطة تمثّل التّأسيس لتطبيقات الأطلس اللّغويّ، فهي هنا

(١) للاطّلاع على جميع الخرائط وجميع أنواع التّبادلات الّتي ذكرها بتفصيل ينظر: الملاحظات اللّغويّة للجغرافيّين العرب: دراسة في ضوء علم اللّغة ص ٤٧٤-٤٩٠

تحدّد مواضع القبائل العربيّة المراد تحديد موقعها لدراسة لغاها.

ومع عدم الدّقّة في إضافة الحروف الّتي ترمز إلى التّبادل المقصود بجانب القبيلة الّتي تستعمله، لكنّها محاولة جيّدة، ولإيضاح مراد الباحث أفسّر مثالاً ممّا ورد في الخريطة، فقد كتب حرف الياء (ي) بجانب (حضرموت) وهو يريد بالياء إبدال الكاف شيناً، وهو ما ذكره أمام حرف الياء عند ذكر رموز التّبادلات.

ثم ذكر **أنواع التّبادلات غير الشائعة** وهي خمسة وعشرون تبادلاً:

أ- إبدال الباء تاء، والتاء باء.

ب- إبدال الباء ثاء.

ج- إبدال الباء لاماً.

د- إبدال الباء ميماً والميم باءً.

هـ- إبدال الباء نوناً.

و- إبدال الباء ياءً.

ز- إبدال التاء دالاً.

ح- إبدال التاء كافاً.

ط- إبدال الجيم حاءً، والحاء جيماً.

ي- إبدال الجيم دالاً.

ك- إبدال الجيم زاياً.

ل- إبدال الجيم طاءً.

م- إبدال الجيم كافاً.

ن- إبدال الحاء خاءً، والخاء حاءً.

س- إبدال الخاء جيماً.

ع- إبدال الراء لاماً.

ف- إبدال الراء نوناً.

ص- إبدال السين زاياً.

ق- إبدال السين شيناً، والشين سيناً.

ر- إبدال السين صاداً، والصاد سيناً. ش- إبدال الضاد طاءً.

ت- إبدال الضاد صاداً.

ث- إبدال العين حاءً.

خ- إبدال الفاء باءً، والباء فاءً.

ذ- إبدال القاف همزة.

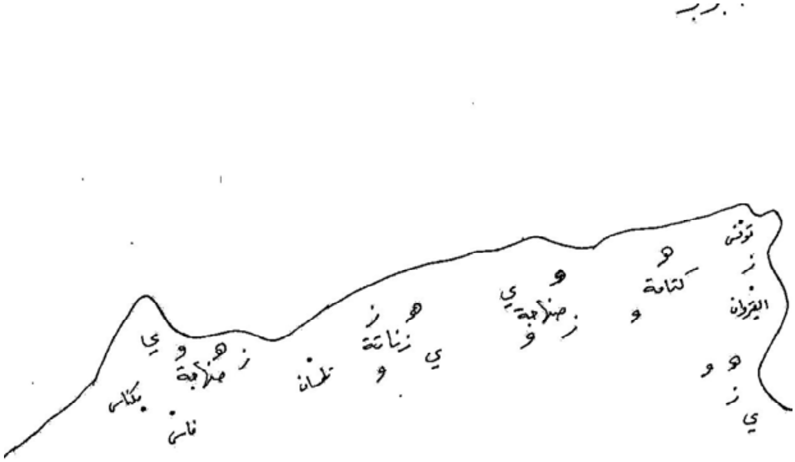
ووضع الحرف الّذي يشير إلى الإبدال المراد على المنطقة الجغرافية الّتي فيها هذا الإبدال، وقد بلغت خرائط هذا النوع خمس خرائط.

ثم ذكر **أنواع التّبادلات في الأقاليم غير العربيّة**، وهي اثنا عشر تبادلاً صوتياً، وعدد خرائط هذا النوع ثلاث خرائط، وسأذكر فيما يلي نوعين من التّبادلات:

هــ - إبدال الحاء هاءً، نسب هذا النوع من الإبدال إلى الفرس، والأنباط، والبربر، والأكراد.

و – إبدال القاف كافاً: نسب هذا الإبدال إلى الفرس، والبربر، وأهل سمرقند.

وسأورد فيما يلي **خارطة البربر** مثالاً على هذا النوع:



ونلاحظ هنا في الخارطة أنّ حرف الواو تكرّر في عدّة مواضع من هذه الخريطة للدّلالة على انتشار إبدال القاف كافاً في مناطق البربر.

ما قدّمه د. أحمد ياغي هنا من محاولةٍ لرسم خرائط جغرافيّة للتّبادلات الصّوتيّة الّتي ذكرها بأنواعها في الأقاليم المختلفة محاولة متميّزة؛ لكونها تمثّل جزءاً من أعمال الأطلس الجغرافيّ، فهو رسمَ خرائط جغرافيّة لمجموعة كبيرة من التّبادلات الصّوتيّة الّتي ذكرها الجغرافيّون، وبذا فهذه الخرائط تشكلّ أطلساً جغرافيّاً لهذه التّبادلات.

غير أنّ الباحث الكريم مع تميّز بحثه في موضوعه وجمعه للملاحظات اللّغويّة في كتب الجغرافيّين، ومع ما بذله من جهد كبير في دراستها في فصول الرّسالة، وهو عملٌ متميّز لا أعلم أنّه سُبق إليه، لكنّ الخرائط الجغرافيّة الّتي ذكرتُها لم يبذل فيها جهداً يناسب الجهد الّذي بذله في الدّراسة، فقد اكتفى برسمٍ يدويٍّ غير دقيق لكلّ خريطة، مع كتابة أسماء المدن والأقاليم بخطّ يدويّ غير واضح، وكذا كتابة الحروف الّتي رمزَ بها إلى

التّبادلات الصّوتيّة المختلفة ليست واضحة، فقراءة بعضها قد تصعب على القارئ، لكنّ اتّجاهه إلى رسم تلك الخرائط واستعماله الرّموز للإشارة إلى التّبادلات الصّوتيّة، مع تحديد المنطقة الجغرافيّة لكلّ تبادل هو ممّا يُحمد له.

- قدّم الأستاذ/ إبراهيم محمّد الخطابيّ دراسة قيّمة عن الأطالس اللّغويّة في بحثٍ عنوانه: (**الأسس النّظريّة والمنهجيّة لأطلس لسان المجتمع العربيّ**) وفصّل فيه الحديث حول أطلس لسان المجتمع العربيّ، وقصدَ به أطلساً لغويّاً للهجات العربيّة المعاصرة، وهو وإن لم يبدأ بهذا الأطلس لكنّه طرح فكرته وخطّته، وفيما يلي أعرض مختصراً لما طرحه:

يتلخّص منهجه في جمع المعلومات اللّسانيّة الممثّلة من عينات لهجيّة وتحليلها تحليلاً كميّاً، لتحديد طبيعة التّوزيع اللّسانيّ، جغرافيّاً ومجتمعيّاً، وتحديد كثافة التّوزيع كما يفعل عالم الجغرافية، في دراسة الكثافة السّكانيّة، وطبيعة الانتشار واتجاهاته، ورسم خرائط أوليّة، وربط الانتشار والتّوزيع بالعوامل التّاريخيّة والنّزوح.

واللّبنة الأساسيّة في منهجه المختار لها ثلاثة أركان:

١- تحديد المجتمع المنْوي دراسته جغرافيّاً وتاريخيّاً.

٢- تحديد أبعاد المتغيّرات الجغرافيّة والمجتمعيّة الّتي تؤثّر في اللّسانيات وتصنيف المتغيّرات.

٣- تحديد حجم العينات بعدد الأشخاص، وتحديد انتمائهم المجتمعيّ.

وقد قدّم تفصيلات دقيقة للعمل في هذا المشروع المقترح(١).

(١) ينظر عن تفصيل الموضوع: الأسس النّظريّة والمنهجيّة لأطلس لسان المجتمع العربيّ =

- استعان **تشيم رابين** Chaim Rabin في دراسته القيّمة للّهجات العربيّة الغربيّة القديمة(١) بعدد من الخرائط الجغرافيّة لإبراز ظواهر لغويّة متعدّدة، فرسم عشرين خريطة، وهذه تعدّ نموذجاً مصغّراً للأطلس الجغرافيّ للعربيّة، وللتّعرّف على محاولته هذه سأختار أربعاً منها؛ لعرضها هنا مع التّعليق المختصر عليها، وعرضي لهذه الخرائط ليس دليلاً على صحّة ما فيها من معلومات لكنّي أردت تقديمها نموذجاً على إحدى محاولات المستشرقين في رسم خرائط لغويّة، وأنبّه إلى أنّ د. جمعان بن عبد الكريم قدّم دراسة نقديّة قيّمة لعدد من الخرائط من بينها خرائط رابين، وأوضح جوانب النّقص فيها والأخطاء العلميّة(٢)، وفيما يلي عرض ببعض خرائط رابين:

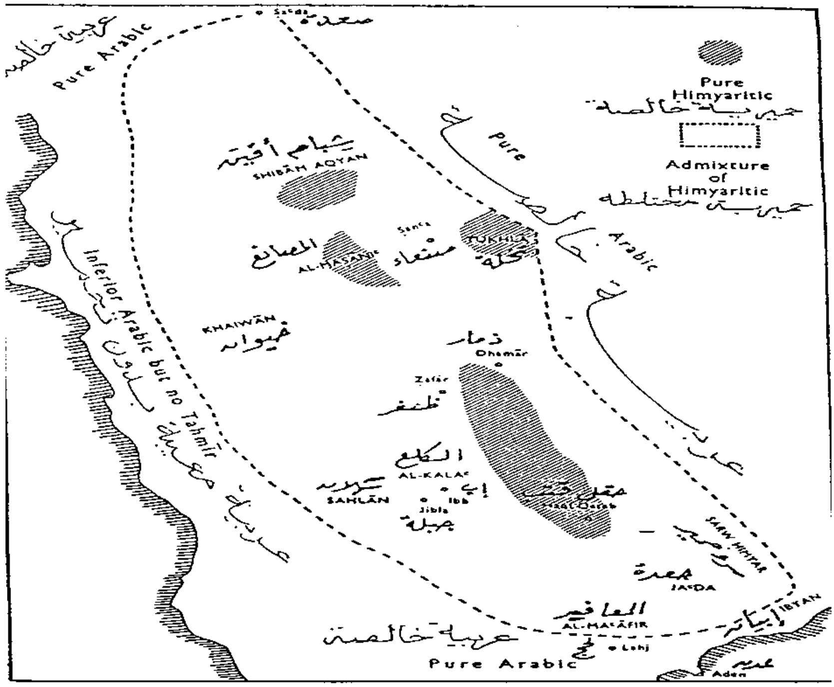
= - الأستاذ إبراهيم محمّد الخطابيّ، مجلة اللّسان العربيّ – العدد ٤٤ ص ١١٩ (شعبان ١٤١٨هـ ديسمبر ١٩٩٧م).

(١) عنوان كتاب رابين: (اللّهجات العربيّة الغربيّة القديمة)، ترجمه عبد الرّحمن أيوب وطبعته جامعة الكويت عام ١٩٨٦م، وقد نُشر الكتاب بعنوان آخر هو: اللّهجات العربيّة القديمة في غرب الجزيرة العربيّة – تشيم رابين، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه الدّكتور عبد الكريم مجاهد – المؤسّسة العربيّة.

(٢) ينظر بحث: تحديدُ مواقعِ القبائلِ العربيّة ولهجاتِها في خرائطِ الدّراسات اللّغويّة وأَثرُه في الدَّرسِ اللّهجيِّ – د. جمعان بن عبد الكريم، مجلة مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ – العدد السّابع والسّبعون، موقع مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ:

http://www.majma.org.jo/majma/index.php/٢٠٠٩-٠٢-١٠-٠٩-٣٦-٢-٧٧-٣٦٠/٠٠.html

الخريطة الأولى: المناطق الّتي تكلّمت الحميريّة في عصر الهمدانيّ



٤- المناطق التي تكلمت الحميرية في عصر الهمداني

٩٢

في هذه الخريطة صوّر رابين ما ذكره الهمدانيّ عند حديثه عن لغات الجزيرة من ذكر المناطق الّتي تحدثت الحميريّة الخالصة، والّتي خلطت كلامها بالحميريّة[(١)]، ومع صعوبة تحديد مواقع بعض القبائل الّتي ذكرها الهمدانيّ، لكنّ رابين بذل جهداً في تحديد مواقع بعض القبائل الّتي ذكرها الهمدانيّ، ورغبة في الاختصار، أكتفي بإيراد عبارات الهمدانيّ المتعلّقة بالحميريّة؛ لنرى مدى تصوير رابين لما ورد فيها: "سَرْوُ حمير وجعدة ليسوا بفصحاء وفي

(١) ينظر كتاب رابين (اللّهجات العربيّة الغربيّة القديمة) ص ٩٣-٩٤ في مناقشته رأي الهمدانيّ.

كلامهم شيء من التَحْمير ويجرون في كلامهم، ويحذفون فيقولون: يا بن معَمْ في: يابن العمّ، وسِمَع في اسْمَع.

والسّكاسك وسط بلد الكلاع نجدية مثيل مع عسرة من اللّسان الحميريّ، سراهم فيهم تعقد.

سخلان وجيشان ووراخ وحَضر والصُّهَيب وبدر قريب من لغة سَرْو حمير.

حقل قتاب فإلى ذَمار الحميرية القحّة المتعقّدة.

حَراز والأخروج وشمّ وماظخ والأحبوب والحجادب وشرف أقيان والطرف وواضع والمعلل خليطي من متوسّط بين الفصاحة واللّكنة، وبينها ما هو أدخل في الحميريّة المتعقّدة لا سيما الحضوريّة من هذه القبائل. نجدي بلد همدان البَوْن منه المشرق والخشب عربي يخلط حميرية ظاهر هَمْدان النّجدي من فصيح ودون ذلك.

خيوان فصحاء وفيهم حميرية كثيرة إلى صعدة، وبلد سفيان بن أرحب فصحاء إلا في مثل قولهم: أمْ رَجُل، وقَيّدْ بعيراك ورأيتُ أخواك، ويشركهم في إبدال الميم من اللاّم في الرّجل والبعير وما أشبهه الأشعر وعك وبعض حكم من أهل تهامة.

صنعاء في أهلها بقايا من العربيّة المحضة ونبذ من كلام حمير، ومدينة صنعاء مختلفة اللّغات واللّهجات لكلّ بقعة منهم لغة، ومَنْ يُصاقِب شعوب يخالف الجميع.

شبام أقيان والمصانع وتخلى حميريّة محضة "[١].

ولعلّ التّمعّن فيما ذكره الهمدانيّ وما رسمه رابين يتّضح اعتماد رابين على نصّ الهمدانيّ.

الخريطة الثّانية: مناطق نصب وجرّ المثنى بالألف والنون:



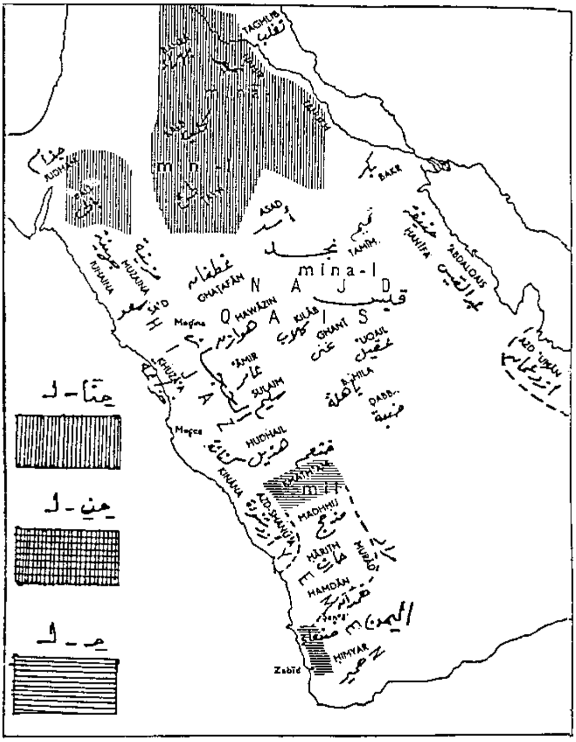
٨ ـ مناطق نصب وجر المثنى بالألف والنون

١٢٤

(١) ينظر: صفة جزيرة العرب – لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمدانيّ، تحقيق محمّد بن علي الأكوع الحواليّ، مكتبة الإرشاد – صنعاء، الطّبعة الثّانية ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م، ص ٢٤٨-٢٤٩، وقد ذكرت هنا الفقرات الّتي تتناول الحديث عن الحميريّة في اليمن.

أبرز رابين في هذه الخارطة لغة إلزام المثنى الألف في جميع حالاته والقبائل المختلفة الّتي نُسبت إليها هذه اللّغة[١]، وحاول في هذه الخريطة تصوير التّوزيع الجغرافيّ لهذه اللّغة مع بيان المناطق الثّابت فيها استعمال هذه اللّغة فيها، والمناطق الّتي يحتمل فيها استعمال هذه اللّغة.

الخريطة الثّالثة: مناطق وكيفيّة نطق حرف الجرّ (من) قبل (ال):



٩ - مناطق وكيفية نطق حرف الجر (من) قبل (الـ)

١٣٤

---

(١) ينظر كتاب رابين (اللهجات العربيّة الغربية القديمة) ص ١٢٥ وما بعدها.

في هذه الخارطة أبرز رابين اللّغات المختلفة لنطق حرف الجرّ (من) قبل حرف التّعريف (ال)، وهي بنطق (من) كاملة مع تحريك النّون بالفتح (منَ الـــ) أو الكسر (منِ الـــ)، وحذف النّون وكسر الميم (مِ الْـــ)[1]، وحاول تحديد نطق اللّغات الثّلاث.

- قدّم الدّكتور جمعان بن عبد الكريم الغامديّ رسالة لنيل درجة الماجستير عنوانها: (لهجة أزد السّراة في عصر الاحتجاج اللّغويّ) إلى كلّية اللّغة العربيّة بجامعة الإمام بالرّياض عام ١٤١٩/١٤٢٠هـــ. وختم رسالته بملحق لخرائط لغويّة بلغ عددها ثلاثاً وثلاثين خريطة، نقل أولاها من غيره لمواطن القبائل العربيّة في الجزيرة، وفي الخرائط الثّلاث التّالية حاول الكشف عن موطن أزد السّراة والقبائل المجاورة، وهجراتهم، وفي بقيّة الخرائط قدّم نماذج لصلة لهجتهم باللّهجات العربيّة الأخرى، ويكتشف النّاظر ما بُذل فيها من جهود جعلتها أنضج من كثير من المحاولات السّابقة، وقد اعتمد خريطةً واحدةً للقبائل العربيّة كرّرها بعدد الخرائط اللّغويّة الباقية؛ لإبراز ظواهر لغويّة مختلفة مع وضع علامة (★) مع اسم القبيلة المقصودة المتّصفة بتلك الظّاهرة.

ولأهمية هذه التّجربة يمكنني تقديم عرضٍ سريعٍ لأسماء تلك الخرائط، ثمّ

---

(١) ينظر المصدر السّابق ص ١٣٢ وما بعدها.

اختيار نماذج منها لعرضها:

خريطة رقم (٥): فتح حرف المضارعة

خريطة رقم (٦): فتح (فـــ) فعالى نحو: سكارى

خريطة رقم (٧): الإتباع الصّوتيّ

خريطة رقم (٨): إبدال ألف المقصور ياءً إذا أضيفت لياء المتكلّم

خريطة رقم (٩): الطّمطمانيّة: ألـــ ← أم

خريطة رقم (١٠): الاستنطاء: أعطى ← أنطى

خريطة رقم (١١): إبدال التّاء دالاً: ت ← د

خريطة رقم (١٢): إبدال التّاء صاداً: ت ← ص

خريطة رقم (١٣): إبدال السّين زاياً: س ← ز

خريطة رقم (١٤): إبدال الواو همزة: و ← ء

خريطة رقم (١٥): إبدال الميم باء: م ← ب

خريطة رقم (١٦): تحقيق الهمزة في الفعل: يرأى

خريطة رقم (١٧): حذف النّون تخفيفاً إذا وليها ساكن

خريطة رقم (١٨): حذف عين الفعل الماضي المضعّف مع فتح فائه نحو: ظَلْت

خريطة رقم (١٩): إجراء الوصل مجرى الوقف: (لهْ – بهْ) ونحوه

خريطة رقم (٢٠): وزن: فِعَال

خريطة رقم (٢١): وزن: تفعال

خريطة رقم (٢٢): وزن: فَعِل يفعَل

خريطة رقم (٢٣): تذكير: زوج

خريطة رقم (٢٤): تعدية الفعل: زوّج بالباء

خريطة رقم (٢٥): لزوم الفعل (كذب) بمعنى الإغراء

خريطة رقم (٢٦): إلحاق الضّمائر للفعل المسند للمثنى والجمع "لغة أكلوني البراغيث"

خريطة رقم (٢٧): الاتّفاق الدّلاليّ في: بَعْل

خريطة رقم (٢٨): الاتّفاق الدّلاليّ في: الحَتِيّ / الخزومة / الخيعل / التّخوّف / الزّمَل / السّحم / المشيح / الصّوم / النّديّ / الغريف / الفرص / القرف / المطا / النّفط

خريطة رقم (٢٩): الاتّفاق الدّلاليّ في: ختروان / قسورة / لوّاحة

خريطة رقم (٣٠): الاتّفاق الدّلاليّ في: الزّمل

خريطة رقم (٣١): الاتّفاق الدّلاليّ في: الشّصر

خريطة رقم (٣٢): الاتّفاق الدّلاليّ في: العَضْل

خريطة رقم (٣٣): الاتّفاق الدّلاليّ في: فرهود

وفيما يلي أعرض خريطتيْن من هذه الخرائط؛ ليكونا نموذجيْن لخرائط الأستاذ جمعان:

الأوّل: خريطة رقم (١٣): إبدال السّين زاياً، فهو نموذج على الفروق الصّوتيّة بين اللّهجات، ونلحظ في الخريطة أنّ الباحث وضع علامة (*) تحت قبيلة (كلْب) و (أزد السّراة).

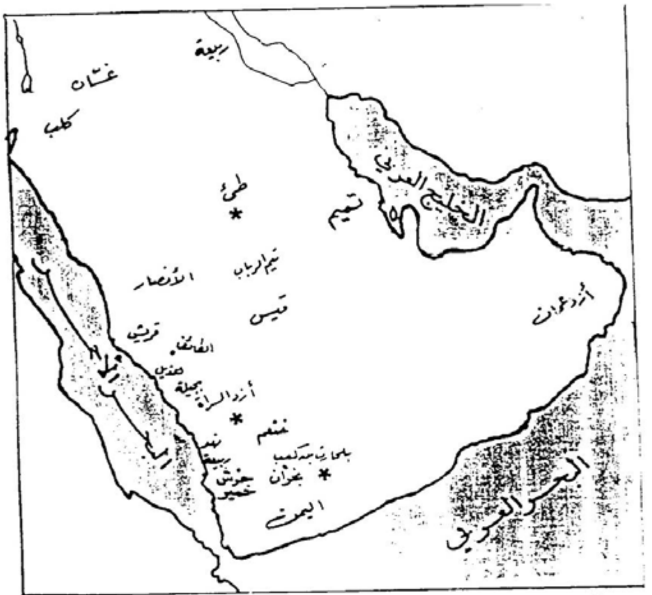
الثّاني: خريطة رقم (٢٦): إلحاق الضّمائر للفعل المسند للمثنّى والجمع

"لغة أكلوني البراغيث"، ويمكن أن نعدّه نموذجاً للفروق النّحويّة، ونلحظ أنّه وضع علامة (*) تحت قبيلة (طيء) و (أزد السّراة) و (بلحارث بن كعب).

وفي الصّفحتيْن التّاليتيْن أعرض النموذجيْن الأوّل والثّاني:



(١) هذه الخريطة منقولة بتصرف عن أطلس العالم الإسلامي ص (٤٠) إشراف د: دولت أحمد صادق، دار البيان العربي. جدة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م



خريطة رقم « ٢٦ »
إلحاق الضمائر للفعل المسند للمثنى والجمع
« لغة أكلوني البراغيث »

(١) هذه الخريطة منقولة بتصرف عن أطلس العالم الإسلامي ص (٤٠)
إشراف د: دولت أحمد صادق، دار البيان العربي. جدة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م

ويمكنني الإشادة بعد هذا العرض المختصر بهذه التّجربة، وأرى أنّها من أنضج التّجارب في تصميم الخرائط الجغرافيّة، فباستعراض دراسة الباحث في رسالته في غيرها من البحوث يتّضح التّحقيق العلميّ الّذي يدعو إليه الباحث، ولذا فهي إحدى التّجارب المتميّزة.

- صدر في العاصمة البريطانيّة (لندن) عن دار السّياب للطّباعة والنّشر والتّوزيع كتاب (الأطلس اللّغويّ في التّراث العربيّ –دراسة في كتاب سيبويه) للدّكتور خالد نعيم المدرّس في كلّية الآداب– جامعة البصرة.

ولم أجد وسيلة للحصول على هذا الكتاب، وقد نُشر عنه تعريف عامّ

في عدّة مواقع، وهذا التّعريف يكشف عن أنّ الكتاب قراءة تتبعيّة للتّشكّلات اللّغويّة في كتاب سيبويه، بتتبّع الظّواهر الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة في الكتاب من خلال إشارات سيبويه لمواطن وجود تلك الظّواهر، ووضع لها خرائط وأعطى لكلّ ظاهرة نقاط توزيع عليها(١).

نماذج أوّليّة لخرائط الأطلس المقترح:

يمكنني تقديم نماذج للخرائط الرّقميّة الّتي أرى ضرورة الانتقال بها من الخرائط الّتي تُرسم على الورق إلى خرائط تُصمّم ببرامج الرّسم الحاسوبيّة؛ ليمكن بعدها التّصرّف فيها بإضافة الملحوظات اللّغويّة من ألفاظ وأعلام القبائل ونحوها، وهو ما يُمكّننا من طباعتها على الورق ونشرها بصورة إلكترونيّة.

ولا شكّ أنّ لخرائط الأطلس المقترح أنواعاً عديدة بحسب ما تستدعيه أنواع الفروق اللّهجيّة من تقسيم، وما تحت كلّ نوع من الفروق من تقسيمات، لكنّي أذكر فيما يلي أهمّ الأنواع مع يقيني أنّ التّقسيمات ستزداد بعد جمع المادّة والبدء في العمل:

- خرائط لمواقع القبائل العربيّة عبر التّاريخ، أي: أنّها تراعي تغيّرات بعض أماكن القبائل عند انتقالها من مكان إلى آخر.
- خرائط لغويّة بأنواعها ومنها:

(١) ينظر: منتديات مكتبتنا العربيّة:

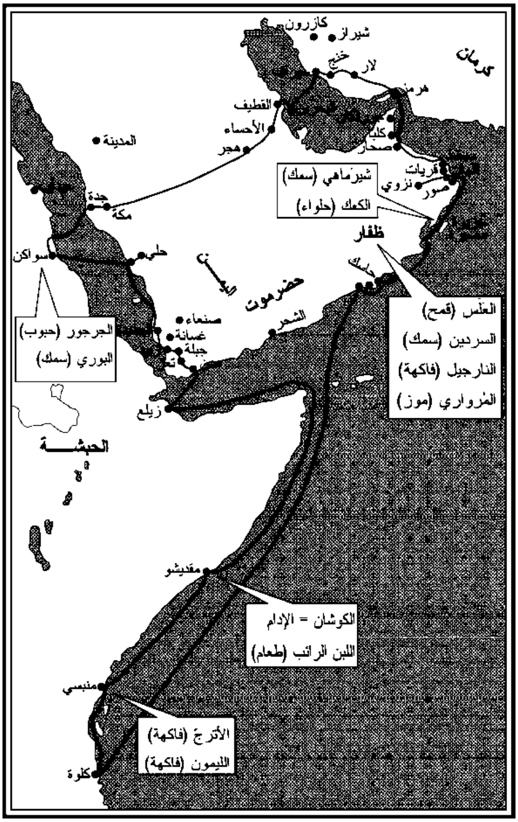
٥٣٦٥٨http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=

- ▫ خرائط للفروق الصّوتيّة بين القبائل.
- ▫ خرائط للفروق الصّرفيّة بين القبائل.
- ▫ خرائط للفروق النّحويّة بين القبائل.
- ▫ خرائط للفروق الدّلاليّة بين القبائل.

- ■ خرائط توضيحيّة للملاحظات والأحكام الّتي تحتاج إلى وضعها على المواضع الجغرافيّة.

أمّا عن **طريقة إضافة الفروق إلى المواضع الجغرافيّة** فأرى استخدام مربّعات النّصوص الّتي تشير بسهمٍ إلى الموضع المراد، وهي من أوضح الطّرق لإبراز النّصّ المراد إضافته دون أن يختلط بأسماء المواضع كما يحدث في أكثر المحاولات الّتي استخدمت الخرائط التّقليديّة، وأعرض فيما يلي نموذجيْن لطريقة إضافة الفروق اللّهجيّة، وهما نموذجان أعددتهما لبحثيْن غير المشروع المقترح:

الأوّل: نموذج من الخرائط الّتي أعددتها لدراستي ألفاظ الأطعمة والأشربة في رحلة ابن بطوطة، وهذه الخريطة للجزيرة العربيّة وما حولها، مع إضافة ألفاظ الأطعمة والأشربة الّتي ذكرها ابن بطوطة عند مروره بها:



الثّاني: نموذج من الخرائط الّتي أعددتها لدراستي رحلة المقدسيّ (أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم)، وهذه الخريطة للجزيرة العربيّة وما حولها، مع إضافة بعض أحكام المقدسيّ على لغات بعض المواضع:


كرمان
هرمز
القطيف
الأحساء
كلب
صحار
المدينة
قال المقدسي عن الجزيرة العربية:"جميع لغات العرب موجودة في بوادي هذه الجزيرة إلا أن أصحها لغةً هذيل، ثم النجدين، ث بقية الحجاز، إلا الأحقاف فإن لسانهم وحش"
قريات
صور
جدة
مكة
ظفار
سواكن
حضرموت
صنعاء
الشحر
قال المقدسي عن جزيرة العرب:" أهل هذا الإقليم لغتهم العربية إلا بصحار فإن نداءهم وكلامهم بالفارسية"
قال المقدسي عن عدن وجدّة :" وأكثر أهل عدن وجدّة فرس إلا أن اللغة عربية"
قال المقدسي عن عَدَن:" وأهل عَدَن يقولون لرجْليه: رجلينه، وليديه: يدينه، وقِس عليه، ويجعلون الجيمَ كافاً فيقولون لرَجَب: ركَب، ولرَجُل: ركُل"
مقديشو
منبسي
كلوة

الخاتمة

مع يقيني بأنّ المشروع المقترح يحتاج إلى مزيد إيضاح، لكنّ الاختصار المطلوب في البحث حال دون التّفصيل، وما قدّمته يقدّم الصّورة الأوليّة لما يمكن أن يكون عليه، ولا شكّ أنّ كثيراً من التّفصيلات تتّضح عند الشّروع في العمل، فيما إذا تولّت جهةٌ العملَ فيه، فالكثير من العوائق والتّساؤلات الّتي تحتاج إلى إجابة ستبدو واضحة المعالم عند العمل فيه، ويمكنني ذكر بعض النّتائج الّتي كشف عنها هذا البحث:

■ أهميّة الأطلس اللّغويّ في كونه أداةً حديثةً؛ لإبراز نقاط الالتقاء بين علمي اللّغة والجغرافيا، وكونه وسيلةً علميّةً للإيضاح.

■ حاجة الجزيرة العربيّة، وهي موطن العربيّة منذ أقدم عصورها، إلى أطلس لغويّ يصوّر لغتها والمراحل الّتي مرّت بها عبر عصورها، ولأنّ الكثير من دول العالم صنعت أطالس لغويّة للغاتها فإنّ الجزيرة العربيّة تحتاج إلى مثل هذا المشروع، فلغتها تضرب في أعماق التّاريخ، ومع كثرة الاختلافات بين لهجاتها، لكنّ الأطلس يسهّل إبراز تلك الاختلافات بطريقة يسهل فهمها.

■ أهميّة الدّراسات اللّهجيّة وملاحظة التّغيرات الّتي أصابت العربيّة بلهجاتها المتعدّدة، والعوامل الّتي أسهمت في ذلك، ومع تقصير الدّراسات اللّغويّة في هذا الميدان، لكنّ الأطلس اللّغويّ وسيلة علميّة تُعين على سدّ الثّغرات الّتي تظهر في هذا الميدان.

أتمنّى أن يكون التّوفيق حالفني في إبراز أهمية الأطلس اللّغويّ والمشروع المقترح حوله، ومع سعة الموضوع واختصار البحث فلا عجب من ظهور القصور فيه.

وصلى الله وسلم على نبيه محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع:

- الأسس النّظريّة والمنهجيّة لأطلس لسان المجتمع العربيّ -الأستاذ إبراهيم محمّد الخطابيّ (مجلة اللّسان العربيّ- العدد ٤٤ ص ١١٩، شعبان ١٤١٨هـــ ديسمبر ١٩٩٧م)
- الأسس النّظريّة والمنهجيّة لأطلس لسان المجتمع العربيّ -الأستاذ إبراهيم محمّد الخطابيّ، مجلة اللّسان العربيّ- العدد ٤٤ ص ١١٩ (شعبان ١٤١٨هـــ ديسمبر ١٩٩٧م).
- الأطلس اللّغويّ للدّكتور خليل محمود عساكر -مؤتمر الدّورة الخامسة عشرة-، الجلسة الحادية عشرة، سنة ١٩٤٩، ونشر البحث في مجلة المجمع، الجزء السّابع، ص ٣٧٩ ـــ ٣٨٤
- تحديدُ مواقعِ القبائلِ العربيّة ولهجاتِها في خرائطِ الدّراسات اللّغويّة وأَثرُه في الدَّرسِ اللّهجيِّ - د. جمعان بن عبد الكريم، مجلة مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ- العدد السّابع والسّبعون، موقع مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ: http://www.majma.org.jo/majma/index.php/٢٠٠٩-٠٢-١٠-٠٩-٣٦/٠٠-٣٦٠-٧٧-٢.html
- الجغرافيا اللّغويّة وأطلس برجشتراسر- الدّكتور رمضان عبد التواب (نشر البحث بمجلة المجمع، الجزء السابع والثلاثين، ص ١١٩- ١٢٤).
- صفة جزيرة العرب -لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمدانيّ، تحقيق محمّد ابن علي الأكوع الحواليّ، مكتبة الإرشاد- صنعاء، الطّبعة الثّانية

١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، ص ٢٤٨-٢٤٩، وقد ذكرت هنا الفقرات الّتي تتناول الحديث عن الحميريّة في اليمن.

- اللّهجات العربيّة الغربيّة القديمة – تشيم رابين، ترجمه عبد الرّحمن أيوب، وطبعته جامعة الكويت عام ١٩٨٦م.
- الملاحظات اللّغويّة للجغرافيّين العرب: دراسة في ضوء علم اللّغة (دراسة لنيل درجة الدّكتوراه في الآداب) مقدمة من أحمد عبد الله عبد ربّه ياغي، إشراف الأستاذ الدّكتور/ حلمي خليل، مقدّمة إلى قسم اللّغة العربيّة واللّغات الشّرقيّة بكلّيّة الآداب بجامعة الإسكندريّة – عام ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- منتديات مكتبتنا العربيّة:

http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=٥٣٦٥٨

فهرس المحتويات

صلة اللهجات المعاصرة بالفصحى

إعداد

الأستاذ الدكتور / عبد المنعم عبد الله حسن إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن اللغة العربية التي اصطفاها رب العالمين لتكون وعاء مباركاً لذكره الحكيم، لهي بذلك الفضل أشرف اللغات، ومن ثمّ.. فإن الذود عنها، والدفاع عن حماها أمر واجب، يجب أن تُسخر له الطاقات، وتُبذل الجهود، وتتكاتف المساعي، حتى يمكن مواجهة ما تتعرض له من تحديات، لتبقى قوية فتية، يتأصل عطاؤها في النفوس، ويرسَخ في القلوب والعقول والضمائر، وفي هذا شرف يُتوج به من يعمل لخدمة هذه اللغة المباركة، دارساً أصولها، باحثاً في خصائصها، مفكراً في كيانها، ناشراً الوعي بها، موضحاً ميزاتها، مجليًا محاسنها، ذائعاً مآثرها، لتعم الثقافة اللغوية، وتنهض اللغة العربية، مواكبة لمسيرة العصر، متفاعلة مع مقتضياته، ملبية لاحتياجاته، مثبتة قدرة عطائها للحاضر بثوابت الماضي المتأصلة في كيانها، الراسخة في طبيعتها، وفي هذا ما يؤكد لها الأصالة، والمرونة في آن واحد.

وفي ضوء هذا.. يقف هذا البحث مع اللهجات المعاصرة التي تمثل واقعاً لغوياً حيًا يعيش على ألسنة الناطقين بالعربية، في محاولة لإبراز صلته بالفصحى، متكئاً على المنهج الوصفي في رصد معالم هذه اللهجات المعاصرة، وصور انحرافها عن الفصحى، مستعيناً بالمنهج التاريخي في متابعة هذا التحول، وأثر الزمن في ذلك، وذلك من خلال النقاط الآتية.

١- اللهجات المعاصرة ظاهرة لغوية طبيعية.

٢- كيف نشأت اللهجات المعاصرة ؟

٣- أهمية دراسة اللهجات المعاصرة وربطها بالفصحى.

٤- الهوّة ليست بعيدة.

٥- طرق التقريب، وآثاره.

٦- جهود في هذا الميدان.

٧- تفعيل وسائل التأصيل اللغوي للهجات المعاصرة.

٨- الخاتمـــة.

والله المستعان.

اللهجات المعاصرة.. ظاهرة لغوية طبيعية:

اللغة التي تعيش على مساحة واسعة من الأرض، تتشعب إلى عدة لهجات بتأثير عوامل جغرافية، واجتماعية، واقتصادية، وغيرها، وتلك سنة في لغات البشر جميعاً؛ فمن " المقرر في قوانين اللغات أنه متى انتشرت اللغة في مساحة واسعة من الأرض، وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً، فلا تلبث أن تنشعب إلى عدة لهجات "[(١)].

هذا واقع تعيشه اللغة، وظاهرة لغوية طبيعية تحياها، نتيجة عزلة ما بين أبنائها الذين يعيشون في أماكن متعددة من الأرض تشيع فيها عادات وتقاليد، وأفكار وثقافات، وتحكمها قيم وقوانين، وتربطها أعراف ومعاملات، وتُشع فيها تباشير تقدم وحضارات.

(١) فقه اللغة ١٠٨.

واللغة وسيلة النقل المباشر، والتواصل الطبيعي، ومن ثم.. لابد أن يمسها من التغيير ما تحمل هذه الظواهر الاجتماعية والحضارية من تغيير، وليست العربية بدعاً من اللغات في هذا التغيّر الفطري، وهذا التلون الطبيعي، وليس هذا انفصاماً عن الأصل العربي، أو اجتثاثاً عن جذوره، بقدر ما هي صور مختلفة الشكل، متحدة المرجع، يجمعها طابع عربي، فـــ"مهما يكن من تفاوت اللهجات المحلية، وحريتها في الخروج على قيود الفصحى، وقواعد اللغويين والنحاة، فإنها لم تَعْدُ أن تكون لهجات شعبية للعربية، وليس من المتصور أن تُحمل أيٌّ لهجة منها على لغة لها قديمة قبل العربية، وكل هذه اللهجات تطور مُستحدث، تعربت فيه ألسنة العامة بقدر ما أسعفتها حناجرها، وتطلبت حياتها وحكمت ظروفها، وقد تناءت بهذا التعرب عن لغاتها القديمة المهجورة، فحين نقول: العامية المصرية أو الشامية والعراقية، أو السودانية أو المغربية – أو السعودية – فليست إلا العربيةَ على ألسنة هذه الأقطار "(١).

العربية التي تمثل واقع حياة تعيشه فى هذا القطر أو ذاك، استجابة طبيعية لما يدور في الواقع، تؤكد طواعية ومرونة، وانسجاماً مع الحركة الطبيعية للحياة، وما يكتنفها من تغيّر، وما يعتريها من مستجدات ومستحدثات.

"فما كان تعدد اللهجات سوى ظاهرة طبيعية في حساب الواقع والحياة، ولعله في العربية أقربُ إلى أن يكون شاهداً على اتساع مجالها وقوة مرونتها وحيويتها، بحيث وسعها أن تغدو لسان العرب من قلب الشرق

---

(١) لغتنا والحياة ٩٦.

الآسيوي إلى أقصى المغرب الإفريقي، على اختلاف مسالكهم الصوتية، وبيئاتهم الإقليمية، وميراثهم اللغوي"(١).

وإذا كانت اللهجات المعاصرة ظاهرة لغوية طبيعية، فلا ينبغي أن تثير ذعراً، أو تحدث قلقاً، أو تنذر بخطر جسيم، بقدر ما ينبغي أن تشعل هماً، وأن تشغل فكراً، وأن تبعث عزائم، لتبحث عن أصولها العربية، وتردّها إلى مراجِعها الأصيلة، وجذورِها العتيقة، عندئذ تكون عاملَ بناء يقوّي الأواصر، ويدعم العلاقات، ويجمع الأصل والفرع، ويربط اليوم بالأمس في تاريخ هذه اللغة العريقة.

أما حين يُترك هذا... فستُجهل هذه الروابط، وستُفقد المرجعيّةُ العربية، ويتوه في زحام الواقع، الأصل والمرجع، وتكتفي الأجيال بهذا الذي يطفو على السطح دون الإبحار في العمق ، عندئذ يكون الخطر.. ومن ثم لابدّ من دراسة اللهجات المعاصرة دراسة تعود بها إلى منابعها.. ومراجعها.. وأصولها.

كيف نشأت اللهجات المعاصرة ؟

إن الناظر في تاريخ هذه اللغة العريقة ليدرك " أن اللهجات بمعنى من المعاني قديمة قدم اللغة، ومن هذا القبيل لهجات القبائل العربية في الجاهلية وصدر الإسلام، وهي اللهجات التي استند إليها القراء في تخريج بعض القراءات القرآنية، وتعتبر هذه اللهجات كلها فصيحة مع أن بعضها شاذ مهجور "(٢).

وإذن فاللهجات القديمة لقرب عهدها- مكاناً وزماناً – من الفصحى

(١) لغتنا والحياة ٢١١.

(٢) راجع بين الفصحى ولهجاتها. مجلة اللغة العربية بالقاهرة ٧١/٩ (بتصرف).

بقيت فصيحة يُحتج بها، بل دعامة قوية من دعائم درس القراءات القرآنية. إنها بهذا المفهوم (عناصر) تكوّن الفصحى، أو (خصائص) لهجية قبلية "ثم دخلت الفصحى، وصارت جزءا منها، أي صار لها مستوى من الفصاحة يُقرأ به القرآن، وينظم به الشعر"[١].

هذا المستوى اللهجي القديم داخل في حرم الفصحى، غني بظواهرها وخصائصها" ثم تفرع عن الفصحى نوع آخر من هذه اللهجات المحلية فشا فيه التحريف، وفسد النطق، فأصبح للكتابة لغتها، وللكلام لهجته وذلك في الأقطار التي استقر بها العرب والمسلمون الفاتحون في أولى عصور الدول الإسلامية بعد عصر الراشدين[٢]".

وتبقى العزلة عاملاً مشتركا بين نشأة اللهجات القديمة، واللهجات الحديثة؛ فاللهجات الحديثة "نتيجةٌ لرحلة طوائف كبيرة إلى مواطن نائية، وانقطاعهم انقطاعاً واضحاً عن الموطن الأم، ومن ثمّ فإن الفرق بين اللهجات الحديثة في شمالي أفريقيا، واللهجات الحديثة في غربي آسيا واضح وحاد، وذلك لبعد الشقة، وقلة الاتصال بين هذا الجزء من أجزاء العالم العربي وذاك"[٣]. ولكن هذه العزلة لم تمح كل آثار الخصائص اللهجية القديمة، بل ظلت هذه اللهجات الحديثة محتفظة بخصائص لهجية قديمة بنسب متفاوتة لتفاوت الظروف وتباين العوامل، والأماكن، والقبائل... وغيرها.

---

(١) راجع اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١و ٢.

(٢) بين الفصحى ولهجاتها ٩ / ٧١.

(٣) العربية ولهجاتها ٣٦.

واللهجات العربية القديمة وإن مثلت خصائص شاركت في كيان الفصحى، فإن للهجات الحديثة انحرافاً عن هذه الفصحى، ووراءه أسباب متعددة من اختلاف البيئات، والثقافات، وغير ذلك مما يترك آثاره في النطق أصواتا، وبنية، وتركيباً، ودلالة.

فاللهجات الحديثة "نشأت نتيجة لتطور مباشر في العربية الفصحى بعد أن انتقلت إلى الأمصار الجديدة مع الإسلام، وقد تأثرت الفصحى باللغات المحلية في كل منطقة فنشأت اللهجات الحديثة "(١).

لقد صاحبت العربية الفصحى انتشار الإسلام، ومضت معه حيث مضى في فتوحاته، إلى أمصار وبلاد "وقد خالط المسلمون العرب أهل البلاد مخالطة حياة مستقرة، ومخالطة معايشة دائمة، ولم يكن بدّ من أن يتبادلوا الحديث في كثير من الأمور... وبهذه المخالطة والامتزاج كان التلاقي بين اللغتين في أثناء تبادل المنافع، واللغة العربية لغة الطرف القوي كانت تتحول على ألسنة هؤلاء الداخلين في الإسلام أو هؤلاء المعاونين للمسلمين الوافدين إلى لغة أخرى يمكن تسميتها اللغة العامية "(٢).

وفي ظل هذه الظروف تطورت العربية في هذه اللهجات الحديثة، تطوراً ملحوظاً.

وهذا التطور الذي تحمله اللهجات العربية ليمثل حلقة من حلقات

---

(١)العربية ولهجاتها ٤١.

(٢) العامي والفصيح شذور من هذا العنوان. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٦٦ /١٧١.

التاريخ في حياة العربية، وهذا يؤكد دور البعد الزمني في إثراء البحث اللغوي التاريخي.

وإذا كانت اللهجات المعاصرة تحمل صوراً من الانحراف عن الفصحى وراءه أسباب، فإن الدراسات الجادة كفيلة بأن ترصد هذه الصور لتربطها بجذورها، وتعيدها إلى أصولها مسخرة أدوات البحث العلمي في إطار معطيات علم اللغة الحديث.

*** أهمية دراسة اللهجات المعاصرة وربطها بالفصحى:**

قد يُعزف عن هذا اللون من الدراسة، ظناً أنه تشجيع على استعماله، وحث على تداوله، وتقنين لأساليبه، وابتعاد عن الفصحى، ومن ثمّ.. تكون الحيطة والحذر، ويكون الخوف والبعد.

بيد أن هذه نظرة قاصرة، وحذر قد يؤدي إلى نتائج عكسية تماماً؛ فإهمال دراسة هذه اللهجات المعاصرة، يدفع إلى استقرارها، وإقرارها على ما هي عليه من صور الانحراف دون التنبيه عليه، والتعليل لها، والرجوع إلى أصلها. إن اللهجات المعاصرة واقع لغوي حيّ، لا يمكن تغافله، واتجاه لغوي طبيعي لا يمكن تجاهله، بل إنه مادة ثرية لظواهر وقضايا لغوية تعود على الدرس اللغوي، وعلى العربية بالنفع، والعطاء، والثراء.

ونستطيع أن نشير إلى أهمية دراسة اللهجات المعاصرة في النقاط الآتية:

أ- اللهجات المعاصرة مادة ثرية يتجلى من دراستها ما مرت به العربية من تطور يدعم الدرس اللغوي التاريخي؛ فما من "اللهجات العربية الحديثة

إلا نتيجة لهذا التطور في العربية الفصيحة"[١].

إن في دراسة اللهجات المعاصرة – وهي الواقع اللغوي الحيّ– ما يدلنا على ظواهر وأصول، موضحة الطرق التي سلكتها، والمراحل التي مرت بها حتى استقرت في الاستعمال، وشاعت على الألسنة.

فـ"اللهجات العربية الحديثة هي المستودع الذي ترسب فيه ظواهر لغوية كثيرة انقرضت من الاستعمال الأدبي، وقد يكون بعض هذه الظواهر باقياً من بعض اللهجات الجاهلية أو الإسلامية، وقد يكون بعضها عربياً فصيحاً ندر استعماله، وقد نستطيع بواسطة هذه المادة المتخلفة في اللهجات أن نهتدي إلى أصل بعض مواد اللغة العربية، أو نتعرف على الطريق الذي سلكته ظاهرة لغوية حتى تطورت، واتخذت مظهراً آخر في العربية الفصحى"[٢].

إن دراسة اللهجات المعاصرة لتبدو ذات قيمة لغوية كبيرة في ضوء هذا الأثر، اتضح ذلك في الدورة الحادية عشرة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة حين قال الأستاذ عبد العزيز فهمي:

" أعتقد أنه لا يمكن دراسة اللهجات الحديثة، ولا قيمة لهذه الدراسة؛ لأن اللهجات تختلف بين بَلْدة وَبلْدة ، وإن قربت بينهما المسافة... ". فرد عليه الأستاذ عباس العقاد – رداً يؤكد ما نحن بصدد إثباته – قائلاً: "أخالف الأستاذ الزميل في هذا الرأي، وأعتقد أن دراسة اللهجات الحديثة أساس صالح لتمحيص اللغة العربية، فقد تطورت الفصحى في اتجاه واحد،

(١) التطور اللغوي التاريخي ٢٩.

(٢) العربية ولهجاتها ٣٥.

ولكن القبائل التي جاءت مصر بقيت على أصولها، لم يدركها هذا التطور، فقد سمعتُ في أسوان ثلاث أدوات للتشبيه، يقولون: فلان جميل كيف القمر، وكي القمر، وكالقمر، ومن ثم ندرك أن أداة التشبيه تطورت حتى صارت إلى الكاف "[١].

فدراسة اللهجات المعاصرة تثري الدرس اللغوي التاريخي؛ حيث " إن الأبحاث اللغوية التاريخية تعتمد بصفة أساسية على اللهجات الحديثة "[٢].

ومن ثمَّ.. كانت اللهجات المعاصرة " حَرِيّة بالدرس والبحث عملاً بالنهج العلمي في درس اللغات دراسة تاريخية تعين على فهم شيء من تاريخ فصيح العربية "[٣].

ولا ريب أن هذا البعد التاريخي مرتبط بالتطور؛ فالتطور يتم عبر مسيرة الزمن في مراحل وحلقات.

و"تتجه الكليات الجامعية في كثير من الأمم الناهضة إلى دراسة لهجاتها الحديثة؛ لأنها تمثل تطوراً تاريخياً تحرص الأمة على تسجيله قبل أن يصيبه تطور آخر أو يندثر، ولا ندهش لذلك أن يعكف كثير من اللغويين في تلك الأمم على دراسة اللهجات الحديثة دراسة وصفية، فنراهم يصفون أصواتها وصفاً علمياً دقيقاً، ويصفون صيغها ويضبطونها، ويستعينون في هذه الدراسة بأجهزة التسجيل، ومعامل التجارب الصوتية، كما يرسمون خرائط موضحة

(١) محاضر جلسات المجمع. الدورة (١١) ١٢/ ١٦ و ١٧.

(٢) العربية ولهجاتها ٣٥.

(٣) التطور اللغوي التاريخي ٢٠٥.

لكل ظاهرة من ظواهر اللهجة العامة، بل في بعض الأحيان لكل كلمة من كلماتها، خريطة تتبين دلالتها، أو كيفية النطق بها في كل منطقة من مناطق هذه اللهجة.. وقد تألفت من هذه الخرائط أطالسُ ضخمة في بعض الجامعات الأوربية"(١).

ومن معطيات هذا البعد التاريخي في الدرس اللغوي تتجلى أحوال المجتمع، وظلال التاريخ الاجتماعي، فيما توحي به الألفاظ في اللهجات المعاصرة من دلالات فـــ "تحقيق التاريخ وأحوال المجتمع، والاستدلال عليها بشواهد الألفاظ والتراكيب"(٢) هدف من أهداف دراسة اللهجات المعاصرة. يقول العقاد: " ولا يزال البحث في بعض الألفاظ الشائعة شاهداً من شواهد التاريخ النافعة ولا سيما التاريخ الاجتماعي في الأزمنة الحديثة، ومنها ما يشير إلى دوْر كامل من أدوار النظام الاجتماعي، ومنها على سبيل المثال كلمة (الفِردة) من (الفرضة)(٣) التي تفرض مع الضريبة، وكلمة (الوسية) لمن يعيش بلا عمل تشبيهاً له بالماشية التي كانت ترعى حيث تشاء بلا أجر ولا ثمن؛ لأنها ملك صاحب الالتزام على الأرض الزراعية، وكلمة (القراري) وصفاً للفلاح المقيم وتمييزاً له من الفلاح المتنقل، وقد توسعوا في هذا المصطلح حتى أطلقوه على صاحب الفن القراري، وعلى الحرامي

---

(١) راجع تصدير د. إبراهيم أنيس لكتاب لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية هـ.

(٢) بحوث في اللغة والأدب ٤٢.

(٣) فرضة النهر: ثُلمته التي منها يُستقى. اللسان (فرض) ٣٣٨٩/٥ ، فكأن (الفِردة) منفذ لأخذ مال مع الضريبة.

القراري، يريدون به الأصيل في الصناعة المتفرغ لها دون غيرها من الصناعات[١].

ومن ذلك في اللهجة التونسية قولهم "الممثل القار للجمهورية" يريدون الدائم من الفعل" قرّ "[٢].

وبهذا يتضح تاريخ بعض الألفاظ الشائعة في اللهجات المعاصرة، ويُرصد تطورها في ظل هذا التاريخ.

ب- الإفادة من دراسة اللهجات المعاصرة في "توضيح بعض القواعد التي استقرت عليها اللغة الفصحى"[٣].

ولقد قدم العقاد – رحمه الله تعالى – لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في الجلسة السادسة لمؤتمر المجمع في دورته العشرين بحثاً بعنوان "آمال من اللهجات العامية" استهله بقوله:

"من أغراض المجمع دراسة اللهجات العامية في مصر وسائر الأقطار العربية، ونحسب أنه من أنفع أغراض المجمع في خدمة اللغة الفصحى؛ لأننا نساير اللهجة العامية في تعبيراتنا بها، وتصرفنا فيها، ونقيس عليها فنخلص من المشابهة حيناً والمخالفة حيناً إلى شيء من الأصول التي جرت عليها اللغة الفصحى فيما يقابل هذه التعبيرات، أو هذه التصرفات "[٤].

ويستدل على ذلك بثلاث ظواهر تشيع في اللهجات المعاصرة، وهي

---

(١) بحوث في اللغة والأدب ٤٣.

(٢) راجع التطور اللغوي التاريخي ٢١٠.

(٣) بحوث في اللغة والأدب ٤٢.

(٤) اللهجات العربية (الفصحى والعامية) إخراج مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١/ ٢٥٥.

الأضداد، والإبدال، وأوزان المصادر.

عارضاً للظاهرة الأولى ما سمعه من إجابة مَنْ سألهم هل الكوبري مفتوح ؟ فأجابه اثنان منهم في وقت واحد قال أحدهم: نعم مفتوح، وقال الآخر: لا، غير مفتوح، فعلم من هذا التناقض الظاهري أن أحدهما يعني فتح الكوبري للسير، والآخر يعني فتحه للملاحة، فالفتح عندهما بمعنى واحد ولكن على اعتبارين مختلفين. ثم يقارن بين ما جاء في اللهجات المعاصرة والفصحى من هذه الظاهرة موضحاً الأضداد التي تأتي من التفاؤل، فيقال للمريض في المعاصرة (بعافية)، ويقال للإناء الفارغ: إنه المليان، وهكذا يقال في الفصحى (سليم) للديغ وسليم للصحيح.

وفي ظاهرة الإبدال يقول:

"فمعاقبة اللهجات العامية فيه تنصف النحاة الأقدمين في العصر الحاضر، لأن أناساً من الباحثين العصريين يحسبوهم قد لجأوا إلى التعليل بالإبدال على سبيل التخلص والهرب من الأسباب الصحيحة التي يجهلونها فيستريحون منها بعلة الإبدال. والواقع أن الإبدال يجري أمامنا في اللهجات العامية على مجراه الذي قال به النحاة الأقدمون... فيقولون: يكلّم.. يصرّف، ويثبتون بذلك.. أن إبدال التاء في أحد الحروف المضعفة معهود على اللسان.. والشواهد من القرآن الكريم تثبت لنا هذا الإبدال في كلمات متعددة، مثل يزّكي ويذّكر.. مما يسمع فيه الإبدال بالتاء؛ إذ يقال يتزكى ويتذكر.. على القياس في فعّل يتفعل"(١). وعن أوزان المصادر يقول: "العامة

(١) اللهجات العربية (الفصحى والعامية) ١/ ٢٢٦ و ٢٢٧.

في إقليم أسوان يأتون بالمصدر من (فاعل) على (فاعال) فيقولون: الحاراب.. والجاكار، ونسمع في الوجه البحري "حازاراك فازاراك" وهي قريبة من هذا الباب، والذي لفت نظري من هذه الكلمات كلمة (الجاكار) بمعنى المماطلة في البيع وغيره، فإنها من كلمات الفصحى التي لا تسمع في عامية الأقاليم الأخرى وموضع الالتفات في هذه الكلمات خاصة أن وزن (الفاعال) من المفاعلة قديم يرجع إلى الوقت الذي كانت فيه هذه الكلمة تجري على ألسنة الفصحاء والعامة. فهل يسوغ لنا أن نقول: إن وزن (فاعال) من فاعل خطوة سبقت وزن (فِعال) الذي انتهينا إليه ؟.

إن (فاعال) أقرب إلى (فاعَل)، ويجوز لهذا أن تكون قد سبقت الفِعال ثم طواها الإهمال في غير تلك اللهجة العامة، ويرجح لنا تشابه العامية والفصحى في هذا الوزن مادة "جكر" بمعناها الفصيح[(١)].

جـ- في دراسة اللهجات المعاصرة طرافة، ورياضة عقلية، ومتعة نفسية؛ حيث "يجد اللغوي الحديث متعة في دراسة اللهجات الحية، والكشف عن ظواهرها وأسرارها، بصرف النظر عما يمكن أن يترتب على مثل هذه الدراسة من نفع عاجل لأمته، وإنما حباً وشغفاً بالبحث الأكاديمي البحت، ونحاول نحن أبناء العرب أن ندرس لهجاتنا الحديثة في كلياتنا ومجامعنا اللغوية لعلنا نحقق الأهداف التي حققتها الجامعات العظيمة في العالم"[(٢)].

---

(١) السابق ١/ ٢٢٧ و ٢٢٨، والـجَكْرة: اللجاجة.. أجْكَر الرجل إذا لجّ في البيع. راجع لسان العرب (جكر) ١/٦٤٦ و٦٤٧.

(٢) تصدير د. إبراهيم أنيس لكتاب لهجة البدو هـ.

وإذا كانت هذه الدراسة متعة للنفس، باكتشاف الظواهر والأسرار فإن المتعة لتضاعف، وتبلغ ذروتها في رد هذه اللهجات إلى أصولها العربية الفصيحة، ما أشبه الباحث حينئذ بمن ردّ شارداً إلى موطنه، فأعاده إلى هويته، وأرجعه إلى طبيعته.

د- التقريب بين اللهجات المعاصرة وأصولها الفصحى، والربط بينهما.

وهذا من شأنه أن يزيل الفجوة بين ما يدور على الألسنة وما تحويه الفصحى، ويرد الفرع إلى الأصل، وتُدرس في ظلاله صورُ الانحراف، في مستويات التحليل اللغوي المختلفة، وأسباب هذا الانحراف، وطرق علاجه وهذا من أهم ما تحققه دراسة اللهجات المعاصرة.

فاللهجات العربية المعاصرة – في جل صورها – انحراف عن جادة الفصحى في مستوى ما من مستويات الدرس اللغوي، يحتاج هذا الانحراف إلى دراسة أسبابه، وبحث دواعيه، ورصد صوره، ومعالجة تفشيه، وإزالة أعراضه، حتى ترجع هذه اللهجات إلى أصولها الفصحى، ليتحقق في ظل ربطها بجذورها أهداف، أهمها ما يلي:

١) تضييق فرصة انفصال اللهجات المعاصرة عن الفصحى ما أمكن، حتى لا تصبح هذه اللهجات كياناً مستقلاً، يقنن له، ويُدعى إليه ويُرغّب فيه، ويجد من يروج له من أعداء العربية؛ ففي ربط اللهجات المعاصرة – أولاً بأول كلما ظهرت صور انحراف فيها عن الفصحى – حفاظ على جوهر الفصحى وخصائصها، وملامحها وروحها التي تشيع في هذه اللهجات حروفاً، وأصواتاً، وبنية، وتراكيب، ودلالة، والتي يسهل ردها إلى الجذور، وإرجاعها إلى الأصول، إذا استُدركت قبل استفحال الخطر، وتمكّن الداء،

حتى لا تحدث غرابة في محيط لغة واحدة تُحدث غُربة بين أبناء الأمة الواحدة، وتثير بلبلة بينهم.

فاللهجات المعاصرة "إذا انفصلت عن الفصحى تمام الانفصال فقدت ضوابطها ، وأهمها علاقات التركيب بين جملها وعباراتها المطوّلة، وفقدت الحروف التي تتميز بها العربية"(١).

٢) تكامل المادة اللغوية في المستويات اللغوية المختلفة، ويعني ذلك متابعة مراحل التطور اللغوي عبر التاريخ وتسجيل ما مرت به اللغة من أدوار متتابعة متلاحقة في مستوياتها، وما يمكن أن يحققه هذا الجهد إضافة تُستكمل بها مسيرة المادة اللغوية.

ولقد قدّم د/ عبد الرحمن أيوب سنة ثمان وستين وتسعمائة وألف بحثه "العربية ولهجاتها" مؤكدًا به هذه الحقيقة؛ إذ "تمثل فكرة تكامل المادة اللغوية بين العربية ولهجاتها، ووجوب قيام الدراسات اللغوية التاريخية على أساسها عصب هذا البحث، والبحث كله مُمحّض للتدليل على ما يمكن أن تثمره الدراسة التي تتبنى هذه الفكرة. وبهذا المعنى تكون دراسة اللهجات الحديثة هي أكبر خدمة يمكن أن نؤديها للغتنا"(٢).

وقد دعّم بحثه بنماذج من المفردات محاولاً بيان ما اعتراها من تغيرات في الأصوات والدلالة من ذلك:

" كلمات فصحى لا تزال تستعمل في اللهجات العامية بلا تغيير يذكر.

---

(١) " دروس من جزيرة مالطة " بحث للعقاد. منشور في مجلة الأزهر. ٣٣ / ٢٧١.

(٢) في اللسانيات العربية المعاصرة. دراسات ومثاقفات ٤٦.

التبن: في الفصحى عصيفة الزرع من بُر ونحوه، وتفتح أيضاً.

التكة: في الفصحى رباط السراويل، وهي في السودانية بتاء كالفصحى أما في المصرية فإنها تنطق بالدال.

... الخولي: في المصرية والسودانية رئيس المزارعين.. وفي الفصحى الراعي الحسن القيام على المال...

الجيب: في المصرية والسودانية بمعنى جزء الثوب تحفظ فيه النقود، وفي الفصحى: الجيب طوق القميص[١].

ثم ذكر "من المفردات ما يمكن تفسير بعض غموضه الدلالي أو التاريخي أو التصريفي بالرجوع إلى عدد من اللهجات، ومثال ذلك:

* التعبير المصري " يشخط وينطر " ولأول وهلة يفسر الفعل " ينطر " بأنه مأخوذ من " نثر " الفصيح مع قلب الثاء الفصحى تاء، وتفخيمها فتصير طاء " ينطر "...

* الفعل "أعطى" في العربية الفصحى مزيد بالهمزة.. وليس في الفصحى صيغته المجردة "عطى" ومع هذا فإن فيها كلمة "عطاء" وهي كما هو ظاهر ليست مشتقة من الصيغة المزيدة بالهمزة؛ حيث إن المصدر منها "إعطاء" وقد قال اللغويون العرب بأن "عطاء" اسم مصدر لا مصدر لهذا السبب. وحقيقة الحال أن "عطاء" مصدر من الصيغة المجردة التي انقرضت من الاستعمال في الفصحى، والتي توجد في اللهجات الحديثة دون زيادة... ومن الكلمات التي اشتقت من الصيغة المجردة في الفصحى "عطية" وهي في

(١) العربية ولهجاتها ٤٦.

المفردات المصرية أيضاً، وتستعمل فيها علما، وفيها في القاهرة "عاطي" حيث يقال: سبحان العاطي الوهاب.. وحيث يوجد بين الأعلام المصرية " عبد العاطي".

وهنا نجد ظاهرة لغوية مهمة هي التكامل التصريفي بين الفصحى واللهجات الحديثة "[١].

ثم يؤكد " أن التغيرات التي تحدث في العربية ولهجاتها ليست أكثر من أدوار يحدث أولها في الفصحى ثم تحدث أدوارها اللاحقة في اللهجات الحديثة... ف "كان" كانت تستعمل تامة، ثم ناقصة وتامة في الفصحى ثم اقتصرت في اللهجات الحديثة على النقصان أو على مجرد اعتبارها عنصراً يفيد الزمن في الجملة الاسمية "[٢].

فـــ" اللهجات الحديثة قد أكملت الشوط الذي بدأ في الفصحى فتخلصت نهائياً من استعمال" كان" تامة "[٣].

٣) رفع العزلة بين الفصحى واللهجات المعاصرة، وإزالة الحواجز الواهية بينهما لتأصيل قيمة الانتماء، وغرس الثقة بالتراث، وفي ذلك ما يدفع إلى التخلص من شوائب الانحراف عن هذه اللغة الفصحى، ومحاولةِ التمسك بقواعد العربية ومحاكاة أساليبها وطرق التعبير فيها مما يملأ الوجدان، ويشنف الآذان في كل أوان من آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول – صَلَّى اللهُ

---

(١) السابق ٥٠ و ٥١.

(٢) السابق ١٠٨و ١٠٩.

(٣) السابق ٨٣.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والصور الأدبية المختلفة المبثوثة في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة والتي تحملها إلى الناس لغة فصحى يستوعبها الجميع ويعيها في يسر وسهولة.

٤) إن ربط اللهجات المعاصرة بالفصحى مهمة تربوية، تعوّد البحث عن الأصل، ومعرفة السبب، ووسيلة المعالجة، فيتمرس النشء على الأصول البحثية التي تفتح أمامهم آفاقاً رحبة من التأمل والاستنباط، ونوافذ واسعة من النتائج والحقائق.

كما أن ربط اللهجات المعاصرة بالفصحى أساس تعليمي؛ فـــ" اختيار الكلمات الشائعة في البيئة والمستعملة في المحادثة والكلام اليومي، والتي تعود في حقيقتها إلى الأصل العربي تعتبر أساساً مهماً في تعليم أطفال المدرسة الابتدائية، وركيزة أولى، لها أهميتها في تعليم الكبار في ميدان محو الأمية، وهو اتجاه مشوِّق للدارسين يشجعهم ويحبب إليهم السير في تعلم القراءة والكتابة قُدُمًا، باعتبارها الوسيلة الوحيدة التي يُعتمد عليها في حديث الناس وتعاملهم حين يتبادلون منافع الحياة فيما بينهم "(١).

وكم يجد الإنسان سعادة بالغة حين يجد الكلمة المستعملة في بيئته لها أصل عربي، إنه يشعر بالثقة والزهّو، وأصالة الانتماء، ويزداد حبه للعربية وتعلقه بها.

*** الهــوّة ليست بعيدة:**

إن الآفة التي تحاول معاندة الحقيقة هي التهويل الذي يعمل على

(١) معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية ٦.

تشويشها، وإثارة الضباب على نورها، حتى تختفي أو تنــزوي، أو يبهت إشاعها، وفي إطار الصلة بين اللهجات المعاصرة والفصحى يكمن الخطر في هذا التهويل الذي يُظهِر الهوة بعيدة، والفرق شاسعاً، والمسافات متاهات، فيستفحل الخطر، باليأس من تقريب الشقة، ويكبر الوهم أن اللهجات المعاصرة صارت كياناً متفرداً له حضوره، وظهوره، وسماته، وربما زخرفوا له بزيف السهولة وزعْم اليسر ليزهِّدوا في الفصحى، ويرغّبوا في العاميات، ويقطعوا الصلات، وفي ذلك حيف على الحقيقة، وجور على الطبيعة.

إن الدراسة الواعية في ضوء معطيات علم اللغة الحديث بأدواته ومناهجه، وفي ضوء ما قرره فقهاء اللغة من سنن لغوية كالإبدال، والقلب، والتفخيم، والترقيق، والإمالة، والإشباع، والنبر، والتنغيم والنحت وغير ذلك من قضايا اللغة لتؤكد أن جل صور الانحراف في اللهجات المعاصرة تدور في هذا الإطار فضلاً عن عوامل الزمان والمكان والبيئة والمجتمع والثقافة، وغير ذلك مما يؤثر في كيان اللغة، وبدراسة ذلك تزول الغربة، وتُتجنب في ضوء هذه الدراسة مزالقُ هذا الانحراف الذي عُرفت أسبابُه ودواعيه ولابد من اليقين بأن هذه اللهجات المعاصرة " في جمهور ألفاظها فصحى محرفة(١) " و" أن التحريف الذي أصاب الألفاظ في اللغة الدارجة هو جدّ يسير، لا يتجاوز في أبعاده تغيير حركة بحركة، أو حرف بحرف، وقلّ أن يخرج عن ذلك بزيادة حرف، أو حذف حرف، مما ألجأهم إليه طلب التخفيف "(٢)،

(١) اللهجات العربية (الفصحى والعامية) مجمع اللغة العربية ٢/ ١٩٣.

(٢) اللهجات العربية ٢/ ١٩٦.

أو تغيير في الدلالة نتيجة ما أشرنا إليه من عوامل، وفي غالب الأحوال تدور صور التغيير بأبعادها، وأشكالها، ومستوياتها في فلك الفصحى.

إن تصور " بُعد الألفاظ العامية عن العربية مبالغ فيه، فالفرق لا يزال ضئيلاً بينها وبين الفصحى، ومن اليسير تدارك الأمر، إذا نحن عنينا بجمع كل المفردات العامية، وعنينا بإعادة الاعتبار إلى كل ما يمكن رد الاعتبار إليه، وصححنا كلَّ ما يمكن تصحيحه منها بغير إبعاد لها عن صورتها كلما أمكن ذلك "[١] يساعد على ذلك أن جل ما تحمله اللهجات المعاصرة " من تحوير في المعنى ، أو تغيير في شكل البناء يتفق وقواعد اللغة العربية، ومسائلها التي تَحدّث عنها النحاة في مراجعهم، وأثبتها فقهاء اللغة في كتبهم وأماليهم "[٢].

إن اليقين بهذه الحقيقة يقوي الأمل في التقريب بين اللهجات المعاصرة والفصحى، ويحفّز الجهود المنطلقة على هذا الطريق، لإزالة الفجوة بين هذه وتلك، وإزاحة الجفاء بينهما، كما أنه يغرس الثقة في نفوس أبناء العربية بأصالة ما يدور على الألسن، وأن له ظلالاً في الاستعمال العربي الأصيل الموثَّق " فيطمئن مثقفونا حين يضيفونه إلى رصيدهم اللغوي كجديد تظهر آثاره في تحرير الصحافة، وكتابة القصة، ونظم الشعر، ويقتنع الطلاب بفصاحة هذه الألفاظ، فلا يترددون في استخدامها في تحريراتهم، وكلامهم، ولا يحجمون عنها لأنها دارجة لم يألفوا كتابتها بين الألفاظ التي لُقّنوها، وما هي في الحقيقة إلا ألفاظ فصحى أهملت لفترة ما، آن أن تعود بعدها إلى

(١) معجم الألفاظ العامية. ١٠ ، ١١.

(٢) السابق ٥.

وضعها الطبيعي في اللغة"[١].

وهذا ما تحرص عليه الجهود المبذولة في هذا الميدان، وما يجب أن تُسخر له الطاقات، وتُشعل الهمم.

وإن الذي يُنعم النظر فيما يدور على الألسنة من اللهجات المعاصرة، ليجد الكثير منها ضارباً بــجِرانه في الفصحى، وحينئذ يجد سعادة بالوقوف على المصدر، والأوبة إلى الأصل.

لقد سمعت في قريتي في مصر الناس ينادون رجلاً برجله التواء، فيقولون له: " يا معص"، وحين عدت إلى المعجم العربي لأقف على حقيقة المعنى وجدت اللغة تقول: "المَعَصُ: محركة التواء في عصب الرِّجْل"[٢].

فكيف جرى على ألسنة العامة هذا اللفظ بهذا المعنى ؟ إن هذا يؤكد بقاءَ الاستعمال اللغوي الفصيح، وامتدادَه عبر السنين، وأن جلّ ما تحمله اللهجات المعاصرة لم يأت من فراغ، وإنما له مرجعية يجب أن يُكشف اللثامُ عنها، مؤمنين بأن الهوّة بين هذه اللهجات، وبين الفصحى، ليست بعيدة.

وإن المعاجم[٣] التي جمعت ألفاظاً من اللهجات المعاصرة، وحاولت إرجاعها إلى أصلها الفصيح لتؤكد ذلك.

* طرق التقريب، وآثاره:

ولما كانت الهوّة غيرَ بعيدة، والحاجزُ غيرَ منيع، كان التقريب ضرورة،

(١) السابق ٤.

(٢) القاموس المحيط (معص) ٢/ ٣٣٠.

(٣) راجع مثلاً: معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية، ورد العامي إلى الفصيح، ومعجم تيمور الكبير، والمحكم في أصول الكلمات العامية، وغيرها.

حتى لا تُعمّق الهوّة، ويقوى الحاجز، فليس في صالح العربية أن تقام بينها وبين لهجاتها المعاصرة سدود، ينجم عنها صدود.

وأول ما يجب تحقيقه على طريق التقريب: العمل على إزالة التحريف، وتقويم اللحن، وتصحيح الألفاظ التي تحمل أعراض هذا التحريف، ومظاهر هذا اللحن حيث "إن أول ما يجب على طالب اللغة تصحيح الألفاظ العربية المستعملة التي حرفتها العامة عن موضعها، وتكلمت بها على غير ما تكلمت بها العرب في ناديها ومجتمعها، فإذا صححها، وأزال منها التحريف، ونفى عنها التصحيف، وأقامها كالقِدْح في التثقيف، ولفظ بها كما لفظت بها العرب في المشتاة والخريف، والمربع والمصيف، كان ما وراء ذلك عليه أقربَ وأسهل للطلب "[١].

وإذا كانت العزلة الموهومة بين الفصحى ولهجاتها المعاصرة تَمّتْ نتيجة أسباب داعية للتفرق والتشتت والتعدد، فإن طريق التقريب الآن مُعبّد لاضمحلال هذه الأسباب المبعِّدة، وتوافر الأسباب المقرِّبة، "فمما لاشك فيه أن التقريب بين الفصحى والعامية ممكن، وأنه يزداد إمكاناً في العصر الحاضر؛ لأن أسباب التشعب والتفريع كانت وفيرة في العصور الماضية، و لم تكن إلى جانبها أسباب للتوحيد تضارعها في قوتها وأثرها، فتوافرت هذه الأسباب في العصر الحاضر بعد شيوع الصحافة والإذاعة"[٢] وغيرها من آليات التطور الحضاري في ظل ثورة المعلومات والاتصالات التي يشهدها

(١) المدخل إلى تقويم اللسان، وتعليم البيان (المقدمة).
(٢) بحوث في اللغة والأدب. ٤٣.

العصر الحاضر، ويعيشها مما قرّب البعيد، وأدنى القاصي، ولكي يتم هذا التقريب يجب أن تسجل المادة اللغوية الحية على الألسن المتداولة الآن، وترصد صور الانحراف بها عن الفصحى، وتصنف وفق مستويات التحليل اللغوي، و" أن ندرس خصائصها ومميزاتها، بل وأن نتعرف على ما جدّ فيها من مادة، والمصدر الذي دخلت منه إليها، وخاصة بعد أن أصبح لعلم اللغة الحديث مناهجُه في جمع المادة اللغوية، وتحليلها على المستويات الصوتية، والصرفية والنحوية، والقاموسية، وبعد أن أمدتنا الاختراعات المختلفة بوسائل حديثة ودقيقة للتسجيل والتحليل "[١].

وإن مثل هذه الدراسة لتساعد على ربط الظواهر المعاصرة بأصولها الفصيحة، وتثري الدرس اللغوي التاريخي، الذي في ضوئه تتضح سبل التقريب لنأخذ بها، ونوظفها في إزالة ما بين المستويين من غربة وعزلة وانفصام.

ومن ثم.. فإن من الواجب أن نسجل التجاوز الذي بين اللهجات المعاصرة والفصحى، " أو قل هذا الجديد لنربط بينه وبين عربيتنا القديمة عملاً بالمنهج اللغوي التاريخي، وسنجد أن علم اللغة في العربية لا يتنكر للجديد"[٢].

ومن طرق التقريب عرض المادة اللغوية المسموعة على أمهات المصادر اللغوية، والمعاجم العربية وبخاصة المعاصرُ منها كالمعجم الوسيط، وعدم التسرع في إنكار المسموع وإقصائه، فربما كان له سند من الاستعمال الفصيح، ودعم من الأصل العربي الصحيح.

---

(١) العربية ولهجاتها ٣٥.

(٢) التطور اللغوي التاريخي ١٢٣.

إن التقريب بين اللهجات المعاصرة والفصحى بات مطلباً ملحاً للنهوض باللغة العربية، وغرس الثقة في نفوس الناطقين بها، وإزالة الفجوة بين مستويين قريبين، متحدي النسب والأصل والجذور، كما أن التقريب عامل مهم من عوامل نمو اللغة العربية، ووسيلة من وسائل ثراء رصيدها من المفردات والأساليب والاستعمالات، مما يتطلبه العصر الحاضر، وتقره طبيعة اللغة وقواعدها ، وفي هذا ما يؤكد مرونة العربية، وتقبّلها للجديد، وتفاعلها معه، وحين نقرب المعاصر للأصيل لَتزيد ثروة لغتنا ويُنمَّى متنُها، ويَثرى معجمها بما يتلاقى ونسبها ونسيجها، فهذا أولى مما تُنمّى بها ثروتُها بوافد معرَّب، أو مترجم وفاء لحاجات العصر ومتطلباته، ومقتضياته، فأولى بنا أن نوظف هذا التقريب لنفتح الباب أمام كلمات جديدة ما هي "إلا مصنوعات وطنية نسجت من خيوط عربية، وصقلتها ألسن عربية، وأصبحت لنا بها ألفة وأُنس، وهي لغة الحديث والخطاب لخاصتنا كما أنها لغة حديث الجماهير، لذا يجب أن تتطور ألفاظنا بما يتفق ومصالح الجماهير، شريطة أن يساير تطورها الأسلوب العربي في الصياغة والتعبير(١)" والقواعد والخصائص، وفي هذا ما يثري العربية، وينميّ ثروتها اللفظية والأسلوبية، والدلالية؛ فإن من آثار هذا التقريب "أن يُدخِل في الفصحى مفردات نافعة من ألفاظ الحضارة، يمكن إجراؤها مجرى المفردات الفصيحة بغير تعديل، أو ببعض التعديل"(٢).

---

(١) معجم الألفاظ العامية ١٤.
(٢) بحوث في اللغة والأدب ٤٣.

هذا..وإن في التقريب بين اللهجات المعاصرة وبين أصـــولها الفصحى ما يقدم لعامة الناس اللغة سهلة ميسورة، فلا يجدون عنتاً ومشقة في فهمها واستيعابها، والتعامل معها، والتخاطب بها.

فإن "مما يُرجى من آثار هذا التقريب أن يُيسر فهم الفصحى لغير المتعلمين "[١] ومما يؤكد أهمية آثار هذا التقريب أن العقاد في بحثه الذي ألقاه في الجلسة السادسة للدورة الحادية والعشرين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في يناير سنة خمس وخمسين وتسعمائة وألف، بعنوان " أغراض البحوث في الفصحى والعامية " حصر هذه الأغراض – بعد استقصائه لها – في أربعة أغراض، كان على رأسها:

"بحث يراد به التقريب بين اللغة الفصحى، واللهجة العامية "[٢].

جهود في هذا الميدان:

لقد بُذلت جهود متعددة في ميدان تأصيل اللهجات المعاصرة، وردها ما أمكن إلى جذورها الفصحى، وكثرت البحوث المقدمة في هذا الميدان كثرة تنبئ عن أهمية هذه القضية الحيوية التي شغلت الفكر اللغوي، وأثارت اهتمام فقهاء العربية، و لم يقتصر اهتمام اللغويين بهذه القضية على قُطر دون قُطر، ولكنها شغلت المهتمين بقضايا العربية في أقطار شتى، وبلاد متعددة، وهذا يعطي بُعدًا آخر في أهمية هذه القضية الجديرة بالبحث القمنة بالعناية، وسوف ألقي بعض الضوء على بعض هذه الجهود، ويمكن تصنيفها إلى:

(١) بحوث في اللغة والأدب ٤٣.

(٢) راجع مجلة المجمع ٧٥/١١، واللهجات العربية (الفصحى والعاميـــة) للمجمـــع ١٠٨/٢ ، وبحوث في اللغة والأدب ٤٢.

أ- جهود فردية ، ومنها:

١ - المحكم في أصول الكلمات العامية، للدكتور أحمد عيسى، وقد أعرب في مقدمة كتابه عن منهجه وهدفه قائلاً:

"ولقد تيسر لي جمع الكثير من مفردات العامة، وعملت على تحقيق أصولها وردّها إليها، ورتبتها في هذا السفر بحسب حروف الهجاء، فذكرت اللفظ العامي أولاً وبجانبه تفسيره عند العوام، ثم أتيت بالأصل الفصيح، وذكرت تفسيره في معجمات اللغة كاللسان والتاج، وبينت الحقيقة والمجاز، وإني لأرجو أن يستفيد منه كل قارئ ويعمل به كل كاتب، حتى يعود للغة رونقها الساحر، ويرجع إليها غناها الباهر، فتفخر وتتيه على كل اللغات بقدمها وثباتها أدهراً عظيمة، وأعماراً طويلة "(١).

فالجمع، والتحقيق والترتيب، والتفسير في الاستعمال المعاصر، والأصل الفصيح، والتفسير اللغوي في مصادره الأصيلة، وبيان التطور اللغوي في ضوء هذه التقابلات، ودور المجاز.. كل هذه أدوات بحثيَّة أصيلة تمثل مقدمات جادة تؤهل لنتائج إيجابية، وترسم معالم على طريق استمرار الجهود لإبراز الصلة بين اللهجات المعاصرة والفصحى.

ومما جاء في المحكم:

(بَدْري): يهمّ ضيفك للخروج، فتقول له: لسِّهْ بدري، بدَرْتُ إلى الشيء أبدر بدوراً: أسرعت، وناقة بَدْريّة بدرتْ أمُّها الإبلَ في النتاج، فتكون بدري: أي بدرتَ في الخروج "(٢).

(١) المحكم في أصول الكلمات العامية ف.
(٢) السابق ٢٦.

(دَبْش): قطع الحجارة كيفما تكون المستعملة في البناء، الدبْش: أثاث البيت وسَقط المتاعَ، فالاستعمال مجازي"[١].

(دبْله) تقول لحلقة الخاتم الخالي من الفص.. دبْله، الدُّبْلة: ثَقْب الفأس، وجمَعها دُبُل، ودُبَل، فاستعيرت لكل حلقة بقدر الخاتم"[٢].

وهكذا يعرض الكلمات العامية موضحاً أصولها العربية، وقد تكون غير عربية فيشير إليها؛ كقوله في (دبارة): دوبارة فارسية بمعنى دسيسة غش[٣].

وكقوله (فُرتينة) بمعنى هياج.. هي كلمة إيطالية Fortuna بمعنى زوبعة [٤].

ويتسم الكتاب بدقة الضبط التي تساعد على وصف النطق المعاصر ، وتحديد أصله الفصيح ليسهل رصد التحريف الذي طرأ عليه للوقوف على تعليله ودراسته. والكتاب إضافة بارزة في بابه.

٢- ردّ العامي إلى الفصيح لأحمد رضا العاملي عضو المجمع العلمي بدمشق ، وهو لغوي مدقق ، قدّم للمكتبة العربية معجمه القيم " متن اللغة " الذي هيأ له معايشة ألفاظ اللغة على اتساعها ووفرتها، ورأى في ظلالها ألفاظاً عامية فيها معنى الفصيح، فأبان " بالحجة التي لا تُدفع والبرهان الذي لا يُرد عن اتصالها بالنسب العربي العريق، وإنما باعد بين الأصل والفرع ما لا يخرج عن سننها من قلب وإبدال ونحت واشتقاق.."[٥].

لقد جمع هذه الكلمات، ثم عرضها " على أمهات الكتب اللغوية

---

(١) السابق ٨١.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) السابق ١٦٣.

(٥) رد العامي إلى الفصيح ج.

كلسان العرب والتاج والمخصص وسواها فيخرج بنتيجة صحة عربية جمّلها ببحثٍ فيه الدقة والعمق مؤيدٍ بالبرهان معززٍ بالشواهد، ولم يكد يغفل شيئاً مما يدور على ألسنة عامة ديار الشام وبعض ما انتهى إليه عمله مما يدور على ألسنة الأقطار العربية الأخرى"(١)

ومما جاء في هذا الكتاب:

" أ ف ش: تقول عامتنا أخذ الشيء أفشاً أي ضمّه وجمعه بلا نظام ولا تدبر ولا تروّ، والذي أراه أنه من "أبشه" على البدل، وقد جاء في اللسان: الأبش الجمع "(٢). وهذه اللهجة موجودة في مصر أيضاً.

" خَرَع، ويقولون: خرَعه، وخرّعه إذا طلع عليه فجأة بما يفزع منه فارتعد

وفي اللغة: خَرِع خَرَعاً إذا ضعف ودَهِش. ولا ريب أن الفزع المفاجئ والدهشة من وادٍ واحد. وأرى أن أصلها " هُرِع وأُهرِع " إذا رُعِد من خوف أو غضب والعامة أبدلت، ومثل هذا الإبدال في الفصيح قولهم: سليخ مليخ وسليه مليه، أي لا طعم له "(٣). وفي اللهجة المصرية خِرِع للجبان الرعديد الضعيف، تحريف من خَرِعْ على (فَعِلْ) للمبالغة.

ومنه: " س ر ج، ويقولون: سرّج الثوب " إذا خاطه خياطة متباعدة،.. ومثله في الفصيح شرّج الثوب، إذا خاطه خياطة متباعدة "(٤).

والإبدال بين السين والشين وارد في اللغة، فيقال: " حِمس الشر

---

(١) السابق د.

(٢) السابق ٧.

(٣) رد العامي إلى الفصيح ١٠٣.

(٤) السابق ١٧٩.

وحمش إذا اشتد"[١].

ومنه في العامية المصرية: حِمِشْ للقوي الشديد من حَمِس.

وبهذا الوعي اللغوي يقدم لنا العاملي في كتابه هذا مادة لغوية ثرية تربو على ألف وأربعمائة مادة مما يجعل هذا الكتاب مرجعاً مهماً، وإضاءة ساطعة على هذا الدرب.

٣- معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، لأحمد تيمور، وقد أعرب تيمور في افتتاحية المعجم عن غرضه، فقال: "غرضنا الأول من هذا الكتاب: إحياء اللغة العربية الصحيحة بذكر العامي، وتفسيره، ورده إلى نصابه من الصحة إن كان عربي الأصل، أو بيان مرادفه – إن لم يكن كذلك – ليحلّ محلّه ويرجع إليه في الاستعمال[٢] ".

وقد جمع فيه الألفاظ العامية المصرية، ورتبها على حروف المعجم.

ومما جاء في هذا الكتاب:

"بعزق الشيء: بمعنى بعثره. في اللغة: بعزق: بمعنى فرّق، فإذن هي فصيحة، ويقال فيها: زعبق"[٣]، ومنه: "تخَّ: تخّ العجين: فصيحة. في مادة (لوخ) التّاخ العجين: اختمر "[٤]، ومنه:

"تُرتِي: عند الطباخين ما يبقى في أسفل ماء القدر من العكارة،

---

(١) الإبدال. لابن السكيت ١٠٩.
(٢) معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية ١/ ١٨.
(٣) السابق ٢/ ١٩٦.
(٤) السابق ٢٩٤.

والكلمة عربية هي الدُّرْدِي[١]".

ومنــــه:

"كركر: أخذ من الصوت، الميّه بتكركر في زوره، وكركر في الضحك.

في القاموس: القرقرة الضحك إذا استغرق فيه ورجّع. وفي مادة (كرّ) أنها الكركرة أيضاً [٢] ".

ومنــــه:

"كعبر: فلان اتكعبر، ومكعبر: أي مجتمع الخَلْق، وقد يقولون فيه كُعْبرة.

في اللغة: الجَعْبر: القصير المتداخل، فلعله منه"[٣].

ومنــــه:

"معَاه: أي معَهُ: أشبعوا الفتحة فوّلدت الألف"[٤].

وهكذا... يعرض تيمور الألفاظ العامية في ضوء الفصحى بثراء وشمول في هذا المعجم الذي " يُعدّ أكبر كتاب في العامية المصرية، أكثرها ألفاظاً، وأوسعها مجالاً، وأشدها وصلاً بين العامية المصرية واللغة الفصحى[٥]".

وهو " خير ما أُلِّف " في العامية المصرية [٦].

٤- معــــجــــم الألفـــاظ العامية ذات الحقيقة والأصـــول العـــربية.

(١) السابق ٣٠٥ وفي القاموس " درد " ١/٣٠٣ دُرديّ الزيت: ما يبقى أسفله.
(٢) معجم تيمور ٥/ ٢١٦.
(٣) السابق ٥/ ٢٤١.
(٤) السابق ٥/ ٣٧٥.
(٥) السابق (مقدمة المحقق ١/ ١٣.
(٦) تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف ٥.

د. عبد المنعم سيد عبد العال وقد حدّد في المقدمة معالم منهجه، إذ جمع الألفاظ التي تجري على ألسنة الناس، ثم وضح دوره بعد هذا الجمع بقوله:

"ولما كثرت حصيلتي من الجمع عدتُ بها إلى المراجع العربية سواء أكانت معاجم أم كانت كتباً لغوية أم أدبية، فما مَتَّ من هذه الألفاظ بصلة إلى العربية – بعد أن وجدته في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ–، ومعاجم اللغة ومأثورها من الشعر والنثر – أبقيته، وما كان غريباً استبعدته(١)".

والحقيقة أن عنوان الكتاب يحدد مهمته، من أول وهلة، وقد وضّح المؤلف مهام الكتاب، قائلاً:

" مهمته التنبيه إلى الكلمات الفصحى التي يتوهم كثير بأنها عامية... ومن مهامّه – أيضاً – التنبيه إلى الكلمات الفصحى التي حرّفت العامة لفظها، أو غيرت معناها، ثم تحديد صوابها اللغوي"(٢).

إن هذا.. بالإضافة إلى عنوان الكتاب ليؤكد ثقة المؤلف بفصاحة ما أثبته مما يدور من لهجات معاصرة، وأن ما لحقه من تحريف لا يعدو سنن التطور اللغوي عبر مسيرة الزمن ، وقد رتب ما جمعه على حروف المعجم، ومما جاء فيه:

"أزح، نقول في دارجتنا: أَزَحَ فلان القناة: دنا بعضه من بعض وتقبَّض، ثم قفز بقوة أوصلته إلى طرفها المقابل، وفي القاموس: أَزَحَ يأزح

---

(١) معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية ١٥.
(٢) السابق ٤.

أزوحاً تقبّض ودنا بعضه من بعض[١] "، ومنه:

" لسانه مَبْرد: نقول في دارجتنا: لسان فلان مبرد، كناية عن شدة لسانه وقسوته عندما ينقد الناس، وخاصة عند تناول أعراضهم، وفي هذا يقول حُطَائط بن يعفر[٤] (٥٤٤٠ الأغاني).

أجارةَ أهلي بالقصيمة لا يكن عليّ – و لم أظلم – لسانُك مِبْردا[٣].

ومنـــه: " خلَّصَ، نقول في دارجتنا: خلّصَ فلان فلانًا من يد فلان: نجاه، وأفلته من يده "، وفي القاموس: خلّصه نجّاه، ويقول أبو محجن (٧٢٢٤ الأغاني):

الحمد لله، نجاني، وخلّصني من ابن جهراء ، والبوصيُّ قد حُبِسَا [٤] "

والمعجم جهدٌ رائد في بابه، وإضافة ثرية، وعمل يُحتذى به في هذا الميدان اللغوي التأصيلي.

٥- تحريفات العامية للفصحى، في القواعد، والبنيات، والحروف والحركات – للدكتور شوقي ضيف.

وهو كتاب " يضمّ – في وضوح – الصور المتعددة لما أحدثت العامية

---

(١) السابق ١١٠.

(٤) حُطائط بن يعفر النهشلي أخو الأسود بن يعفر الشاعر الدارمي التميمي. راجع الأغاني ٢٧/١٣و٢٨ والقاموس المحيط (ح ط ط) ٢/ ٣٦٧ وتاج العروس (ح ط ط) ٢٠٥/١٩.

(٣) السابق ١٢٥ و ١٢٦ والبيت من بحر الطويل ، وهو في الأغاني ٢٨/١٣.

(٤) السابق ٢٢٢ والبيت من بحر البسيط وأبو محجن من المخضرمين الذين أدركـــوا الجاهلية والإسلام وهو شاعر فارس. راجع الأغاني ١/١٩.

من تحريفات مختلفة في قواعد العربية وصيغها وهيآت كلماها[١]".

والهدف الذي يحرص عليه المؤلف كامن في الرغبة الملحة لإزاحة كل تحريف يبعد العامية عن حرم الفصحى وحماها ، يقول في المقدمة:

"وفي تقديري أن هذا الكتاب يهيئ للعامية المصرية فرصة واسعة كي تنفض عنها ، وتزيح كل ما باعد بينها وبين أمها العربية الصحيحة من تحريف أو غلط أو خطأ "[٢].

وقد أشار إلى أن إهمال الإعراب سمة بارزة في جميع عاميات البلاد العربية ، لا مصر فقط، ومما ورد في هذا الكتاب:

" إدخال " ما " على المضارع حثاً عليه.

تُدخل العامية " ما " على المضارع للحضّ على أداء الفعل مثل:

" ما تقعد – ما تجلس – ما تكتب..... وأصل " ما " هذه " أمَا " العربية التي للعَرْض والحثّ على فعل الشيء وتأكيداً له مثل:

" أما تأكل – أما تعمل... " وكأن العامية حذفت منها الهمزة تسهيلاً وتخفيفاً وحذفها في العامية كثير، وينبغي أن تتلافى العامية هذا الحذف في " أمَا " وتردّ "ما" في هذا الاستعمال إليها، وبذلك تعود تعبيراها فصيحة "[٣].

ومنه: التحريف في هيئة الكلمات... مثل:

" أتاريك من "أَتَراك" أميلت الراء فتولدت منها في العامية ياء، ومدت فتحة

---

(١) تحريفات العامية للفصحى ٦.

(٢) السابق ٧.

(٣) السابق ٣٠.

التاء، فصارت الكلمة أتاريك. وينبغي العدول عنها إلى "أتراك" الفصيحة [١] ".

ثم يعرض صوراً من إبدال الحروف، كإبدال السين صاداً يكثر ذلك في العربية وبالمثل في العامية ، ومنه: "خبز محمص في محمس ، يقال: حمّست الخبز من الحماسة وهي الشدة.... ومنه إخْص في اخْسَأ، أي ابعد عني.. اخرصْ في اخرس..[٢] ".

ونلاحظ أن المؤلف يحدد انحراف العامية عن الفصحى، مشيراً إلى أنه انحراف يسير يسهل تداركه لتعود الكلمة إلى أصلها الفصيح، فالمسافة بينهما قريبة، وهذه الفكرة تلح عليه دائماً، فقد شارك في جلسات مؤتمرات المجمع ببحوث في هذا الميدان مؤكداً على هذه الفكرة، ففي بحثه (بين الفصحى والعامية المصرية) في مؤتمر الدورة السادسة والخمسين أكد أن العامية " تلوذ دائماً بالفصحى، وتحاول اللحاق بها، وليس بصحيح أن هناك قطيعةً بينهما، بل إن العامية لتلتحم بالفصحى في مئات بل في آلاف من الألفاظ "[٣] وفي بحثه " العامية فصحى محرفة "في مؤتمر الدورة السادسة والستين أكد أن "الكثرة الغالبة في ألفاظ العامية المصرية ألفاظ فصيحة أو ذات أصل فصيح "[٤].

وفي بحثه "العامية فصحى محرفة " في مؤتمر الدورة السابعة والستين، قدّم أمثلة متعددة للتحريفات العامية، ثم عقب على كل ذلك بقوله: "وينبغي

(١) السابق ١٢٣.
(٢) السابق ١٥٤.
(٣) اللهجات العربية (الفصحى والعامية) ١/ ٢٥٠.
(٤) السابق ٢٧٣.

أن تعود العامية في كل التحريفات ... إلى النطق الفصيح الصحيح[١]".

الجدير بالذكر أن الدكتور شوقي ضيف كما يشير في كتابه تحريفات العامية إلى أعلام اللغة كابن جني وابن فارس وابن سيده والسيوطي، فإنه يشير إلى الجهود التي سبقته في معالجة العامية، ودراسة ظواهرها كتيمور في معجمه، والدكتور أحمد عيسى في محكمه. وهذا ما يؤكد لك الصدق المنهجي في طرح هذه القضية التي تعتمد على جناحين هما الأصالة والمعاصرة، وكيف يمتزجان في تلاحم ومآزرة.

٦- معجم ألفاظ اللهجة الكويتية "تأليف ليلى خلف السبعان[٢] قالت في مقدمته:

"صناعة المعجم من الأمور الهامة في الدراسات اللغوية الحديثة؛ لأن الكلمة هي الوحدة اللغوية التي يعبّر بها عن معنى، قد يظل هذا المعنى، وقد تتغير دلالته بمرور الوقت وهذا له أثر في تدعيم التراث وحفظه ويمثل هذا المعجم نوعاً جديداً من المعاجم) صـــ ٣١.

وقد اعتمدتْ على صناعة جداول للألفاظ تضم أربعة أعمدة أو حقول الأول الكلمة، والثاني أصلها، والثالث كتابتها بلغتها، والرابع معناها في اللهجة.

مثل: الكلمة: اسبير أصلها إنجليزية كتابتها بلغتها Spare معناها في اللهجة الاحتياط.

ويسمى الإطار الإضافي الاحتياطي في السيارة، وتستخدم عادة في

---

(١) السابق ٢٩٥.

(٢) راجع اللهجات العربية (الفصحى والعامية) مجمع اللغة العربية. القاهرة ٢/١٩٨.

التعبير عن كل شيء احتياطي صـــ٣١.

الكلمة: تنبل أصلها تركية كتابتها بلغتها Tembel معناها في اللهجة صفة الكسول الخامل الذي لا يحسن أداء أي عمل ولا يحب القيام بأي جهد، وقد قلبت الميم في اللهجة إلى نون[١]صـــ٣٣.

٧- ألفاظ اللهجة الكويتية في كتاب لسان العرب لابن منظور " للدكتور يعقوب يوسف الغنيم. الذي أعرب في مقدمة كتابه عن الدافع، فقال:

" دفعني إلى القيام بهذا البحث، وتتبع الألفاظ الكويتية في " لسان العرب " ما لفت نظري عندما قرأته من كثرة ما فيه من ألفاظ مستعملة في اللهجة الكويتية مما يدل على أصالة هذه اللهجة، وأنها مبنية على أساس متين من لغة العرب الفصحى، ثم إنني لاحظت مدى سعادة بعض الإخوة من أبناء وطني حينما يتعرفون كلمة من كلمات اللغة العربية، فيجدون مشابهاً لها في اللهجة الكويتية، وهذا الانشراح نتيجة لمعرفة هذا الأمر، دليل على محبة اللغة العربية وتأصيل روح العروبة"[٢].

وفي هذا ما يدل على ملمحين أشرنا إليهما في الصفحات السابقة، وهما:

أولاً: التأصيل اللغوي للهجات المعاصرة، وضرورة التقريب بين هذه اللهجات وبين الفصحى.

ثانياً: السعادة التي تُستشعر، حينما نجد لما يدور على ألسنتنا أصلاً في

---

(١) قراءة في إشراقة نافذة كويتية على ثقافة عربية معاصرة. مقال للدكتور – فهد سالم الراشد بجريد فسيفساء التونسية ٣.

(٢) ألفاظ اللهجة الكويتية في كتاب لسان العرب ٩.

عربيتنا، إننا نشعر بالكيان والعراقة.

ومما ذكره د/ الغنيم في كتابه:

- " القليب البئر القديمة.. وتسمى البئر عندنا عامة (الجليب) بإبدال القاف جيماً ".

- " الجوازي: يقال: ظبية جازية: استغنت بالرَّطب عن الماء".

ومن الأسماء المؤنثة الكويتية: الجازي، وهي الظبية ".

- " جسأ الشيء جسوءًا ، وجُسْأة فهو جاسئ: صلب خشن " وهي في اللهجة بهذا المعنى، يقال: فلان جاسي لا يلين، أي لا يرق".

- وقضِئَ الثوب والحبل: أخلق وتقطع وعَفِن من طول الندى والطيّ"

وفي اللهجة: ثوبك قديم قاضي، وهذا شايب قاضي، مع نطق القاف جيماً قاهرية "[(١)].

هذا.. وقد أشار د/ الغنيم في مقدمة كتابه إلى " مؤلفات أثرت المكتبة العربية وسدت ثُغرة في هذا المجال، من ذلك ما كتبه الأستاذ الدكتور عبد العزيز مطر، وعلى الأخص كتاباه "خصائص اللهجة الكويتية" و"أسرار اللهجة الكويتية" اللذان تجلى فيهما جهدُه العلمي، وتمكُّنه من مادته"[(٢)].

٨- "اللهجة القطرية الحديثة وصلتها باللهجات العربية القديمة ، مع دراسة لبعض الظواهر " للدكتور أمين محمد فاخر، الذي قال في مقدمته:

"وقد راعني أن وجدت في لهجة قطر ظاهرة ما كنت أظنها موجودة

(١) ألفاظ اللهجة الكويتية ٧٩، وما بعدها.

(٢) السابق ١١.

في إحدى اللهجات العربية الحديثة، أو العامية، وهي التقارب الشديد بين اللهجة المنتشرة في هذا البلد، وبين العربية الفصيحة "(١).

ثم ذكر في خاتمته موازنة بين لهجة قطر، وبين بعض اللهجات العربية الأخرى في بعض الظواهر، كصوت الذال، وصوت الثاء، وصوت الظاء. هذه الأصوات التي قد تغيرت في نطق بعض اللهجات المعاصرة، لكنها بقيت دون تغيير في اللهجة القطرية، التي احتفظت بمخارج هذه الأصوات كما في الفصحى، مما يؤكد الصلة بين لهجة قطر في بعض ظواهرها وبين العربية الفصحى(٢).

٩- " ألفاظ اللهجة المصرية الحديثة، دراسة تأصيلية من خلال المخصص لابن سيده" "للدكتور البسيوني عبد العظيم البسيوني – رحمه الله تعالى – الذي قال في مقدمته:

"حاولت فيه تأصيل الألفاظ المصرية الحديثة التي وردت أمثلة لها في المخصص، محاولاً ربط اللهجة المصرية الحديثة بالعربية القديمة، و لم أتصرف في شيء حتى يكون القارئ على بينة "(٣).

وقد ذكر ألفاظاً عديدة رتبها على حروف المعجم من الهمزة إلى الياء، ومما ذكره:

" البَهار: نبت طيب الريح ، وفي اللهجة بضم الباء يقال (البُهار) وهو

(١) اللهجة القطرية الحديثة، وصلتها باللهجات العربية القديمة، مع دراسة لبعض الظواهر ٣.

(٢) راجع السابق ٧١ و ٧٢.

(٣) ألفاظ اللهجة المصرية الحديثة، دراسة تأصيلية من خلال المخصص لابن سيده ٣.

من أدوات الطبخ ".

"... أبو زيد: حِرفة الرجل: صنعته، وهو كذلك في اللهجة ".

" الخطف: الأخذ في سرعة واستلاب، وهو كذلك في اللهجة.

" الطَّرش: الصمم، وهو معروف في اللهجة.

" ابن دريد: الكَرتع: القصير. وهو كذلك في اللهجة يقال: رجل مِكَرتع أي قصير(١).

والكتاب جهد طيب في بابه، يدعو إلى سبر غور المعجم العربي لتأصيل لهجاتنا المعاصرة.

ب- جهود مجمعية:

لقد عني مجمع اللغة العربية بالقاهرة بهذه القضية عناية فائقة ، وجعل لها مؤتمراً خاصاً عقد في المدة من الثامن من مارس إلى الثاني والعشرين منه سنة تسع وتسعين وتسعمائة وألف " وقد رغب إلى أعضائه أن يقاربه كل منهم " بتناول العامية في بلده وعلاقتها بالفصحى من حيث التأثير والتأثر "(٢) بل جعل هذه القضية " محور مؤتمره السنوي في عدة دورات "(٣).

وقد قُدِّم للمجمع عشرات البحوث ، التي أخرجها في مجلدين كبيرين بعنوان " اللهجات العربية — الفصحى والعامية " وقد تلاقت هذه البحوث

---

(١) ألفاظ اللهجة المصرية الحديثة ٥٩ و٩٠ و ١١٧ و ٢٣٢ و ٣٠٨.

(٢) الفصحى والعامية، والعامية اليافاوية، تأملات وتساؤلات. راجع اللهجات العربية (الفصحى واللهجات). مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١/ ١٧٩.

(٣) راجع السابق ٢/ ٥٢٠.

– على اختلاف مناهجها ومشاربها – عند أهمية هذه القضية، وحملتْ فحوى البحوث – في مجملها – ضرورة إبراز صلة هذه العاميات باللغة الفصحى، وشملت هذه البحوث أقطاراً شتى، داعية إلى توحيد الجهود، وتكاتف الدراسات، وتعميمها لإقامة معجم شامل، يضم بين دفتيه فصحى تطورت عبر الزمان والمكان.

وسوف ألقى – في عجالة – بعض الضوء على بعض هذه البحوث في إشارة تغني عن عبارة، آخذة من كل قُطر قطرة، فمن هذه البحوث:

يقدم الدكتور / كمال بشر للجنة اللهجات في الدورة الثانية والستين بحثه "من العامي الفصيح" مشتملاً على عدة ألفاظ مما يدور على ألسنة العامة، وهي فصيحة ، مثل: تحبيش من قولهم: "حبِّش على البضاعة تحبيشاً جيداً "، والكلمة فصيحة، ولها ولتصرفاتها المختلفة معنى عام ينتظم في إطاره التوظيف الجاري الآن لهذه الصيغة ، ومثلها: التحويش، والتشويش... وغيرها[1] ".

كما قدّم الدكتور / أمين على السيد، بحثه " العامي الفصيح، شذور من هذا العنوان "، وقد قام باستخراج العامي الفصيح من المعجم الوسيط، مثل: " حفلة تأبين: ينطقها العامة صحيحة، ويعرفون أنها تكريم الميت، والثناء عليه " " الأبهة: يعرفونها، وينطقونها صحيحة فصيحة بمعنى العظمة والرداء... الأكل ومشتقاته عامي فصيح.. البتر في الجراحة، تسللت إلى ألسنة العوام.. البطيخ بكسر الباء، والعامة تفتحها.. بعث، والعامة تقلب الثاء تاء.. بَنَى.. وعند العامة تكسر باءه، البَهار: معروف، والعامة تضم

(١) السابق ١/ ٥٤٥، وما بعدها.

الباء، الثأر: العامة تسهل الهمزة وتجعل الثاء تاء،... الثواب: يبدلون الثاء سينا، الثوب: يبدلون الثاء تاء، المثوى: يستعملها العوام بمعنى مكان الاختفاء، ويبدلون الثاء تاء، كما يجعلون مكان الألف المقصورة تاء تأنيث " وغير ذلك من الأمثلة التي جمعها وذكرها، ثم عقب على ذلك بقوله: " هذه المادة اللغوية المحصاة فيما تقدم دليل قاطع على أن عامية مصر مصدرها الأول هو اللغة العربية الفصحى حتى بالنسبة للكلمات التي أصابها تغيير أو تبديل أو قلب مكاني أو غير ذلك"(١).

* ومن المملكة العربية السعودية، يقدم الأستاذ عبد الله بن خميس بحثه "الفصحى أمانة في عنق هذه الأمة(٢) أكد فيه أن" جوانب الفصحى بالنسبة إلى هذه البلاد لا تزال بكرًا كاعباً، ومسالكها لا تزال مجهولة، ومآتيها لا تزال غفلاً؛ ففيها لهجات شتى تحتاج إلى دراسة، وتحقيق، ومقارنة، وفيها عامية يمت أكثرها إلى الفصحى بأكثر من سبب ونسب"(٣).

ولا يزال عبق الفصحى يفوح من كثير من اللهجات المعاصرة وما يدور على الألسنة في هذه البلاد ، لقد سمعت في تبوك من تستحث ولدها على السعي قائلة له: (اركض) بأداء عربي ، فقفز في ذهني مباشرة قول الله تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ سورة ص. آية رقم ٤٢.

وسمعتم يقولون (البذورة) للأولاد الصغار، وفي القاموس: "البَذْر.. النسل " وسمعتهم يقولون (وِرِع) للولد الصغير، وفي القاموس: "وهو ورِع

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج٦٦ / ١٦٨ – ١٨٩.
(٢) نشر في مجلة المجمع ٧٠/ ١٣٩- ١٥١..
(٣) السابق ١٤٩.

ككتف والجبان والصغير الضعيف".

وسمعتهم يقولون (الهرجة) بمعنى الحكاية أو الحديث، وفي القاموس: "والهرَاجة الجماعة يهرجون في الحديث".

وسمعتهم يقولون (طش) بمعنى رمي، وفي القاموس "الطشيش المطر الضعيف... طشت السماء تطش.."[(١)] فهي ترمي وتلقي ماءها.

* ومن السودان يقدم الشيخ عبد الله عبد الرحمن الأمين ، بحثه " كلمات من اللهجات السودانية وأصولها العربية[(٢)]" جاء فيه:

" جوّ البيت: داخله، وجو كل شيء باطنه، وهو الجُوة بالضم في اللغة السودانية، وبالفتح في لغة العرب "... و(جُوه) بالضم موجودة في عامية مصر بالمعنى نفسه.

" حش القش: عربية، فالحش قطع الحشيش، يقال: حشه واحتشه وحش على دابته إذا قطع لها الحشيش، والحش والهش بمعنى، وأصله أن يضرب أغصان الشجرة حتى ينتشر ورقها ".

وفي مصر يقال: حش البرسيم ، أي قطعه من الأرض.

"الحوبة: بالضم في السودان، وبالفتح في العربية – الحاجة، إليك أرفع حوبتي أي حاجتي.

وفي الحديث " اتقوا الله في الحوبات " يريد النساء المحتاجات اللاتي لا

---

(١) راجع في كل هذا اللغة والعرف ٥٣ و٥٤، والقاموس المحيط، المواد (بذر) ٣٨٣/١ ، (ورع) ٩٦/٣ ، (هرج) ٢٢٠/١ ، (طشّ) ٢٨٨/٢.

(٢) نشر في مجلة المجمع ٩ /١٢٢ – ١٢٧.

يستغنين عمن يقوم عليهن، ويتعهدهن، ويقال في السودان: هذا الشيء له حُوبة، أي قد يحتاج إليه، وتقول النساء في امتداح الفتيان: هو دخري الحوبة، أي مدخر لوقت الحاجة [١] ".

وفي مصر يقولون: له عُوزه، أي حاجة أيضاً من العوز أي الحاجة.

* ومن ليبيا، يقدم الدكتور علي فهمي خشيم بحثه " العامية الليبية من فصحى تدرجت إلى دارجة تفصحت "ويلقيه في مؤتمر الدورة الخامسة والستين للمجمع.

والبحث كما يشير عنوانه، يعني بمرحلتين، الأولى تبحث أسباب " تدرج " العامية الليبية، أي أن تصبح دارجة ففسدت الألسنة حيث تكثر فيها الألفاظ الأجنبية بشكل ملحوظ، وتحرف الألفاظ العربية الفصيحة حتى لا تبين نطقاً ودلالة، مما جعل هذه اللهجة تبدو غير مفهومه، كأنّها رطانة"[٢].

وأما المرحلة الأخرى، فتعني بالدارجة وهي تتفصح، معرباً " أن ثمة تطوراً مذهلاً في الدارجة الليبية... في اتجاهين: التخلص من الدخيل، واستعمال الفصيح..[٣] مثل: مكبر الصوت بدل (الميكرفون) الإذاعة المرئية بدل (التليفزيون) مضخة بدل (بومبا)... الخ. موضحاً أن وراء ذلك عوامل.. منها: انتشار التعليم، واختلاط عرب ليبيا بإخوانهم العرب الآخرين، وبخاصة عرب مصر... وكراهية الليبيين للاستعمار الإيطالي وقيام

(١) راجع مجلة مجمع اللغة العربية. القاهرة. ٩/ ١٢٣ و ١٢٤.

(٢) راجع اللهجات (الفصحى والعامية) مجمع اللغة بالقاهرة ١/ ١٥.

(٣) راجع السابق ٢٤.

الثورة المؤمنة قيادتها بضرورة سيادة العربية على المستويين العام والخاص [١].

* ومن يافا، يقدّم الدكتور أحمد صدقي الدجاني، بحثه " الفصحى والعامية، والعامية اليافاوية تأملات، وتساؤلات " ويلقيه في مؤتمر الدورة الخامسة والستين، واضعاً ملامح اللهجة اليافاوية في اثنتى عشرة نقطة يؤكد بها "أن في العامية تحريف النطق ببعض الحروف، وتغييره كليا في بعض الأحيان، وإهمال إعراب أواخر الكلمات[٢] " مثل ظريف بنطق الظاء أقرب إلى الزاي، وديب بدل ذئب، وثوم تنطق توم، والقاف تنطق آ (قادر) (آدر)، جوزي بدل زوجي... الخ.

وقد أشار إلى مكانة الفصحى التي تمثل الارتقاء، وإن " من اللافت في الاجتماع الإنساني أن العامة في كل الأمم يعلون من شأن هذا الارتقاء، ويعبرون عن ذلك باحترامهم الفصحى، وتجاوبهم معها، وإعجابهم بها[٣]".

* وعن عامية العراق، يقدم الدكتور إبراهيم السامرائي بحثه " قصة العامية في العراق، تاريخها وواقعها"[٤]، في الدورة الرابعة والأربعين وقد أشار فيه إلى " أن العامية قد أخذت الكثير من الفصيح، وما زالت تأخذ منه كل يوم، وقد يكون هذا الفصيح مفروضاً عليها"[٥].

---

(١) السابق.

(٢) السابق ١٨٥.

(٣) السابق ١٩١.

(٤) منشور في مجلة المجمع ٤١.

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ٣٩/٤١.

كما أشار الدكتور عدنان الخطيب في بحثه "العامية عاميات" الذي ألقاه في مؤتمر الدورة السابعة والخمسين للمجمع، أن الشيخ جلال الحنفي أخرج" معجم اللغة العربية البغدادية " وقد عكف على جمع الكلمات العامية وعلى تخريجها وتأصيلها حتى تجمّعت له مادة ضخمة، وأشار الشيخ إلى أن الفصحى أحد مصادر العاميات البغدادية الحديثة(١).

وفي المعجم كلمات فصيحة، كالأسد – واستكملت الدولة عقارا: إذا نزعت ملكيته الفردية – واستنكف..: امتنع، المستعمل من الثياب: القديم.

* وعن المغرب ، يقدم الدكتور عبد الهادي التازي، بحثه " اهتمام المغاربة بالتأليف حول: العامي والفصيح " الذي ألقاه في مؤتمر الدورة السادسة والخمسين للمجمع ، ووقف فيه مع الشيخ أحمد الصبيحي، ومؤلَّفه " إرجاع بعض الدارج بالمغرب إلى حظيرة أصله العربي" الذي جاء في مقدمته: "كثير من الدارج بالمغرب يظنه بعض الناس، وأحياناً بعض علمائنا ليس بعربي، والحال أنه أو أصلَه ثابت في كتب اللغة العربية المعتبرة، وليس هذا ببِدع ولا غريب عند من علم أن العامة الناطقين بهذا الدارج إنما هم سلالة أو ورثة أولئك الأعراب الأقحاح الداخلين للمغرب أفواجاً عظيمة مرة بعد أخرى بلغة اتسعت مادتها حتى لما وجدته أمامها، فأثّرت أثرها البالغ الذي توارثه الجيل عن الجيل، إلى أن وصل إلى عامة اليوم ".

ومن الأمثلة التي ساقها:

---

(١) راجع اللهجات العربية. بحوث ودراسات. مجمع اللغة العربية القاهرة سنة ٢٠٠٤م ٣٧٢ و ٣٧٣.

" بندق: حدّق النظر، تكّة: ما تربط به السراويل [وهو في عامية مصر بالدال] وفي القاموس: التِكة بالكسر رباط السراويلِ .

ومن الأمثلة أيضاً: خَزُوني: وتدٌ حاد الرأس.. غشيم: لا يعرف شيئاً ".

ثم أشار د/ التازي إلى " أن كل الذين تناولوا هذا الموضوع أكدوا أن العامي بالمغرب أقرب إلى العربية الفصحى من أي جهة أخرى في العالم العربي، نظراً لكونهم – أي المغاربة – ظلوا على صلة بالأندلس التي كان لسان ملوكها – وهم عرب بني أمية – هو اللسان السائد في مدن المغرب وقراه(١) ".

ثم يعود د/ التازي فيقرر أن "نفس الانطباع بأن" العامية المغربية أقرب إلى الفصحى" نجده فيما كتبه عدد من العلماء المغاربة الذين تناولوا موضوع "العامي والفصيح" من أمثال الشيخ المختار السوسي الذي جمع خمسة آلاف كلمة من أصل عربي، وأمثال الأستاذ محمد الفاسي الذي كتب عن الأمثال المغربية باللغة العربية العامية.. وأمثال الفقيه محمد داود – رحمه الله – وهو عالم من العلماء الذين برزوا في الكتابة حول الفصحى والعامية(٢)".

* وعن الجزائر يقدم الأستاذ أحمد توفيق المدني بحثه "كلمات من صميم اللغة، لا تستعمل إلا بمدينة الجزائر" الذي ألقاه في مؤتمر الدورة الأربعين للمجمع، ويذكر ستاً وثلاثين كلمة، منها" يترنح، يتمايل سُكْرًا يميناً ويساراً.. الصِّر: البرد الشديد، الحوب: الذنب.. الكالح: الرجل

---

(١) راجع اللهجات العربية (الفصحى والعامية) مجمع اللغة العربية. بالقاهرة ١/٧٨ و ٧٩ و ٨١ و٨٢.

(٢) راجع السابق ٨٥.

العابس.. متريِّك: جالس جلسة مرتاحة هانئة، وفي القرآن الشريف ﴿ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ سورة يس آية ٥٦.

ثم يذكر الأسباب"التي مكنت بقاء هذه الكلمات على قيد الحياة ضمن مدينة تعمد الاستعمار فيها طمس العربية" مرجعاً ذلك إلى سبب تاريخي، حيث كانت مدينة الجزائر موطنا لقبيلة الثعالبة الشهيرة، وهي من أكثر قبائل العرب قوماً وأفصحها لساناً وإليهم تعزي هذه الكلمات التي لا تزال مدينة الجزائر تتداولها، ولا ريب أنها كانت فيما سلف أكثر من ذلك وأثرى ، ولو أتيح للثعالبي اليوم أن يتكلم لتمثل بقول الشاعر:

تلك آثارنا تدل علينـــا   فانظروا بعدنا إلى الآثـــار[1]

وللدكتور عبد المالك مرتاض كتاب "العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى " يؤثر فيه " أن لا يربأ الكتاب عن استخدام الألفاظ الفصيحة المستعملة في العامية للتقريب بينها وبين الفصحى "، ثم يُهيب بالمثقفين أن يقوموا بحملة تفصيحية إخلاصاً للعربية وأهلها [2].

* وفي تونس، يقدم الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، بحثه: "العربية في تونس، بين الفصحى والعامية" ذكر أمثلة متعددة لأحوال النطق والتصريف للكلم في العامية التونسية ، موضحاً أن الدارجة لغة العامة ، بينما الفصحى هي لغة الخاصة، والحديث بها شرف يحاول كل التونسيين نواله،

---

(١) راجع السابق ١/ ٣٧: ٤٠ والبيت من بحر الخفيف، وهو للشيخ حسن بن الشيخ علي بن قويدر، راجع حلية اليشر ٥٠٨/١.

(٢) راجع اللهجات العربية بحوث ودراسات. مجمع اللغة بالقاهرة ٣٦٢ و ٣٦٣.

ويشير إلى أن تطور الحياة والأوضاع بعد الاستقلال غيّر من أحوال الدارجة، فتقاربت لهجاتها وتبدل الكثير من ألفاظها، وتهذبت مادة واستعمالاً، ثم ختم بحثه بقوله: "وإنا لنرجو للفصحى فوق ذلك مظهرا "(١) ومن الألفاظ التونسية التي ذكرها: التصبير للتعليب، والتسويغ للكراء، والفصول للمواد، والقار للدائم.

* وفي اليمن، يقدم الأستاذ أحمد حسين شرف الدين بحثه "لهجات اليمن قديماً وحديثاً " ذكر فيه أن العربية الحديثة في اليمن وجدت مسرحاً خصباً للانتشار والتشعب، وساعد على ذلك وضعها الجغرافي، والعزلة والجبال والصحراء.. وغيرها من العوامل التي أدت إلى نشوء لهجات جديدة.. جمعها يحتاج إلى أوقات وأسفار ومجلدات.

ثم أشار إلى أن هذا البحث مقدمة لما يقوم به من وضع بحث عام وشامل عن صفاتها الصوتية وبنياتها الكلامية ، وقواعدها النحوية ، ومفرداتها اللغوية (٢).

ويلقي الدكتور إبراهيم السامرائي في مؤتمر الدورة الستين للمجمع بحثه: " ألفاظ يمنية "، يذكر فيه ثلاثاً وعشرين كلمة، يستهله بقوله: "هذا موجز في ألفاظ يمنية يدرج بها اليمنيون في لغتهم الدارجة، غير أن فيما دل عليه الدرس ما كان منها ذا أصل فصيح "لا نجده في العربية المعاصرة" وشيئاً آخر نجد أصوله في اليمنية القديمة التي هي السبئية " ومما ذكره من هذه الألفاظ التي لها أصول قديمة، وهي غريبة عن العربية المعاصرة " إلا ما يضطر إليه اليمني وهو في سياق الحديث عما لليمنيين في شئونهم الخاصة ":

---

(١) راجع مجلة مجمع اللغة العربية. بالقاهرة ٤١ / ٦٩: ١١١.

(٢) راجع اللهجات العربية. بحوث ودراسات. مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٤٨٦.

البَلَق: في لغة أهل اليمن نوع من الحَجَر.. جُبَا.. مضموم الجيم يعني سطح المترل، ومفتوح الجيم.. يعني الهدية.. الحقْو: هو الخصْر في استعمال اليمنيين.. وقد ذكر في المعجم السبئي.. وفي المعجمات العربية:
الحَقْو والحِقْو: الكشح، وقيل: معقِد الإزار.. وفي الصحاح: أنه الخَصْر، ومشد الإزار من الجنب "[١].

* تفعيل وسائل التأصيل اللغوي للهجات المعاصرة:

إن هناك حقائقَ أقربَ ما تكون إلى المسلمات، وألصقَ ما تكون بالأصول يجب أن نضعها أمام هذا التأصيل؛ فهي مقدمات ضرورية تسلم إلى ما نتطلع إليه من نتائج. وأهمها:

أولاً: ما سبق أن وقفنا معه في النقاط السابقة من الإشارة إلى أن اللهجات المعاصرة ظاهرة طبيعية وكيف نشأت؟ وأهمية دراستها، وأهمية ربطها بالفصحى، وأن الهوة ليست بعيدة بينها وبين الفصحى، ودراسة طرق التقريب وآثاره ، والوقوف على جهود مخلصة على هذا الطريق.

ففي ظلال هذه النقاط تتأكد ضرورة إبراز التأصيل اللغوي لهذه اللهجات المعاصرة، ويلح التطلع إلى وسائل هذا التأصيل وتفعيله، لتتحقق نتائجه المرجوة.

ثانياً: الثقة " بأصالة لغة العصر واستمرار روح القـــدمـــاء فيها رغم ما طرأ عليها من تغيرات وأطوار[٢] "، وأنها لم تأت من فراغ، وإنما لها

---

(١) راجع السابق ٤٩٢ ، وما بعدها.

(٢) المعنى اللغوي. دراسة نظرية وتطبيقية ١٣٧.

جذور تطورت في إطارها عبر الزمان والمكان.

إن هذه الثقة تساعد على استيعاب مستجدات العصر، ومتطلعات الحاضر، ومواكبة التطور الهائل في مناحى الحياة، على أصول وثوابت، يزخر بها تراثنا اللغوي مما يثبت مرونة العربية وطواعيتها، ورحابة صدرها، وإن غرس هذه الثقة في نفوس الأجيال ضرورة تربوية تنمّي قيم الانتماء، ورحابة الفكر، وتذكي الطموح، وتشعل الهمم، وتؤكد الحق في الاستئناس " بحسنا العربي وبذوقنا في استعمال ألفاظنا الجارية عندما يتطلب الأمر تحديد معاني ألفاظ لها صلة لفظية أو معنوية بعاميتنا "(١).

فكيف نفعّل وسائل التأصيل اللغوي للهجات المعاصرة ؟

إن لهذا التفعيل عوامل رئيسة، أهمها:

١- الوعي اللغوي. الذي يدرك أهمية القضية، ويمكّن من:

أ- الوقوف على مظاهر الجنوح عن الفصحى، لتحديد ملامحه، ودراسة أسبابه، وطرق معالجته، كأن يحدد – بالنظر في اللهجات المعاصرة – إهمال الإعراب، والتحريف، مظهرين فيهما تنحصر معظم صور الجنوح عن الفصحى.

ب- معرفة أصل اللهجات المعاصرة ، وما بينها وبين هذا الأصل من خصائص، وسمات. " والمقارنة اللغوية هي الطريقة الوحيدة التي نستطيع بواسطتها الوصول إلى هذا الأصل "(٢).

---

(١) السابق.

(٢) العربية ولهجاتها ٣٨.

ولا تؤدِّي هذه المقارنة إلا بوعي لغوي بخصائص الفصحى، صوتية، وبنيوية، وتركيبية، ودلالية، يرصد ما خرج عن هذه الخصائص، محدداً نسبة انحرافه، مبينا صوره من إبدال، أو حذف، أو إشباع، أو إمالة، أو تفخيم، أو ترقيق، أو قلب مكاني، أو تغيير صيغة، أو تطور دلالي.. وعلاقة ذلك بما يجري في الفصحى من هذه الظواهر.

إنَّ الوعي اللغوي، يمثل الثقافة الخاصة، التي تزوّد الدارس بأدواته، حتى يستطيع القيام بمهمته على خير وجه. وهو عامل مهم، وله أثره في غيره من العوامل الأخرى لتفعيل التأصيل اللغوي للهجات المعاصرة — كما سنوضح.

٢- دور المجامع اللغوية، وعلماء اللغة:

إن المجامع اللغوية هي الحارس الأمين لحمى العربية، وهي المؤسسات المسئولة عن حياة اللغة، حمايتها، إثرائها، النهوض بها، متابعة ما يجدّ فيها، وما يطرأ عليها، وما يضاف إليها، وما يؤثر في مسيرتها، والعمل على معايشتها لمتطلبات العصر.

ولابد من تآزر جهود المجامع في الوطن العربي، وتضافر أدوارها، للحفاظ على كيان اللغة ، وتوحيدها في جميع البلاد، ولقد أشرنا في الجهود إلى دور مجمع اللغة العربية بالقاهرة في ذلك، ونؤكد ضرورة تكاتف جهود المجامع اللغوية لجمع اللهجات المعاصرة في كل البلاد، وتحقيقها، ودراستها، وتأصيلها.

إن اللهجات المعاصرة بحق " في حاجة إلى أن تعني المجامع اللغوية في البلاد العربية، بدراسة ما دخل ألفاظها من تحريفات، وردها إلى أصولها الفصيحة على نحو ما يصنع المجمع اللغوي القاهري ، وبذلك تقترب العامية

من الفصحى تدريجياً في جميع ديارنا العربية "[١].

كما أن علماء اللغة.. لهم دور كبير في جميع أنحاء الوطن العربي، لتسجيل اللهجات المعاصرة ببلادهم، ودراستها، وإبراز صلتها بالفصحى، وتبادل الآراء والخبرات ونتائج الدراسات، وتكاتف البحوث والجهود عبر الوطن العربي في عمل جماعي يوحد لغة الوطن.

ولقد دعا الدكتور شوقي ضيف في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته السادسة والخمسين إلى " أن يعني علماؤنا اللغويون بدراسة عاميات بلداننا العربية، وحصر صور التحريف فيها، والنص على ذلك بصورة استقصائية حتى يمحى كل ما دخل على الألفاظ الفصيحة من تحريف وخلل محوًا تاماً ، فإننا بذلك نسرع في رفع السدود بين الفصحى وعاميات البلدان العربية ، وفي رأيي أنه لابد من تضافر الجهود "[٢].

ثم إن في ظل تضافر الجهود تتجلى جوانب مهمة تثري البحث اللغوي، حيث توجد من الظواهر المتشابهة والمختلفة، والعوامل المتشابهة والمختلفة، ما يعطي نتائج جديدة تخدم مسيرة اللغة العربية عبر الزمان والمكان مقدمة زاداً وفيراً لعلم اللغة التاريخي، وعلم اللغة الجغرافي.

٣- الثقافة العامــة:

اللغة أمارة الفكر، ودليل الثقافة؛ فإذا ارتقى الفكر ارتقت اللغة، وإذا نهضت الثقافة نهضت اللغة، ونلاحظ ذلك في حياتنا، فللمفكر لغته،

---

(١) اللهجات العربية (الفصحى والعامية) ٢/ ١٩٣.

(٢) السابق ١/ ٢٥١.

وللمثقف لغته، وللعامي لغته، ومن ثم.. فإذا أردنا أن ننهض بلهجاتنا المعاصرة، وأن نردها إلى منبعها الصافي، بتنقيتها من كدر العامية، وشوائب الدارجة ، فلابد من تثقيف الناطقين بها، حتى ترتقي ثقافتهم، فترتقي لغتهم محتمية بذرا الفصحى، متطلعة إلى فوقها " فشيوع الثقافة وتيسير المعرفة لأبناء العربية على شكل عام كفيل برفع مستوى اللغة إلى الحد الذي كانت عليه العربية في مختلف عصورها(١)".

إننا نشاهد في البيت الواحد التفاوت اللغوي على مستوى الألفاظ والأداء والمعاني بتفاوت الثقافة والفكر، وهكذا.. المجتمع، والأمة.. فلابد من التثقيف والتنوير حتى ينهض الفكر، وتعم الثقافة، وترقى اللغة، ولا يغيب أثر وسائل الإعلام ودور المساجد، وما يقوم به الدعاة في نشر الوعي الديني، والإصلاح الاجتماعي.

ولهذا العامل صلة بغيره من العوامل – كما سنرى.

٤ – دور الإعلام:

والإعلام بجميع أنواعه وصوره، الأداة الفاعلة في نشر الثقافة بين عامة الناس بجميع طوائفهم واتجاهاتهم، وله دوره الفعال، وتأثيره الأخّاذ. ولا ريب أن ما يبثه الإعلام مسموعاً ومرئياً من تلاوة للقرآن الكريم، وأحاديث دينية، وبرامج ثقافية، ومسلسلات تاريخية، واجتماعية بالفصحى، ونشرات الأخبار، وغير ذلك مما يبثه بالفصحى لهو دعم قوي لاستخدام ونشر اللغة العربية الفصحى، وليته يتوسع في هذا المجال بتكثيف هذا البث الفصيح،

(١) التطور اللغوي التاريخي. ٦٢.

لدعم الوعي اللغوي، ونشر الثقافة بين الناس.

وفي هذا الإطار نُشيد بالدور المبارك الذي تقوم به إذاعة القرآن الكريم في جمهورية مصر العربية، من بث التلاوة القرآنية المستمرة، والأحاديث والبرامج المتعددة، ومنها الخاص ببراعم الإيمان من الأطفال لتغرس فيهم القيم الدينية التربوية.. كل ذلك وغير ذلك بلغة القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، " وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ".

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الدور الإعلامي التوصية بالإعداد السليم للمذيعين، إعداداً لغوياً، يمكنهم من أداء سهل واضح سليم طيع يشد الانتباه، ويدفع إلى الاقتداء، ويحبب في اللغة، ويرغب في البيان كما تجدر الإشارة إلى دور الإعلام المقروء في تقريب اللغة الفصحى للقارئ بأسلوب سهل ملتزم بالقواعد والأصول، والبعد عن العاميات، ولا يغيب في تفعيل هذا الدور إعداد رجل الصحافة إعداداً يناسب مسئولية الكلمة التي كلف بها.

وإذا كنا قد أشرنا في العوامل السابقة إلى الوعي اللغوي، والثقافة العامة، فإن الإعلام هو النافذة الكبرى لنشرهما وتحقيقهما، ومن ثم.. تأتي أهميتُه، وعظيمُ دوره.

٥- التعليم.. وإعداد المعلّم:

تلتصق العاميات بعوام الناس، الذين لم ينالوا حظاً من التعليم، ولم يحصّلوا قدراً من الثقافة، وبكثرة هؤلاء تكثر اللغات الدارجة ، وتعم اللهجات، وتنتشر العاميات.

ونشر التعليم، يرتقي بالفكر، والثقافة، ومن ثمّ يرتقي باللغة، ويفسح

لها المجال، والتداول، والاستعمال، والمعلّم ركن أصيل من أركان العملية التعليمية.. ومن ثمّ ينبغي العناية بإعداده إعداداً خاصاً، يرسّخ فيه حبّ اللغة التي يؤدي بها، حتى لا يستخدم لغة معوجّة ، مليئة باللحن والخطأ، يكسبها للناشئة الذين يأخذون عنه، ولهم فيه المثلُ والقدوة.

ولابد من عقد دورات تدريبية فعلية وفعّالة لهؤلاء المعلمين في جميع التخصصات ليلتزموا بالفصحى السهلة الواضحة القريبة من التلاميذ، البعيدة عن الأخطاء اللغوية، النائية عن العاميات واللهجات والدارجة، حتى تتناسب لغة أدائهم وقدسية العلم، وفوقَه، وارتقاءَه.

وإذا كان هذا واجباً لكل معلّم، فإنه لمعلم اللغة العربية أوجب؛ " فهو في حاجة ملحّة إلى دراسة فقه اللغة بفروعه المختلفة على نحو يساعده على تتبع الألفاظ المستخدمة في الحياة العامة، والحكم عليها حكماً سليماً يردّ إليها اعتبارها العربي، بعد أن يبين ما فيها من إبدال، أو قلب مكاني، أو نحت، أو إمالة، أو إدغام ، أو إشباع أو مخالفة، أو ترخيم، إلى غير ذلك "(١).

فلابد أن يكون المعلم على وعي لغوي يمكنه من أداء مهمته، والقيام برسالته.

٦- دور الجامعـــة:

ومع أن الجامعة مؤسسة تعليمية، ولكني أفردها بالحديث لاتساع دورها ، وعظيم تأثيرها؛ فهي مصنع الفكر، ومنارة المعرفة، ومنبع الثقافة، ترعى البحث العلمي، وتعمل على تقدمه، وتسخر لها الطاقات البشرية والمعرفية، وتمد عطاءها للمجتمع، تعيش قضاياه، وتنهض به، وترسل إليه من

---

(١) معجم الألفاظ العامية ٦.

إشعاعاتها الفكرية ما يصلحه، ويعلي شأنه. واللغة ظاهرة اجتماعية، تعيش في أحضان المجتمع، وتشف عما به، وتصور حياته، ومن ثمّ.. فإن دور الجامعة في دراسة اللهجات المعاصرة وإبراز صلتها بالفصحى، دور اجتماعي وعلمي في آن واحد، يخدم المجتمع ويثري البحث العلمي، وتقع على أقسام اللغة العربية بالجامعات مسؤوليةُ تنفيذ خطط الجامعات في هذا الإطار، وأرى أن ذلك يتم من خلال ما يأتي:

١- تكليف الطلاب في المرحلة الجامعية الأولى (ما قبل الدراسات العليا) ببحوث ميدانية يسجل فيها كل طالب مجموعة من الألفاظ التي تدور في بيئته ومجتمعه ومحيط مسكنه ويرصد ما تحمل من ظواهر، ويدرسها، ويحققها في ضوء قضايا الدرس اللغوي التي يدرسها نظرياً في نقاط المنهج المقرر.

٢- توجه البحوث في المرحلة التمهيدية للماجستير، لدراسة اللهجات المعاصرة في منطقة معينة.

٣- توجه بحوث الماجستير والدكتوراه بصورة أعمق وأشمل لهذه الدراسات تحت خبرة الإشراف العلمي.

٤- إسهام الدراسات اللغوية في بحوث أعضاء هيئة التدريس في هذا المجال.

٥- التنسيق المنظم بين أقسام اللغة العربية في الجامعات لتغطية مناطق البلد الذي توجد به هذه الجامعات، والتعاون المستمر، والزيارات المتبادلة، والاتصالات المستمرة، والمشاورات الدائمة.

٦- عقد المؤتمرات العلمية المستمرة والإفادة من نتائج بحوثها وتوصياتها.

٧- إعادة النظر أولاً بأول في خطط المناهج الدراسية في أقسام اللغة العربية ، والعناية بدراسة المعاجم، واستخراج الأصول العربية منها للهجات المعاصرة، وتحديث المناهج بما يحقق للعربية مواكبتها لقضايا العصر، ومتطلبات المجتمع.

٨- طبع البحوث الجادة في هذا الميدان، ونشرها بكل وسائل النشر للانتفاع بنتائجها، والإفادة من مناهجها، وتفعيل توصياتها.

٩- عقد المسابقات للطلاب، والدارسين، لإعداد بحوث في هذا الميدان ورصد المكافآت التشجيعية لهم.

١٠-الحرص في الأداء الجامعي على اللغة العربية الفصحى في التدريس، والندوات، واللقاءات الطلابية، والأنشطة الثقافية، والعمل على تنمية المهارات اللغوية.

١١-تنمية المواهب الأدبية، ورعايتها، والعمل على مراعاة اللغة العربية الفصحى في كل صورها وأشكالها الأدبية.

١٢-القيام بحملات توعية لطلاب المدارس ، وإقامة ندوات عامة في دور الثقافة والمساجد، يقوم بها جامعيون في إطار خدمة الجامعة للمجتمع.

وبصورة عامة.. فدور الجامعة يحشد كل الجهود والطاقات المتاحة لتأصيل اللهجات المعاصرة، وخدمة اللغة العربية، ونشر ذلك بين الطلاب، وفي المجتمع.

الخاتمـــة

وبعد هذه الجولة مع صلة اللهجات المعاصرة بالفصحى، وأثرها فيها، فقد تجلّى لنا عدة نتائج، وتوصيات، وأهم النتائج:

١-اللغة العربية الفصحى باقية محفوظة، مهما تعددت لهجاتها، فهي لغة القرآن الكريم المحفوظِ بفضل الله، وهي به محفوظة بأصواتها وألفاظها وقواعدها ومعانيها. وهي في ذلك متفردة عن جميع لغات البشر.

٢-اللهجات المعاصرة ظاهرة طبيعية، وموجودة في كثير من اللغات؛ فلا ينبغي أن تحدث قلقاً أو تثير فزعاً، بقدر ما تثير اهتماماً، وتشعل همًا لدراستها وتأصيلها، وردها إلى نسبها ومنبعها.

٣-اللهجات المعاصرة مادة ثرية لدراسة التطور اللغوي، ومادة ثرية أيضاً للدرس اللغوي التاريخي، كما أنها دراسة شائقة ممتعة.

٤-ربط اللهجات المعاصرة بأصولها العربية يحدّ من استقلالها وتفشيها ويرجعها إلى أصلها لتذوب فيه، ويرفع العزلة بين الفصحى ولهجاتها، وهو مسلك تربوي يغرس قيم الانتماء للجذور.

٥-المساحة بين الفصحى ولهجاتها ليست بعيدة، مما يغري بسرعة رد الفرع إلى الأصل، وإن من يهوّل ببعد المساحة، يثبط الهمم في التقريب، وهنا يكون الخطر فتتسع الهوّة بينهما، وهذا أخطر ما يبثه المهوّلون الداعون إلى العاميات.

٦-تعددت الجهود المبذولة في هذا الميدان، وانتشرت معبرة عن جوانب القضية وظواهرها في أقطار شتى، وتلاقت عند ضرورة رد اللهجات إلى

أصولها، والتقريب بينها وبين الفصحى حتى لا تعمّ وتسود.

وأهم التوصيات:

١-يوصي البحث بنشر الثقافة والوعي في عامة الناس ليرتقي فكرهم فترتقي لغتهم.

٢-يوصي البحث بضرورة تكاتف جهود مجامع اللغة العربية في الوطن العربي وتقديم دراسات متعددة للبلاد المتعددة، وإخراج معجم شامل للهجات المعاصرة العربية وردها إلى حمى العربية.

٣-يوصي البحث بأن توجه أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية بحوثها الأكاديمية اللغوية إلى اللهجات المعاصرة وتقريبها إلى الفصحى وتعاون هذه الأقسام وتواصلها، وعقد المؤتمرات المستمرة لإثراء بحوث هذا الجانب.

أهم المراجـــع

*** المراجـــع:**

١-الإبدال، لابن السكيت. تحقيق د. حسين محمد شرف. مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢-الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني. القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣-ألفاظ اللهجة الكويتية في كتاب لسان العرب، لابن منظور د/ يعقوب يوسف الغنيم - الكويت. مركز البحوث والدراسات الكويتية ٢٠٠٤م.

٤-ألفاظ اللهجة المصرية الحديثة، دراسة تأصيلية من خلال المخصص، لابن سيده د/ البسيوني عبد العظيم البيسوني. مصر ط(١) ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٥-بحوث في اللغة والأدب. عباس محمود العقاد. القاهرة. مكتبة غريب.

٦-تحريفات العامية للفصحى في القواعد، والبنيات، والحروف، والحركات. د. شوقي ضيف القاهرة. دار المعارف.

٧-التطور اللغوي التاريخي. د. إبراهيم السامرائي. بيروت. دار الأندلس ط(٣) ١٩٨٣م.

٨-حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. الشيخ عبد الرازق البيطار - بيروت دار صادر.

٩-رد العامي إلى الفصيح. أحمد رضا العاملي. صيدا. دار العرفان سنة

١٣٧١هـ- سنة ١٩٥٢م.

١٠- العربية ولهجاتها. د عبد الرحمن أيوب. القاهرة ط(١) ١٩٦٨م.

١١- فقه اللغة. د. علي عبد الواحد وافي. القاهرة. دار نهضة مصر ط(٨).

١٢- في اللسانيات العربية المعاصرة. دراسات ومثاقفات د/ سعد عبد العزيز مصلوح. القاهرة. عالم الكتب ط(١) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٣- القاموس المحيط. الفيروزآبادي. القاهرة. مصطفى الحلبي ط(٢) ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.

١٤- لسان العرب، لابن منظور. القاهرة. دار المعارف.

١٥- لغتنا والحياة. د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) القاهرة. دار المعارف.

١٦- اللغة والعرف – دراسة دلالية – د. عبد المنعم عبد الله حسن. المنصورة. مطبعة الشروق ١٩٩٤م.

١٧- لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية .د. عبد العزيز مطر. القاهرة. دار المعارف ١٩٨١م.

١٨- اللهجات العربية (بحوث ودراسات) مجمع اللغة العربية. القاهرة ٢٠٠٤م.

١٩- اللهجات العربية (الفصحى والعامية) مجمع اللغة العربية. القاهرة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٢٠- اللهجات العربية في القراءات القرآنية. د. عبده الراجحي. القاهرة. دار المعارف ١٩٦٩م.

٢١- اللهجة القطرية الحديثة وصلتها باللهجات العربية القديمة، مع دراسة لبعض الظواهر. د. أمين محمد فاخر. القاهرة ط(١) ١٤٠٢هـ- ١٩٨٣م.

٢٢- محاضر جلسات مجمع اللغة العربية. القاهرة – الدورة (١١) ج٢.

٢٣- المحكم في أصول الكلمات العامية. د. أحمد عيسى. القاهرة، الحلبي ط(١) ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م.

٢٤- المدخل إلى تقويم اللسان، وتعليم البيان، لابن هشام اللخمي. تحقيق د/ حاتم الضامن – بيروت – لبنان، دار البشائر الإسلامية ط(١) ٢٠٠٣م.

٢٥- معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية. د. عبد المنعم سيد عبد العال. القاهرة – مكتبة الخانجي.

٢٦- معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية. أحمد تيمور. القاهرة. الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٣٩٣هـ- ١٩٧١م.

٢٧- المعنى اللغوي. دراسة نظرية، وتطبيقية. د. محمد حسن جبل. القاهرة. مطبعة السعادة ط(١) ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

الدوريـــات:

٢٨- جريدة فسيفساء. تونس، العدد ١٥٥ السنة الخامسة ٢٠١٠/٧م.

٢٩- مجلة الأزهر. القاهـــرة. م٣٣.

٣٠- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء (٩).

٣١- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء (١١).

٣٢- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء (٤١).
٣٣- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء (٦٦).
٣٤- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء (٧٠).

فهرس الموضوعات

إبراز صلة اللهجات المعاصرة بالفصحى وأثرها فيها

إعداد

د . فاطمة حسن شحاده

تقديم:

تكاد تجمع المجتمعات العربية على وجود ظاهرة ألسنية تشترك فيها، وهي تعاقب لغتين على ألسنتها، اللغة الحياتية، وهي لغة السوق، والشارع، والمترل، فهي طريقة تفاهم وتواصل في هذه المجالات، ولغة عملية " اللغة الرسمية " وهي لغة المخاطبات، والمكاتبات، والخطب، والمحافل، والتعاملات الإدارية والرسمية.

واللغة بوصفها "كائن حي" لا تتسم بصفة الثبات، فابن اليوم ورث لغته عن زمان، وبيئة، وكيان اجتماعي، وظروف تساعد على انتشار كلمة واندثار أُخرى، أو استبدالها بمرادف بديل لها.

ولغتنا العربية بوصفها " لغة عقيدة " و"لغة كتاب" أتاحت لنا فرصة توفر نموذج مثالي " أعلى" للمقارنة، والمعرفة الصوتية، والتركيبية، والصرفية، والدلالية.

ونلمس جميعاً طغيان اللهجات على الفصحى، بل والتمسك بها كنوع من التعصب القبلي والقومي بشكل واضح، مما جعل البعض يعتقد أنّ في هذا خطراً على لغة القرآن الكريم، وعلى الأجيال القادمة وبعدهم عن لغة كتابهم ، إذ اللغة في أي مجتمع ليست رموزاً وكلمات بقدر ما هي وشائج وعلاقات: دينية، واجتماعية، وسياسية، وثقافية.

وسوف تقوم هذه الدراسة على أربعة مباحث:

المبحث الأول: بين اللغة و اللهجة.

المبحث الثاني: نشأة اللهجات.

المبحث الثالث: اللهجات والدراسات القرآنية.

المبحث الرّابع: نموذج تطبيقي "للهجات معاصرة في بعض مناطق المملكة العربية السعودية"

المبحث الأوَّل: بين اللغة واللهجة

قبل تعريف اللهجة لابد من الوصول لرأي موّحد في حد اللغة وحد اللهجة، هل اللغة واللهجة مترادفان، أم أنَّ اللغة مستوى معيَّن من الأنظمة العلمية " صوت، وصرف، وتركيب " واللهجة مستوى كلامي مغاير ؟

اللغة في مفهومها اللغوي: اللسْن[١]، وعند علماء اللغة: عرّفها ابن جني(ت ٣٩٢هـ) بأنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم[٢]. وقيل: اللُّغَة منظومة من الإشارات، تؤدي دور أداة التّواصل، والتفكير، والتعبير. ولا يتحقق معرفة العالم إلا بها[٣]. وقيل " اللغة ظاهرة بسيكولوجية، اجتماعية، ثقافية، مكتسبة، لا صفة بيولوجية، ملازمة للفرد، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية، اكتسبت عن طريق الاختبار، معاني مقررة في الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل "[٤] ومن التعريفات التي أرى شموليتها للغة ـــ تعريف ابن خلدون: " اعلم أنَّ

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر ، ط السادسة ، ١٥ / ٢٥١.

(٢) ابن جني: الخصائص، ت: محمد علي النجّار، ط الثانية، دار الهدى للطباعة والنشر.١/ ٣٣

(٣) الموسوعة الفلسفية، موسكو، ١٩٨٣م، مادة: اللغة.٨١٦ نقلاً عن: مالك مسلماني: هادي العلوي معجمياً، بغداد، ١٩٣٢م ـــ دمشق ٦ / أيلول ١٩٩٨م.

(٤) أنيس فريحة: نظريات في اللغة، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣م. ١٤.

اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلِّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل اللسان، فلا بد أن تصير ملكة متقرِّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كلِّ أمَّة بحسب اصطلاحاتهم "[1]

واللهجة في مفهومها اللغوي: اللهْجَة واللهَجَة: اللسان. واللهْجَة واللهَجَة: جرس الكلام، ويقال فلان فصيح اللهْجَة واللهَجَة، وهي لغته التي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها[2].

وبعض الدراسات تقسم اللهجات إلى:

اللهجة الخاصّة: هي الكلام المميز لحامل لغة معيّن، فهي التنويعة الفرديّة في اللُّغَة المتمايزة عن التنويعات الإقليميّة والاجتماعيّة. وبالمعنى الضيّق – الخصائص اللفظيّة الخاصة بحامل لغة معيّن، و في المعنى الواسع للكلمة– اللهجة الخاصّة هي تحقق لغة معينة عبر الأفراد.

اللهجة الفرعيّة: أدنى ضرب لغة إقليميّة. وتُستعمل كوسيلة معاشرة أهالي مكان واحد. أو عدّة أماكن متجاورة. وهي مراكز سكانيّة لا تملك تمايزات لغوية ــ تعبيريّة. ودرجة تعقّد منظومة اللهجة الفرعيّة يرتبط أساساً بالعوامل الفوق – لغويّة: درجة عزلة اللهجة الفرعيّة؛ ودرجة اتّصال حاملي اللهجة الفرعيّة مع حاملي اللهجات المحليّة واللغات الأخرى؛ وتأثير اللُّغَة الفصحى عليها.

---

(١) عبدالرحمن بن خلدون: الجزء الأوّل من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت. ٥٤٦.

(٢) لسان العرب٢ / ٣٥٩.

اللهجة: ضرب لغة. يُستعمل كوسيلة معاشرة أفراد متصلين في وحدة إقليميّة؛ وتتسم اللهجات باختلاف في البنية الصوتيّة والصرفيّة، والاشتقاق من متن اللُّغَة. ويمكن أن تكون التمايزات ضئيلة، تسمح لمتكلميّ مختلف لهجات لغة معيّنة من التفاهم (مثلاً: اللُّغَة الروسية). و ثمّة لهجات تتمايز بعضها عن بعض بحيث تؤدي هذه التمايزات إلى جعل التفاهـــم بين متكلّمي مختلف اللهجات معقداً أو مســـتحيلاً أحياناً (مثلاً: لهجات اللُّغَة الألمانية، والصينية) وتمارس اللهجات الأخرى تأثيراً في اللُّغَة (اللهجة) الفصحى[١].

التقسيم السابق جعل اللهجات مستويات ثلاث، تضيق وتتسع، تفترق وتلتقي، غير أنّه جعل اللغة مرادفاً للهجة " وتمارس اللهجات الأخرى تأثيراً في اللغة (اللهجة) الفصحى "

ففي المفهوم اللغوي: عُرِّفت اللغة بأنّها اللسْن، واللهجة بأنها اللسان، أي أداة التكلُّم بلا تفرقة.

ويشير ابن جني إلى المساواة بين اللغة واللهجة: "ألا ترى أنَّ لغة التميميين في ترك إعمال " ما " يقبلها القياس، ولغة الحجازيين كذلك " ثم في الحكم عليهما يقول: "وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بأختها " وتبرير ذلك عنده: " لأنَّها ليست أحق بذلك من رسيلتها [٢]"

يقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـــ): "اختلاف لغات العرب من وجوه:

---

(١) الموسوعة الفيلولوجية، ١٧١، ١١١، ١٣٢، ١٣٣. نقلاً عن: مالك مسلماني: هادي العلوي معجمياً، بغداد ، ١٩٣٢م ـــ دمشق ٦ / أيلول ١٩٩٨م.

(٢) الخصائص ٢/ ١٠.

أحدها: اختلاف في الحركات، كقولنا " نَستعين " و" نِستعين " بفتح النون وكسرها، قال الفرَّاء: "هي مفتوحة في لغة قيس وأسد، وغيرهم يقولونها بكسر النون"[١]

غير أنَّ عوامل خارجية أتاحت للهجة التسيد والنفوذ دون الأخرى، كما حدث في لهجة قريش: "وكانت قريش مع فصاحتها، وحسن لغاتها، ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيَّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيَّروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طُبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب"[٢]

ثمّ أشار ابن فارس إلى اللغات المذمومة[٣]، مما يؤكِّد أنَّ اللغة واللهجة عنده سواء.

وعلى نفس الاتجاه سارت رواية ابن نوفل: قال ابن نوفل: سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سميته عربية! أيدخل فيه كلام العرب كلُّه ؟ فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ فقال أحمل على الأكثر، وأسمِّي ما خالفني لغات"[٤] وبعض

(١) أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ت: مصطفى الشويمي، بيروت، لبنان ، ١٣٨٢هـ. ٤٨

(٢) السابق ٥٢.

(٣) السابق ٥٣.

(٤) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الفكر، ١٨٤، ١٨٥.

الدراسات الغربية لا تفصل بين اللغة واللهجة، وترى أنَّ اللغة كائن حي، يقول بوب: "إنَّ اللغات يجب أن ينظر إليها باعتبارها أجساماً عضوية طبيعية، مكونة طبقاً لقوانين ثابتة، وتتطور كانَّ لها قاعدة فطرية للحياة، وتموت بالتدريج"[١] وأعتقد أنَّه ذهب باللغات – هنا– إلى اللغات وما يتوّلد عنها من لهجات.

وننتقل من عموم اللغات واللهجات، إلى خصوص العربية ولهجاتها، نشأة، وتطوراً، وتاريخاً، حيث يرى البعض أنَّ اللغات البابلية أو الآشورية أو الكنعانية أو الآرامية أو العبرية، ما هي إلا الأشكال المتطورة من اللغة العربية القديمة، وأنّ العربية الحديثة الشكل المتطور الحديث لهذه اللغات العربية الأقدم، واستمرت في التطور حيناً بعد آخر ، حتى استوت في العربية الحديثة ، لغة القرآن الكريم.[٢] فكأنّ لغة القرآن الكريم قبل أن تستوي على الصرة الحالية مرّت بخط تطوّر، على النحو التالي:

← العربية القديمة.

← البابلية، الآشورية، الكنعانية، الآرامية، العبرية، العربية الحديثة

وفريق يرى أنّ الفصحى نتاج اللهجات بعد مرحلة تطور، يقول محمد تيمور: "ألفينا هذه اللهجات المتخالفة تتجمَّع وتتخمَّر وتتخذ لها قالبا هو الذي سميناه الفصحى... به نزل القرآن، وفيه صب الشاعر

---

(١) نقلاً عن: م م لويس: اللغة في المجتمع، ترجمة الدكتور تمام حسَّان، عالم الكتب، ط ١٤٢٣هـ.٢٩٦.

(٢) فيليب حتى: تاريخ العرب المطوّل، ترجمة فيليب حتى وآخرين، بيروت. ١٩٥٢.

والناثر روائع البيان"[١]

أي أنَّ اللغة تبدأ باللهجات، فاللغة مراحل تطور ونمو اللهجات، بينما يمثِّل الدكتور تمام حسَّان رأياً يجعل "اللغة" في مقابل " الفصحى" واللهجات "في مقابل" العاميات" وفي ذلك يقول: " وكل عربي معاصر يتكلَّم لهجته الدارجة في حياته المعتادة اليومية، في البيت والسوق مثلا، فإذا كتب رسالة إلى صديق أو تكلّم إلى عربي آخر ذي لهجة غير مألوفة عنده عمد إلى العربية الفصحى، فجعلها وسيلة التعبير " إلى أن يقول مبيناً التباين والتميز في طرق النطق: "فإذا جمعت اليوم أفراداً من بيئات عربية مختلفة وطلبت على كل واحد منهم أن ينطق كلمة "يضطجع" فإنّك سترى أمراً عجبا من اختلاف عاداتهم في نطق الضاد والطاء والجيم"[٢] ويقول أيضاً مبيناً أنَّ اللغة العربية ليست هي اللهجات: "وقد أدَّى ذلك إلى قطع الصلة بينها وبين اللهجات العربية الأخرى القديمة والمعاصرة"[٣] وفريق يرى أنّ خصائص اللغة العربية الموحدة، لا تتطابق مع أي من اللهجات[٤]، وإشارة لذلك يقول محمد عيد في حديثه عن موقف النحاة من الصلة بين الفصحى واللهجات: "اعتبار كل منهما مستوى خاصاً له مجالات استعماله التي يتفرّد بها، واعتبار كل لهجة من لهجات القبائل مستوى خاصاً متميزاً عن مستوى غيرها من اللهجات الأخرى من ناحية، وعن اللغة

---

(١) محمود تيمور: مشكلات اللغة العربية، ط النموذجية، القاهرة ، ١٩٥٦م. ١٨٩.

(٢) تمام حسَان: الأصول، عام الكتب، ط ١٤٣٠هـــ. ٧٣ ، ٧٤.

(٣) تمام حسَّان: مناهج البحث في اللغة، ١٤٠٠هـــ ١٢.

(٤) إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، القاهرة ١٩٦٥م ٤٣.

الفصحى من ناحية أخرى، وهذا التفرُّد والتمايز بين الفصحى واللهجات يكون في معاني الألفاظ، كما يكون في نطق الأصوات، والصيغ، وتأليف الكلام والإعراب، وهو أمر لم يصنعه أحد بنية العمد، ولم يترل من السماء – كما يقول أصحاب التوقيف– بل صنعه عرف الناطقين للغة أو اللهجة بفعل التطور الذي لا يد لأحد على إيقافه أو تجميده"[١]

ورأي يميل إلى القول بأن الجزيرة العربية كان لها لغة مختلفة تماماً عن الفصحى، وهذه اللغة هي الأصل الذي نشأت عنه اللهجات الحضرية[٢] وقول يذهب إلى أنَّ اللهجات العربية مرحلة سابقة للغة العربية الأدبية[٣]. وقول آخر يميل إلى العكس حيث يرى أصحابه أنَّ اللهجات العامية العربية قد تطور من الفصحى التراثية.ويخالف " فيشر " أصحاب هذا القول ويرى أنّ اللهجات العربية الحديثة تطور طبيعي للهجات أقدم[٤]. ورأى البعض أنَّ أية صيغة لا تتطابق مع قوانين الفصحى يمكن أن تعتبر لهجة[٥]، ويرى إبراهيم أنيس أنَّ لكل لغة من لغات الأمم الراقية لهجات ذات صفات متباينة[٦]. وفي قول العربي " ليس هذا لحني ولا لحن

(١) محمد عيد: المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر، عالم الكتب. ٥٨.

(٢) اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية: تشيم رابين، ترجمة الدكتور عبدالكريم مجاهد، ط الأولى ٢٠٠٢م ٢١.

(٣) السابق ٣٥.

(٤) كرستن بروستاد: قواعد اللهجات العربية الحديثة ، ترجمة: محمد الشرقاوي ، ط الأولى ، ٢٠٠٣. ١٥.

(٥) السابق ٤٤.

(٦) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ، ط السادسة ، ١٩٧٨م ٣٧.

قومي "[١] شارة إلى أنَّ كلمة لحن ما هي إلى لهجته، ولهجة قومه الخاصة[٢].

وفريق يرى أنَّ شبه الجزيرة العربية كانت بها لهجات متعددة مختلفة في الأصوات والمفردات والنحو وما إليها، وإلى جانب هذه اللهجات الخاصة بالقبائل كان هناك لغة مشتركة جامعة، يصطنعها الأدباء في فنهم القولي، ويستخدمها العرب في أسواقهم، ومحافلهم التي تضم أفراداً من قبائل مختلفة[٣]

وعلى المستوى الزمني يشير الدكتور إبراهيم أنيس إلى أنَّ اللهجات كان يطلق عليها قديماً اللغة، ولم تستعمل اللهجة بمعناها الاصطلاحي إلا حديثاً، فكان يُقال لغة القبيلة بدلاً من لهجة القبيلة[٤]. ومن علماء اللغة من يرى أنَّ اللهجات بمجموعها هي اللغة: اللُّغَة – كقاعدة – هي مجموع اللهجات؛ ولهذا يرى البعض أنَّ وجود الألفاظ المترادفة راجع إلى التنوع اللهجوي. و تغير اللُّغَة لا يرتبط بالعوامل اللغويّة المحض و حسب، بل بالمتغيرات الاجتماعية (الوعي اللغوي لحامل اللُّغَة، وجود أو غياب الكتابة المشتركة، وتأثير اللهجات الأُخَر، و هلم جرّا). إنّ اللُّغَة تتعرض لتغّير دائم في جميع حلقاتها البنيوية وتمشي سيرورة تطورها قدماً. وأسباب هذه السيرورة الملموسة لم تُكتَنَه كلياً بعد. لكن مما لا شك فيه أن هذا التطور ثاوٍ في أسس اللُّغَة نفسها. وفي آلية استعمالاتها الوظيفية، وما يميز اللُّغَة هو

---

(١) الزمخشري: أساس البلاغة، بيروت، ١٣٨٥ هـ. ٥٦١.

(٢) الدكتور إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، الطبعة السَّادسة، ١٩٧٨م. ٢٠٤.

(٣) الدكتور إميل بديع يعقوب: فقه اللغة العربية وخصائصها، ط الثانية، ١٩٨٦م ١٢٥.

(٤) ينظر: في اللهجات العربية ١٧.

التطور العفوي منذ بدء تشكلها[١].

نخلص مما سبق أنّ رحى الخلاف تدور حول التساوي بين اللغات واللهجات، أو التباين، والذي أميل إليه ــ بعد تأملات فيما قاله الأقدمون والمحدثون ــ أنَّ: اللهجة هي السمة الكلامية "على مستوى الصوت والدلالة ــ والتركيب التي تميِّز مجموعة من الأفراد في نطاق محلي ضيِّق ــ بيئة اللهجة أو خارطة اللهجة الجغرافية ــ وقد تشترك في بعض خصائصها مع غيرها من اللهجات. وأنّ اللغة: هي النظام اللغوي والمعجمي العام الذي يشترك فيه أبناء اللسان الواحد.

وأراني أجد مبرراً إذا ما شبَّهت اللغة بالجد الأوَّل الذي تتفرَّع منه شجرة العائلة، واللهجات بالأبناء والأحفاد، مما يوجد صفات جينية مشتركة بين الأصل والفرع ــ وهي الخصائص العامة المشتركة ــ وفوارق في السمات والطبائع ــ وهي تلك الاختلافات اللهجية التي تميِّز إقليماً ما ــ نطقيا ودلالياً وتركيبياً ــ عن غيره، كما يوجد طفرات جينية، وهي تلك اللهجات المغرقة في البعد عن اللغة العربية الفصحى الأم.

ولعل قولي هذا غير بعيد عما ذهب إليه إبراهيم أنيس: "فاللغة تشتمل عادة على عدّة لهجات لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في

(١) الموسوعة الفلسفية مادة: اللغة؛ ب. يو. نورمان، اللغة: الصديق المجهول مينسك، ١٩٨٧م ٢٢، نقلاً عن: مالك مسلماني: هادي العلوي معجمياً، بغداد، ١٩٣٢م ــ دمشق ٦ / أيلول ١٩٩٨م.

مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية، التي تؤلِّف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات"[١]

كما يمكن القول بأنَّ اللهجة قديماً ترادف اللغة "بصورهَا المثلى" أي الفصحى بنحوها وصرفها، بتركيبها ودلالاتها.

وفي مرحلة من مراحل نشوء اللهجات كانت اللهجة ترادف اللحن، وفي ذلك يقول إبراهيم أنيس: "وذلك لنَّ اللهجة لا تعدو أن تكون خروجاً عن المألوف الشائع في نطق أمة من الأمم. واللهجة من أجل هذا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى الأصلي لمادة "اللحن" لأنَّها ميل والتفات وانحراف عن المألوف "[٢]

وقد تنبّه علماء اللغة إلى أنَّ اللحن ميل بالكلام عن وجهه، يقول ابن فارس: " فأمَّا اللحن بسكون الحاء، فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية، يُقال: لَحَن لحناً، وهذا عندنا من الكلام المولَّد؛ لأنَّ اللحن مُحْدَث، لم يكن في العرب العاربة الذين تكلَّموا بطباعهم السليمة "[٣].

واللهجة حديثاَ ترادف العامية، بتخلِّصها من القواعد والقوانين، أو ابتعادها عنها، وقريب من هذا القول ما أشار إليه الدكتور أحمد الضبيب:"وبينما كانت العربية الفصحى تتقيد بنظامها الخاص، وقانونها

(١) في اللهجات العربية ١٦.

(٢) من أسرار اللغة ٢٠٥.

(٣) ابن فارس: مقاييس اللغة، مادة " لحن ".

المنظَّم، كانت لهجات الخطاب تتطور في بيئاتها المختلفة، وتتشكل بشكل الأوعية التي تصب فيها، وتتأثّر بما يقابلها أو يفد عليها من ظروف حضارية واجتماعية وسياسية وطبيعية وغيرها" [١]

(١) ت. م. جُنستون: دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه الدكتور أحمد محمد الضبيب ، ط ٢ ، ١٩٨٣م. ٥.

المبحث الثَّاني: نشأة اللهجات

اللغة على اعتبارها من أهم الأنشطة الاجتماعية لدى الإنسان، وإحدى مميزاته الرئيسة حظيت باهتمام الباحثين، وعلماء الاجتماع واللغة والنفس، فكان موضوع نشأة اللغة شغلاً شاغلاً قديماً، فتنوعَّت البحوث، وتعددت الآراء التي تمّثلت في مجموعة من النظريات، وهي: نظرية التوقيف، نظرية الاصطلاح، نظرية محاكاة أصوات الطبيعة، نظرية محاكاة الأصوات ومعانيها، نظرية الأصوات التعجبية العاطفية، نظرية الاستجابة للحركات العضلية[1].

وإذا ما نظرنا إلى اللهجة بحدها اللغوي "اللسان" استطعنا الحكم على اللهجة بأنها وُجدت مع وجود الإنسان، فقد نزل آدم على الأرض ناطقاً (وعلَّم آدم الأسماء كلَّها)[2] وإذا نظرنا إلى اللهجة بوصفها: صفات لغوية وتركيبية تنتمي لمجموعة من الأفراد في بيئة محددة، أو ذلك التباين والتمايز اللهجي على مستوى الصوت، والدلالة، والتركيب كان لنشأتها ظروف وخط زمني، ويعزو علماء اللغة نشوء اللهجات إلى العوامل التالية:

ــ الآثار الطبيعية للانتقال، والتجاور، والغزو، والمتمثلة في صراع لغوي بين اللغة المستقرة في البيئة، واللغة الوافدة إليها[3]، وقل ما تنجو لغة من

(١) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة ٣١ ، ٣٢ ، الخصائص ١ / ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٢ / ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، نظريات في اللغة ١٦.

(٢) البقرة ٣١.

(٣) ينظر فندريس: اللغة ، تعريب عبدالحميد الدواخلي، محمد القصَاص ،١٩٥٠م. ٤٢٧ ــ ٤٣١ ، عبدالغفار حامد هلال: اللهجات العربية نشأة وتطورا ، الطبعة =

الوقوع تحت تأثير هذا العامل، وفي إشارة لهذا يقول فندريس: "تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعدّ أمراً مثالياً لا يكاد يتحقق في أي لغة. بل على العكس من ذلك فإنَّ الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيراً ما يلعب دوراً هاماً في التطور اللغوي"[١]

ــ الانعزال الجغرافي والاجتماعي بين بيئات الشعب الواحد، وذلك عندما تفصل العوامل الطبيعية من جبال، أو أنهار، أو صحارى، أو نحوها بين بيئات اللغة الواحدة، فتنعزل إحداها عن الأخرى، وتتطور كل بيئة في ظروف بيئية واجتماعية مختلفة عن ظروف البيئة الأخرى، فتتكون بيئة زراعية هنا، وبيئة صناعية هناك، وبيئة رعوية أوتجارية هنالك، وتختلف الظروف الاجتماعية في كل من هذه البيئات عن البيئة الأخرى تبعاً لذلك[٢].

فكأنّ الاتصال مهما كانت وسيلته أو نوعه، والانعزال بكلِّ صوره هما السبب الرئيس في نشوء اللهجات، ومن صور الاتصال اللغوي انتقال اللغة من بيئتها إلى بيئة أخرى، وهذا الانتقال يجعلها مهيأة لفقدان خصائصها ، يقول فندريس: "فاللغات التي تنتقل تفقد على وجه العموم

= الثانية، ١٤١٤هـ. ٤٣.

(١) فندريس: اللغة، ٣٤٨.

(٢) الدكتور محمد أسعد النادي: فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٩م. ١٥٣،١٥٤ وينظر الدكتور إبراهيم أنيس: مستقبل اللغة العربية المشتركة، القاهرة ١٩٦٠ م ٧ ، الدكتور رمضان عبدالتوَّاب: المدخل على علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ. ١٤٧.

خصائصها الفردية أسرع من غيرها؛ وذلك لأنَّها معرَّضة لتأثيرات متعددة ومتنوعة تقع عليها من لغات تختلف عنها كثيراً في غالب الأحيان والانتقال في غالب أمره سبب في التحلل اللغوي"[١]

كما أنَّ اختلاط اللغة بلغة أخرى وافدة يعرِّضها ـــ كذلك ـــ لفقدان بعض خصائصها، واكتساب بعض عاداتها، كما تستعير منها بعض كلماتها، ولعل منطقة التقاء لغة العرب بغيرهم في صدر الإسلام صورة واضحة لهذا التأثير والتأثر، حيث استجَّد ما يسمى باللحن، وظهر على الساحة اللُّغوية. غير أنَّ الاختلاط اللغوي يُدخل اللغات بلهجاتها مرحلة صراع، ينتج عنه هزيمة ونصر، هيمنة وانسحاب، وتحقيق هذه النتائج مرتبط بقوة اللغة دينياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً، حيث تهيمن لغة على أخرى وتنحيها، أو تسيطر عليها، وربما أدَّت إلى موتها تماماً[٢] ولا أدل على ذلك من طرد العربية للغات الأصلية في البلاد التي رحلت إليها، وافتتحها العرب بعد البعثة المحمدية، ففي العراق حلّت العربية محل الآرامية والفارسية، وفي الشام أزاحت الآرامية والسريانية واليونانية، وفي مصر هُزمت القبطية.[٣] فاجتماع لغتين على صعيد واحد لا بد من أن يجعل كل واحدة منهما تتأثّر بالأخرى، فتتغلب إحداهما على الأخرى، أو تبقيان

(١) اللغة ٣٦٤.

(٢) ينظر: اللغة ٣٥٠ ـــ ٣٦٦، رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث العلمي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـــ. ١٧١ ـــ ١٧٧.

(٣) ينظر من أسرار اللغة ١١٠ ، ١١٤ ،١١٥.

متجاورتين[١] فتعمد كل لغة إلى ما تأخذه من الأخرى، وتضفي عليه حيويتها، وتقضي على ما فيه من الآثار الهدامة، وعلى هذا تبقى كل منهما، وتعيش بجوار أختها، لها طابعها الخاص، وشخصيتها القوية[٢]، وكما أدّى الاختلاط إلى نشأة لهجات جديدة، فإنّ الانعزال الجغرافي أو الاجتماعي يؤدي إلى تشعُّب اللغة الواحدة إلى لهجات عدّة، فعندما تفصل الجبال أو الأنهار أو الصحارى، بين بيئات اللغة الواحدة، فإنَّ هذه العوامل تؤدِّي إلى قلَّة الاحتكاك بين أبناء البيئة اللغوية الواحدة، أو الانعزال التام بينهم، فما أن يمر القرن أو القرنان حتى تتطور تطوراً مستقلاً يشعبها إلى لهجات مستقلة، ويباعد بين صفاتها[٣]

وفي كتب اللغة وجهات نظر متعددة تشير إلى هذه الظاهرة، كما أشارت الدراسات إلى نوع آخر من اللهجات فذكر البعض حديثاً عن لهجات الطبقات الغنية، ذات الجاه والنفوذ والسيطرة السياسة واختلافها عن لهجات طبقات العمال والجنود والتجَّار والزراع، وعن لغة اجتماعية وأخرى محلية، غير أني أميل إلى وصف هذه الظاهرة "بالخصوصية اللهجية " وليس الاختلاف في اللهجات، حيث أنّ ظروفاً معينة ذات علاقة بالمظاهر الحياتية أوجدت مفردات شاع تداولها لدى طبقة دون أخرى.

على أنَّ اللهجة المعزولة تقاوم التغيير طوال مدة تواجدها في بيئتها، فيحتفظ أصحابها بأصواتها، وكلماتها، وتراكيبها، وعندما ينتقل أحد أبناء

---

(١) علي عبدا لواحد وافي: علم اللغة ،القاهرة ،١٩٦٢م. بتصرف ٢٢٣.

(٢) المدخل إلى علم اللغة بتصرف ١٧٧.

(٣) في اللهجات العربية " بتصرف " ٢١.

اللهجة من بيئته اللهجية إلى بيئة لهجية أخرى، ويعتري لسانه ما يعتريه من انحراف عن لهجته الأصلية، فإنّه عند عودته إلى بيئة لهجته الأصلية يجد لسانه عائداً إليها أيضاً، ويظل زمناً طويلاً يزاوج بين

المبحث الثالث: اللهجات والدراسات القرآنية

نزل القرآن الكريم عربياً، على نبي عربي، على أمم عربية وغير عربية، فالقرآن الكريم للمسلمين جميعاً، يتلون آياته، ويعملون به، ويأتمرون بأوامره، وينتهون بنواهيه، وتلاوة القرآن الكريم فرض على كل مسلم في صلاته، ولا شك في أنَّ لكلٍّ قوم عادات نطقية ألفوها، واعتادها ألسنتهم، وشاعت فيما بينهم، وصعُب عليهم الانقلاب عن لهجاتهم إلى لهجة لم يألفوها فكان التخفيف بعدم اقتصار القراءة على وجه واحد، وقد تواترت الروايات على تعددها، من ذلك ما سمعه المِسْوَر بن مخرمة وعبدالرحمن بن عبد القاري سمعا عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه- يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة القرآن في حياة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبّرت حتى سلّم، فلببته بردائه فقلت له: من أقراك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأنيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلت: كذبت، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم "أرسله يقرأ يا هشام "فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم " كذلك أُنزلت " ثم قال " اقرأ يا عمر " فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم " كذلك أُنزلت " إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا

ما تيسر منه "[١]، وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم قال: أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف[٢].

فهذه الروايات وما شابهها مما جاء في كتب السنة تدل دلالة قطعية على أنّ القرآن الكريم لم يلزم المسلم بلسان قبيلة معينة، وأنّ إباحة القراءة بالأوجه المختلفة نزل وحياً من السماء، بدليل قوله صلّى الله عليه وسلّم "فلم أزل أستزيده ويزيدني" وأعتقد أنّ نزول جبريل بها من السماء لم يكن بأوجهها المقروءة والمتلوَّة، وإنّما بإباحتها وجوازها.

وقد اختلف العلماء في المقصود بـــ"الأحرف السبع" أهو اللغات واللهجات؟ أي لغات ولهجات القبائل العربية كـــ: قريش، وهذيل، وثقيف، تميم، وسعد بن بكر، وهوازن، والأزد، وربيعة وإليه ذهب البعض، وبه قال. أم هو الأوجه اللفظية التي نزل القرآن الكريم بها؟ وإليه ذهب آخرون، وبه قالوا. أم هي الأوجه المعنوية التي نزل بها القرآن ؟ وإليه ذهب غيرهم، وبه قالوا.

واختلف هؤلاء في تعيين وحصر هذه الأوجه، فمذهب يرى أصحابه أنّ " السبعة " لا تعني حقيقة العدد[٣]، فالمراد بها الكناية عن التعدد والكثرة؛ توسعة وتيسيراً وتسهيلاً على أهل القرآن. ومن هذا الفريق علي بن أبي طالب، وابن عباس

(١) صحيح البخاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ، ١٤١١هـــ. ٤ / ١٦١١.

(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن ٤ / ١٦١١.

(٣) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان. ١ / ٢٥.

والقاضي عياض رضي الله عنهم[١].

ولعل هذا القول يتفق مع حال شمولية القرآن، ومجيئه للعالمين، على اختلاف أجناسهم وألسنتهم، يقول ابن قتيبة: "ولو أنّ كلَّ فريق من هؤلاء أُمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً، وناشئاً، وكهلاً، لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة"[٢]

ويرى إبراهيم أنيس أنّ أمر الحروف السبعة أوسع من لهجات القبائل العربية ، وأكثر من حصره بالعدد سبعة:

"ليست الحروف السبعة التي أجيز قراءة القرآن بها مقصورة على اللهجات العربية، بل يشمل جميع لهجات المسلمين، في جميع بقاع الأرض، فإذا قرأ الهندي المسلم القرآن أمامنا، ولاحظنا بعض الخلافات الصوتية في نطقه وجب ألا ننكر عليه قراءته، فهي غاية جهده، ولا يقدر على غيرها"[٣]

غير أنّ هذا القول من إبراهيم أنيس على مستوى عدم الإنكار، لا على مستوى التقعيد الصوتي، والصرفي، والنحوي، وهو مما يتناسب مع

---

(١) نبيل محمد إبراهيم آل إسماعيل: علم القراءات، نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، ط الأولى، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤٢١هـ. ١٩ ـ ٣٣. وينظر: فقه اللغة مناهله ومسائله ١٦٤.

(٢) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ط الحلبي، ١٩٥٤ م. ٣٠، وينظر: النشر في القراءات العشر ١ / ٢٢.

(٣) في اللهجات العربية: ٥٧.

طبيعة كتاب يتعبّد به أهله على امتداد الزمان والمكان واختلاف الظروف واللغات. فقبول القراءة هنا تخضع لمعيار اجتماعي، لا معيار صوابي.

يقول تمام حسّان: "المستوى الصوابي معيار لغوي، يرضى عن الصواب، ويرفض الخطأ في الاستعمال، وهو كالصوغ القياسي لا يمكن النظر إليه باعتباره فكرة يستعين الباحث بواسطتها في تحديد الصواب والخطأ اللغويين، وإنّما هو مقياس اجتماعي يفرضه المجتمع اللغوي على الأفراد، ويرجع الأفراد إليه عند الاحتكام في الاستعمال، والمستوى الصوابي لا يوجد في اللغة فحسب وإنّما يوجد في كلّ شؤون الثقافة بالمعنى الأعم"[١]

أمّا أمر القبول والرد في القراءات القرآنية، على اعتبارها قرآناً بصورته التي أقرّها محمد صلّى الله عليه وسلّم، وقبلها من صحابته، فمرهون بشروط ثلاثة:

الأول: متصل بالسند، أي يكون سندها ثابتاً عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

الثاني: متصل بالرسم، أي موافقة لرسم المصحف العثماني، ولو احتمالاً.

الثالث: متصل بالعربية، أي موافقة العربية، ولو بوجه، سواء كان هذا الوجه فصيحاً أم أفصح، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه[٢].

---

(١) تمام حسّان: اللغة بين المعيارية والوصفية ،دار الثقافة ، ط ١٤١٢هـ ٦٩.

(٢) ينظر: أحمد مختار، عبدالله سالم مكرم، ط الثانية، جامعة الكويت، ١٤٠٨هـ. ١/ ١٠٦، حسن ضياء الدين عتر: الأحرف السبعة ومترلة القراءات منها، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩ هـ. ٣١٩، عبده الراجحي: اللهجات =

وبالنظر إلى القراءات القرآنية وارتباطها الوثيق باللهجات فإنّا نسأل سؤالاً: هل هذا النوع من الدراسة يأخذ بعين الاعتبار اللهجات التي تصلح لدراسة القراءات، أم القراءات التي تصلح لدراسة اللهجات ؟ وللإجابة عن هذا السؤال أسوق نصاً لابن الجزري، يقول فيه: "فإنّ القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأُوّل قِلّة من كثرة، ونزر من بحر، فإنّ من له اطّلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين وذلك أنّ القرّاء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة وغيرهم كانوا أُمَماً لا تُحصى، وطوائف لا تُستقصى، والذين أخذوا عنهم أيضاً أكثر"[١].

وبالتالي فإنّ المنحى في دراسات القراءات القرآنية يجب أن ينبني على جميع اللهجات العربية، وإن لم تكن من القراءات المشهورة، فعدم وصولها لنا لسبب أو لآخر لا يعني الاقتصار على غيرها، مما أتيحت له فرصة البقاء والانتشار.

وقد أشار ابن جني لهذا: "إلا أنّه ـــ أي الشاذ ـــ مع خروجه عنها – أي الصحيحة– نازع بالثقة إلى قرّائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعلّه أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجمع عليه " إلى أن يقول:

"فإن قصُر شيء منه عن بلوغه إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم، فلن يقصُر عن وجه من الإعراب داع إلى الفسحة والإسهاب، إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به؛ مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية

= العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م. ٧٥.

(١) النشر في القراءات العشر ١ / ٣٣.

ودراية، فإنا نعتقد قوة هذا المسمّى شاذا، وإنّه مما أمر الله بتقبُّله، وأراد منا العمل بموجبه، وأنّه حبيب إليه، ومرضي من القول لديه"[١].

ولقد كان لنزول القرآن الكريم بلغة العرب، على اختلاف أوجهها، وحروفها، ولهجاتها النصيب الأكبر في الاهتمام بدراسة اللهجات العربية، والعناية بها، بل والحفاظ عليها، وإلا لكانت بعض صورها قد اندثرت كما حدث في غيرها من اللهجات التي بادت، بينما نتحدث – نحن العرب – العربية بطريقة لا تختلف كثيراً عما كان يتحدث به الأقدمون.

(١) ابن جني: المحتسب، تحقيق. علي النجدي ناصف وآخرين ١٣٨٦هـ. ١ / ٣٢، ٣٣.

المبحث الرّابع: نموذج تطبيقي للهجات معاصرة في بعض مناطق المملكة العربية السعودية

الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي للغة العربية، وفي شبه الجزيرة العربية، وتحديداً بين مكة المكرّمة والمدينة المنورة نزل القرآن الكريم، معجزاً متحدياً لمن شغلتهم البلاغة، وفتنتهم اللغة، ودراسة بيئة اللهجة الجغرافية لا تنفصل عنها، فقد اعتمد علماء اللغة المحدثون على الجغرافية اللغوية في دراساتهم للظواهر اللهجية المختلفة، وحدود الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية فيها كثير من الاختلافات[١]، وقد وجدت طبيعة البحث تستدعي أن يكون بيئياً وصفياً، أمّا بيئة اللهجة التي نخصها بالبحث فهي بيئة الحجاز وتميم وقيس وهذيل وسليم، وغيرها من القبائل العربية التي قيست عليها اللغة، وضبطت بها القواعد والأصول النحوية، وعليها دارت رحى الدرس اللغوي عند علماء اللغة الأوائل.

وطبيعة الدراسات اللهجية تقتضي أن تكون على ثلاثة مستويات: صوتي، ودلالي، ونحوي.

المستوى الصوتي:

تكاد الأصوات تكون عربية صحيحة في معظمها على لسان أبناء الجزيرة العربية، عدا بعض الظواهر التي تتجلّى في:

أ ــ اختفاء حرف "الضاد" واستبداله "بالظاء " في المجتمعات القروية،

(١) عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ط الثانية، ١٤٣٠هـ. ٢٤.

فتحل (ظرب) محل (ضرب) واستبدال "الظاء " بصويت بينها وبين " الزاء " في المدن القريبة من مكة المكرمة، والمدينة المنورة بفعل عوامل الاختلاط بالمجاورين للحرمين

ب ــ اختفاء الهمز، فبيئة اللهجات التي أخصها بالبحث هنا تخلّص أبناؤها من الهمز، وهي ظاهرة معروفة، وقريش من القبائل العربية التي لا تهمز، والتسهيل وفي مقابله الهمز ليس من العامية في شيء، وإنما هو مستوى لهجي معروف لدى فصحاء القدماء وللقراءات نصيب من هذه الظاهرة.

ج ــ بعض أبناء تهامة يبدلون "الحاء" عينًا " فتتحول "حتى" على ألسنتهم "عتى" وهي قراءة ابن مسعود[١]، في سورة يوسف[٢]، وهي لغة هذلية [٣].

د ــ إبدال "اللام" نونًا في بعض المفردات، ومنها " نعن " في " لعن " وهي شائعة على ألسنة أبناء قرى مكة المكرمة.

ه ــ إبدال " الهمزة " " واوًا " ومنها " وين " بمعنى " أين " وهي شائعة في قرى مكة المكرّمة، والطائف، والباحة.

وهذا عكس الإبدال في " وقتت "و" أُقتت" [٤] ثم حصل لها إبدال آخر

---

(١) المحتسب

(٢) يوسف ٣٥.

(٣) الزمخشري: جار الله محمود بن عمر، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الثانية ، دار المعرفة ،بيروت. ٢ / ٣٩١.

(٤) ابن جني: سر صناعة الإعراب ، دراسة وتحقيق الدكتور: حسن هنداوي ، ط الأولى ، دار القلم ، دمشق ،١٤٠٥هــ.١ / ٩٢.

على لسان أبناء مكة المكرمة والمدينة المنورة وما جاورها، لتصبح " فين " فأبدلت الواو فاءً.

و ــ ترقيق "الرّاء " تُرقق "الرّاء" على لسان أبناء مكة المكرّمة في جميع صورها.

ز ــ إبدال" الذاء " "زاءً " في لسان أبناء مكة المكرّمة.

ح ــ إبدال "القاف" "غينًا " في لسان الكثير من أبناء قرى مكة المكرّمة.

ط ــ لزوم تنوين الضم مع جميع الأسماء وفي حالاتها الإعرابية المختلفة كما هو في لسان بعض قبائل زهران.

ك ــ يتخلص ــ في كثير من الاستخدامات ــ من صيغة التثنية، ويلجأ إلى صيغة الجمع " وصل الأولاد " والواصل ولدان فقط، وكذلك في عود الضمير عليهما، يعود بالجمع، وكأنّهم استغنوا عن صيغة التثنية بصيغة الجمع؛ تغليبا للكثير.

س ــ في منطقة الباحة تؤنّث كلمة "غلام" ثم تجمع جمع تكسير للدلالة على الإناث " غلايم "

ع ــ تحرِّك قبائل زهران في مدينة الباحة هاء ضمير الغائب بالفتحة في بعض المواضع " وينهَ " " رحتهَ " " سمعتهَ "

ف ــ شاع إشباع الضمة واوا في لسان أهل الباحة ــ وخاصة قرى بلجرشي ــ مثل " أخذتوها "[١]

---

(١) تنظر الظاهرة في: ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، المكتبة التجارية الكبرى. ١ / ٢٣ــ ٣١.

ص ــ تختلف حركة حرف المضارعة ،فأهل القرى يقولون (نَلعب) بالفتح ، وأهل المدن ــ القريبة من الحرمين ــ (نِلعب) بالكسر، وكذلك شاع في القرى (نِكْتِب) بكسر العين وهذه الظاهرة قديمة رواها الفرّاء ، وفي المدن (نُكتُب) بضمها،و(نِكتُب) بكسر حرف المضارعة وضم العين ، وهي كقراءة (نِعبُد)[١].

المستوى المعجم الدلالي:

الكلمات في اللهجة السعودية، أسماءً وأفعالاً فصيحة، ذات ارتباط وثيق، وصلّة مباشرة بألفاظ القرآن الكريم، والمعاجم اللغوية، فما نعتقده عامياً في أصله واستعماله، أو لهجيًا بحتًا خاصًا إنما هو لون من ألوان الثراء اللفظي، وقد تتبعته في المعاجم فوجدته ذا صلة ورحم بمادها.

مكة وما جاورها من القرى:

أولا: الأسماء.

(مَدق) أي: حجر. جاء في الصحاح: "والمِدق، والمِدقة: ما يُدق به، وكذلك المُدُق بالضم"[٢] وجاء في لسان العرب: "المُدق حجر يُدق به الطيب، ضم الميم لأنّه جعله اسمًا..... وقول رؤبة، أنشده ابن دريد:

يرمي الجلاميد بجلمود مِدق

---

(١) الفاتحة ٥. ينظر الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، القاهرة ١٤٠٧هـ.٢ / ٣٦٤.

(٢) الجوهري: الصحاح مادة (دقق).

استشهد به على أنّ المِدق ما دققت به الشيء"[١] وفي الكلام خصوص في جعل المُدق خاصًا بالحجر الذي يُدق به الطيب، ثم العموم في "المِدق" ما دققت به الشيء، فكأنّه من الحجر وغيره. والمستخدم منها على ألسنتهم لغة الكسر، وقد ذكرها الجوهري. ويُجمع في لسانهم (دوقي) و لم أجد له أصلاً يُردُّ إليه.

(البهم) صغار الضان والماعز، قال الجوهري: " البْهم: جمع بهمْة، وهي أولاد الضأن[٢].

(جَدُر) للحائط، هكذا تُنطق بفتح الجيم وضم الدال، وجاء في لسان العرب: "الجِدار: الحائط، والجمع جُدُر، وجُدران جمع الجمع.....الجَدْر والجِدار الحائط" [٣]. أمّا " جَدُر " بفتح الجيم وضم الدال ، فلعلها مزيج من المفرد " جَدْر " والجمع " جُدُر ".

(سموم) للريح تهب حارة، جاء في لسان العرب " السموم: الريح الحارة، تؤنث، وقيل: هي الباردة ليلاً كان أو نهارًا .... وفي حديث عائشة –رضي الله عنها– أنّها كانت تصوم في السفر حتّى أذلقها السموم، هو حرّ النهار"[٤].

وقال تعالى (والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم)[٥] قال ابن عبّاس: "السموم الريح الحارة التي تقتل، وعنه أنّها نار لا دخان لها " القشيريّ:

---

(١) ابن منظور: لسان العرب مادة (دقق).

(٢) الصحاح مادة (بهم).

(٣) لسان العرب مادة (جدر).

(٤) السابق مادة (سمم).

(٥) الحجر ٢٧.

وسمّيت الريح الحارة سموما لدخولها بلطفها مسامّ البدن[١].

(قوز) في ما ارتفع من الرمل، دون الجبل، جاء في لسان العرب: "القوز من الرمل صغير مستدير تشبَّه به أرداف النساء،... القَوز بالفتح: العالي من الرمل، كأنّه جبل، ومنه حديث أم زرع: زوجي لحم جمل غث، على رأس قوز وعث"[٢] وفي رواية "على رأس قُور وعث " والقور: العالي من الرمل كالجبل[٣].

(مقيل) للمكان تقيل فيه الماشية ظهرًا. جاء في لسان العرب: "والمقيل الاستراحة نصف النهار، إذا اشتدّ الحر، وإن لم يكن مع ذلك نوم والمِقْيل أيضًا: الموضع ..... والمَقيل: مِحلب ضخم يحلب فيه في القائلة"[٤]. فإذا جمعت المعاني الثلاثة: استراحة نصف النهار، والموضع، والحلب، كان استعماله في مكان قيلولة الماشية فصيحًا.

(زربة) في حظيرة الماشية، جاء في الصحاح: "الزَرْب والزريبة أيضًا: حظيرة للغنم من خشب،.... الكسائي: زربت للغنم أزرب زَربًا[٥]" وفي

(١) أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، ط الثالثة ، ١٠ / ٢٣، ٢٤.

(٢) لسان العرب مادة (قوز).

(٣) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير:منال الطالب في شرح طوال الغرائب ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، مكتبة الخانجي. ٥٤.

(٤) لسان العرب مادة (قيل).

(٥) الصحاح مادة (زرب) وينظر: الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث والأثر (زرب) ٢ / ١٠٩.

لسان ناطقيها تخفف من الياء بحذفها وتأنيث لها لتصبح " زربة " وتطلق عندهم على الحظيرة من خشب وغيره.

(طلي) في الضأن خاصَة " قال ابن السكيت: الطَلِيُ: الصغير من أولاد الغنم، وإنّما سُميّ طليًا لأنّه يُطلى، أي تشدّ رجله بخيط إلى وتدٍ أيامًا. وجمعه طُليان، مثل رغيف ورُغفان "[١]. فالفارق في الخصوص والعموم، فابن السكيت يجعله في صغار الغنم، ضأنًا كان أو ماعزًا، والمستعمل عندهم في الذكر من الضأن خصوصًا صغيرًا كان أو كبيرًا، ويجمعونه على "طليان" وهي الصيغة التي ذكرها ابن السكيت.

(الخريق) للأرض الواسعة تخترقها مياه السيل، يقول الجوهري: "والخَرْق: الأرض الواسعة تتخرّق فيها الرياح،....والخريق: المطمئن من الأرض وفيه نبات"[٢]. والأخيرة هي المستخدمة في لسانهم، وعلى الوصف نفسه.

(القمامة) جاء في لسان العرب: "والقمامة ك الكُناسة، والجمع قِمام، قال اللحياني: قُمامة البيت ما كسح منه، فألقي بعضه على بعض، وفي حديث فاطمة عليها السلام أنّها قمّت البيت حتى اغبرّت ثيابها "[٣].

(خبَل) بمعنى أحمق، وفي لسان العرب: "والخَبَل جودة الحمق بلا جنون"[٤].

(اللِبَّة) للخبز بشكل عام، وفي لسان العرب: "واللبّاب: طحين مرقق"[١].

---

(١) الصحاح مادة (طلا).

(٢) الصحاح مادة (خرق).

(٣) اللسان مادة (قمم).

(٤) السابق مادة (خبل)

ولعلها أُخذت من هذا المعنى.

(ضايق) أي غضب من أمر، أو شخص، يقول الحق تبارك وتعالى (فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك)[٢] قال الزمخشري: "وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء من البينات، فكان يضيق صدر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم "[٣]. والمعنى المستخدم فيها قريب من هذا.

(فرُّوجة) في الدجاجة الصغيرة، وجمعها (فراريج) جاء في لسان العرب: "والفرُّج: الفتي من ولد الدجاج، والضم فيه لغة... وفروجة الدجاجة تجمع فراريج "[٤].

(مفاتنة) للتي تغضب فتفارق بيت زوجها إلى بيت أهلها من غير طلاق، وفي لسان العرب: "والفتنة:اختلاف الناس بالآراء.... الفتنة: ما يقع بين الناس من القتال"[٥]. فلعلهم أخذوا "مفاتنة" من نتيجة ما يقع من القتال واختلاف الرأي.

(طاقة) في النافذة، وهي عند ابن منظور: "الطائق: إحدى خشبات الزورق"[٦].

= (١) السابق مادة (لبب).

(٢) هود ١٢.

(٣) الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار الباز للنشر والتوزيع ٢ / ٢٦٠، ٢٦١.

(٤) لسان العرب مادة (فرج).

(٥) لسان العرب مادة (فتن).

(٦) لسان العرب مادة (طوق).

ولعلّهم أطلقوا عليها طاقة لّما كانت تصنع من الخشب.

(مقام) في حفل الزفاف خاصة، يقول ابن منظور: "والمقام والمقامة: المجلس ..... ويُقال للجماعة يجتمعون في مجلس مقامة "[١].

(ورْع) وفي جمعه (ورعان) للصبية الصغار، قال ابن السكيت في الوَرَع بالتحريك: وأصحابنا يذهبون به إلى الجبان وليس كذلك، وإنّما الورع الصغير الضعيف الذي لا غناء عنده، يُقال: إنما مال فلان أوراع، أي صغار[٢].

(هرج) في الحديث، وأكثر ما يُقال في أحاديث النساء عند اجتماعهنّ، ويُسمّى مجلس الحديث "الهرجة" جاء في لسان العرب: "وهرج القوم يهرجون في الحديث إذا أفضوا به فأكثروا"[٣].

(خَوَل) تُقال في الاستنقاص من شخص، أو في شتمه، وجاء في لسان العرب: "الخَوَل: العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية"[٤]. ولعلّها انتقلت في لسانهم من الاسمية إلى الوصفية.

(زُقاق) في الطريق الضيق، على لسان أهل مكة، دون قراها، جاء في لسان العرب: "الزقاق: السكة يُذكّر ويؤنّث..... وقيل الزقاق الطريق الضيق دون السكة، والجمع أزقة وزُقان،.... وفي الحديث: من منح منحة

(١) لسان العرب مادة (قوم).

(٢) لسان العرب مادة (ورع)

(٣) لسان العرب مادة (هرج)

(٤) لسان العرب مادة (خول)

أو هدى زُقاقًا... يريد من هدى الضال أو الأعمى على طريقه"[١].

(حدج) نبات ثمرته تشبه البطيخ، وتفارقه بالحجم فهي أصغر "كصغار البطيخ" وفي الطعم فهي شديدة المرارة، جاء في لسان العرب: "والحدج الحنظل والبطيخ ما دام صغارًا أخضر قبل أن يصفرّ، وقيل هو الحنظل ما اشتدّ وصلُب قبل أن يصفرّ..... وفي حديث ابن مسعود: رأيت كأني أخذت حدجة حنظل فوضعتها بين كتفي أبي جهل[٢].

(حايه) في الريح الشديدة المثيرة للغبار، وأظن أنّها مأخوذة من (الحواة) وهو الصوت كالخواة[٣].

ثانيًا: الأفعال.

(أتْحرّى و أحتري) أي أنتظر، جاء في الصحّاح " تحرّى فلان بالمكان، أي تمكّث"[٤] وعلى هذا المعنى يُحمل قوله تبارك وتعالى (فأولئك تحرّوا رشدا)[٥] قال القرطبي" أي: قصدوا طريق الحق وتوخّوه ، ومنه تحرّي القبلة"[٦] وفي الحديث "تحرّوا ليلة القدر في العشر الأواخر"[٧]

---

(١) لسان العرب مادة (زقق).

(٢) لسان العرب مادة (حدج).

(٣) لسان العرب مادة (حوا)

(٤) الصحاح مادة (حرا).

(٥) الجن ١٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ١٧.

(٧) العسقلاني: أحمد بن علي محمد الكناني، التلخيص الحبير، مؤسسة قرطبة، ط الأولى، ١٤١٦هـ. ٢ / ٩٤٣.

(تطَنّز) أي تمزح أو تسخر، جاء في الصحاح: الطَنْز: السخرية. وطنَز يطْنِز فهو طنّاز، وأظنه مولّداً أو معرّبا[١].

وجاء في لسان العرب: "طنز، يطنز، طنزا: كلّمه باستهزاء، فهو طنّاز"[٢].

ويعلّق المستشرق يوهان فك على هذه الكلمة: "وهكذا نجد مثلاً الثروة اللفظية التي يستخدمها ابن النديم في كتابه الفهرست، الذي ألّفه سنة ٣٧٧هـ ، مولّدة في الكثير الغالب..... وطَنْز بمعنى مزاح "[٣].

هذه اللفظة لا زالت حيّة على لسان أبناء القرى المجاورة لمكة المكرّمة[٤]، وبالمعنى ذاته، وقد وردت عند ابن النديم في القرن الرابع الهجري، وذهب الجوهري إلى أنها مولّدة أو معرّبة، وليس بخاف أنّ العربية ألفت مجموعة من المفردات، وأدخلتها أسوار العربية، وأخضعتها لقوانينها، ولعل هذه اللفظة إحداها، أُجري عليها ما أُجري على غيرها من التعريب، وظلت حيّة بلفظها ومعناها.

"كبّ" أي: رمى، جاء في لسان العرب: "كبّ الشيء يكبه، وكبكبه، قلبه، وكبّ الرجل إناءه يكبّه كباً"[٥] إلا أنّ المعنى اتسع من قلب الإناء "ألقى

---

(١) الصحاح مادة (طنز).

(٢) لسان العرب مادة (طنز).

(٣) يوهان فك: العربية: دراسة في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة وتعليق رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، ١٤٠٠هـ ٢١٣.

(٤) قرى وادي فاطمة.

(٥) لسان العرب مادة (كبب)

ما فيه " إلى الإلقاء بشكل عام، هذا في مكة "حدود الحرم" أمّا فيما جاورها من قرى فإنّ المعنى الذي استُخدم فيه " الأصل " كبب" جعلها من الأضداد، فمعنى " كبّ " عندهم " ترك، وأبقى " يُقال " كبُه مكانه " أي اتركه في مكانه.

" شيل " " يُقال في عاميتهم: شيليها " أي: ارفعيها إليك ثم خذيها، وهذا قريب مما جاء في الصحاح: " شُلت بالجرة أشول بها شولاً: رفعتها، ولا تقل شلت " [١]. وفي لسان العرب: "وشال السائل يديه إذا رفعهما يسأل بهما "[٢] غير أنَّ المستخدم " شِلت " بالكسر، والتي قال فيها الجوهري " لا تقل "

(حط) يقال حطّها وحطّيها، بمعنى: ضعها، جاء في لسان العرب: "الحط الوضع حطّه يحطّه حطًّا فانحطّ والحط وضع الأحمال عن الدّواب ، تقول حططت عنها، وفي حديث عمر "إذا حططتم الرّحال فشدوا السروج"....... وحط الله عنه وزره، في الدُعاء وضعه" [٣]

(زقل) يُقال " ازقلها وازقليها " أي ارمها بلا مبالاة أو اهتمام، جاء في لسان العرب: "زوقل فلان عمامته: أرخى طرفيها من ناحية رأسه"[٤] ولكنّها لا تُستخدم في لسانهم بالواو أبدًا، ولعلّهم تخففوا منه بحذفه.

(طشّ) يُقال: طشها وطشيها، أي ارمها، وتخلّص منها، والطُشة داء

---

(١) الصحاح مادة (شول)

(٢) لسان العرب مادة (شول)

(٣) لسان العرب مادة (حطط)

(٤) لسان العرب مادة (زقل)

يصيب الناس كالزكام ، سُميّت طُشة لأنّه إذا استنثر صاحبها طشَّ كما يطش المطر، وربما كانت مأخوذة من هذا المعنى.

(أسرح) و(أضوي) بمعنى أذهب وأعود، و" أسرح" غالبًا ما تكون في الصباح خاصة، وكانت تُطلق على رُعاة الماشية ثم تطورت فأصبحت تطلق على كل خروج لعمل أو لغيره يُقال: "سرح بالغنم" ومنه في القرآن الكريم (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)[١] قال القرطبي: "وذلك في المواشي حين تروح إلى لمرعى وتسرح عليه والرواح رجوعها بالعشي من المرعى والسراح بالغداة "[٢]. أمّا " أضوي " فمأخوذ من الإيواء، ضويت إليه إذا أويت إليه[٣].

(شرد) بمعنى فرَّ، وهرب، وفي لسان العرب: شرد الرجل شرودا: ذهب مطرودًا[٤].

(يطالع) بمعنى ينظر، جاء في الصحاح: وطالعت الشيء ن أي اطّلعت عليه[٥].

(طلع) بمعنى صعد، وفي الصحاح: وطلِعت الجبل بالكسر، أي علوته[٦].

(يحيط) بمعنى يعلم ويدري، ونفيها (ما يحيط) وفي لسان العرب: وأحاط به:

---

(١) النحل ٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٧١.

(٣) الصحاح مادة (ضوا)

(٤) لسان العرب مادة (شرد)

(٥) الصحاح مادة (طلع)

(٦) الصحاح مادة (طلع)

علمه، وأحاط به علمًا[١]، قال تعالى (كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرًا)[٢]

(تُوْحِي) بمعنى تسمع، ولعلهم اشتقوه من " أوحيت إليه " أي تكلمه بكلام تخفيه[٣].

(ينشد عنه) بمعنى يسأل، جاء في لسان العرب: نشدته فأنشدني وأنشد لي أي: سألته فأجابني[٤].

(طرح) بمعنى ألقى ورمى، وفي الصحاح: طرحت الشيء إذا رميته[٥].

(دجّ) ولا تُقال إلا في السؤال عن الحج (حجيت وإلا دجيت) وكأنّ معناها ترك الحج والانشغال باللهو والعبث، وفي لسان العرب، أقبل الحاج والدّاج، والدّاج الأجراء والمكارين ونحوهم؛ لأنّهم يدجون على الأرض[٦].

(طرّ) بمعنى قطع، في الصحاح: وقد يكون الطر الشق والقطع[٧].

(طاح) بمعنى سقط، في لسان العرب: طاح يطيح طوحًا: أشرف على الهلاك، وقيل: هلك وسقط[٨].

(خلّيها) بمعنى اتركها، في لسان العرب: وخلّى الأمر، وتخلّى منه،

---

(١) لسان العرب مادة (حوط)

(٢) الكهف ٩١.

(٣) الصحاح مادة (وحى)

(٤) لسان العرب مادة (نشد)

(٥) الصحاح مادة (طرح)

(٦) لسان العرب مادة (دجج)

(٧) الصحاح مادة (طرر)

(٨) لسان العرب مادة (طوح)

وخالاه: تركه[١].

(هاوش) و(هواش) و(هوشة) أي خاصم وخصام، و(هاش عليهم) أي صاح عليهم بصوت مرتفع، فيه تعنيف، وفي الصحاح: الهَوشة: الفتنة والهيج والاضطراب[٢].

(أبطى وهومبطي) أي تأخّر، وهو من البطء، نقيض السرعة[٣].

(حوش، وحوشيها) أي: اجمعها لأتمكّن منها، وهو من: حشت الإبل، جمعتها وسقتها[٤].

بعض قرى الطائف:

أولاً: الأسماء.

(ظلع) أي جبل: وقيل: معنى قوله: ارق على ظلْعك أي تصعّد في الجبل وأنت تعلم أنّك ظالع لا تجهد نفسك[٥].

(مصلوقة) بمعنى مقلوبة، وفي حديث عمر رضي الله عنه: أنّه تصلّق ذات ليلة من الجوع، أي: تقلّب[٦].

(قِرى) للعرس ذاته، ولعله من باب تسمية الكل بالجزء، وقريت الضيف

(١) لسان العرب مادة (خلا)

(٢) الصحاح مادة (هوش) ينظر: الفخراني أبو السعود: اللهجات العربية في روايات غريب الحديث والأثر، ط الأولى ١٤٢٨هـ ٦٧

(٣) الصحاح مادة (بطأ)

(٤) لسان العرب مادة (حوش)

(٥) لسان العرب مادة (ظلع)

(٦) لسان العرب مادة (صلق)

أحسنت إليه[١].

(محوقة) بمعنى مكنسة، وفي لسان العرب: وحاق البيت يحوقه حوقًا: كنسه، والمِحْوَقة: المكنسة[٢].

ثانيًا: الأفعال.

(عان) و (تعيَّن) أي: انظر، ومادته عَيَن، والعيْن والمعاينة النظر، وتعيّنت الشيء: أبصرته[٣].

(أريتي) أي: رأيتي، قلب بتقديم العين على الفاء.

(هوس) بمعنى: نعسان، ولا تستعمل إلا بلفظ المضارع، وفي لسان العرب، الهوس، الطوفان بالليل، وهيس من هيس: نسري[٤]، ولعلّهم أخذوه منه.

(اطمر) بمعنى: قفز، وفي لسان العرب: طمر، وثب [٥].

(ادن) بمعنى: اقترب، ومنه قوله تعالى (ثمّ دنا فتدلى)[٦]

(انحاش) بمعنى: هرب أو فر، وفي حديث عمرو: وإذا ببياض ينحاش مني وأنحاش منه، أي ينفر مني وأنفر منه[٧].

(تطالب) بمعنى: تخاصم، ولعلّهم أخذوه من المطالبة، وهي أن تطالب

---

(١) الصحاح مادة (قرا)

(٢) لسان العرب مادة (حيق)

(٣) لسان العرب مادة (عين)

(٤) لسان العرب مادة (هوس) و (هيس)

(٥) لسان العرب مادة (طمر)

(٦) النجم ٨.

(٧) اللسان مادة (حوش)

إنسانًا بحق لك عنده ، ولا تزال تتقاضاه وتطالبه بذلك[١]

(ثّلي) بمعنى: قصي، ولعلّهم أخذوه من: ثل الشيء بمعنى هدمه وكسره[٢].

منطقة الباحة:

الأسماء:

في لسان منطقة الباحة (شارد) في المرأة تغادر بيت زوجها إلى بيت أهلها غضبى، جاء في لسان العرب: شرد البعير، والدّابة...نفر، فهو شارد[٣].

(القحم) بمعنى الشيخ الكبير، من اقتحمه العمر[٤].

(الصعيد) بمعنى الأرض، وهو من قوله تعالى (فتيمموا صعيدًا طيبًا)[٥]

(الرّكيب) بمعنى المزرعة، وفي لسان العرب:هي ما بين الحائطين من الكرم والنخل، وقيل هي المزرعة [٦].

(العراق) الحائط تُحدّد به الأرض الزراعية، قال ابن بري: وقد جاء العراق اسمًا لفناء الدار. وعراق الركيب حاشيته من أدناه إلى منتهاه[٧].

(قينة) بمعنى عبدة ، وفي لسان العرب ، والقين العبد[٨].

---

(١) لسان العرب مادة (طلب)

(٢) لسان العرب مادة (ثلل)

(٣) اللسان مادة (شرد)

(٤) لسان العرب مادة (قحم)

(٥) النساء ٤٣.

(٦) لسان العرب مادة (ركب)

(٧) لسان العرب مادة (عرق)

(٨) لسان العرب مادة (قين)

(صانع، صانعة) لمن يعمل في حرفة ممتهنة " اجتماعيًا " من الصناعة، وهي حرفة الصانع[١].

(باطن) أي أسفل، وفي التتريل (هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن)[٢] وتأويله ما روي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم في تمجيد الرب "اللهم أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء "[٣]

(عِربي) بمعنى أحد، ولا تستخدم إلا نفيًا، وهو قولهم (ما بالدار عريب ومُعْرِب) أي أحد ولا يُقال في غير النفي[٤].

(الضريب) أي الضباب، ولعلّهم أخذوه من "الضريب" بمعنى الصقيع والجليد[٥].

(سامط) أي بارد، والسامط: الماء المغلي، الذي يسمط الشيء، ولعلّهم جعلوه من الأضداد[٦].

الأفعال:

(يماري) أي يخاصم، ومنه قوله تعالى (فلا تمار فيهم إلاَّ مراءً ظاهراً)[٧]

(هب لي) أي: أعطني، ومنه قوله تعالى (وهب لنا من لدنك رحمة)[٨]

---

(١) الصحاح مادة (صنع)

(٢) الحديد ٣.

(٣) ينظر لسان العرب ١٣ / ٥٤. مادة (بطن)

(٤) لسان العرب مادة (عرب)

(٥) لسان العرب مادة (ضرب)

(٦) لسان العرب مادة (سمط)

(٧) الكهف ٢٢.

(٨) آل عمران ٨.

ولها استخدام آخر تكون فيه بمعنى وضع، ومن أهازيجهم "يستأهل اللي على بيت الحنش يهب إيده " فتكون من المشترك اللفظي.

(أبى) أي: رفض ، ومنه قوله تعالى (إلا إبليس أبى)[١]

(لِطي) أي: لصق، وفي لسان العرب: ولطئت أي لزقت، وقال الشماخ فترك الهمز " لطا بصفائح متساندات "[٢]

(طمى) أي: اختفى، وفي لسان العرب: طمى يطمي مثل طمّ يطمّ إذا مرّ مسرعًا[٣]. جعلوه بمعنى الاختفاء لأنّه من مقتضيات المرور السريع.

(ينقع) أي: يضرب الدُف. والنقع رفع الصوت[٤].

(تعوي) أي: تبكي، وتُقال عندما يكون البكاء مستقبحًا، ولعلهم قاسوه على ما جاء في حديث حارثة "كأنّي أسمع عواء أهل النار"[٥]

(يمش) أي: يتمخّط، وفي لسان العرب امْشُش مخاطك أي: امسحه[٦]

المستوى التركيبي:

أ ـــ في هذا المستوي ينحرف التركيب في اللهجة السعودية عن تطبيق القواعد النحوية ، فيتخفف من جميع الحركات الإعرابية.

---

(١) البقرة ٣٤.

(٢) لسان العرب مادة (لطا)

(٣) لسان العرب مادة (طما)

(٤) لسان العرب مادة (نقع)

(٥) لسان العرب مادة (عوي)

(٦) لسان العرب مادة (مشش)

ب ــ تجنح إلى إلزام المثنى الألف في كل حالاته الإعرابية، وكذلك جمع المذكر السالم، إذ تلزمه الياء في جميع أحواله.

ج ــ اختفت صيغة المبني للمجهول استغناء عنها بصيغة انفعل.

د ــ بعض المدن الجنوبية حافظت على ضمير الملكية المجرور بلام الجر " لي " مع سكون اللام، وبقية مدن المملكة استغنت عنه تماما، واستخدمت كلمة "حقي" للدلالة على الملكية.

هـ ــ تغلبت صيغة الجمع على صيغة التثنية، فأصبحت الأولى أكثر استعمالا من الثانية حيث تحل محلها في أكثر الاستعمالات.

و ــ في مدينة الباحة تتصل الأفعال بنون النسوة: يلعبنَ، العبنَ، لعبنَ، ومن أهازيجهم " العبنَ يا زينات تحت الحماطة " أمّا بقية مدن المملكة فتسوي بين المذكّر والمؤنث " البنات لعبوا وتعبوا "

ز ــ في المدن القريبة من مكة المكرمة والمدينة المنورة شاع استعمل الأفعال الخمسة محذوفة النون في جميع الحالات، رفعا، ونصبا، وجزما، وفي القرى والمدن البعيدة عن الاختلاط شاع العكس، أي إثبات النون معها في كل حالاتها الإعرابية.

ح ــ لزمت كلمة أبو، وأخو الواو في كل الحالات الإعرابية على لسان أبناء المملكة جميعا.

وهنا أقف وقفة لأقول: هل يمكن أن نقيس هذا على اللغة التي تلزم فيها الأسماء الستة الألف في كل الحالات ؟ ولو أنّ هذه اللغة سُمعت ونُقلت كما سُمعت تلك ونُقلت هل تحظى بالقبول وتحفظها كتب التراث

النحوي، وكتب اللغة ؟ وتلزم كلمة "حمو" الألف في كل الحالات، قياساً على لغة " إنّ أباها وأبا أباها"[١]

أمّا "فو" فلا تستخدم إلا متصلة بالميم عدا بعض قرى الطائف، تنطقها جمعا " أفواه "

ط ـــ لزم المثنى وجمع المذكر السالم الياء في كل الاستعمالات، دون مراعاة للحالة الإعرابية. والقول فيهما كالقول في الأسماء الستة، فيما لو جاء عن العرب لزوم الجمع اللياء، ولزوم المثنى الياء، كما لزم المثنى الألف على اللغة السابقة "إنّ أباها "

ك ـــ تحوّل" الذي" الاسم الموصول إلى " اللي " نائبًا عن جميع الأسماء الموصولة، في جميع مناطق المملكة ، وبعض سكان منطقة الباحة يستخدمون "الذي " بصورتها الفصيحة.

ل ـــ في لسان أهل المملكة ـــ عامة ـــ شاعت لغة " أكلوني البراغيث" " قاموا الطلاب: " ناموا الأطفال " وهي لغة طيء وأزد شنوءة.

م ـــ يصل أهل الباحة مفعولي " أعطى" بها ضميرين "أعطانيها" وظاهر كلام أكثر النحويين المساواة بين الاتصال والانفصال، وظاهر كلام سيبويه وجوب الاتصال[٢].

---

(١) ابن هشام الأنصاري: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الفكر، ط ٦ ، ١٣٩٤هـــ. ١ / ٤٦.

(٢) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ، ط ١٤١٤هـــ. ١ / ١٠٠.

ن ــ اختفت الحركات الإعرابية تماما[١]، وما بقي منها فهو ظواهر صوتية لهجية لا ارتباط له بالمعنى الإعرابي.

س ــ شاع في لسان أبناء منطقة الباحة استخدام " إنّه " كما هي في قول الشاعر " ويقلن شيبا قد علاك وقد كبرت فقلت إنّه " على معنى " إنّه كذلك "[٢] ولكنها بضم النون وسكون الهاء.

ع ــ اختزال بعض التراكيب، مثل " إيش " أي: أي شيء، ومن صوره أيضا حذف نون الأفعال الخمسة على لسان أبناء المدن في كل حال، و" إشبك " أي: أيّ شيء بك، و" ماني " أي ما أنا.

ف ــ إضافة ياء للفعل المضعّف عند اتصاله بتاء الفاعل، نحو " ظنيته " و" قصيته " في " ظننته " و" قصصته "

ص ــ تقصر اللهجة السعودية الأسماء والأفعال الممدودة مثل: جا في جاء، عميا في عمياء، وإن كانت بعض البيئات البدوية قد حافظت على المد في الأسماء دون الأفعال.

ق ــ وجاء في لسان أهل الباحة "ذا بافعل " أي: أنا في حال فعل الآن " الزمن المستمر " وتقابلها في لهجات الدن الأخرى " الباء " فقط " بالعب، بنلعب ".

في ختام هذه الدراسة أجدني قد خرجت بالنتائج التالية:

أنّ اللهجة بمفهومها الحالي تساوي العامية، وأنّ اللهجة في المملكة العربية السعودية تمثّل حالة من حالات اللغة الطبيعية حيث اعتراها ما يعتري غيرها من

---

(١) ينظر رمضان عبدالتواب: فصول في فقه اللغة، ط الثانية، مكتبة الخانجي ٨٠.

(٢) ينظر: سر صنعة الإعراب ٢ / ٤٩٢.

اللغات من عوامل ولكنها لم تخرج في أكثر مستوياتها عن الفصحى.

العربية في مدن المملكة العربية السعودية على المستوى الدلالي فصيحة، متصلة بلغة القرآن اتصالا واضحا، ضاربة في جذورها بالتراث اللغوي الثابت في المعاجم العربية.

من الصعب إحصاء مفردات اللهجة السعودية الفصيحة، وربطها بالاستعمال القرآني، أو تأصيل مادتها من المعاجم اللغوية في دراسة مختصرة كهذه؛ لكثرتها، وتعدد بيئاتها.

على المستوى الصرفي تعتريها بعض الظواهر الصوتية المعروفة لهجيا، وما طرأ عليها مما خالف المألوف إنما نشأ مرتبطا بمخالطة الوافدين إلى المملكة ـــ وخاصة ـــ مكة والمدينة، لأبنائها ومحاكاتهم للسانهم.

النمو اللهجي أسرع بكثير من التطور اللغوي، أو اللغة تقبل التغير والتحوُّل ، فتنشأ صورة جديدة لها، هي ما يُسمّى اللهجات.

نشوء العاميات على السنة أبناء اللغة كمرحلة من مراحل تطور اللهجات، وهذه المرحلة من التطور هي التي يحدث فيها الخلل وتبتعد عن الفصحى.

اللهجة في صراع دائم مع اللغة.

على المستوى التركيبي تتخلص اللهجات من مظاهر الإعراب تخفيفاً.

مفردات العربية المعربة بالحروف، لجأت الألسن إلى أقصى حالات التخفيف فيها، فاستعاضت بحرف واحد عن جميع الأحرف، وسارت عليه في جميع الأوجه الإعرابية.

تحتفظ اللهجات بالظواهر اللغوية من ترادف، واشتراك، وقلب، وإبدال.

يوجد عملية تكافؤ ــ تأثرا وتأثيرا ــ في اللهجات، فاللسان يتلقّف اللغة الأشيع في بيئته، فعندما ينتقل ابن البيئة المنعزلة إلى المدينة، يحاكي لسان أبنائها بعد فترة من الزمن، إلى أن تنتصر اللغة الطارئة، على لغته الأصلية، ويحدث العكس عندما يعيش ابن المدينة فترة بين سكان اللهجة المنعزلة بيئيا، فإنّه يتأثّر بلسانهم، ويتحوّل إليه.

يألف العقل الفصحى، ويستجيب لها استجابة سريعة، كما أنّ فهمها ونطقها لا يستعصيان على عربي غالبا، عكس اللهجة التي يقف فهمها ــ غالبا ــ على أبناء بيئتها.

أنّ اللهجات في البيئة السعودية غير منفصلة عن اللهجات العربية القديمة، أو على الأقرب عن اللغة العربية الفصحى بشكل عام، بدليل أنّ اللغة لا زالت حية، و لم يحدث لها كما حدث لبعض اللغات القديمة، حيث بادت واندثرت.

لا يُخشى على العربية من اللهجات، ولكنما عدوها الأوّل هو ما طرأ على أبناء العربية من التخلّي عن اللسان العربي واستبداله باللغات الأجنبية ،وإلحاق الناشئة منذ مراحل تعليمهم المبكرة بمدارس اللغات الأوروبية.

التوصيات

وأوصي من منطلق هذه الدراسة بـــ:

إحياء المفردات الفصيحة المندثرة، باستخدام المثقفين لها في دراساتهم، وبحوثهم، وأشعارهم، ومقالاتهم، وفي جميع مناحي حياتهم، الأدبية والعلمية.

إنشاء وحدة في كليات اللغة العربية السعودية تُعنى بجمع اللهجات العربية الفصيحة دلالة، وتركيبا، ثمّ نشرها ـــ استعمالا ـــ بحيث توجد حلقة اتصال بين هذه الوحدة ومعدي المناهج الدراسية، لتضمين المنهج الدراسة هذه المفردات، موّزعة على المراحل الدراسية.

تضمين أهداف المقررات الدراسية إحياء المفردات المرتبطة بتاريخ المملكة وتراثها؛ لأنّ اللغة لا تنفصل عن الإنسان: تاريخا، وحضارة، وتراثا.

تخصيص بعض المحاور في المهرجانات التراثية ـــ كمهرجان الجنادرية ـــ لإحياء هذه الصورة اللغوية السليمة.

تبني كليات اللغة العربية في الجامعات السعودية فكرة إعداد الحقائب التدريبية اللغوية ،لطلاب جميع المراحل التعليمية ، بدءا من رياض الأطفال، كلٌّ مرحلة بما يتناسب معها، بحيث تبدأ بالأناشيد الوطنية، والأبيات الشعرية ذات البحور القصيرة، وتتضمن الحث على إقامة بعض الشعائر الدينية، ومكارم الأخلاق، وما شابه ذلك.

السعي لتحويل الفصحى من لغة علمية إلى عادة نطقية، أو ظاهرة لهجية سائدة.

إدراك خطورة الصحافة العامية، مقروءة ومكتوبة، والعمل على الحد

منها تدريجياً، إلى أن تختفي وتحل محلها الفصحى.

تنقية العامية من الشوائب الموغلة في البعد عن الفصحى، وإعادتها إلى ساحتها، بالبحث عن الرابط بين الفصحى واللهجة.

ابتعاد الدراسات الأدبية والنقدية عن اعتماد اللهجات العامية في مادتها، أو إبرازها على ساحة الدرس العلمي.

إعادة الاتجاه نحو جمع اللغات كما هو في صورته القديمة، حيث يرتحل اللغويون إلى بيئات اللهجات، ويولونها جل اهتمامهم ورعايتهم، جمعًا وتصنيفًا.

العمل على توحيد اللغة، باستخدام جميع الألفاظ الفصيحة في وسائل الإعلام المختلفة، وتضمينها المناهج المدرسية.

المراجع

ـــ آل إسماعيل: نبيل محمد إبراهيم، علم القراءات، نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، ط الأولى، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤٢١هـــ.

ـــ الأنصاري: ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الفكر، ط ٦ ١٣٩٤ هـــ.

ـــ أنيس: إبراهيم، في اللهجات العربية، القاهرة ١٩٦٥م.

ـــ أنيس: إبراهيم، مستقبل اللغة العربية المشتركة،القاهرة ١٩٦٠ م.

ـــ أنيس: إبراهيم، من أسرار اللغة ، الطبعة السَّادسة ، ١٩٧٨م.

ـــ ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، منال الطالب في شرح طوال الغرائب، تحقيق محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي.

ـــ ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، المكتبة التجارية الكبرى.

ـــ ابن الجزري: محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـــ ابن جني: أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت: محمد علي النجّار، ط الثانية، دار الهدى للطباعة والنشر.

ـــ ابن جني: أبو الفتح عثمان، المحتسب، ت. علي النجدي ناصف وآخرين ١٣٨٦هـــ.

ـــ ابن خلدون: عبدالرحمن، الجزء الأوّل من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـــ ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية،

صيدا، بيروت ، ط ١٤١٤هـــ.

ــ ابن فارس: أحمد، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ت: مصطفى الشويمي،بيروت، لبنان، ١٣٨٢هـــ

ــ ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، ط الحلبي،١٩٥٤م.

ــ ابن منظور: جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، ط السادسة.

ــ بديع يعقوب: إميل، فقه اللغة العربية وخصائصها، ط الثانية، ١٩٨٦م.

ــ بروستاد: كرستن، قواعد اللهجات العربية الحديثة، ترجمة: محمد الشرقاوي، ط الأولى، ٢٠٠٣.

ــ تيمور: محمود، مشكلات اللغة العربية، ط النموذجية، القاهرة، ١٩٥٦م.

ــ الجوهري: إسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ط الرّابعة، دار العلم للملايين.

ــ حتي: فيليب، تاريخ العرب المطوّل، ترجمة فيليب حتي وآخرين، بيروت.

ــ حسَان: تمام، الأصول، عام الكتب، ط ١٤٣٠هـــ.

ــ حسَّان: تمام، مناهج البحث في اللغة، ١٤٠٠هـــ.

ــ الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، ٢تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، القاهرة ١٤٠٧هـــ.

ــ رابين: تشيم، اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، ترجمة الدكتور عبدالكريم مجاهد ، ط الأولى، ٢٠٠٢م.

- الراجحي: عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ط الثانية، ١٤٣٠هـــ.

ــ الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، بيروت، ١٣٨٥ هــ

ــ الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الثانية، دار المعرفة، بيروت.

ــ الزمخشري: جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل، دار الباز للنشر والتوزيع.

ــ السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الفكر.

ــ عبد التواب: رمضان، المدخل على علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هــ.

-عبد التواب: رمضان، فصول في فقه اللغة، ط الثانية، مكتبة الخانجي.

ــ عتر: حسن ضياء الدين، الأحرف السبعة ومترلة القراءات منها، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩ هــ

ــ العسقلاني: أحمد بن علي محمد الكناني، التلخيص الحبير، مؤسسة قرطبة، ط الأولى، ١٤١٦هــ.

ــ الفخراني:أبو السعود أحمد، اللهجات العربية في روايات غريب الحديث والأثر، ط الأولى ١٤٢٨هــ.

ــ فريحة: أنيس، نظريات في اللغة، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣م

-فندريس: اللغة، تعريب عبدالحميد الدواخلي، محمد القصَاص، ١٩٥٠م.

ــ مالك مسلماني: هادي العلوي معجمياً، بغداد، ١٩٣٢م ــ دمشق ٦ / أيلول ١٩٩٨م.

مختار: أحمد، عبدالله سالم مكرم، ط الثانية، جامعة الكويت، ١٤٠٨هـ

ــ م لويس: اللغة في المجتمع، ترجمة الدكتور تمام حسَّان، عالم الكتب، ط ١٤٢٣هـ.

ــ الموسوعة الفلسفية مادة: اللغة؛ ب. يو. نورمان، اللغة: الصديق المجهول مينسك، ١٩٨٧ م ٢٢، نقلاً عن:

الموسوعة الفلسفية، موسكو، ١٩٨٣م، مادة: اللغة. معجمياً، بغداد، ١٩٣٢م.

ــ هلال: عبدالغفار حامد، اللهجات العربية نشأة وتطورا، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

ــ النادي: محمد أسعد، فقه اللغة مناهله ومسائله، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ، ٢٠٠٩م.

ــ وافي: علي عبد الواحد ، علم اللغة ، القاهرة ،١٩٦٢م.

فهرس الموضوعات

التصحيح اللغوي في كتاب الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري وأثره في مقاومة لحْن العامّة

إعداد

د . فايز صبحي عبد السلام تركي

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

تمهيد:

الحمد لله، فَتَق العقول بمعرفته، وأطلق الألسن بحمده وتسبيحه، وجعل ما امتن به من ذلك على خَلْقه كفاءً لتأدية حقِّه، والصلاة والسلام على أشرف رسله وأنبيائه وعلى آله وأصحابه الذين حفظوا القرآن، وحافظوا عليه من التبديل والتحريف؛ ومن ثَمَّ الحفاظ على لغته، فكانوا أعلامًا يُهتدَى بهديهم، أمَّا بعدُ: فإنَّ اللُّغة العربية لها من القدْر والشَّرف والرِّفعة في نفوسنا ما يعجز الوصف عنه أو يحيط به مِداد، ذلك أنَّها اللُّغة التي شرَّفها المولى – عزَّ وجلَّ – بأنْ تكون لغةَ كتابه، القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خَلْفِه، تلك اللغة الفصحى التي استعملها أهلها قبل تقعيدها مُستخدمين سليقتهم اللُّغوية في التواصل فيما بينهم، إلى أنْ كان نزول القرآن الكريم، فكَثُرَت حوله الدراسات في شَتَّى الجوانب، خادمةً له؛ من منطلق قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر٩، ومن ثَم كان التقعيد لهذه اللغة، بناء على جَمْعها من البوادي واستنطاق أهلها، ومن ثَمّ تدوينها، فكان كتاب سيبويه ومعاجم الموضوعات ومعاجم الألفاظ، وغير ذلك من الكتب التي سعت إلى الحفاظ على لغة القرآن والاهتمام بها في إطار حِفْظه.

ولَّما توسّعت الدولة الإسلامية بانتشار الإسلام هنا وهناك، ترتَّب على ذلك اختلاطُ العرب بغيرهم، ودخول غيرهم فيه، وهو ما أدّى إلى تحريف العامية للعربية الفُصحى، ذلك التحريف- أو (اللَّحْن)- الذي فشا وكَثُر

على ألسنة العامة ثُم تسرّب بمرور الوقت إلى ألسنة الخاصة أيضًا، من المُحدِّثين والفقهاء وغيرهم، فكان تتابُع الكتب التي تُقَوِّم لَحْنَ الخاصة بمرور الوقت[١]، ممَّا ترتّب عليه ظهور ما يُسمى بحركة التَّصحيح اللُّغويّ أو ما اصطُلِح عليه بلَحْن العامة، وتوالت المؤلفات في هذا الشَّأن.

هذا، ويكاد الإجماع يكون على أنَّ أول مَن خصّص مؤلَّفًا لذلك- عندما شاع اللَّحْن في القرن الثَّاني الهجري في العراق، وامتد إلى كثير من البلاد العربية بحلول القرن الرابع الهجري[٢]_هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائيّ (١١٩ - ١٨٩هـ)، في كتابه (ما تلحن فيه العامَّة)، ثُمَّ كان إصلاح المنطق لابن السِّكِّيت (ت٢٤٤ هـ)، وأدب الكاتب لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، والفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ)، وغير ذلك من الكتب التي أحصاها أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه (لَحْن العامة والتَّطوُّر اللُّغويّ)، والدكتور عبد العزيز مطر، في كتابه (لَحْن العامة في ضوء

(١) من هذه الكتب: إصلاح غلط المُحدِّثين للخطَّابي، ت٣٨٨ هـ، وغلط الضُّعفاء من الفقهاء لابن بري المتوفى ٥٨٢ هـ.

(٢) يُنْظَر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللُّغوية الحديثة، صـ ٥٧ وما بعدها، وتحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات صـ٣، واللغة والنحو صـ ١٦٣–١٩٧، ومصنفات اللَّحْن والتثقيف اللُّغوي حتَّى القرن العاشر الهجري، صـ ٥٥.

الدراسات اللُّغوية الحديثة)[١]، وغيرهما من العلماء؛ ومن ثَمَّ تعدَّدت القراءات لتلك الكتب التي اهتمت برَصْدِ ملامح اللَّحْن في اللغة وتصويبه ابتغاء مقاومة لَحْن العامة والخاصة أيضًا.

وهنا يحضرني قول الدكتور شوقي ضيف: "وكلُّ هذه المؤلفات تحاول تصحيح نُطْق العوام لألفاظ العربية في البلدان المختلفة، بحيث تخلِّصها من كلِّ ما دخل عليها من تحريف، وتُصَوِّب كلَّ ما شابها من اللَّحْن"[٢]. وفي إطار تعدُّد هذه القراءات كان إسهام الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في خدمة الفصحى واستنهاض الهِمَم؛ من أجل التأكيد على الهوية العربية والحفاظ عليها، من منطلق مكانة المملكة العربية السعودية العالمية ودورها الرِّياديّ في خدمة القضايا الإسلامية والثقافة العربية الأصيلة.

وتفعيلاً للإسهام في خدمة الفصحى لُغَةِ القرآن الكريم والسنة

---

(١) للدكتور أحمد محمد قدور رأي مخالفٌ للقدماء من أصحاب هذه المؤلفات، مفاده أنَّه لا ينبغي النَّظر إلى تلك المستويات الدُّنيا من الاستعمال اللُّغويّ بمعزلٍ عن الفصحى؛ ومن ثَمّ محاولة إلحاق ما يمكن إلحاقه بالفُصحى، وهو رأي– في تقديري– له وجاهته في ضوء التطور اللُّغوي، لكن ثَمّة أخطاء لا يمكن إلحاقها بالفصحى في ضوء ما اختطه، ينبغي التنبيه عليها؛ من أجل عصمة اللسان، على نحو ما أشار من وجود انحراف في جوانب اللغة الصَّوتية، والصَّرفية، والنَّحوية، والدَّلالية: يُنْظَر: مصنفات اللَّحْن والتثقيف اللُّغوي، ص ٦ – ١٣.

(٢) يُنْظَر: تحريفات العامية للفصحى ص٤، والإعراب ومشكلاته(١) ـــ ١٥٤– ١٦١، واللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة ١٧– ٥٨.

النبوية المُطَهّرة والتراث الإسلامي الزاخر بكنوز المعرفة، كان إعلان الجامعة الإسلامية – بالمدينة المنورة – عن مؤتمر (اللغة العربية ومواكبة العصر) بمبادرةٍ من كلية اللغة العربية خلال شهر جمادى الأولى من عام ١٤٣٣ هـــ – ٢٠١٢ م، ذلك المؤتمر الذي خُطِّط له – على نحو ما جاء بمطويته – السَّعي إلى تأصيل الهوية اللغوية العربية وترسيخها، ومناقشة حال العربية، وما يعترض سبيلها من تحديات مختلفة، كزَحْفِ العامية وتعدُّد اللَّهجات وغزو اللُّغات الأخرى؛ ومن ثَمَّ محاولة تلمُّس السُّبل التي تنهض باللغة العربية، وتجعلها مواكبةً لمتطلبات العصر الحاضر، وذلك بالانفتاح على معطياته والإفادة من الدراسات اللُّغوية المعاصرة، فيما يثري اللغة، ويقرِّبها للمتلقي دون التنازل عن ثوابت الهوية اللُّغوية الأصيلة.

ولّما كانت كتب التصحيح اللُّغوي قد أتى عليها السَّابقون واللاحقون، ولّما كانت الخلفية الثقافية تشير إلى عدم اقتصار التَّصحيح اللُّغوي على ما وُضِعَ من مؤلَّفاتٍ مُخصَّصةٍ لمقاومة لَحْن العامة والخاصة- بل على نحو ما حوت بطون المعاجم والمصادر اللُّغوية بعضًا من هذه الملامح – فقد كان التوجُّه إلى التنقيب في هذه المصادر، علَّنا نجد من بينها ما يمكن تسليط الضوء على ما به من تصحيحٍ لُغويّ، وبإمعان النَّظر – وفي ضوء ما لديّ من معطياتٍ سابقة – وقع اختياري على عالم من علماء اللغة عاش في القرنين الثَّالث والرَّابع الهجريين، إنَّه أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٢٧١ –٣٢٨ هـــ)، وكان النظر في كتابه (الزَّاهر في معاني كلماتِ النَّاس)، فكان مصدرًا لهذا البحث، بناءً على عدة أمور، أولها: أنَّه توجد قناعةٌ لدى الباحث بأنَّ التصحيح اللُّغويَّ لا يقتصر على

ما وضع من كتب، خُصِّصت لمقاومة لَحنْ العامة، بل إنَّ محاربة هذا اللَّحْن تكفّلت به أيضًا كُتبُ اللغويين والنُّحاة القدامى ومعاجمهم؛ ومن ثَمَّ ينبغي النَّظر فيها، وثانيها: أنَّه كانت لي وقفةٌ سابقةٌ مع هذا الكتاب(١)، تبيَّن من خلالها اهتمامُ ابن الأنباري بمقاومة لَحْنِ العامة كلَّما أمكنه ذلك، فقد عَقَدَ كتابه لشَرْح ما يجري بين الناس من كلامٍ في الحياة الدينية والدنيوية، مشيرًا إلى أنَّه سيُتبِع ذلك ببيان ما تستعمله العوام في أمثلتها ومحاوراتها من كلام العرب، وهي غير عالمةٍ بتأويله، ثُمّ ذكر أنَّه لن يُخليه ممّا يستحسن إدخاله فيه من النحو والغريب واللغة والمصادر والتثنية والجمع؛ ليكون مشاكلاً لاسمه، أي لاسم الكتاب(٢). أمَّا آخر هذه الأمور، فيكمن في شهادة محقِّقه الدكتور حاتم صالح الضامن – تلك الشهادة التي لا تنفكُّ عن الحقيقة – أنَّ ابن الأنباري " ينبِّه كثيرًا على أقوال العامة وأخطائهم، وهو بهذا يُعتبر من كتب التَّصويب اللُّغويّ"(٣)، وبناء على ذلك فقد ابتُغي الوقوف على تلك التنبيهات في هذا الكتاب وتحليلها في ضوء

---

(١) كان ذلك من خلال بحثي الموسوم بـــ "ملامح الدرس الصوتي وعلاقته بالدلالة في كتاب الزَّاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري"، وهو البحث الذي شاركت به في المؤتمر الدولي الرَّابع للصوتيات العربية (اللُّغة أصوات)، بمجمع اللغة العربية، بليبيا في الفترة من ١٧ –١٨ /٥/٢٠٠٩: يُنْظَر: المؤتمر الدولي الرَّابع للصوتيات العربية (اللُّغة أصوات)، ٢/ ٢١٧ – ٣٠٠.

(٢) يُنْظَر: الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس ١ / ٣، ومقدمة التحقيق صـــ ٤١، والمؤتمر الدولي الرَّابع للصوتيات العربية (اللُّغة أصوات)، ٢/ ٢٢٢ – ٢٢٣.

(٣) مقدمة تحقيق الزَّاهر صـــ ٤٨.

مُعطيات الدَّرس اللُّغوي، علَّها تكون موجِّهًا إلى مثله من الكتب؛ لاستكناه محتواها، ومن ثَمَّ الإسهام فيما يُبذل من جهودٍ، غايتها تأصيل الهوية اللغوية العربية وترسيخها، ومحاولة تلمُّس السُّبل التي تنهض باللغة العربية، وتجعلها مواكبةً لمتطلبات العصر الحاضر، ومن ثَمَّ كانت رغبة الإسهام في هذا المؤتمر الميمون المُشار إليه آنفًا، في إطار محوره الثَّاني "اللهجات والتَّأصيل اللُّغويّ" المُتضمِّن عنصر التَّصحيح اللُّغويّ وأثره في مقاومة لَحْن العامة، من خلال هذا البحث الموسوم بـــ "التَّصحيح اللُّغويُّ في كتاب الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس لابن الأنباريّ وأثره في مقاومةِ لَحْن العامة". وهو ما استلزم الاعتماد على المنهج الوصفي التَّحليليّ المبنيّ على إحصاء مواضع التصحيح وتصنيفها، ومن ثَمَّ وصْفها وتحليلها في ضوء معطيات الدرس اللُّغوي، قديمِه وحديثِه، ولَمَّا كان ذلك كذلك، فقد استقريت الكتاب مرة أخرى، وهو ما ترتب عليه تقسيم البحث على تمهيد - هو ما نحن بصدده - وأربعة مباحث، أولها للتَّصحيح الصوتيّ، وثانيها للتَّصحيح الصَّرفيّ، وثالثها للتَّصحيح النَّحويّ، ورابعها للتَّصحيح الدَّلاليّ، وتُوِّجت هذه المباحث بعد ذلك بخاتمةٍ، تضمّنت أهم النتائج العامّة التي توصلت إليها، وما أردت من توصيات - بالإضافة إلى ما اكتنفته صفحات البحث على مدار التحليل من نتائج جزئية - مُنْهيًا إيّاه بقائمة المصادر والمراجع، وذلك فيما يلي:

المبحث الأوَّل: التصحيح الصوتي:

جاءت ملامح التَّصحيح الصَّوتيّ في كتاب الزَّاهر مُنحصرةً في الخروج على الأصوات العربية، وتصحيح ما تغيرت حركته، والتَّخفيف والتَّشديد، وفيما يلي عرضٌ لهذه الأمور:

أولاً – تصحيح الخروج على الأصوات العربية:

أ_ الخروج على الأصوات العربية بالإبدال:

جاءت مواضع التَّصحيح أو التنبيه على الخطأ فيما يتَّصل بالخروج على الأصوات العربية بإبدال صوت بصوت آخر في سبعة مواضع من كتاب الزَّاهر، بين الخاء والغين، وبين الثاء والذال، وبين الدال والذّال، وبين الشِّين والهاء، وبين الصاد والسِّين، وبين الكاف والقاف[1]، وذلك من جملة ملاحظ الإبدال الصوتي الواقعة في الكتاب، والبالغ عددها اثنين وثلاثين موضعًا[2]، ففيما يتصل بتصحيح ما وقع فيه الإبدال بين الخاء والغين – على سبيل المثال – أشير إلى أن ذلك كان في موضعين، نحو تعليق ابن الأنباري على قولهم: (أباد اللهُ خَضْراءَهُم) قال: "قال

(١) يُنْظَر: الزاهر ١ / ١٨٤ ، ١٩٠ –١٩١ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ ، ٤٠٨ ، ٤١٢ ، ٢ / ٣٣٣.

(٢) يُنْظَر: الزَّاهر في:١ /١٥، ٢٥ ،٢٧ ، ٣٥–٣٦ ، ٨٢ ، ١٢٩ ، ١٦٠،٢٦٩، ٣٠٢، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٤٥،٣٥٥، ٣٦٨، ٣٧٩ ، ٤٠٨، ٤١٢، ٤٤٧، ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٦، ٤٧٤، ٤٧٩، ٢ / ٤٦، ٦٥، ١٦١، ٢٠٢،٣٣٢، ٣٤٧،٣٧٢، ٣٨٦، ٣٨٧ ، وملامح الدرس الصَّوتي وعلاقته بالدلالة في كتاب الزَّاهر ص ٢٢٧.

أبو بكر: روى سهل بن محمد السجستاني عن الأصمعي أنَّه قال: يُقال: أباد الله غَضْراءهم، أي خيرهم وغضارتهم، قال: ولا يُقال: خضراءهم، قال: والغَضْراء طينةٌ عَلكةٌ خضراء، يُقال: أنْبَط الرَّجل بئره في غضراء، قال: وقال الأصمعي: هذا أصل الحرف، قال: ويُقال: قومٌ مغضورون: إذا كانوا في خيرٍ ونِعْمة، قال الأصمعيُّ: والخضراء في غير هذا اسمٌ من أسماء الكتيبة "(١)، فابن الأنباريّ في هذا النَّصِّ قد ألمح – فيما رواه عن سهل بن محمد السجستاني عن الأصمعي – إلى أنَّ كلمة (خضْراَءهُم) من قول النَّاس: (أباد اللهُ خَضْراَءهُم) غير صحيحة، والصواب أنْ يُقال (أباد الله غَضْراءهم) بالغين، أي خيرهم وغضارتهم؛ ومن ثَمَّ لا يُقال: خضراءهم، حيث إنَّ الأصل بالغين – على نحو ما قال الأصمعيّ – ولذلك يُقال أيضًا: قومٌ مغضورون: إذا كانوا في خيرٍ ونِعْمة. ولَمَّا كان الإبدال الصوتيّ – الذي يُسمى في الدرس الصوتي بالمغايرة Dissimilation، التي هي نقيض المماثلة Assimilation(٢)– له أسباب كثيرة، تكمن في الاختلاف اللَّهجي، والتَّطور

(١) الزاهر ١ / ١٩٠– ١٩١، ويُنْظَر به أيضًا ٤٠٨/١، وملامح الدرس الصَّوتي وعلاقته بالدلالة في كتاب الزَّاهر صـ ٢٣٩ -٢٤٠.

(٢) يُنْظَر: مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي ص ٥٣، ومنهج ابن هشام في شرح بانت سعاد ص ١٩، وظاهرة المخالفة الصوتية وأثرها في نمو المعجم العربي ص ٢٤٢، والدراسات اللغوية عند ابن مالك بين فقه اللغة وعلم اللغة ٢٣٩ – ٢٥٦، ومستويات التَّحليل اللُّغوي صـ ٣٩ – ٥٤، وملامح الدرس الصوتي وعلاقته بالدلالة في كتاب الزَّاهر صـ ٢٢٥.

الصَّوتيّ، والتَّصحيف والتَّحريف، وكثرة الاستعمال[١]، ويُضاف إلى ذلك أخطاء العامة، على نحو ما أورده ابن الأنباريّ في نصِّه السَّابق، فقد أدَّى ما بين الخاء والغين من اتحادٍ في المخرج وبعض الصفات إلى صِحة الإبدال[٢]، وعلى الرَّغم من ذلك فإنَّ الإبدال هنا يعدُّ من أخطاء العامة التي يجب التنبيه عليها، فكان تنبيه ابن الأنباري من خلال رأي الأصمعي، لكنَّه لم يوضِّح موقفه من هذا التَّصويب، وهنا أُشير إلى أنَّه لَمَّا كانت الغُضرة والغَضْراءُ:الأرض الطِّيبة العَلِكة الخضراء، والغضارة:النِّعمة والسَّعة في العيش[٣]، فإنَّني أُرجِّح أنْ يكون الأصل (أباد الله غضراءهم)، ولاسيّما أنَّ ابن فارس قال"الغين والضاد والراء أصلٌ صحيح، يدلُّ على حُسْنٍ ونَعْمة ونَضْرة. من ذلك الغَضَارة: طيبُ العَيش: ويقولون في الدُّعاء:أبادَ الله تعالى غَضراءهم، أي خَيرهم وغضارتهم. قال عبد الله بن مُسلم: أصل الغَضْراء طِينةٌ خضراءُ عَلِكة. يقال:أَنْبَطَ بئْرَه في غَضْراءَ، ويقال: دابّةٌ غَضِرةُ النَّاصية. إذا كانت مباركة "[٤] أمَّا "الخاء والضاد والراء أصلٌ واحد مستقيم، ومحمولٌ عليه. فالخُضرة من الألوان معروفة. والخَضْراء: السَّماء، لِلَونها، كما

---

(١) يُنْظَر: الخصائص ٢/٨٦، ومعاجم الموضوعات صـ ٢١٥، ومستويات التَّحليل اللُّغوي صـ ٤٩ – ٥١.

(٢) حول الإبدال الصوتي وشروطه يُنْظَر:الخصائص ٢ / ٨٤، والمخصّص١٣/ ٢٧٤، ولسان العرب،(حثث)، و الإبدال اللغوي في ضوء علم اللغة الحديث ص ٤١ ، والإبدال للدكتور محمد نايل ص ٢٢٧ – ٢٢٩.

(٣) يُنْظَر: لسان العرب (غضر).

(٤) مقاييس اللغة (غضر).

سُمِّيت الأرضُ الغَبراء. وكتيبةٌ خضراءُ، إذا كانت علِيْتُها سواد الحديد، وذلك أنّ كلَّ ما خالَفَ البياضَ فهو في حَيِّز السَّواد؛ فلذلك تداخلت هذه الصفاتُ، فيسمى الأسودُ أخضَر"[١]، فلمَّا كانت الغين والضاد والراء أصلٌ صحيح، يدلُّ على حُسنٍ ونَعْمة ونَضرة، رجّحنا كون مادة (غضر) الأصل في قولهم (أباد الله غضراءهم)، وهو ما يُضاف إليه إتباع كلمة (غَضِر) بمَضِر، في قول ابن منظور:"وقومٌ مَغْضورون إذا كانوا في خيرٍ ونِعْمَة. وعيْشٌ غَضِرٌ مَضِرٌ، فغَضِرٌ ناعمٌ رافهٌ ، ومَضِرٌ إتباع، وإنَّهم لفي غَضارةٍ من العيش وفي غَضراءَ من العيش ، وفي غَضَارة عَيْشٍ ، أي في خِصْبٍ وخير"[٢]، ثُمَّ شاع الاستعمال الثَّاني بجانب الأول نتيجة الإبدال ، فقيل هم في غضراء عَيْشٍ، وخضراء عيشٍ، ولاسيّما أنَّ الزَّمخشري قد جعل الثَّاني من المجاز[٣].

وفيما يتصل بتصحيح ما وقع فيه الإبدال بين الثَّاء والذال أيضًا، أشيرُ إلى أنَّ ذلك كان في تعليقه على قولهم: (رجلٌ شَحّاثٌ) قال: "قال أبو بكر: هذا ممّا يُخطئ فيه العوام، فيقولون بالثاء. والصواب:رجل شحّاذ، بالذال، وهو المُلِحُّ في مسألتة، من قولهم:قد شَحَذَ الرجلُ السَّيف: إذا أَلَحّ عليه بالتحديد، فالمُلِحُّ في المسألة مُشبّهٌ بهذا، ويُقال: سيفٌ مشحوذٌ، وشفرةٌ

---

(١) السَّابق (خضر).

(٢) لسان العرب (غضر).

(٣) يُنْظَر:تهذيب اللُّغة، وتاج العروس (خضر، غضر)، والغريب المصنف ٥٥٠.

مشحوذة"[١]. فقد أشار ابن الأنباريّ إلى أنَّ قول العامة: (رجلٌ شحاثٌ) بالثَّاء من غير الصحيح صوتيًّا ، حيث إنَّ الصواب: رجل شحّاذ، بالذال، وهو المُلِحُّ في مسألتة، من قولهم:قد شَحَذَ الرجلُ السَّيف: إذا أَلحّ عليه بالتحديد؛ لعلاقة المشابهة بين المُلِحُّ في المسألة وشَحْذِ السَّيف. وهنا أشير إلى أنَّ ثَمّة علاقةً صوتية بين الثَّاء والذال، قد ساعدت العامة على ارتكاب مثل هذا الخطأ؛ ذلك أنَّ الثَّاء صوتٌ يُنطق بوقوع ذلق اللسان بين الأسنان العليا والسُّفلى، مع السماح للهواء بالتَّسرُّب، وهدوء الحبلين الصوتيين، أمَّا الذال فصوتٌ يُنْطق من بين أطراف اللسان وأطراف الثنايا؛ ومن ثم فهو صوتٌ أسناني، ممَّا يؤكِّد اتحادهما في المخرج،ذلك الاتحاد الذي يُضاف إليه أنَّهما متفقان في معظم الصفات؛ فالثاء صامتٌ، أسنانيٌّ، رخوٌ، مهموسٌ منفتحٌ، والذَّال صامتٌ، شفويٌّ، أسنانيٌّ، رخوٌ، مهموسٌ، منفتحٌ[٢].

ولذلك نرى الزَّبيدي يشير إلى الحديث (هَلُمِّي المُدْيَةَ فاشْحَثِيهَا بحَجرٍ) بمعنى حُدِّيها وسُنِّيهَا، وأنَّه يُقال بالذّال، وأنَّ قولهم: (الشَّحّاثُ) للشَّحِّاذِ من لَحْنِ العَوَامِّ) مُشْكِلٌ، وإِن قال ابنُ بَرِّيّ: إِنّهُ مُحَرَّف مِن شَحَّاذ، فقدَ صَحَّحَ غيرُ واحِدٍ لفْظَ شَحّاثٍ، وأَوضَحَ كونَه لُغَةً صحيحةً، على أَنّه من الإِبدال، فإِنّ

(١) الزَّاهر١ / ٤١٢، ويُنْظَر:لسان العرب (شحذ)، وهنا أشير إلى انَّ العامية المصرية – على سبيل المثال لا تنطق كلمة(شحاذ) بالثاء أو الثاء، بل تقول (شحات) بالتاء، وهذا خطأٌ أيضًا: يُنْظَر تحريفات العامية للفصحى صـــ ١٢٨.

(٢) يُنْظَر: سر صناعة الإعراب ١٧١/١ -١٧٤، ١٨٩ -١٩٠، وعلم الأصوات للدكتور كمال بشر ١٨٣، ١٨٧، ١٨٨.

الذّالَ تُبدَلُ ثاءً بلا غَلَط فيه ولا لَحْنٍ،وصَرَّح به الخَفَاجِيُّ في العِنَايَة وغيرُهُ، وفي الأَساس: رجُلٌ شَحّاذٌ: مُلِح في مَسْأَلَته[1]، وعلى الرَّغم من ذلك فإنَّني أُرجِّح قول ابن الأنباري بأنَّ الصحيح (شحاذ)، ولا سيّما أنَّ ابن فارس قال: "الشين والحاء والذال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خِفَّة وحِدّة، من ذلك شَحَذْتُ الحديدَ، إذا حَدَّدتَه، ويقال إنَّ المشاحيذ رؤوس الجبال، وإنّما سمِّيت بذلك للحِدَّة التي ذكرنَاها، ومن الخِفّة قولهم للجائع: شَحْذان، ويقال إنَّ الشحْذان الخفيف في سَعْيه"[2]، ولا وجود لمادة شحث في مقاييسه.

ب – تصحيح ما حُذف منه صوت:

تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الحذف يدخل مستويات اللغة كلِّها، وله أسبابٌ متعدِّدة، منها كثرة الاستعمال، وطول الكلام، والحذف لما يُسمَّى بالضرورة الشعرية (لُغة الشِّعر)، والحذف للإعراب، والحذف للتركيب، والحذف لأسباب قياسية صرفية أو صوتية، نحو التقاء الساكنين وتوالي الأمثال...إلخ، والحذف لأسباب قياسية تركيبية (نحوية)[3]، ويمكن أنْ يُضاف إليها أخطاء العامة، وفيما يتَّصل بالتَّصحيح الصَّوتيّ فيما حُذف منه حرفٌ في كتاب (الزَّاهر) أشير إلى أنَّ ذلك لم يرد إلاَّ في موضعٍ واحد، في سياق تعليقه على قولهم: (فلانٌ من أهل مصر) مُتدرِّجًا إلى قوله: "والحجاز

---

(١) يُنْظَر: تاج العروس (شحذ).

(٢) مقاييس اللغة (شحذ).

(٣) يُنْظَر: ظاهرة الحذف في الدَّرس اللغويّ صـ ٣١ – ٩٤، والحذف التَّركيبيّ وعلاقته بالنَّظم والدلالة صـ ٢٠- ٢٣.

فيه وجهان: يجوز أنْ يكون الحجاز مأخوذًا من قول العرب: قد حجز الرَّجل بعيره، يحجزه: إذا شدَّه شدًّا، يُقيِّده به، ويُقال للحبل حجاز، ويجوز أنْ يكون الحجاز سُمِّي: حجازًا؛ لأنَّه احتجز بالجبال، يُقال: قد احتجزت المرأة: إذا شدَّت ثيابها على وسطها، واتّزرت، ويُقال: هي حُجْزَةُ السَّراويل، والعامة تُخطئُ، فتقول: حُزَّة السَّراويل"[١]، وهو ما يتَّضح من خلاله إشارة ابن الأنباري إلى جواز كَوْنِ الحجاز مأخوذًا من قول العرب: قد حجز الرَّجل بعيره، يحجزه: إذا شدَّه شدًّا، يُقيِّده به، ويُقال للحبل حجاز، ويجوز أيضًا أنْ يكون الحجاز سُمِّي: حجازًا؛لأنَّه احتجز بالجبال.يُقال: قد احتجزت المرأة: إذا شدَّت ثيابها على وسطها، واتّزرت، ويُقال: هي حُجْزَةُ السَّراويل، وفي هذا الصدد أشار ابن الأنباري إلى خطأ العامة في حَذْفها صوتًا من كلمة (حُجْزَة)، في قولهم: (هي حُجْزَةُ السَّراويل)، فيقولون: هي حُزَّة السَّراويل، وهنا أشير إلى أنَّ مثل هذا الحذف من باب حَذْفهم بعض الحروف استخفافًا[٢]، لكنَّ التدقيق في هذا الأمر يُرشدنا إلى أنَّه لَمَّا كان قول العرب: أخذ بحُزَّته، أي بعُنُقه، ولَمَّا كانت السَّراويل مُشبَّهةٌ بالعُنق في شَدِّها وإحكام الشَّدِّ، فقد قيل: حُزَّة السَّراويل، وحُجْزَة السَّراويل، فكلاهما صحيحٌ، ولا حذف لحرفٍ مَّا في كلمة (حُجْزة)، فعلى الرَّغم من أنَّ

(١) الزاهر ٢ / ١٠٩، ويُنْظَر: مقاييس اللغة (حجز) في معنى الحجاز.

(٢) يُنْظَر: الخصائص ١ /٨١، وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ص ٥٧، حيث حذف الهاء من (الأشهل) في قول الزبعري:

حين أَلْقَت بِقِباء بركِها واسْتَحرَّ القَتْلُ في عبْدِ الأَشل

الأصمعي قال: تقول حُجْزَة السَّراويل، ولا تَقُلْ:حُزَّة،فإنَّ ابن منظور قد أشار إلى أنَّ ابن الأعرابي قال: "يُقالُ حُجْزّته وحُذْلته وحُزَّته وحُبْكَته، والحُزَّةُ العُنق". وفي الحديث: آخِذ بحُزَّته، والحُزَّة من السَّراويل الحُجْزة(١)، ومن ثَمَّ فلا خطأ في قول العامة (حُزّة السَّراويل).

ثانيًا– تصحيح ما تغيَّرت حركته بالحركة أو السكون:

أ – تصحيح ما تغيّرت حركته بحركةٍ أُخرى مع تغيُّر المعنى:

عرض ابن الأنباريّ لتصويب ما تغيّرت حركته بحركةٍ أُخرى مع تغيُّر المعنى، وذلك في تعليقه على قولهم: (اللَّهُمَّ لا مانع لِمَا أعطيت ولا مُعطيَ لِمَا منعتَ، ولا ينفع ذا الجَدِّ منكَ الجَدُّ)، فقال: "...ويكون الجِدُّ:الحقّ، كقولك: جِد في الجِدِّ ودَعِ الهزْلَ، قال الشَّاعر:

هَزلَتْ وجَدَّ القولُ فاحْتَجَبَت   فَبَقِيَتْ بينَ الجِدِّ والهزلِ

ومن ذلك قولهم في القنوت (ونخشى عذابَكَ إنَّ عَذَابَك الجِدَّ بالكُفَّارِ مُلْحِقٌ)، معناه: إنَّ عذابك الحقّ، ومنه قولهم: هو عالمٌ جِدًّا، بكسر الجيم، معناه هو عالمٌ حقًّا حقًّا، والعامّة تُخطئ فتفتح الجيم"(٢)، وهو ما يتّــَضح من خلاله إشارة

---

(١) يُنْظَر: لسان العرب (حزز).

(٢) الزَّاهر ١ / ٢٣، ويُنْظَر أيضًا ١ / ٧٠ حيث قوله: " الجِدُّ، بكسْر الجيم: الحق. والمعنى: إنَّ عذابك الحقَّ الذي ليس بهزل. ولا يجوز: الجَد، بفَتْح الجيم في هذا الموضع، للعلّة التي تقدّمت في قوله: ولا ينفع ذا الجَد منك الجَدُّ "، وملامح الدرس الصوتي وعلاقته بالدلالة في كتاب الزَّاهر صــ ٢٨١ – ٢٨٢، والبيت المذكور من الكامل، عروضه حّذاء وضَرْبُه أحذّ.

ابن الأنباريّ إلى خطأ العامة في فَتْح الجيم من كلمة (الجِدَّ)، فيما يُقال في القنوت: (ونخشى عذابَكَ إنَّ عَذَابَك الجِدَّ بالكُفَّارِ مُلْحِقٌ)، وقولهم: هو عالِمٌ جَدًّا؛ ذلك أنَّها بالكسر تعني الانكماش، والحقَّ، وبالفتح تعني الغِنَى، والحظُّ، الذي تسميه العامة البخت، ويكون الجَدُّ أبا الأب، ويكون أبا الأُمِّ، ويكون بمعنى الجلال والعظمة، والقَطْع والانكماش في الأمر(١)؛ ولذلك كان إقرار أبي عبيدة بمعنى الانكماش في (الجِدِّ) في تعليقه على قولهم: (ولا ينفع ذا الجِدِّ منك الجِدَ) بكسر الجيم، فيما رواه ابن الأنباري عنه، حيث قال: "قال أبو بكر: قال أبو عبيدة: هو خطأٌ؛ لأنَّ الجِدَّ: الانكماش، والله –عزَّ وجلَّ – قد دعا الناس، وأمرهم بالانكماش في طاعته، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(٢)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾(٣)...قال أبو عُبيد: ولا يجوز أنْ يأمرهم بالانكماش، ويدعوهم إليه ثُم يقول: لا ينفعهم انكماش"(٤)، وهو ما يتَّضح من خلاله أنَّ خطأ العامة بتغيير الحركة قد يؤدِّي إلى تغيُّر المعنى، على نحو ما سبق؛ ومن ثَمَّ يجب التنبيه على مثل هذه الأخطاء؛ لتصفية اللغة منها، حفاظاً على المعنى.

---

(١) يُنْظَر: الزَّاهر ١ / ١٨ – ٢٢ ، ومقاييس اللغة (جد)، ولسان العرب (جدد).

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان ١، ٢.

(٣) سورة المؤمنون، من الآية ٥١.

(٤) الزَّاهر ١/ ٢٣، وقد علَّق ابن الأنباري على قول أبي عبيدة هذا بقوله: "ولا أظنُّ الذين رووا هذا بكسْر الجيم ذهبوا إلى المعنى الذي أنكره أبو عبيد، ولكنهم أرادوا: ولا ينفع ذا الانكماش والحرص على الدُّنيا انكماشه وحِرْصه عليها، إنَّما ينفعه العمل للآخرة " ١ / ٢٣.

ب – تصحيح ما تغيّرت حركته بحركةٍ أُخرى مع عدم تغيُّر المعنى:

جاء تصحيح ابن الأنباريّ لِمَا تغيّرت حركته بحركةٍ أخرى، مع عدم تغيُّر المعنى، في كتابه (الزّاهر) في موضعين اثنين، على نحو ما جاء في تعليقه على قولهم: (قد تَرَبَّدَ وجهُ فلانٍ)، فقال: "قال أبو بكر: معناه: قد تغيَّر وجهه، وصار لونُه كلون الرَّماد، قال أبو العباس: هو من قولهم: نعامةٌ رَبْداء، ورَمْداء: إذا كان لونها كلون الرَّماد، قال الأعشى:

وإذا أطاف لُغامُهُ بسَديسه ... فــثَنّى وزادَ لجـــاجةً وترَبَّدَا

شَبَّهْـــتُهُ هِقْلاً يُباري هِقْلَةً ... رَبْـــدَاءَ في خِـــيْطِ نقانقَ أُبَّدا

إلاَّ كخارجةَ المُكلِّفِ نَفْسَهُ ... وابنَي قَبِيْصَةَ أنْ أغيبَ ويَشْهَدا

اللغام: الزبد، والسديس: سِنٌّ من أسنانه، والهِقل: ذكر النَّعام، والنقانق جَمْع نقنق، وهو ذكر النعام، والخَيْط: القطعة من النَّعام، وفيه لغتان: الخَيْط والخِيط، بالكسر والفتح، والخَيْط، من الخيوط، مـــفــتـــوحٌ، لا يُعرف فيه الكسر، والأُبَّدُ:المتوحشة"[(١)]، وهو ما يتَّضح من خلاله أنَّ (الخَيْظ) الذي هو النَّعام فيه لغتان، كَسْرُ (الخاء) وفَتْحُها، أمَّا الخَيْط الذي نستعمله في خياطة الثِّياب وغيره، فقد أشار ابن الأنباري ضمنًا إلى أنَّ نُطْق عامة الناس إيَّاه بالكسر خطأٌ؛ ومن ثَمَّ كان تنبيهه بأنَّه لا يُعرفُ فيه الكسر[(٢)].

---

(١) الزَّاهر١ /٣٧٩ –٣٨٠، وأبيات الأعشى بديوانه ٢٢٩-٢٣١ من الكامل، وفيها اختلاف في الرِّواية،ومعنى ربداء أي رمادية اللون.

(٢) يُنْظَر: مقاييس اللغة، ولسان العرب (خيط).

أمَّا الموضع الآخر فقد كان في تعليقه على قولهم: (فلانٌ شُمَّرِيّ)، فقال: "قال أبو بكر: فيه ثلاثة أقوال: قال قومٌ:الشَّمَّريُّ: الجادُّ النحرير، وأصله في كلام العرب: شَمَّري، فغيّرته العوام... وقال أبو عمرو: الشَّمَّرِيُّ: المُنكمش في الشَّرِّ والباطل، والمُتجرِّد لذلك... وقال بعضهم: الشَّمَّرِيُّ: الذي يمضي لوجهه، أي يركب رأسه في الباطل، ولا يرتدع"[(١)]، فقد بيَّن ابن الأنباري أنَّ أصل الكلمة (شَمَّريّ) بِفَتْح الشين، لكنّ العوام غيّرته إلى الضمِّ مع عدم تغيُّر المعنى، ورواية الكلمة بضمِّ الشين لم أجدها في المعاجم إلَّا في (تاج العروس)، فقد روى الكلمة بفَتح الشين وكَسْرها وضمِّها، فقال: "شَمَّريّ، بفَتْح الشِّين والميم المُشددة، وشِمِّريّ بكَسْرها مع شدِّ الميم، وشُمُّري بضمِّهما مع شدِّ الميم، وشِمَّري كقنَّبيّ، أي بكسر الشين وتشديد الميم المفتوحة"[(٢)]، وهو ما يجعلنا نميل إلى القول بضرورة الاستقراء المُنضبط قبل الحُكم بالخطأ على قولٍ مَّا.

جـ – تصحيح ما تغيّرت حركته بالسكون:

جاء تصحيح ما تغيّرت حركته بالسكون في تعليق ابن الأنباري على قولهم: (يا بِيَبِي لِمَ فَعَلْتَ كذا وكذا)، فقال: "قال أبو بكر: معناه يا بأبي أنت، أفديك بأبي، فحذف المرفوع لدلالة المعنى عليه مع كثرة الاستعمال، وفيه ثلاث لغات: بأبي وبِيَي وبِيَبا، فمن قال: بأبي، أخرجه على أصله، ومن

(١) الزَّاهر ١ / ٤١١.

(٢) تاج العروس (شمر)، ويُنْظَر: هامش ١٢٤ من الزاهر ١ / ٤١١.

قال: بِيَي ليَّن الهمزة، وأبدل منها ياء، ومَنْ قال: بِيَبا، قال الفرَّاء: توهّم أنَّه اسمٌ واحد، فجعل آخِره بمنزلة آخِر سَكْرى وغَضبى وحُبلى، وقول العامّة: بِيْبِي، بتسكين الياء خطأٌ بإجماع"(١)، فقد بيَّن ابن الأنباري أنَّ قولهم: (يا بِيَبِي لِمَ فَعَلْتَ كذا وكذا) معناه: يا بأبي أنت، أفديك بأبي، فحذف المرفوع (أنت)؛ لدلالة المعنى عليه مع كثرة الاستعمال، هــذا، وقد أشار ابن الأنباري إلى أنَّ قول العامّة: بِيْبِي، بتسكين الياء خطأٌ بإجماع، وبيان هذا الإجماع – على نحو ما بيّنه ابن الأنباري – أنَّ هذا القول فيه ثلاث لغات هي: بأبي، بإخراجه على أصله، والثَّانية: بِيَي، بتليين الهمزة، وإبدال ياءٍ منها، والثَّالثة: بِيَبا، على توهُّم أنَّه اسمٌ واحد – كما قال الفرَّاء(٢) – فجعل آخره بمنزلة آخِر سَكْرى وغَضبى وحُبلى؛ ومن هنا كان تسكين الياء في قول العامّة: (بِيْبِي) خطأً، ينبغي التنبيه عليه؛ ومن ثَم تجنُّبه.

ثالثًا – تصحيح ما يتَّصل بالتَّخفيف والتَّشديد:

جاء التصحيح اللُّغوي فيما يتَّصل بالتَّخفيف والتَّشديد في موضعٍ

---

(١) الزَّاهر ١ / ١٦٢.

(٢) يُنْظَر: معاني القرآن للفرَّاء ١ / ١ – ٢، حيث قوله: "ولا تُنْكرنّ أن يجعل الكلمتان كالواحدة إذا كَثُر بهما الكلام، ومن ذلك قول العرب: "بِأَبَا" إنما هو "بِأَبِى" الياءُ من المتكلم ليست من الأب؛ فلما كَثُرَ بهما الكلام توهّموا أنهما حرف واحد فصيّروها ألفا؛ ليكون على مثال: حُبْلَى وسَكْرَى؛ وما أشبهه من كلام العرب، أنشدني أبو ثَرْوان:

فقلتُ: لا، بل ذا كما يا بِيَبَا ** أجدرُ ألاّ تَفْضَحَا وتَحْرَبَا

واحد، من كتاب (الزَّاهر)، في تعليق ابن الأنباريّ على قول العامة: (حُمَةُ العَقْرَبِ)، فقال: "العامة تُخطئ في لفظ الحُمَة، فتُشدِّد الميم منها، وهي مُخَفَّفةٌ عند العرب، لا يجوز تشديدها، وتُخطئ في تأويلها، فتظنُّ أنَّ الحُمَة: الشوكة التي تلسع بها، وليس هو كذلك، إنَّما الحُمَةُ: السُّمُّ، سُمُّ الحيّة والعقرب والزنبور، ويُقال للشوكة: الإبرة، قال ابن سيرين: (يُكْرَهُ الترياق إذا كانت فيه الحُمَة)، يُريد بالحُمَة: السُّم، وقصد بالحُمَة قَصْدَ لحوم الحيات؛ لأَنَّها سُمٌّ، وجاء في الحديث: (لا رُقيَةَ إلاّ من نملةٍ أو حُمَةٍ أو نَفَسٍ)، فالنملة: قروحٌ تخرج على الجنب... والنفَس: العين... والحُمَة أيضًا: كلُّ هامَّة لها سُمٌّ "[1]، فقد بيّن ابن الأنباري أنَّ العامة تُخطئ في لفظ (الحُمَة)، فتُشدِّد الميم منها، والصواب اللُّغوي أنَّها مُخَفَّفةٌ عند العرب، لا يجوز تشديدها، ثُمَّ أردف ذلك بأنَّهم يخطئون أيضًا في تأويلها[2]، على نحو ما أورد في نصِّه السَّابق، وذلك الخطأ في التأويل الدلاليّ هو ما سنقف عند بعض أمثلته في المبحث الرَّابع، وإنَّ نظرة سريعةً في هذا الشَّأن لَتشير إلى أنَّ الإدغام أو تشديد الحرف "يُنْسب إلى تلك القبائل التي كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها، ومعظمها قبائل بادية، تميل إلى التخفيف والسرعة في الكلام، حيث يؤدي الإِدغام إلى الانسجام بين الأصوات المتجاورة؛ ومن ثَمَّ إلى الاقتصاد في الجهد العضليّ، وهو ما يُعرف عند المحدثين بقانون السهولة

---

(١) السَّابق ٢ / ٧٣.

(٢) يُنْظَر: العين،وتهذيب اللغة (حم)، وجمهرة اللغة (حمم)، والصحاح (حمم)، وأساس البلاغة (حمي)، والمحكم (حم)، ولسان العرب (حمم).

والتيسير أو قانون الجهد الأقل Law of least effort،كما نستطيع أنْ ننسب الإِظهار إلى بيئة الحجاز المتحضِّرة، وهي تميل إلى التأني في الأداء بحيث تُظْهر كل صوتٍ فيه"[(١)]، وعلى الرّغم من ذلك فإنَّ هذا الأمر لم يقف عائقًا أمام تفكير ابن الأنباري، فأشار إلى أنَّه من غير الصَّحيح صوتيًّا أنْ تنطق العامة لفظ (الحُمَة) بتشديد الميم منها، وهو ما تؤيِّده المعاجم اللغوية [(٢)].

---

(١) في اللهجات العربية، ص ٥٦ بتصرُّف، ويُنْظَر: شرح المفصّل ١٠ / ١٢١، والتطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس ص ١١٧ – ١١٨، والتعليل اللغويّ عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين ٨٩ - ٩٢، والظواهر الصوتية في كتاب المحرر الوجيز ص ٤٤٨، والإدغام: مفهومه وأنواعه وأحكامه صـــ١ – ٤٨، ولهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة صـــ ١٦١، وملامح الدرس الصوتي وعلاقته بالدلالة في كتاب الزَّاهر صـــ ٢٨٣ – ٢٨٤.

(٢) يُنْظَر: العين (حم)، وجمهرة اللغة (حمم)، وتهذيب اللغة (حم)، والصحاح (حمم)، وأساس البلاغة (حمي)، والمحكم (حم)، ولسان العرب (حمم)، وغريب الحديث ١/ ٣،٣٦/ ٥٧، وملامح الدرس الصوتي وعلاقته بالدلالة في كتاب الزَّاهر صـــ ٢٨٣ – ٢٨٤.

المبحث الثَّاني: التَّصحيح الصَّرفيُّ

جاءت ملامح التَّصحيح الصَّرفي في كتاب الزَّاهر مُتَّصلةً بالتَّصحيح في أبنية الأسماء، وأبنية الأفعال، والتَّصحيح في المُشتقّات، والمقصور، والجَمْع، والنَّسَبِ، وفيما يلي عرضٌ لهذه الأمور:

أولاً – التصحيح في أبنية الأسماء:

أ – ما ليس في أبنية العرب:

فيما يتَّصل بالتَّصويب الصَّرفي في هذا الصدد نلاحظ أنَّه قد ورد في أربعة مواضع،على مدار كتاب الزَّاهر(١)، ففي تعليق ابن الأنباري على قولهم: (قد دَقَّه دَقًّا نِعِمَّا) قال: "قال أبو بكر:قال الكسائي: معنى قولهم: نِعِمّا: بالغًا زائدًا، قال: ويُقال: قد دققتُ الدواء فأنعمت دقّه: أي زِدت فيه... ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّ أهل الجنّة ليتراءَوْنَ أهلَ عِلِّيِّين كما تَرَوْنَ الكوكب الدُرِّيّ في أُفق السَّماء، وإنَّ أبا بكر وعمر منهم وأَنْعَما) (٢)... والكوكب الدريّ فيه خمسة أوجه: يقال: "كوكبٌ دُرِّيءٌ، بضمِّ الدَّال والهَمْز، وكوكبٌ دِرِّيٍّ، بكَسْر الدَّال وتشديد الياء، وكوكبٌ دَرِيٌّ، بفَتْح الدال، فمَنْ قال: وكبٌ دُرِّيٌّ،قال: هو منسوبٌ إلى الدُّرِّ مُشَبَّهٌ به؛ لصفائه وحُسْنه، ومَنْ قال: كوكبٌ دُرِّيءٌ، قال: هو فُعِّيلٌ مأخوذٌ من دَرَأَ الكوكب: إذا جرى في أُفُق السَّماء، ومَنْ قال: دُرِّيءٌ، قال

(١) يُنْظَر: الزاهر ١ / ٣٩٤، ٢ /٥٢، ١٢٩، ١٩٦ –١٩٧.

(٢) يُنْظَر: مسند أحمد ٥ /٣٤٠ برقم ٢٢٩٢٧، وصحيح البخاري ٨/ ١١٤ برقم ٦٥٥٥.

الفرَّاء: هو خطأٌ، وقد قرأ به الأعمش وحمزة، قال: وإنَّما صار هذا خطأً؛ لأنَّه: فُعِّيلٌ، وليس في أبنية العرب: فُعِّيل، وإنَّما فُعِّيل في الأعجمية، نحو: مُرِّيق، وما أشبه ذلك، وقال سيبويه: في أبنية العرب: فُعِّيل، وذكر الْمُرِّيق، وقال أبو عبيد: الأصل في دُرِّيء: دُرُّوءٌ، على مثال سُبُّوح وقُدُّوس، قال فجعلوا الواو ياءً، والضَّمة التي قبلها كسرة، فقالوا: دُرِّيء، قال: ومثل هذا من كلام العرب:عتا عُتُوًّا، وعتا عُتِيًّا. ومَنْ قال:دِرِّيّ ، قال:كُسِرَت الدال من أَجْل الياءِ التي جاءت بعد الرَّاء" [١].

فابن الأنباري في هذا النصِّ قد أشار إلى الأوجه الخمسة في كلمة (الدُّريِّ)، ومن بين هذه الأوجه الخمسة أنْ يُقال: كوكبٌ دُرِّيءٌ، على مثال فُعِّيل، ذلك الاسمُ الثُلاثيُّ المزيدٌ، بزيادة الياء رابعة، على أنَّه مأخوذٌ من دَرَأ الكوكب: إذا جرى في أُفُق السَّماء، ثُم عرض لتخطئة الفرَّاء هذا الوجه[٢]– على الرَّغم من قراءة الأعمش وحمزة وعاصم عن أبي بكرٍ به في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ

(١) يُنْظَر: الزاهر ١ / ١٩٤ – ١٩٦، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢ /٢٥٢حيث قوله "ولا تُعرف جهة ضمّ أوله وهَمْزه، لا يكون في الكلام فُعيل إلاّ أعجمياً. فالقراءة إذا ضممت أوّله بتَرْك الهَمْز. وإذا هَمَزْتَهُ كَسَرْتَ أوّله. وهو من قولك: دَرَأَ الكوكب إذا انحط كأنه رُجِمَ به الشيطان فدمَغه"، والمـــُرِّيق: الذي أخذ في السِّمَن من الخيل.

(٢) يُنْظَر: معاني القرآن للفراء ٢/٢٥٢.

كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[١] - وعلّة ذلك الخطأ عند الفرَّاء أنَّه ليس في أبنية العرب: فُعِّيل، وإنَّما فُعِّيل في الأعجمية، نحو: مُرِّيق، وما أشبه ذلك، هذا،ولم يُعرب ابن الأنباريّ عن وجهة نظره صراحة تجاه هذا التَّخْطِيء، وإنَّما أورد رأيه – وكأنَّه لم يوافق على ما قاله الفرَّاء – من خلال ذِكره إدراج سيبويه لهذا الوزن ضمن أبنية العرب، ومنه المُرِّيق[٢]، الذي عدَّه الفرَّاء أعجميًّا، وأضاف ابن الأنباريّ إلى ذلك وجهة نظر أبي عُبيد التي يرى فيها أنَّ الأصل في دُرِّيء: دُرُّوءٌ، على مثال سُبُّوح وقُدُّوس، فجعلوا الواو ياءً،والضَّمةَ التي قبلها كسرة، فقالوا: دُرِّيء،مُبيِّنًا أنَّ ذلك نظيره من كلام العرب: عتا عُتُوًّا، وعتا عُتِيًّا. وأمام هذا الخلاف، وتخطئة من يقول: كوكبٌ دُرِّيءٌ، على مثال فُعِّيل، أحيل– غير موافق على رأي الفرَّاء ومَن لفَّ لفَّه[٣]–إلي توجيه أبي علي الفارسي لذلك، حيث قوله: "مَن قرأ (دُرِّيءٌ)

---

(١) سورة النور، من الآية ٣٥، ويُنْظَر: السبعة لابن مجاهد ص ٤٥٥ – ٤٥٦، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢ /٢٥٢، ومعجم القراءات ٦ /٢٦٦ – ٢٧٠ حيث ذكر بحاشيته مصادر كثيرة، يضيق بذكرها المقام.

(٢) يُنْظَر: الكتاب ٤ /٢٦٨ حيث قوله: وهو قليلٌ في الكلام، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه صـ١٧٣، والمُرِّيق هو العصفر، أعجمي مُعرَّب (المعرب٣٦٣، وهامش ٩ من الصفحة نفسها، وشفاء الغليل ٢٠٦)، والمسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات ص ٤٩٧، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٢٣.

(٣) يُنْظَر على سبيل المثال: معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٤٢، ومعاني القراءات ٢ / ٢٠٨، وغريب القرآن صـ ٢٢٣- ٢٢٤.

احتمل قوله أمرين، أحدهما: أنْ يكون نَسَبَه إلى الدُّرِّ، وذلك لِفَرْط ضيائه ونوره، كما أنَّ الدُّرَّ كذلك، ويجوز أنْ يكون فُعِّيلاً من الدَّرْء، فخفّف الهمزة، فانقلبت ياءً، كما تنقلب من النَّسيء والنَّبيء، ونحوه إذا خُفِّفت ياء"[١]، كما يمكن الإشارة إلى قول ابن منظور: "وكَوْكَبٌ دُرِّيءٌ على فُعِّيلٍ: مُندفعٌ في مُضِيِّه مَن الـمَشْرِق إلى الـمَغْرِب من ذلك، والجمع دَرارِيءُ على وزن دَرارِيعَ، وقد دَرَأَ الكَوْكَبُ دُرُوءاً، قال أَبو عمرو بن العلاءِ: سأَلت رجلاً مِن سعْد بن بَكر من أَهل ذاتِ عِرْقٍ، فقلت: هذا الكوكبُ الضَّخْمُ ما تُسمُّونه؟ قال: الدُّرِّيءُ، وكان من أَفصح الناس"[٢]، وفي كلِّ ذلك ما يدلُّ على أنَّ هذا البناء موجودٌ بلغة العرب، لكنَّه نادرٌ؛ ومن ثَمَّ ينبغي إضافته إلى أبنية العرب، وعدم القول بخطئه.

ب – وَضْع الصِّيغة في غير موضعها:

عرض ابن الأنباريّ لتصويب وَضْع الصِّيغة في غير موضعها، في تعليقه على قولهم: (قَطَع الله دابِرَ فلانٍ، وقد قَطَع الله دابِرَ القوم)، فقال: "قال أبو بكر: قال أبو عُبيد: قال أبو عبيدة: دابر القوم: آخرهم، يُقال: دبرهم يدبرهم دَبْرًا: إذا كان آخرهم، جاء في الحديث (ومن النَّاس مَنْ لا يأتي

(١) الحجة للقراء السبعة ٥ / ٣٢٣.

(٢) لسان العرب (درأ)، ويُنْظَر: الُمحتَسَب ١ / ١٥٤، وليس في كلام العرب صـ٢٥٢، ومعجم القراءات ٦ / ٢٦٨ حيث قوله:قال الشهاب: والضمُّ لندرته جعله بعضهم لحنًا، ولا وجه له مع وروده في الكتاب العزيز.

الصلاة إلاّ دُبْرًا) [١]، قال أبو بكر: كذا يقول المحدِّثون، ومعناه: في آخر الوقت، وهو من هذا مأخوذٌ، وقال أبو عُبيد: قال أبو زيد: الصواب (لا يأتي الصلاة إلاَّ دَبريًّا)، وقال الأصمعيُّ: دابر القوم: أصلهم..." [٢].

ففي هذا النَّص نلاحظ إشارة ابن الأنباري – فيما نقله عن أبي عبيدة دون إبداء رأيه – إلى أنَّ دابر القوم: آخرهم، مُستشهدًا بما جاء في الحديث (ومن النَّاس مَنْ لا يأتي الصلاة إلاّ دُبْراً) كما يقول المُحدِّثون، أي أنَّ (دُبْر) على مثال (فُعْل)، وأمام هذا الأمر نقل ابن الأنباري تصويبًا لخطأ من أخطاء الخاصة (المُحدِّثين)، فيما نقله أبو عُبيد عن أبي زيد بأنَّ الصَّواب: (لا يأتي الصلاة إلاَّ دَبريًّا)، وهو ما يتَّضح من خلاله أنَّ الصَّحيح التَّعبيرُ بالاسم (دَبْريّ) على مثال (فَعْلِيّ)[٣]، وبالبَحث تبيّن أنَّ التَّعبير بالاسم (دُبْر) على مثال (فُعْل) صحيح، والتَّعبير بالصِّيغة نفْسها مع إضافة ياء النَّسب صحيحٌ أيضًا، لا خطأ فيه، فالدَّبَرِيُّ أو الدَّبْريُّ – بفَتْح الباء وسكونها – منسوبٌ إلى (الدَّبْرِ) الذي هو آخر الشَّيء، وفَتْح الباء من تغييرات النَّسب، وذلك ما يؤنسه قول ابن منظور: "وجاء دَبَرِيّاً أَي أَخيرًا، وفلان لا يصلي الصلاة إِلاَّ دَبَرِيّاً، بالفتح، أَي في آخر وقتها، وفي المحكم: أَي أَخيراً. رواه أَبو عبيد عن الأَصمعي، قال: والمُحَدِّثُون يقولون دُبُرِيّاً، بالضم، أَي في آخر وقتها، وقال أَبو الهيثم: دَبْرِيًّا، بفتح الدال وإِسكان الباء، وفي الحديث عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أَنه قال: ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة: رجلٌ أَتى الصلاةَ دِباراً، ورجل اعْتَبَدَ

(١) يُنْظَر: مسند أحمد ٢ / ٢٩٣ برقم ٧٩١٣.

(٢) يُنْظَر: الزاهر١/ ٤٦٥، وتقويم اللسان، لابن القيم ص: ٤٤ حيث مقدمة المُحقق.

(٣) يُنْظَر: مجاز القرآن ١٩٢/١.

مُحرَّراً، ورجلٌ أَمَّ قوماً هم له كارهون، قال الإِفْرِيقيُّ راوي هذا الحديث: معنى قوله دباراً أَي بعدما يفوت الوقت، وفي حديث أَبي هريرة: أَن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «إِن للمنافقين علامات يُعرفون بها: تَحِيَّتُهم لَعْنَةٌ، وطعامهم نُهْبَةٌ، لا يَقْرَبُون المساجد إِلا هَجْراً، ولا يأْتون الصلاة إِلا دَبْراً، مستكبرين لا يأْلَفُون ولا يُؤْلَفُونَ، خُشُبٌ بالليل، صُخُبٌ بالنهار[1]؛ قال ابن الأَعرابي: قوله دباراً في الحديث الأَوَّل جمع دَبْرٍ ودَبَرٍ، وهو آخر أَوقات الشيء الصلاة وغيرها؛ قال: ومنه الحديث الآخر لا يأْتي الصلاة إِلا دبْراً، يروى بالضم والفتح، وهو منصوب على الظرف؛ وفي حديث آخر: لا يأْتي الصلاة إِلا دَبَرِيًّا، بفتح الباء وسكونها، وهو منسوب إِلى الدَّبْرِ آخر الشيء، وفتح الباء من تغييرات النسب، ونصبه على الحال من فاعل يأْتي، قال: والعرب تقول العِلم قَبْلِيٌّ وليس بالدَّبَرِيِّ، قال أَبو العباس: معناه أَن العالم المتقن يجيبك سريعاً، والمتخلف يقول لي فيها نظر "[2]، وهو ما يجعلنا نقول: كان من الواجب على ابن الأنباريّ أنْ يُدلي بدلوه في هذه المسألة حتَّى لا يتخبّط العامة بين قول هذا وذاك، وهو ما يُسْهم في مقاومة لَحْن العامة.

ثانيًا – التصحيح في أبنية الأفعال:

جاء تصحيح أبنية الأفعال في كتاب الزاهر في ثلاثة مواضع[3]، كلها لابن الأنباري، يمكن عَرْضها على النَّحو التالي:

---

(١) يُنْظَر: نفسير ابن كثير ٨ / ١٢٥.

(٢) لسان العرب (دبر)، ويُنْظَر: تهذيب اللغة، ومقاييس اللغة، وتاج العروس (المادة نفسها).

(٣) يُنْظَر: الزاهر ١ / ١٧٤، ٤٩٦، ٢/٣٥.

أ – فيما يتصل بضمِّ ياء المُضارعة وكَسْر العين في (فَعَل يَفْعُل):

وذلك ما جاء في ضمِّ ياء المُضارعة من (يَفْعُل)، في فَعَل يَفْعُل، ونَصِّه على أنَّ الصواب فَتْحُها، في تعليقه على قولهم: (لا يَفْضُضِ اللهُ فاك)، فقال: "قال أبو بكر: معناه لا يكسِّر الله أسنانك ويُفرِّقها، وفيه وجهان: لا يَفْضُضِ الله فاك، بفَتْح الياءِ وضَمِّ الضادِ الأولى وكَسْر الثَّانية، ولا يُفْضِ الله فاك، بضَمِّ الياء وحَذْف الياء الثَّانية للجزم، فمن قال: لا يَفْضُضِ اللهُ فاك، أخذه من فضضت الشيء: إذا كسَّرته وفرَّقته، ويُقال: فضضت جموع القوم: إذا فرَّقتها وكسرها، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]، معناه: لتفرَّقوا، والعامة تلْحن في هذا، فتقول: لا يُفْضِضِ الله فاك، ولغة النبي– صلى الله عليه وسلم –: لا يَفْضُضِ الله فاك، بفَتْح الياء وضَمِّ الضاد الأولى وكَسْر الثَّانية، يُروى أنَّ النَّابغة الجعدي لَمَّا أنشد النبي – صلى الله عليه وسلم– قصيدته التي يقول فيها:

تَبِعْتُ رسولَ اللهِ إذْ جاء بالهُدى ويَتْلو كتابًا كَالمَجَرَّةِ نَيِّراً

فقال فيها:

وَلا خَيْرَ في حلْمٍ إذا لم يكن له بوادِرُ تَحْمي صَفْوَهُ أنْ يُكَدَّرا
ولا خيرَ في جَهْلٍ إذا لم يَكُنْ لهُ حليمٌ إذا ما أوْرَدَ الأمرَ أَصْدَرا

ثُمَّ أنشده:

بَلغْنا السَّماءَ مجدُنا وجدودُنا وإنَّا لَنَرْجو فوقَ ذلك مَظْهرا

فقال النبي – صلى الله عليه وسلم–: إلى أين أبا ليلى؟ فقال: إلى

(١) سورة آل عمران، من الآية ١٥٩.

الجنة، فقال النبي– صلى الله عليه وسلم-: لا يَفْضُضِ اللهُ فاك، هكذا حُفِظ عنه، صلى الله عليه وسلم"(١)، فالملاحظ أنَّ ابن الأنباري قد أشار في هذا النَّصِّ إلى أنَّ معنى قولهم: (لا يَفْضُضِ اللهُ فاك): لا يكسِّر الله أسنانك ويُفرِّقها، وأنَّ فيه وجهين، أولهما: لا يَفْضُضِ الله فاك، بفَتْح الياء وضَمِّ الضاد الأولى وكَسْر الثَّانية، والآخر: لا يُفْضِ الله فاك،بضَمِّ الياء وحَذْف الياء الثَّانية للجزم، ثُمَّ أشار إلى أنَّ مَنْ قال: لا يَفْضُضِ اللهُ فاك، مُشتقٌّ من فضضت الشيء: إذا كسَّرته وفرَّقته، وما يهمُّنا إشارته إلى أنَّ العامة تلْحن في هذا، فتقول: لا يُفْضِضِ الله فاك، بضمِّ ياء المُضارعة من (يَفْعُل)، في (فَعَل يَفْعُل) وكَسْر عين المضارع أيضًا؛ ومن ثَمَّ كان نَصُّه على أنَّ الصوابَ فَتْحُ الياء، وضَمُّ الضاد الأولى، مُستشهدًا بأنَّ لغة النبي– صلى الله عليه وسلم-: لا يَفْضُضِ الله فاك، بفَتْح الياء وضَمِّ الضاد الأولى وكَسْر الثَّانية، وذلك في ردِّه– صلى الله عليه وسلم- على النابغة الجعدي، على نحو ما تقدَّم، وهو ما أقرته المعاجم (٢)؛ ومن ثَمَّ يكون تصحيح ابن الأنباري في محلِّه، وهو ما يُسهم في مقاومة لَحن العامة.

ب – فيما يتصل بضمِّ ياء المُضارعة في (فَعَلَ يَفْعَلُ):

وذلك ما جاء في تعليقه على قولهم: (هذا الأمرُ لا يَعْنيني)، فقال: "قال أبو بكر: معناه: لا يشغلُني، يُقال: عناني الشيء يعنيني: إذا شغلني... ويُقال:

(١) الزاهر ١ / ١٧٤ – ١٧٥، وأبيات النابغة بديوانه صـ ٣٦،٥١،٦٩، من الطَّويل، والحديث بتاريخ دمشق ٥٠ / ١٣٢.

(٢) يُنْظَر: الصحاح (فضض)، مقاييس اللغة (فضّ)، ولسان العرب (فضض).

الشيء لا يَعنيني، بفَتْح الياء، ولا يُقال: يُعنيني، بضَمِّ الياء، قال الشَّاعر:

إنَّ الفتَى ليْس يقْمِيهِ ويَقمَعُهُ إلاَّ تكلُّفُهُ ما ليس يَعْنيهِ"(١).

وهو ما يتَّضح من خلاله أنَّ ابن الأنباري قد أشار إلى أنَّ قولهم: (هذا الأمرُ لا يَعْنيني) معناه: لا يشغلني، ثُمَّ أشار إلى أنَّه لا يُقال: يُعنيني، بضَمِّ الياء، فالصواب أنْ يُقال: عناني الشيء يَعْنِيني: إذا شغلني... ويُقال: الشيء لا يَعنيني، بفَتْح الياء، ثُمَّ استشهد بما ورد في الشعر العربي، على نحو ما سبق، وقد جاء في "الحديث: مِنْ حُسنِ إسلامِ المَرْءِ تَرْكُه ما لا يَعْنِيه أَي لا يَهُمُّهُ، وفي الحديث عن عائشة، رضي الله عنها: كان النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – إِذا اشْتَكى أتاه جبريلُ، فقال: بسْمِ الله أَرْقيكَ من كلِّ داءٍ يَعْنيك، من شرِّ كلِّ حاسدٍ ومن شرِّ كلِّ عَين؛ قوله يَعْنِيك أَي يشغَلُك، ويقال: هذا الأَمر لا يَعْنِيني أَي لا يَشْغَلُني ولا يُهِمُّني "(٢)، وهو الأمر الذي ينبغي أنْ يكون عليه كثير من العامة في وقتنا هذا.

جـ – فيما يتَّصل بضمِّ عين الماضي في (فَعَلَ يَفْعُلُ):

عرض ابن الأنباريّ للتصويب الصَّرفيِّ – باعتباره جديلةً من جدائل التَّصويب اللُّغويّ – فيما يتَّصل ببناء (فَعَلَ يَفْعُل)، في تعليقه على قولهم: (قد أصابَ فلانًا الرُّعاف)، فقال: "قال أبو بكر: معناه في كلام العرب: الدَّم السَّابق السَّائل، يُقال: قد رَعَفَ فلانٌ أصحابه: إذا سبقهم في السَّير، وقد

(١) الزاهر ١ / ٤٩٥ – ٤٩٦ والبيت من بحر الطويل، بلا عزو في لسان العرب (عنا).

(٢) لسان العرب مادة (عنا)، ويُنْظَر: تهذيب اللغة (عنا).

جاءِ راعفًا، أي: سابقًا، قال الأعشى:

بِهِ تَرْعُفُ الأَلْفُ إِذْ أُرْسِلَتْ غَدَاة الصَّباحِ إذا النَّقع ثارا

معناه: يسبق الألف، ويتقدمهم، ويُقال: رَعَفَ الرَّجل، بفَتْح العين، يَرعُفُ، فهو راعِف، ولا تُضمُّ العين في الماضي"(١)، ومن خلاله يتَّضح لنا أنَّ عين (فَعَلَ) الذي مضارعه (يَفْعُلُ) لا تُضمُّ في الماضي فلا يُقال: رَعُف أو شَكُر أو خَرُجَ، والصَّواب فَتْحها، فيُقال: رَعَفَ، شَكَرَ، خَرَجَ، فعلى الرَّغم من تصريح الجوهري بأنَّ (رعُف) لغةٌ ضعيفةٌ (٢)، فإنَّني أوافق ابن الأنباري على عدم صِحّة الضَّمِّ (٣).

ثالثًا – التصحيح في المشتقات:

أ- بين اسم الفاعل والمفعول:

جاء التصحيح اللُّغوي في باب المشتقات لدى ابن الأنباري في (الزَّاهر) في موضعٍ واحدٍ، صدد تعليقه على قولهم: (إنَّ عذابك الجِدَّ بالكفّار مُلْحِقٌ)، فقال: "الجِدُّ، بكسْر الجيم: الحق، والمعنى: إنَّ عذابك الحق الذي ليس بهزل، ولا يجوز: الجَدُّ، بفَتْح الجيم في هذا الموضع، للعلّة التي تقدّمت في قوله: ولا

(١) الزاهر ٢ / ٣٤ – ٣٥، والبيت المذكور بديوان الأعشى ص ٥٣، من المتقارب، والمعنى: إذا أرسل الفرس المُتحدث عنه في الغارة وسط ألف من الخيل بذّها جميعًا: يُنْظَر ص ٥٢ من الديوان حيث شرح الدكتور محمد حسين، ويُنْظَر: تقويم اللسان صـ ١١٥.

(٢) يُنْظَر الصِّحاح (رعف).

(٣) يُنْظَر تهذيب اللغة (عرف)، ولسان العرب (رعف).

ينفع ذا الجَد منك الجَدُّ، وفي مُلْحِق ثلاثة أقوال: قال أبو عبيد: الرِّواية[١]: مُلْحِق، بكَسْر الحاء، معناه: إنَّ عذابك لاحِقٌ، يُقال:ألحَقتُ القوم، بمعنى: لَحِقْتُ القوم، وكذلك أتبعتُ القوم، بمعنى: تبعتهم، قــال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[٢]، معناه: فتبعه شهابٌ ثاقب... قال أبو بكر: قال لي أبي: سمعتُ الحسن بن عرفة[٣] قال: قال القاسم بن معن[٤]: ملحَق، بفَتْح الحاء، أصْوب من مُلحِق، ذهب إلى هذا المعنى: ألحقهم الله عذابه: أنشد النحويون:

أَلْحِقْ عذابَكَ بالقومِ الذينَ طَغَواْ وعائذًا بكَ أنْ يَعْلُوا فيُطْغوني

والوجه الثَّالث: إنَّ عذابك بالكفار لاحِق، قال أبو بكر: ولا نحبُّ هذا القول؛ لأنَّه يخالف الإجماع"[٥]، وهو ما يتَّضح من خلاله أنَّ ابن الأنباري

---

(١) يُنْظَر: غريب الحديث ٤ / ٢٦٥ -٢٦٧، والزاهر ١ /٧٠ هامش ٢٥٨.

(٢) سورة الصافات، من الآية ١٠.

(٣) أحد الرواة الذين أخذ عنهم والد أبي بكر الأنباري صاحب الزاهر:يُنْظَر: تاريخ بغداد٢/١٤٢، والزاهر١ /٧٠ هامش ٢٦١.

(٤) هو القاسم بن معن المسعودي، نحويٌّ كوفيّ ت١٨٨ه: يُنْظَر: تاريخ بغداد ٣٩٥/١٣، ومعجم الأدباء ٢٢٣٠ - ٢٢٣٢، والزاهر ١ /٧٠ هامش ٢٦٢.

(٥) الزَّاهر١ /٧٠ – ٧١، ويُنْظَر: تقويم اللسان صـــ ٤٢ حيث مقدمة المحقق، والغريب المصنف ٥٧٠، ومصنفات اللَّحْن والتثقيف اللُّغوي ص ١٩٢، والبيت المذكور من البسيط، لعبد الله بن الحارس السهمي بالكتاب ٣٤٢/١ شاهدًا على =

يرى فيما رواه عن أبيه أنَّ الصَّواب (مُلْحَق) بصيغة اسم المفعول،حيث إنَّ الفعل (ألحق يُلْحق) فهو مُلْحَق،واسم الفاعل مُلْحِق، ووجه الصواب هنا في وضع الصيغة موضعها راجعٌ إلى المعنى،أي:ألحقهم الله عذابه- وهو ما نؤيِّده—وهو ما يؤيِّده أيضًا بيت الشعر المذكور آنفًا.هذا،وقد أضاف ابن الأنباري أيضًا أنَّه يجوز: إنَّ عذابك بالكفار لاحِق، لكنَّه لا يؤيِّد هذا الوجه، من جهة مخالفته للإجماع، في أن العذاب لا يلحق، وإنَّما يُلْحق، فهو مُلْحَق.

ب – التَّصحيح في اسم المكان:

جاء التَّصويب اللُّغوي لدى ابن الأنباري فيما يتّصل باسم المكان في تعليقه على قول العامة: (قد مضى فلانٌ إلى المأصِر)، فقال: "العامة تُخطئ فيه، فتفتح الصاد، والصواب كَسْرها، ومعنى (المأصِر) في اللغة: الموضع الحابس، من قولهم: قد أَصَرْت فلانًا على الشيء أَصِرُه أَصْرًا: إذا حبستُه عليه، وعطفته، يُقال: ما تأصِرني على فلان آصرة، أي: ما تحبسني عليه حابسة، ولا تعطفُني عليه عاطفة... والإِصْرُ، بكَسْر الهمزة: الثقل... والإِصْر أيضًا: العهد "[(١)]، وهو ما يتَّضح من خلاله إشارة ابن الأنباري إلى أنَّ العامة تُخطئ في (المأصِر) فيفتحون الصَّاد قائلين: (قد مضى فلانٌ إلى المأصَر)، والصَّواب كَسْرُها، حيث إنَّ (المأصِر)

= وَضْع (عائذ) موضع المصدر النَّائب عن فِعله، والتَّقدير: أعوذُ عِياذًا، وشرح المفصل ١/١٢٣.

(١) الزاهر ٢ / ٥٤ – ٥٥، ويُنْظَر: ملامح الدرس الصوتي وعلاقته بالدلالة في كتاب الزَّاهر صـ٢٨٢ -٢٨٣.

اسم مكان، على وزن (مَفْعِل)، من الفعل الثُّلاثي الصحيح (أصِر)، على وزن (فَعِلَ) المكسور العين في المضارع (يأصِرُ)؛ ولذلك فإنَّ اسم المكان منه يأتي على مثال (مَفْعِل)، إلاَّ إذا كان معتل الآخر، فإنَّه يُصاغُ على (مَفْعَل)؛ ومن ثَمَّ كانت إشارة ابن الأنباري إلى أنَّ نُطق الكلمة بالفتح من غير الصَّحيح، ففسّر (المأصِر) في اللغة بأنَّه الموضع الحابس، ومن المعروف في الدرس الصرفيّ أنَّ اسم المكان من غير الثُّلاثي يأتي على وزن المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وفتْح ما قبل الآخر، والفعل موضع الحديث ليس من غير الثُّلاثي، أضِف إلى ذلك أنَّ التَّغيير الذي أشار إليه ابن الأنباري إنَّما هو للتَّغيير في المعنى(١).

(١) يُنْظَر:الكتاب ٤ /٩٠، والمقتضب ١/ ٢٤٦، وشرح الرضي على الشافية ١/ ١٨٥، و التعريفات صـــ٢٠، ومعاني الأبنية في العربية صـــ٣٩.

رابعًا- التَّصحيح فيما يتَّصل بالجَمْع:

جاء التَّصحيح اللُّغويّ لدى ابن الأنباري فيما يتَّصل بالجَمْع في ثلاثة مواضع(١) يمكن تناولها كما يأتي:

أ – في جَمْعِ (فاعل):

جاء ذلك في تعليقه على قولهم: (إنَّما هم أَكَلَةُ رأْسٍ)، فقال: "قال أبو بكر: معناه عددهم قليل، فكأنَّهم لو اجتمعوا على أَكْل رأسٍ لكان كافيًا لهم، والعامة تلَحَنُ في هذا، فتُسكِّن الكاف منه، والصواب: أَكَلة، بفَتْح الكاف، جَمْع: آكل، ويُقال: آكل وأَكَلَة وآكلون، كما يُقال: كافر وكَفَرة وكافرون، وكامِل وكَمَلة وكاملون" (٢). وهو ما يتَّضح من خلاله أنَّ تسكين الكاف من (أَكَلَة) في قولهم: (إنَّما هم أَكَلَةُ رأْسٍ) خطأٌ؛ لأنَّ أَكَلة، بفَتْح الكاف، جَمْع: آكل، ونظيره كافر وكَفَرة وكافرون، وكامِل وكَمَلة وكاملون، وهو ما نقله ابن فارس عن أبي عُبَيد، أضف إلى ذلك أنَّ (الأَكْلة) المرة الواحدة حتى يَشْبَع... وتقول: أَكَلْت أُكْلة واحدة أَي لُقْمة(٣).

ب – في جَمْع (فَعْل):

جاء ذلك في تعليقه على قولهم: (أَكَلَ فُلانٌ العُراق)، فقال: "قال أبو بكر: قال أبو عُبيد: العُراق: الفِدْرة من اللَّحم... وقال ابن قُتيبة: العُراق

(١) يُنْظَر: الزاهر ٢ / ١٤، ٣٧٢، ٣٨٤.
(٢) الزاهر ٢ / ١٤.
(٣) يُنْظَر: الكتاب ٣ / ٦٣١، ومقاييس اللغة، ولسان العرب (أكل).

العظام... قال: و(العُراق) جَمْع: العِرْق، بمترلة قولهم: ظِئر وظُؤار، ورُبَّى ورُباب: للشاة التي تكون في مترل القوم، يحلبونها وليست سائمة... والعُراقُ في المصادر بمترلة قولهم: سَكَتَ سُكاتًا، وصَمَتَ صُماتًا، وصَرَخ صُراخًا، و"العَرْقُ" بمترلة "العُراق"، مصدر لعرقت، ولا يجوز أنْ يكون واحد "العُرَاق" على ما ذكر ابن قتيبة؛ لأنَّه لم يؤثر عن العرب "فُعال" في جَمْع فَعْل "[1]، فقد بيَّن ابن الأنباري أنَّ معنى العُراق: الفِدْرة من اللَّحم أو هي العظام، ثُمَّ تطرق إلى ما أدلى به ابن قتيبة، حيث رأى ابن قتيبة أنَّ (العُراق) جَمْع: العِرْق، بمترلة قولهم: ظِئر وظُؤار، وهو ما نفاه ابن الأنباري مُعلِّلاً ذلك بأنَّه لم يرد عن العرب "فُعال" في جَمْع فَعْل، وهو ما نؤيِّده، بناء على ما بين أيدينا من موروثٍ لغويّ، على الرَّغم من قول الأزهري في تهذيبه: العَرْق جمعُه عُراق، وهي العظام التي اعترق منها هَبْر اللحم وبقيَ عليها لحومٌ رقيقة طيّبة، فتكسَّر وتُطبَخ[2].

جـ - في جَمْع (فِعْل):

جاء ذلك في تعليقه على قولهم: (قد هَبَّت الرِّيحُ)، فقال: "قال أبو بكر: قال بعض أهل اللُّغة: إنَّما سُمِّيت الرِّيح رِيحًا؛ لأنَّ الغالب عليها في هبوبها المجيء بالرَّوح والرَّاحة، وانقطاع هبوبها يُكسب الكَرْبَ والغَم والأذى، فهي مأخوذةٌ من

(١) الزاهر ٢ / ٣٧٠ -٣٧٢.

(٢) يُنْظَر: الكتاب ٣ / ٥٦٧ -٥٦٩ حيث الحديث عن تكسير ما كان من الأسماء على ثلاثة أحرف، وكان (فَعْلاً)، وأدب الكاتب ٥٤٨، وتهذيب اللغة، ولسان العرب(عرق).

الرَّوْحِ، وأصلها: رِوْحٌ، فصارت الواو ياءً؛ لسكونها وانكسار ما قبلها، كما فعلوا مثل ذلك في الميزان والميعاد والعِيد، والدَّليل على ذلك أنَّ أصل "ريح": رِوْح، قولهم في الجمع: أرواح، ولو كانت الياء صحيحة في "الرِّيح" لقيل في الجمع: أرياح، و"أرياح" خطأٌ لا تتكلم العرب به: قال زهير:

قِفْ بالدِّيارِ الَّتي لَمْ يَعْفُها القِدَمُ بَلى وَغَيَّرها الأَرْواحُ والدِّيَمُ"[١].

وهو ما يتَّضح من خلاله أنَّ ابن الأنباري قد بيِّن سبب تسمية الرِّيح بهذا الاسم، ثُمَّ بيِّن أصلها الاشتقاقيّ بأنَّها مأخوذةٌ من (الرَّوْحِ)، وأنَّ أصلها: رِوْحٌ، فصارت الواو ياءً؛ لسكونها وانكسار ما قبلها، كما فعلوا مثل ذلك في الميزان والميعاد والعِيد، وفي التدليل على ذلك أشار إلى أنَّهم يقولون في الجمع: أرواح، ولو كانت الياء صحيحة في "الرِّيح" لقيل في الجمع: أرياح، ثُمَّ تدرج في هذا التدليل، فبيَّن أنَّ (أرياح) خطأٌ، لا تتكلم به العرب، ومن ثَم يجب عدم التكلُّم به، واستشهد على صحة ذلك بالبيت السَّابق لزهير، حيث ورود كلمة (الأرواح) جمعًا للرِّيح، وهو ما يؤيِّده الدرس اللُّغويّ، حيث يخبرنا بأنَّ حكاية أرْياح وأرايح شاذٌّ، وهو ما أنكره أبو حاتم وغيره[٢].

(١) الزاهر ٢ / ٣٨٤، والبيت من بحر البسيط، بديوان زهير صـ ١٢٦.

(٢) يُنْظَر: الكتاب ٣ / ٥٩١ – ٥٩٢، والعين (روح)، وتهذيب اللغة، ومقاييس اللغة، ولسان العرب (روح).

خامسًا- التصحيح في باب النّسب:

جاء التصحيح اللُّغوي في باب النَّسب لدى ابن الأنباري في (الزَّاهر) في موضعٍ واحد،صدد تعليقه على قولهم:(فلانٌ أَعرابيّ)، فقال: "قال أبو بكر:قال الفرَّاء: الأعراب: أهل البادية، والعرب: أهل الأمصار، فإذا نُسب الرَّجل إلى أنَّه من أعراب البادية قيل: أعرابي.قال الفرَّاء: ولا تقول: عربيّ؛لئلاّ يلتبس بالنِّسبة إلى أهل الأمصار، قال الفرَّاء: وإذا نسبت رجلاً إلى أنَّه يتكلّم بالعربية، وهو من العجم،قلت: رجلٌ عربانيّ، وإنَّما سُمِّيت العرب عربًا؛ لحُسن بيانها في عبارتها، وإيضاح معانيها، من قول العرب: قد أعربتُ عن القوم: إذا تكلمتُ عنهم، وأَبَنْتُ معانيهم"[١]، فمن خلال هذا النَّص يتبيّن لنا – فيما نقله ابن الأنباري عن الفرَّاء – أنَّنا إذا نسبنا رجلاً إلى أعراب البادية، لا نَقُل: إنَّه عربيٌّ، بل نقول: أعرابي، وقد علَّل الفراء ذلك بعدم التباسه بالنِّسبة إلى أهل الأمصار، وهو الأمر الذي يؤيِّده الواقع اللُّغوي، يقول سيبويه: "وتقول في الأَعراب: أَعْرابيٌّ؛ لأنَّه ليس له واحدٌ على هذا المعنى، ألا ترى أنَّك تقول: العَرَبُ، فلا تكون على هذا المعنى؟ فهذا يقويه"[٢].

---

(١) الزَّاهر ٢ / ٥٦، ورأي الفراء لم أجده بمعانية، لكن الواقع اللغويّ يؤيِّده.

(٢) الكتاب٣ /٣٧٩، ويُنْظَر: تهذيب اللغة (عرب)، والزاهر ٥٦/٢هامش٥٧، والعرب والأعراب: خَلْط المفاهيم وفوضى الدلالة ص٢١٧.

سادسًا – التصحيح في باب المقصور:

جاء التَّصحيح اللُّغويّ لدى ابن الأنباري فيما يتَّصل بالمقصور، في تعليقه على قولهم: (قد ضربته بالعصا)، فقال: "قال أبو بكر: قال أبو العباس: روى الأصمعيُّ عن بعض شيوخ البصريين أنَّه قال: إنَّما سُمِّيت العصا: عصا؛ لأنَّ اليد والأصابع تجتمع عليها، وقال: هو مأخوذٌ من قول العرب: قد عصوتُ القوم أعصوهم: إذا جمعتهم على خيرٍ أو شر، ولا يجوز مدُّ العصا، ولا إدخال التَّاء معها، قال الرَّاجز:

رَبَّيْتُهُ حتَّى إذا تمعددا

كأنَّ جزائي بالعصا أنْ أُجْلَدَا

ويُقال: أولُ لَحنٍ سُمع بالعراق: عصاتي، بالتَّاء "[١]، فمن خلال هذا النَّص تتَّضح لنا إشارة ابن الأنباري – فيما نقله عن ثعلب عن الأصمعي، وهو ما أوافقه عليه – إلى أنَّ الاسم المقصور (عصا) مأخوذٌ من قول العرب: قد عصوتُ القوم أعصوهم: إذا جمعتهم على خيرٍ أو شر، ولا يجوز مدُّه، أو إلحاق التاء به؛ وبناء على ذلك عدَّ اللُّغويون قول مَنْ قالوا من أهل العراق: عصاتي، بالتَّاء، من باب اللَّحْن في اللُّغة، على نحو ما ذهب إليه ابن السِّكِّيت، وهو ما لم يأتِ به القرآن في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾[٢].

(١) الزَّاهر٢ / ٤٨٤، والرَّجز المذكور للعجاج بملحق ديوانه ص٧٦، كما أشار محقق الزاهر، ولم أجده فيما بين يدي من نسخة الديوان: يُنْظَر": الزاهر ٢/٤٨٤ هامس ٧٢ حيث تعليق المحقق، وهذا الرَّأي للفراء أيضًا بإصلاح المنطق ٢٩٧، ولم أجده بمعانيه، ومعنى تَمَعْدَدَ: غَلُظ وسَمِن.

(٢) يُنْظَر: إصلاح المنطق ٢٩٧،والزاهر ٢/٤٨٤ هامش٧٣ حيث تعليق المحقق، واللغة والنَّحو صـ١٧٥، والآية من سورة طه، من الآية١٨، والمقرب ٢ /١٣٩ -١٤١، والمقصور والممدود لنفطويه صـ٣٩، وأبنية الصرف في ديوان امرئ =

المبحث الثَّالث: التَّصحيح النَّحويّ

جاءت ملامح التَّصحيح النَّحويّ في كتاب الزَّاهر مُتَّصلةً باللازم والمتعدي، والإضافة، والاقتصار على وجه واحد في الممنوع من الصرف، والإخلال بالتَّركيب اللُّغويّ، وفيما يلي عرضٌ لهذه الأمور:

أولاً – اللازم والمتعدي:

أ – ما يتعدَّى وما لا يتعدّى:

فيما يتَّصل بالتَّصويب النحويّ في هذا الصدد نلاحظ أنَّه قد ورد في أربعة مواضع، على مدار كتاب الزَّاهر(١)، ففي تعليق ابن الأنباري على قولهم: (فلانٌ سَفِيهٌ) قال: "قال أبو بكر: معناه فلانٌ قليل اللَّحم، والسَّفه عند العرب خِفَّة الحلم، قال بعض أهل اللُّغة: من ذلك قولهم: ثوبٌ سفيهٌ: إذا كان خفيفًا رقيقًا، ومن ذلك قول ذي الرُّمة:

وأَبْيَضَ مَوْشِيِّ القَميصِ عَصَبْتُهُ   على ظَهْرِ مِقْلاتٍ سفيهٍ جَدِيلُها

الجديل: الزِّمام، والمعنى: خفيفٌ زمـــامها، مُسرع... ويُقال: سَفِهَ عبدُ الله، وسَفُه عبدُ الله، وسفِهَ عبدُ اللهِ رَأيَهُ، ولا يجوز سَفُه عبدُ الله رأيَهُ، بضمِّ الفاءِ مع النَّصب؛ لأنَّ "فَعُلَ" لا ينصب، و"فَعِلَ"ينصب؛ وذلك أنَّك

= القيس ص ٢٨٢ وما بعدها، وهنا أشير إلى أنَّ العامية المصرية – على سبيل المثال – تلحق بآخر (عصا) الياء والتاء، فيُقال: أين عصايتي، وهو خطأٌ، والصواب: أين عصاي: يُنْظَر: تحريفات العامية للفصحى صـــ ١٢٩.

(١) يُنْظَر: الزاهر ١ / ٣٩٤، ٢ /٥٢، ١٢٩، ١٩٦ – ١٩٧.

تقول: عَلِمَ عبدُ اللهِ عِلْمًا، ولا تقول: كَرُمَ عبدُ اللهِ أخاك"[١]، فابن الأنباري في هذا النَّصِّ قد أشار إلى قول النَّاس (سَفِهَ عبدُ الله، وسَفُه عبدُ الله، وسفِهَ عبدُ اللهِ رَأيَهُ)، وذلك معناه أنَّ (فَعِلَ) يأتي لازِمًا ومُتعدِّيًا، أمَّا (فَعُل) بضم الفاء، فلا يأتي إلاَّ لازِمًا؛ ومن ثَمّ كان من اللازم تصـــويب قولهم: (سَفُه عبدُ اللهِ رأيَهُ) بضمِّ الفاءِ، ونَصْبِ كلمة (رأيه) على أنَّها مفعـــولٌ به، وهو ما يترتب عليه تنقية كلام العامة من الخلط بين ما يأتي لازمًا وما يأتي مُتعدِّيًا، وما يأتي لازمًا حينًا، ويأتي مُتعدِّيًا حينًا آخر [٢].

ب – ما يتعدَّى بنفسه ولا يتعدَّى بالهمزة:

جاء ذلك في (الزَّاهر) منقولاً عن (الأصمعيّ)، في ســياق تعــليق ابن الأنباريّ على قولهم: (قد طَلَّق فلانٌ فُلانةً ثلاثًا بَتَّةً)، فقال: "قال أبو بكر: معناه: قاطعةً، أي: قطعتْ الثلاثُ حبائلها من حبائله، قال الفرَّاء: يُقال: أَبْتَتُّ على فلانٍ القضاء، وبَتَتُّ، أي: قطعتُ، وقال الأصمعيُّ: لا يُقال: أبْتَتُّ، بالألف، ولكن يُقال: بَتَتُّ، بغير ألف"[٣]، وهو ما يتَّضح من

(١) السَّابق ١ / ٣٩٤، وبيت ذي الرُّمة من الطويل، بديوانه صـــ ٣٢٢، وناقةٌ بها قَلَتٌ، أي: هي مِقلاتٌ، وقد أَقْلَتَتْ، وهو أَن تضع واحداً ثم يَقلَتُ رَحِمُها فلا تَحمل: يُنْظَر: تهذيب اللغة (قلت).

(٢) يُنْظَر: تهذيب اللغة (سَفِه)، ولسان العرب (سفه) حيث الإشارة إلى تعدِّي (سَفَه) والإشارة إلى جواز تقديم المنصوب عند البصريين والكسائي، وعدم جواز تقديمه عند الفرَّاء؛ لأنَّ المفسر لا يتقدّم.

(٣) السَّابق ٢ / ٥٢، ويُنْظَر: تقويم اللسان صـــ ١١٢ – ١١٣، والغريب المصنف ٥٧٤.

خلاله نَقْلُ ابن الأنباري عن الفرَّاء والأصمعيّ دون ترجيحٍ لأحدهما على الآخر أو إبداء وجهة نظره، فالفرَّاء يرى أنَّ الفعل (بتَّ) يتعدى بالهمزة، ويتعدَّى بنفسه، أمَّا الأصمعيُّ فيشير إلى أنَّه من غير الصحيح نحويًّا أنْ يُقال: أبْتَتُ، بالألف؛ ومن ثَمَّ كان لابد من نصِّه على هذا التصويب، فأتبعه بقوله: ولكن يُقال: بَتَتُّ،بغير ألف، وهنا أشير إلى أنَّ مثل هذه الخلافات ممّا يوقع العامة في الخطأ، ويجعلهم على صواب بناءً على رأي الفرَّاء – مثلاً – أو يجعلهم على خطأ، على رأي الأصمعي، كما هو الحال في هذا الموضع، ممَّا يجعلني أقول: كان من الواجب على ابن الأنباري أنْ يتدخل هنا، فيحسم المسألة، ولا سيمّا أنَّ وضْع الألف أو عدم وضْعها هو ما يترتب عليه وضْع الكلمة في غير موضعها – على نحو ما سنبيِّن في المبحث الرابع – ممّا لا يمنع من الإشارة هنا إلى أنَّ ابن الأنباري قد حسم الأمر في موضعٍ من هذه المواضع، فقال: " وكذلك تُخطيءُ العامّة، فيقول الرَّجل منهم للرَّجل: أوعِدني موعدًا أقف عليه، وهذا خطأٌ في كلام العرب؛ وذلك أنَّهم يقولون: قد وعدت الرَّجل خيرًا، وأوعدته شرًّا، فإذا لم يذكروا الخير قالوا: وعدته، فلم يدخلوا ألفًا، وإذا لم يذكروا الشرَّ قالوا: أوعدته، ولم يسقطوا الألف، قال الشاعر:

وإنِّي وإنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وعدْتُهُ   لأُخلف إِيعادِي وأُنْجزُ موعِدِي"(١)

---

(١) الزاهر ٢ / ١٢٩، والبيت من بحر الطويل، لعامر بن الطفيل: ديوانه صـــ ٥٨، ويُنْظَر: شرح القصائد السبع ٤٠٣.

أي أنَّ الفعل (وعد) بدون الألف يأتي في الخير، فيقال: قد وعدت الرَّجل خيرًا، أو يُقال: وعدته، أمَّا الفعل (أوعد) بالألف فيأتي في الشَّر، فيُقال: أوعدته شرًّا، أو يُقال: أوعدته، أمَّا عن (بَتَتُّ وأبتَتُّ)، فيمكن القول: إنَّ كلاًّ منهما صحيح في تعديته، فهو يتعدّى بنفسه وبالهمزة، فيُقال: بَتَتُّ الحبلَ، فانْبَتَّ، وأَبْتَتُّ، وعن ابن سِيدَه: بَتَّ الشيءَ يَبُتُّه، ويَبِتُّه بَتّاً، وأَبَتَّه: قطَعه قَطْعاً مُسْتَأْصِلاً، فهما لغتان مُستعملتان(١).

جـ - وقُوع فعِلٍ على فعْل:

أشار ابن الأنباري إلى هذا الأمر وكونه خطأً في سياق تفسيره قولَهُم: "شرابٌ سَلْسالٌ"، فقال: "قال أبو بكر: معناه: عذبٌ، سهل الدخول في الحلق، وفيه لغاتٌ: شَرَابٌ سَلْسالٌ، وسَلْسَل، وسَلْسبيل، قال أبو كبير:

أَمْ لا سَبيلَ إلى الشَّبابِ وذِكْرُهُ　　　أَشْهَى إِليّ مِنَ الرَّحيقِ السَّلْسَلِ

وقال الله جلَّ وعلا: ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾(٢)، فيجوز أنْ"سلسبيل" اسمًا للعين، فنُوِّن وحقُّه ألاَّ يجري؛ لتعريفه وتأنيثه؛ ليكون موافقًا رؤوس الآيات المنونة، إذ كان التوفيق بينها أخف على اللسان، وأسهل على القارئ، ويجوز أنْ يكون "سلسبيل" صفةً للعين ونعتًا، فإذا كان وصفًا زال عنه ثِقلُ التَّعريف، فاستحقّ الإجراء... وقال سعيد بن المسيب: هي عينٌ تجري من تحت العرش، في قضيبٍ من ياقوت، وقال بعض المفسِّرين: معنى "سلسبيلا":

(١) يُنْظَر: مقاييس اللغة (بتّ)، ولسان العرب (بتت)، وتهذيب اللغة (بتّ) حيث النَّصُّ على قول الفرّاء بأنَّهما لغتان.

(٢) سورة الإنسان، الآية ١٨.

سَلْ ربَّك سبيلا إلى هذه العين، قال أبو بكر: وهذا عندنا خطأٌ؛ لأنَّه لو كان كذلك، لقُطعت اللام من السين، و لم توصل بها، ولبقي "تُسمّى" غير واقعٍ على منصوب، وسبيله أنْ يصحبه المنصوب، كقولك: المرأة تُسمَّى هندًا، والجارية تُسمَّى جملاً، وغير جائزٍ أنْ يقع على "سَلْ"؛ لأنَّ "سَلْ" فعلٌ معناه الأمر، ولا يقع فعلٌ على فعلٍ، فخلا "تُسمّى"من المنصوب، واتصال اللام بالسين أكبر دليلٍ على غلط القوم، وأوضح برهانٍ على أنَّها حرفٌ واحد، لا ينفصل بعضه من بعض"[١]، فأنت ترى ابن الأنباري في هذا النَّصِّ قد عرض لكون كلمة "سلسبيل" اسمًا للعين أو نعتًا لها، ثُمَّ بين غلط بعض المفسرين في القول بأنَّ معنى "سلسبيلا": سَلْ ربَّك سبيلا إلى هذه العين، وعلة ذلك – وهو ما نوافقه عليه – أنَّه لو كان كذلك، لقُطعت اللام من السين، و لم توصل بها، ولبقي الفعل "تُسمّى" غير واقعٍ على منصوب، في الوقت الذي ينبغي أنْ يكون له منصوبٌ؛ لأنَّه فعلٌ يتعدى إلى المفعول، كقولنا: المرأة تُسمَّى هندًا، والجارية تُسمَّى جملاً، فكلٌ من (هند، والجمل) مفعولٌ به للفعل (تُسمّى)، وغير جائزٍ أنْ يقع على "سَلْ"؛لأنَّ "سَلْ" فعلٌ معناه الأمر، ومن المعلوم نحويًّا أنَّه لا يقع فِعْلٌ على فعلٍ، بالإضافة إلى أنَّ الفعل "تُسمّى" يكون بذلك قد خلا من المنصوب، ثُمَّ بيّن أنَّ اتصال اللام بالسين أكبر دليلٍ على غلط القوم، وأوضَحُ برهانٍ على أنَّها حرفٌ واحد، لا ينفصل بعضه من بعض، وهو الأمر الذي من شأنه القضاء على كلِّ

---

(١) الزاهر ٢ / ١٩٦، والبيت من بحر الكامل، لأبي كبير الهذلي عامر بن الحُلَيْس، بديوان الهذليين ٢ / ٨٩.

سبيلٍ من سُبُل تطرُّق هذه الفكرة إلى العامة؛ ومن ثُمَّ مقاومة اللَّحْن لديهم، فالمعروف أنَّ "سلسبيلَ صِفةٌ للعيْنِ بالسَّلسَبيل، وقال بعضهم: إنَّما أراد عينًا تُسمَّى سلسبيلاً؛ أي: تُسمَّى من طِيبِهَا، أيْ: تُوصَفُ للناس"(١).

ثانيًا – التصحيح في باب الإضافة:

ممّا لا شك في أنَّ الإضافة من أبواب النَّحو العربي، لها أقسام كثيرة، يضيق المقام بحصرها، ناهيك عن فوائدها، وقد جاء تصويب ابن الأنباري في هذا الباب صدد تعليقه على قولهم: (طُوباك إنْ فعلتَ كذا وكذا)، فقال: "قال أبو بكر: هذا ممّا تلحن فيه العوام، والصواب: طُوبى لك إنْ فعلتَ كذا وكذا، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾(٢)، واختلف النَّاس في معنى طوبي، فقال أهل اللغة: طوبى لهم، معناه: خير لهم... وقال أبو هريرة: طُوبى: شجرةٌ في الجنة..." (٣)، وهو ما يتَّضح من خلاله أنَّ ابن الأنباريّ قد أشار إلى أنَّ العوام يلحنون في قولهم: (طُوباك إنْ فعلتَ كذا وكذا)، بإضافة كلمة (طوبى) إلى ضمير المخاطب، ثُمَّ بيّن أنَّ الصواب: طُوبى لك إنْ فعلتَ كذا وكذا، ولم يكتفِ بذلك، بل عضّد رأيه الموافق لما عليه الفصحى بقوله تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾، ممَّا يؤكِّد على أنَّ كلمة (طُوبى) لا تُضاف إلى

(١) معاني الأخفش ٥٦١، ويُنْظَر: تفسير الطبري ٢٩ /٢١٩، ومعاني الفرَّاء ٣ / ٢١٧-٢١٨، ومعاني الزجاج ٥ /٢٦١.

(٢) من سورة الرعد، الآية ٢٩.

(٣) الزَّاهر: ١ / ٤٤٩ – ٤٥٠.

ضمير المخاطب، بل يُتوصَّل إلى هذا الضمير باللام، وطُوبى على مثال فُعْلَى، من الطِّيبِ، بمعنى العيش الطيِّب لهم، أو خيرٌ لهم[١].

ثالثًا – التصحيح في باب الممنوع من الصرف:

من المعروف في الدرس النحويّ أنَّ الكلمة تُمنع من الصَّرف لعلةٍ من العلل التي ذكرها النُّحاة[٢]، وقد جاء تصحيح ابن الأنباري لما تلحن فيه العامة في هذا الشأن، من باب اقتصارهم على وجهٍ واحد،من حيث صَرْف الكلمة أو مَنْعها من الصرف، وذلك في تعليقه على قولهم: (افْعَلْ كذا وكذا إذا هَلكَ الهُلُكُ، وإنْ هَلكَ الهُلُكُ)، فقال: "قال أبو بكر: العامة تُخطئ في هذا فتقول: إنْ هلك الهُلُكُ، والعرب تقول: افعل كذا وكذا إمَّا هَلَكَتْ هُلُكٌ، بالإجراء، وهُلُكُ، بلا إجراء، وهُلُكُه، بالإضافة، يريدون: افعله على ما خَيَّلَتْ، أخبرنا أبو العبّاس عن الفرَّاء: ومعنى خَيَّلَتْ: أَرَتْ وشَبَّهَتْ، وحدَّثنا أحمد بن الهيثم قال: حدَّثنا شُعبة عن سِماك عن عِكْرمة عن ابن عبّاس قال: ذكر رسول الله –صلى الله عليه وسلّم– الدجّال، فقال: (أعورُ جَعْدٌ هجانٌ، كأنَّ رأسَهُ أَصَلَةٌ، أشبه النَّاس بعبد العزّى بن قَطَن، ولكنَّ الهُلْكَ كَلَّ الهُلْكِ أنَّ ربَّكم ليسَ بأعورَ)، وفي غير هذه الرِّواية: فإنْ هلكت هُلُكُ، وفي روايةٍ أخرى: فإنْ هَلَكَتْ هُلَّكٌ "[٣]، فابن الأنباريّ في

---

(١) يُنْظَر: معاني الفرَّاء ٢ / ٦٣، وغريب الحديث ٤ / ١٠٩، ومعاني الزجاج ٣ /١٤٨.

(٢) يُنْظَر: الكتاب٥ /٣٦٧ حيث فهرس الممنوع من الصرف بالكتاب، وشرح الرضي على الكافية ١/١٠٠ -١٨١، والممنوع من الصرف في العربية ص٢١ وما بعدها.

(٣) الزَّاهر: ٢ / ٢٣٢ – ٢٣٣، ويُنْظَر:مسند أحمد ١ / ٢٤٠، حديث رقم ٢١٤٨.

هذا النَّصِّ يريد توجيه الأنظار إلى ضرب من لَحْن العامة، وهو اقتصارهم على وجه الإجراء (الصَّرف) في كلمة (الهُلُك) أو (الهُلَّك) جمع (هالك)، في قولهم: (افْعَلْ كذا وكذا إذا هَلكَ الهُلُكُ، وإنْ هَلكَ الهُلُكُ)، أي: افْعَلْ كذا وكذا على ما خُيِّل وشُبِّه لك، وإنْ هلك به الهالكون[1]؛ وهناك مَن يسبقوها بالألف واللام للتعريف، ولا يضيفوها، وهو ما يتَّفق مع واقع اللغة، هذا، وقد علل ابن الأنباري اللَّحْن في هذا الاقتصار على وجه الإجراء بما ورد عن العرب من أنَّهم يقولون: افعل كذا وكذا إمَّا هَلَكَتْ هُلُكٌ، بالإجراء، أي بصَرْف الكلمة مُنوَّنة، ويقولون: افعل كذا وكذا إمَّا هَلَكَتْ هُلُكُ، بلا إجراء، أي بمَنعها من الصَّرف، فلا تُنوّن ولا تُضاف، ويقولون أيَضًا: افعل كذا وكذا إمَّا هَلَكَتْ هُلُكُه، بإضافة كلمة (هُلُك) إلى الضمير، ولم يكْتَفِ ابن الأنباري بذلك، بل أيّد كلامه بحديث لَمنْ لا ينطق عن الهوى، جاءت فيه الكلمة مصروفةً، مسبوقةً بالألف واللام، وفي روايتين له جاءت الكلمة مصروفةً غير معرّفة في إحداهما،وفي الأخرى جاءت ممنوعة من الصَّرف، ممّا يؤكِّد على خطأ العامّة في الاقتصار على وجهٍ واحد؛ ومن ثَم فبقية الأوجه صحيحةٌ، تُدعِّمها الفُصحى.

رابعًا – الإخلال بالتَّركيب اللُّغويّ:

من المعروف أنَّ التراكيب لها أسسٌ تُبْنى عليها، يجب الالتزام بها، ويُعدُّ الإخلال بها من باب اللَّحْن في اللُّغة، أمَّا الانحراف أو العدول عن المُعتاد فيها – في إطار الصَّواب اللُّغويّ لغرضٍ مَّا، يتصل بالمعنى أو النَّسْج – فلا يُعدُّ من باب اللَّحْن الذي نحن بصدد العرض لبعض ملامح تصويبه، وقد جاء

---

(١) يُنْظَر: الزَّاهر: ٢ / ٢٣٣، وتهذيب اللغة، واللسان (هلك).

تصويب ابن الأنباري فيما يتصل بالإخلال بالتَّركيب اللُّغوي في موضعين، أولهما في سياق عَرْضه قولَهم: (هو ذا أَلْقَى فُلانًا)، فقال: "قال السجستاني: بعض أهل الحجاز يقولون: هَوَ ذا،بفَتْح الهاء والواو، وهذا خطأٌ منه؛ لأنَّ العلماء الموثوق بعلمهم اتفقوا على أنَّ هذا من تحريف العامة وخطئها، والعرب إذا أرادت معنى: هو ذا، قالوا: ها أنا ذا ألقى فلانًا، ويقول الاثنان: ها نحنُ ذان نلقاه، ويقول الرِّجال: ها نحن أولاء نلقاه، ويُقال للمخاطب: ها أنت ذا تلقى فلانًا، وللاثنين: ها أنتما ذان تلقيانه، وللجميع ها أنتم أولاء تَلقَونهُ، ويُقال للغائب: هو ذا يلقاه، وللاثنين: ها هما ذان يلقيانه، وللجميع: ها هم أولاء يلْقَوْنَهُ، ويُبنى التأنيث على التذكير... وإنَّما يجعلون المكنّى بين"ها" و"ذا" إذا قربوا الخبر، فتأويل قول القائل: ها أنا ذا ألقى فلانًا: قد قرُب لقائي إيّاه"(١).

فابن الأنباري في هذا النَّصِّ روى عن السجستاني أنَّ أهل الحجاز يقولون: هَوَ ذا، بفَتْح الهاء والواو، وعدم الفصل بين (ها) و(ذا)؛ ومن ثَمَّ نصَّ على أنَّ هذا خطأٌ منه؛ لأنَّ العلماء الموثوق بعلمهم اتفقوا على أنَّ هذا من تحريف العامة وخطئها، مُضيفًا أنَّ العرب إذا أرادت معنى: هو ذا ،قالوا: ها أنا ذا ألقى فلانًا، ويقول الاثنان: ها نحنُ ذان نلقاه، ويقول الرِّجال: ها نحن أولاء نلقاه...إلخ، وهو ما يتَّضح من خلاله أنَّ العرب الموثوق بهم يفصلون بين "ها" و"ذا" بالضمير (المكنّى)؛ وذلك لغايةٍ دلاليةٍ، مفادها

(١) الزَّاهر: ٢ / ٢٦٦ -٢٦٧.

تقريب الخبر الذي هو محطُّ الفائدة، وفي ذلك قال الفرَّاء: "العرب إذا جاءت إلى اسمٍ مُكنّى قد وُصِفَ بهذا وهاذان وهؤلاء فرَّقوا بين (ها) وبين (ذا)، وجعلوا المكنَّى بينهما؛ وذلك على جهة التَّقريب لا في غيرها، فيقولون: أين أنت؟ فيقول القائل: هأنذا، ولا يكادون يقولون: هذا أنا، وكذلك التثنية والجمع... وربما أعادوا (ها) فوصلوها بذا وهذان وهؤلاء، فيقـولـون: ها أنت هذا، وها أنتم هؤلاء، وقال الله تبارك وتعالى في النساء: ﴿هَاأَنتُمْ هَـؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فإذا كان الكلام على غير تقريب أو كان مع اسمٍ ظاهر جعلوا (ها) موصولةً بذا، فيقولون: هذا هو، وهذان هما، إذا كان على خبرٍ يكتفِي كلٌّ واحد بصاحبه بلا فِعْلٍ، والتَّقريب لابدّ فيه من فِعْلٍ لنُقصانه، وأحبُّوا أنْ يفرِّقوا بذلك بين معنى التَّقريب وبين معنى الاسم الصحيح"(١).

أمَّا الموضع الآخر فقد كان في سياق تعليقه على قولهم: (يُصيبُ وما يدري، ويُخطئ وما درى)، فقال: "قال أبو بكر: قال اللُّغويون: الصَّواب وما تتكلّم به العرب: **يُصيب وما يدري،ويُخطئ ما درى،** أي: ما ختل، من قولهم: دريتُ الظِّباء أدريها دَرْيًا: إذا ختلتُها، ومن هذا قولهم: قد داريتُ الرَّجل: إذا لاينته وختلته، أداريه مُداراة، أنشدنا أبو العباس:

فَإِنْ كنتُ لا أدْري الظِّباءَ فإِنَّني   أدُسُّ لـها تحْتَ التُّرابِ الدَّواهيا"(٢).

---

(١) معاني القرآن ١ / ٢٣١ – ٢٣٢، ويُنْظَر: الكتاب ١ / ١٩٧، ٣٥٣ – ٣٥٤.

(٢) الزَّاهر: ٢ / ١٩٥، والبيت من بحر الطويل.

وهو ما يتَّضح من خلاله أنَّ ابن الأنباري يرى – نقلاً عن اللغويين – أنَّه من غير الصَّحيح أنْ نقول: (يُصيبُ وما يدري، ويُخطئ وما درى) بالفصل بين الفعل (يُخْطئ) ومفعوله بحرف العطف، وذلك أنَّ التركيب هنا يُنْبئ عن أنَّ الفعل (يُخطئ) فعلٌ مُتعدٍ واقعٌ على ما يُخْتَل؛ ومن ثَمَّ فالصواب بإسقاط حرف العطف، وجَعْل (ما) موصولةً، في محلِّ نَصْب، على أنَّها مفعولٌ به، وليست نافية، على نحو ما جاء عند العامة – وإنْ كان ابن الأنباري لم يصرِّح بلفظ العامة، لكنَّه مفهومٌ من الكلام – ومن ثَمَّ فجملة (درى) لا محل لها من الإعراب صِلَة الموصول الحرفي (ما).

المبحث الرَّابع: التَّصحيح الدَّلالي

جاءت ملاحظ التَّصحيح الدَّلاليّ في كتاب (الزَّاهر) في ستة وعشرين موضعًا[١]، يضيق المقام بالحديث عنها جميعًا، حيث كان تنبيه ابن الأنباري أو غيره[٢] على الخطأ في وَضْع الألفاظ في غير موضعها أو الخطأ في تأويلها، على نحو ما أشرنا فيما سبق، صدد الحديث عن لفظ (الحُمَة)، أو التنبيه على قَصْر اللَّفظة على معنًى دون الآخر، أو التنبيه على الخطأ فيما يتَّصل بالمصاحبة اللُّغوية، أو التنبيه على الخطأ في الاشتقاق الدلالي للكلمة، سواءٌ أكان الخطأ يتَّصل بالعامة أو غيرهم، **فمن وَضْع الكلمة في غير موضعها** ما جاء في تعليق ابن الأنباريّ على قولهم: (هُمْ قومٌ سُوقةٌ)، فقال: "قال أبو بكر: العامّة تُخطئ في معنى هذا، فتظنُّ أنَّ السُّوقة أهل الأسواق والمُتبايعون فيها، وليس الأمر عند العرب على ذلك. إنَّما السُّوقة عندهم مَنْ

(١) يُنْظَر: الزَّاهر: ١/١١٦ -١١٧ ، ١٢٧ -١٢٩ ، ١٦٥ ، ٢٥٧ ، ٣٨٤ ، ٤٣١ ، ٥١١ ، ٢ / ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٨ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٢٨ ، ٣٦١ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ ، وهنا أُشير إلى أنَّ هذه الملاحظ يمكن أنْ تُشكِّل بحثًا، يضطلع به أحد الباحثين من ذَوِي الهِمَم، يَسَعُه الوقت والمقام للحديث عنها جميعًا.

(٢) يُنْظَر: الزَّاهر: ٢/٣٧٠ – ٣٧١ حيث تنبيه أبي زيد على خطأ العامة في قولهم: ثريدةٌ كثيرة العُراق، بمعنى كثيرة اللحم، ويرى– كما يرى ابن قتيبة – أنَّ (العُراق) العظام، على خلاف ابن الأنباري – االذي نؤيِّده – بناء على ما أورده من أدلة؛ ومن ثَمَّ رجّح قول أبي عُبيد في كَوْن العُراق: الفِدْرة من اللَّحم.

لم يكُن مَلِكًا، تاجرًا أو غير تاجر... وقال زهير:

يا حارِ لا أُرْمَيَنْ منكُم بداهيةٍ *** لم يَلْقَها سُوقَةٌ قبلي ولا مَلِكُ

ويُقال: رجلٌ سوقةٌ، ورجلان سُوقةٌ، ورجالٌ سُوقة، وامرأةٌ سوقة وامرأتان سوقة، ونساءٌ سوقة، والسُّوق التي تُساق إليها الأشياء، ويقع فيها البيع، والسُّوق، الغالب عليها التأنيث، وربَّما ذُكِّرَت"(١)، فابن الأنباريّ في هذا النَّصِّ قد أوضح أنَّ ثَمَّة خطأً دلاليًّا، تقع فيه العامة، ينبغي التَّصدي له، حيث إنَّهم يظنُّون أنَّ المقصود بكلمة السُّوقة أهلُ الأسواق والمُتبايعون فيها، فيضعون الكلمة في غير موضعها؛ لأنَّ الأمر عند العرب على خلاف ذلك، من مُنطلق أنَّ السُّوقة عندهم مَنْ لم يكُن مَلِكًا،تاجرًا أو غير تاجر، وغير ذلك، وهو ما يشهد به كلام الفصحاء ، على نحو ما جاء في بيت زهير(٢).

ومن تصحيح الخطأ في قَصْر اللَّفظة على معنًى دون الآخر ما جاء في تعليقه على قولهم: (قد طَرِبَ الرَّجل)، فقال: "قال أبو بكر: معناه قد خفَّ لشدة فرحٍ لَحِقَه أو حُزْنٍ، والعامة تظنُّ أنَّ الطَّرب لا يكون إلاَّ مع الفرح، وهو خطأ منهم، أنشدنا أبو العبّاس، قال أنشدنا عبد الله بن شبيب لابن الدمينة:

فَلا خيرَ في الدُّنيا إِذا أنتَ لم تَزُرْ حبيبًا و لم يَطْرَب إِليك حبيبُ

معناه: و لم يخفّ إليك... وقال الآخر في الطَّرب الذي بمعنى الحزن:

---

(١) الزَّاهر: ١/٥١١- ٥١٢، وبيت زهير بديوانه صـ ١٤٥ من بحر البسيط، ويُنْظَر: مصنفات اللَّحْن والتثقيف اللغوي صـ٢٦٧.

(٢)يُنْظَر: العين،وتهذيب اللغة، وتاج العروس، ولسان العرب (سوق).

وأَراني طَـــرِبًا في إِثْرِهم　　　طَـــرَبَ الـــواله أو كالمُخْتَبَلْ"[١].

فالملاحظ أنَّ ابن الأنباري يرى أنَّ قَصْر (الطَّرَب) على الفرح لدى العامة من غير الصحيح دلاليًّا، مُشيرًا إلى أنَّه كما يكون في الفرح يكون في الحُزن، مُستشهدًا على ذلك بالشِّعر العربيّ، وممّا يدلُّ على أنَّه يكون في الحُزن أيضًا قول ذي الرُّمّة:

أَسْتَحْدَث الرَّكْبُ مِنْ أشياعِهِم خَبَرًا *** أمْ راجَـــعَ القَلْبَ من أطْرابِهِ طَرَبُ[٢].

وهو ما يؤيِّده الموروث اللُّغويّ الذي تكتنفه المعاجم[٣].

ومن تصحيح الخطأ فيما يتَّصل بالمصاحبة اللُّغوية ما جاء في تعليقه على قولهم: (فلانٌ نظيفُ السَّراويل)، فقال: "قال أبو بكر: معناه: عفيف الفَرْج، فجعل السَّراويل كنايةً عن الفرج، كما قالوا: عفيف المِئزر، والإزار: إذا كان عفيف الفَرْج... ويُقالُ: فلانٌ نَجسُ السَّراويل: إذا كان غير عفيف الفرج، وقول النَّاس: رجلٌ بليد السَّراويل: قال أبو بكر: ليس من كلام العرب، وهم يكنون بالثِّياب عن النَّفس والقلب، وبالإزار عن العفاف، قال امرؤ القيس:

ثِيابُ بَنِي عوفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ　　　وأَوجُهُهُم عندَ المشاهدِ غُرّانُ

---

(١) الزَّاهر: ١٦٥/١، وبيت ابن الدَّمية من الطويل بديوانه ١٤، والثاني للنابغة الجعديّ، بديوانه١١٩، من الرمل، ويُنْظَر: تقويم اللسان ٦٠.

(٢) البيت من البسيط، بديوانه صـــ ٢٠، ويُنْظَر: الخصائص ٢٩٥/١ حيث استشهد ببيت ذِي الرُّمَّة على تقديم المفعول.

(٣) يُنْظَر: تهذيب اللغة، والصحاح ، ولسان العرب (طرب).

معناه: هم في أنفسهم طاهرون"[١]، فابن الأنباري يرى أنَّ قولهم: (فلانٌ نظيفُ السَّراويل) معناه: عفيف الفَرْج[٢]، وذلك على جَعْل السَّراويل كنايةً عن الفرج، ثُمَّ ذكر أنَّه يُقال: فلانٌ نَجسُ السَّراويل: إذا كان غير عفيف الفرج[٣]، أي أنَّه في الدلالة على عدم عِفّة الفرج تصحب كلمة (السَّراويل) كلمة (نَجِس)، ولا تصحبها كلمة (بليد)؛ ومن ثَمَّ كان نصُّه على أنَّ قول النَّاس: رجلٌ بليد السَّراويل، ليس من كلام العرب، ومما يؤيِّد ذلك أنَّ كلمة السراويل فيما بين يدي من معاجم لم تصحبها كلمة بليد[٤]؛ ومن ثَمَّ فإنَّ تصحيح ابن الأنباري يُسهم في مقاومة لحن العامة في هذا الصدد، وهو ما يتَّضح من خلاله أنَّ فكرة المصاحبة اللغوية لها دَوْرها البارز في تَحديد دلالة قدرٍ كبيرٍ من الألفاظ والتراكيب، **وفي إطار التنبيه على الخطأ في الاشتقاق الدلالي** للكلمة[٥]، سواءٌ أكان الخطأ يتَّصل بالعامة

(١) الزَّاهر: ٤٣١/١، وبيت امرئ القيس من الطويل، بديوانه صـ ٦٥١.

(٢) فمن المعروف أنَّ النون والظاء والفاء كلمة واحدة، وهي قولهم: شيءٌ نظيف: نقيٌّ، بيِّن النظافة: مقاييس اللغة (نظف).

(٣) من المعروف أنَّ (نجس) أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف الطّهارة، وشيء نَجِسٌ ونَجَسٌ: قذِر، والنَّجَس: القَذَر:مقاييس اللغة (نجس).

(٤) يُنْظَر: مسند أحمد ٤ / ٤٠٦، حديث رقم ١٩٦٥٩.

(٥) الاشتقاق هنا هو الاشتقاق اللُّغوي الذي يكوِّن مع الاشتقاق الصَّرفيّ شِقّيّ الاشتقاق الصغير أو الأصغر أو العام، ذلك الاشتقاق الأصغر الذي يقابله الاشتقاق الكبير أو الأكبر، يُنْظَر: الخصائص ٢/ ١٣٣ -١٣٩، والمزهر ٣٤٥/١ -٣٥٤، والاشتقاق =

أو غيرهم نذكر ما جاء في تعليقه على قولهم: (أصاب الصَّواب فأخطأ الجواب)، فقال: "قال أبو بكر: معناه: أراد الصواب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ﴾[١]، أراد: حيث أراد، وقال الشاعر:

وغَيَّرها ما غَيَّرَ النَّاسَ قبلها | فبانتْ وحاجاتُ النُّفوسِ تصيبُها

أراد: تريدها، ولا يجوز أنْ يكون "أصاب" من "الصواب" الذي هو ضد "الخطأ"؛ لأنَّه لا يكون مُصيبًا ومُخطئًا في حالٍ واحدة [٢]، وهو ما يتَّضح من خلاله أنَّ الفعل (أصاب)في القول السابق ليس المقصود به إدراك الصواب في القول، على الرغم من اشتقاقه من الجذر المعجميّ (صوب) الدال على"نزولِ شيءٍ واستقرارِه قَرَارَه، من ذلك الصَّوَابُ في القول والفعل، كأنَّه أمرٌ نازلٌ مستقِرٌّ قرارَه، وهو خلاف الخطأ"[٣]، بل إنَّ المقصود منه – على نحو ما صحّحه ابن الأنباري، وهو ما أوافقه عليه – الإرادة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ﴾، قال

= لابن دريد ٢٦ -٣٠ حيث مقدمة المحقق، ودراسات في فقه اللغة صـ ١٧٤، وفي علم الدلالة صـ ٢٧، ومستويات التحليل اللُّغوي٢٨٠-٢٨١.

(١) سورة ص، من الآية ٣٦.

(٢)الزَّاهر: ٢/ ١٩٤، ويُنْظَر: ١ / ٣٨٤ ، والبيت لبشر بن أبي خازم، بدوانه صـ ١٣، من الطويل.

(٣)مقاييس اللغة (صوب).

الفرَّاء: "حيث أصاب: حيثُ أراد"(١)، وهو ما أيّده كلام العرب على نحـــو ما جاء ببيت بشر بن أبي خازم، وفي إطار التنبيه على الخطأ في الاشتقاق الدلالي للكلمة نذكر أيضًا ما جاء في تعليقه على قولهم: (ذَاكَ إنسانٌ من الناس) فتطرق إلى سبب تسمية الإنسان إنسانًا، ثُمّ تطرَّق إلى كلمة (آدم) مُخطِّئًا قول (قطرب)، فقال: "واختلفوا في آدم عليه السَّلام: فقال ابن عبّاس: آدم مأخوذٌ من أديم الأرض، وروى أبو موسى عن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنَّه قال: (خلق الله– عزَّ وجلَّ– آدمَ من قبضة قَبَضها من جميع الأرض،فجاء ولدُهُ على قَدْر الأرض، منهم الأسود والأبيض والأحمر والسهلُ والحَزْنُ والخبيثُ والطيِّبُ) (٢)، وقال قطرب: لا يصحُّ في العربية أنْ يكون (آدم) مأخوذَا من أديم الأرض؛ لأنَّه لو كان كذلك لكان مصروفًا؛ لأنَّه يكون: فاعلاً بمنزلة: خاتَم وطابَق، وهذا خـــطأ منه؛ لأنَّ آدم – على ما قال النبي... وابن عباس، مأخوذٌ من أديم الأرض، والذي قـــالا صحيحٌ في العربية، وهو أنْ يكون آدم: أفعل، مأخوذٌ من الأديم، ويكون الأصل فيه: أَأْدم، فتصير الهمزة الساكنة ألفًا؛ لانفتاح ما قبلها، ويُمنع من الانصراف

(١)معاني القرآن ٢ / ٤٠٥، ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٣ حيث قوله: إجماع المُفسِّرين وأهل اللُّغة أنَّه حيث أراد، وحقيقته قَصَدَ، وكذلك قولك للمجيب في المسألة: أصبتَ، أي قَصَدْتَ، فلن تخطئ الجواب.

(٢)معاني القرآن ٢ / ٤٠٥، ومعاني القرآن وإعرابه٤ / ٣٣٣ حيث قوله: إجماع المُفسِّرين وأهل اللُّغة أنَّه حيث أراد، وحقيقته قَصَدَ، وكذلك قولك للمجيب في المسألة: أصبتَ، أي قَصَدْتَ، فلن تخطئ الجواب.

للزيادة والتَّركيب"[١]، وهو ما يتَّضح من خلاله تخطيء ابن الأنباري قول قطرب، وهو ماتؤيِّده المعاجم العربية وكتب اللغة [٢]، في إطار الإسهام في مقاومة لَحْن العامة والخاصة أيضًا، على نحو ما سبق من ملاحظ التَّصحيح اللُّغوي على مدار هذا البحث، ممَّا يُسْهم في تعلُّم الفصيحة وتقليل الشُّقّة بينها وبين العامية،وهنا يؤنسني قَوْل أحد الباحثين: "وبعد، فإنَّ الشُّقّة بعُدت بين الفصيحة والعامية، نتيجة تلكؤ تعلُّم الفُصحى وتعليمها، فالعامية سائدةٌ في المدارس والجامعات والمؤسسات الرَّسمية والخاصة، وإنَّ المدرسين يعانون من شَرْخٍ في اعتزازهم باللغة العربية الفصيحة، فهم يلجؤون إلى الفصيحة في القراءة والكتابة، وإلى العامية في المحادثة الشفوية، والحال - كما يُقال أنَّ هناك شرخًا في الشَّخصية الثقافية العربية، يؤثِّر تأثيرًا مباشرًا وأساسيًّا في علاقة العربيّ بلغته وأُمّته، ويبدو ذلك جليًّا في التعليم والنصوص المكتوبة والمنطوقة"[٣]؛ ومن ثَمَّ فلعل ما ورد بهذا البحث يكون إسهامًا النهوض بلغتنا التي نعتز بها.

---

(١) الزَّاهر: ١/ ٣٨٤.

(٢) يُنْظَر: العين، ومقاييس اللغة، وتهذيب اللغة، والصحاح، ولسان العرب، وتاج العروس (أدم).

(٣) اشتغالات المعنى في اللغة العربية بين الفصحى والعامية صـ ٩٢.

- الخاتمـــة -

هكذا نصل إلى خاتمة البحث بصورته الكائنة المبنية على الالتزام بما قرَّره القائمون على المؤتمر، من حيث عدد الصفحات، وغير ذلك، وهـــو ما يستلزم العرض لأهم نتائجه، مجملاً إيّاها في إيجازٍ، تاركًا التفاصيل لثنايا البحث، وذلك فيما يلي:

- إنَّ نظرة سريعة على كتاب الزَّاهر لتدلُّ على أنَّ به كثيرًا من ملاحظ التَّصحيح اللُّغوي التي تستحقُّ الدراسة، سواءٌ أكان هذا التصحيح من جانب ابن الأنباري نفسه أم نقلاً عن غيره من حُرَّاس العربية القدماء، وأنَّ هذه الملاحظ قد تنوعت، فشملت مستويات اللغة كلِّها؛ ومن ثَم اتّضح من خلالها مدى الترابط فيما بين مستويات الدَّرس اللُّغويّ، وهو الأمر الذي يجعلنا نؤكِّد على ضرورة الولوج إلى مثل هذه المؤلفات؛ لاستكناه ما فيها، وعدم الاقتصار على ما خُصِّص للَّحن من مؤلَّفات.

- من اللافت للنظر- من خلال ملاحظ التصحيح- أنَّ لدى ابن الأنباريّ منهجًا مَّا في تناول هذه الملاحظ، يكمن في ترجيحه واختياره في بعض الأحيان، مع تدعيم ذلك الترجيح أو الاختيار بالأدلة من القرآن والحديث وكلام العرب، في إطارٍ من الوعي بأصول اللُّغة، أمَّا ما ليس فيه اختلافٌ من جانبه أو من جانب غيره، فقد كان يذكر صوابه، دون ترجيح، مُدعِّمًا إيّاه، وذلك واضحٌ من خلال الإحصاء للمواضع واستقرائها، سواءٌ ما ذُكِرَ بالبحث أو لم يُذكر، أضف إلى ذلك أنَّ ثَمّة ربطًا بين التصحيح

والدلالة لدى ابن الأنباري أو غيره ممّن ذكرهم ،في إطارٍ من إعطاء الكلام حقَّه من المعنى والإعراب، ممّا يُسهم في الإقرار بوجه الصواب، وهنا أُشير إلى أنَّ هذا الصواب أو التَّصحيح كان ذا طابع معياريّ، ابتُغِي من ورائه المحافظة على المستوى الصوابي لمعيارية اللغة.

– اتَّضح من خـــلال العـــرض لملاحـــظ التَّـــصويب اللُّغويّ لدى ابن الأنباري أنَّ بعضًا منها لم يكن خطأً، كما في قولهم: (حُزَّة السَّراويل)، وهو ما يجعلنا نقول بضرورة الاستقراء المُنضبط قبل الحُكم بالخطأ على قولٍ مَّا، كما أنَّ بعض ما أورده من تخطئة بعض اللُّغويين لكلمة مَّا أو وجهٍ مَّا، لم يُعرب ابن الأنباريّ تجاهه عن وجهة نظره صراحةً، وإنَّما كان يُعرِب عن رأيه ضِمْنًا، من خلال ذِكْره آراء لغويين آخرين، وهو ما جعلني أقول: كان من الواجب على ابن الأنباريّ أنْ يُدْلي بدَلْوه في هذه المسألة أو تلْك حتَّى لا يتخبَّط العامة بين قول هذا وذاك، وهو ما يُسْهم في مقاومة لَحْنِ العامّة، وعلى الرَّغم من ذلك، فقد كان يتدخل في مواضع أُخَر حاسمًا الأمر بالدليل اللُّغويّ والحُجّة القاطعة.

– تبيَّن أنَّه لَّما كانت اللُّغة العربية واقع وجود التفكير والتجذير، وهي العنصر الذي تتجلى فيه حياة الفكر، وكلّما كان التفكير حيًّا يقظًا دقيقًا كانت اللغة كذلك، وأمكنها الضرب بجذورها، والوقوف صامدة في عصر العولمة، فإنَّه ينبغي تطوير أسلوب تفكيرنا عند التصدي لتحليل النصوص تحليلاً لغويًّا أو عند التصدي لِما هو مُحلّلٌ بالفعل من قِبَل القدماء الذين تربينا على فكرهم المستحق للإجلال والإكبار.

- لَّما كان لكلِّ صاحب حرفةٍ عُدَّته، فقد اتَّضح أن لدى ابن الأنباري وغيره- ممّن ورد ذكرهم بثنايا الكتاب- عُدّتهم، التي تمكِّنهم من التَّصدِّي للتَّصحيح اللُّغوي، تلك العدَّة المُتمثِّلة في الاستقراء الدقيق لواقع العربية، والتدقيق فيما يُقال، ويُدفع به القول؛ ومن ثَمَّ محاولة تتبُّع التصحيح اللُّغوي في كتب اللُّغة القديمة، وهو ما سيعود بالنَّفع على المُتصدي للتَّصحيح، ولاسيّما إذا كان في عصرنا هذا، فلعلَّ ما يقوم بتصويبه يكون صحيحًا من جهة كونه لهجةً من لهجات العرب، هذا، وأشير في هذا الصدد إلى أنَّ قرارات مجامع اللغة العربية لها بالغ الأهمية في هذا الشأن؛ ذلك أنَّها مبنيةٌ على دراسةٍ كافيةٍ، فيما يتصل بقبول شواهد هذا أو ذاك، بما لا يتنافى مع الصَّحيح في العربية.

- لَّما كان الشيء يُسْلم إلى الشيء، فإنَّه آن الآوان أنْ أُشير إلى أنَّ لدى ابن الأنباري أمانةٌ في نسبة الآراء إلى قائليها، نحو أبي زيد، والأصمعي، وأبي عُبيد، والفرَّاء، وثعلب، وغيرهم، ممَّا يؤكِّد على أنَّ نسبة الآراء إلى قائليها – وخاصة فيما يتَّصل بالتَّصحيح اللُّغويّ — لا يُنْقص من قدر الباحث، بل يُحسب له.

- تبيَّن أنَّ ابن الأنباري وغيره ممّن ورد ذكرهم في (الزَّاهر) لم يكونوا مولعين بِذِكْر كلِّ ما من شأنه تضخيم المادة، بل وقف ابن الأنباري — على سبيل المثال — عند ما يستحق الوقوف، فوقف أمام ما شاع بين ألسنة العامة في أمثالهم وأقوالهم، فيما يتَّصل بما يستعملونه في عبادتهم، موضوع العبارات والتَّراكيب التي تناولها ابن الأنباري، وخصّص لها كتابه ،كما أنَّه وقف أيضًا

عند بعض أخطاءِ الخاصة، سواءٌ أكانوا من اللُّغويين أم من المُفسِّرين أم من غيرهم، وكان العرض لهذه الأخطاء من منطلق السَّعْي إلى تأصيل الهوية اللغوية العربية وترسيخها، وهو الأمر الذي يؤكِّد على شَرْعية مناقشة حال العربية، وما يعترض سبيلها من تحدياتٍ مختلفة، كزَحْفِ العامية وتعدُّد اللَّهجات وغزو اللُّغات الأخرى؛ ومن ثَمَّ محاولة تلمُّس السُّبل التي تنهض باللغة العربية، وتجعلها مواكبةً لمتطلبات العصر الحاضر، وذلك بالانفتاح على معطياته والإفادة من الدراسات اللُّغوية المعاصرة، فيما يثري اللغة، ويقرِّبها للمتلقي دون التنازل عن ثوابت الهوية اللُّغوية الأصيلة.

التوصيات:

- يوصي الباحث بعدم الاندفاع في التَّصحيح اللُّغوي؛ ومن ثَمَّ ينبغي التريُّث، فلعلّ ما تُنكره يكون له شاهدٌ قويٌّ، ولاسيّما إذا كان الأمر يتعلق بدلالة الألفاظ أو الخروج على التَّركيب اللُّغوي؛ ومن ثَمَّ يُفَضَّل الاجتهاد في التَّقصِّي، من خلال الكتب اللُّغوية المختلفة، وكتب الأدب والمعاني والفروق والأصول، والحديث، وغير ذلك، بالإضافة إلى المعاجم المختلفة، وكتب الاستدراكات.

- يرى الباحث أنَّه لابدّ من تفعيل دور المجامع اللُّغوية؛ ومن ثَمَّ مراجعة ما يُرادُ نَشْره في هذا الشأن قبل نَشْره؛ للحدِّ من الإسراف في تخطئة ما ورد في كلام العرب.

- من الضروريّ تعهُّد أنفسنا في حديثنا، بحيث يكون بالفصحى داخل المدارس والجامعات والهيئات الحكومية، وخارجها أيضًا، وهو الأمر

الذي سيقلِّل من نظرة الاستغراب تجاه المُتحدِّث بالفصحى؛ ومن ثَمَّ تضييق الفجوة بين الفصحى والعامية، والإسهام في القضاء على ما يوجد من شَرْخٍ في شخصية المثقف العربي، وهو ما يؤثِّر تأثيرًا مباشرًا وأساسيًّا في علاقة العربيّ بلغته وأُمّته.

وبعدُ، فلا يَسَعُني إلاّ أنْ ننهي هذه المشاركة المتواضعة بالإشارة إلى استيلاء النقص على جملة البشر؛ ولذا فكلُّ إنسانٍ يُؤخذ منه، ويُردُّ عليه، فما أجدر الإنسان بالتقصير والعيوب، إذا لم يحفظه ستَّار العيوب، فالكمال لله وحدّه، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

– الإبدال اللغويّ في ضوء علم اللغة الحديث، د.إسماعيل الطحان، مجلة آداب المستنصرية، العدد الأول،السنة الأولى، العراق،١٣٩٦ هـــــ.

– الإبدال، د. محمد نايل أحمد، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الخامس والثمانون، القاهرة، المحرم ١٤٢٠ هـــ –مايو ، ١٩٩٩ م.

– أبنية الصرف في ديوان امرئ القيس، صباح الخفاجي، رسالة دكتوراه بآداب القاهرة، ١٩٧٩ م.

– أبنية الصرف في كتاب سيبويه، للدكتورة خديجة الحديثي ،منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، العراق، ط ١، ١٩٦٥ م.

– أدب الكاتب، ابن قتيبة الدينوري ت٢٧٦ هـــ، تحقيق محمد الدالي ،مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،١٩٨١ م.

– الإدغام: مفهومه وأنواعه وأحكامه، د. أبو أوس الشمسان، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، العدد٢٥، المحرم ١٤٢٠هـــ.

– اشتغالات المعنى في اللغة العربية بين الفصحى والعامية، محمد السموري، مجلة جذور، النادي الثقافي الأدبي، جدة، السعودية، ج١١، ع٢٨،١٤٣٠ هـــ – يوليه، ٢٠٠٩م.

– الاشتقاق، ابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١ هـــ–١٩٩١ م.

- إصلاح المنطق، ابن السِّكِّيت،شرح وتحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

- إصلاح غلط المُحدِّثين، للخطّابي ت ٣٨٨ هـ، ضمن أربعة كتب في التَّصحيح اللغوي، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

- الإعراب ومشكلاته(١)، د. أحمد علم الدين الجندي، مجلة مجمع اللغة العربية،القاهرة،الجزء ٤٢، نوفمبر ١٩٧٨ م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيديّ " مُحب الدين أبو الفيض، ت ١٢٠٥ هـ"، طبعة دار الكتب المصرية، مصر، د. ت.

- تاريخ بغداد، أبو بكر الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

- تاريخ دمشق، ابن عساكر"ت ٥٧١ه"، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت،لبنان ،الطبعة الأولى،١٤١٧ه-١٩٩٧م.

- تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، د.ت.

- التطور اللغوي بين القوانين الصوتية والقياس، للدكتور رمضان عبد التوَّاب، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد ٣٣، مايو ١٩٧٤م.

- التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني المعروف بالسيد الشريف، ت(٨١٦هـ)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د.ت.

- التعليل اللغويّ عند الكوفيين مع مقارنته بنظيره عند البصريين، د. جلال شمس الدين، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤م.

- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير "ت٧٧٤ه"، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض،السعودية، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢ م.

- تقويم اللسان، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ت ١٢٠١هـ، تحقيق د. عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، ط٢ ، ٢٠٠٦ م.

- تهذيب اللغة، للأزهري " أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي ت ٣٧٠ هـ "، تحقيق عبد السلام هارون، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د. ت.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ت ٣١٠هـ، دار المعرفة بيروت، لبنان، ١٩٨٩ م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه،محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- جمهرة اللغة، لابن دُريد "ت ٣٢١ هـ"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.

- الحجة للقرَّاء السبعة، أبو علي الفارسي، تحقيق بدر الدين قهوجي وآخرين، دار المأمون، الأردن، ط ١، ١٩٨٤ م.

- الحذف التَّركيبي وعلاقته بالنَّظم والدلالة، للدكتور فايز صبحي عبد السلام تركي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ٢٠١١ م.

- الخصائص،لابن جنِّي"ت ٣٩١ هـ"، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،ط٣ ،١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م.
- الدراسات اللغوية عند ابن مالك بين فقه اللغة وعلم اللغة، للدكتور غنيم الينبعاوي، منشورات جامعة أم القرى، السعودية،١٤١٨ هـ.
- دراسات في فقه اللغة ،للدكتور صبحي الصالح ، بيروت ، ١٩٧١.
- ديوان أبي السريّ ابن الدمينة الخثعمي،شرح وضبط محمد الهاشمي، مطبعة المنار ،مصر،١٩١٨.
- ديوان الأعشى ، تحقيق الدكتور محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٨.
- ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه د.واضح الصمد،دار صادر،بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
- ديوان الهذليين، مطبعة درا الكتب المصرية ، الطبعة الثَّانية ، ١٩٩٥ م.
- ديوان امرئ القيس وملحقاته،بشرح السُّكّري (ت ٢٧٥هـ)، دراسة وتحقيق د.أنور عليان،د.محمد الشوابكة،مركز زايد للتراث،العين، الإمارات المتحدة،الطبعة الأولى ،١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ديوان بشر بن أبي خازم ،عنى بتحقيقه الدكتور عِزَّة حسن، وزارة الثقافة،دمشق،١٣٧٩ هـ-١٩٦٠ م.
- ديوان ذي الرُّمَّة، بشرح الخطيب التبريزي،كتب مقدمته وهوامشه مجيد طرَاد،دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان، ط٢ ،١٩٩٦ م.

- ديوان زهير بن أبي سلمى ،صنعة ثعلب،قدم له د.حنّا نصر الحتّي، دار الكتاب العربية ،بيروت، ٢٠٠٤ م.

- ديوان عامر بن الطُّفيل ،رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن ثعلب ،دار صادر ،بيروت ١٣٩٩ هـ -١٩٧٩ م.

- الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس،تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرِّسالة، بيروت،لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤١٢ ه- ١٩٩٢ م.

- السبعة في القراءات ،لابن مجاهد،تحقيق د.شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٢ م.

- سر صناعة الإعراب ،ابن جِنِّيّ، تحقيق د.حسن هندي ،دار القلم ، دمشق، الطبعة الثانية،١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

- شرح الرَّضِي على الكافية ،للرضي "ت ٦٨٦ ه"،تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر،جامعة قاريونس، بنغازي،ليبيا، ط٢ ، ١٩٩٦.

- شرح الشافية ، للرضي الاستراباذي ،تحقيق محمد نور الحسن، وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٢ هـ -١٩٨٢ م.

- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات،ابن الأنباري ت٣٢٨ هـ، تحيق عبد السلام هارون، ط ٥ ،دار المعارف، مصر ، د. ت.

- شرح المفصل ، ابن يعيش ، طبعة المنيرية، القاهرة، د. ت.

- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل،شهاب الدبن الخفاجي، المطبعة الوهبية ،القاهرة،١٢٨٢ هـ.

- الصِّحاح " تاج اللغة وصِحاح العربية "، للجوهريّ " إسماعيل بن حمّاد، ت ٣٩٣ هـــ " ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـــ - ١٩٨٧ م.

- ظاهرة الحذف في الدرس اللُّغويّ، للدكتور طاهر حمودة، الدار الجامعية،الإسكندرية،١٩٩٨ م.

- ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربيّ، للدكتور أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٨٨.

- الظواهر الصوتية في كتاب المحرر الوجيز لابن عطية الغرناطي في ضوء علم اللغة الحديث ، عبد القادر سيلا، رسالة ماجستر بكلية اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ٢٠٠٠ – ٢٠٠١ م.

- العرب والأعراب: خَلْط المفاهيم وفوضى الدلالة،محمد السموري، مجلة جذور،النادي الثقافي الأدبي ،جدة، السعودية ، ج٢٩، مج١٢،١٤٣٠هـــ -أكتوبر ٢٠٠٩ م.

- علم الأصوات، د.كمال بشر،دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م.

- العين، للخليل بن أحمد، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ،الطبعة الأولى،١٤٢٤ ٥- ٢٠٠٣ م.

- غريب الحديث،أبو عبيد القاسم بن سلام ت٢٢٤هـــ، تحقيق د.حسبن شرف،مجمع اللغة العربية، القاهرة ، ١٤١٣ هـــ -١٩٩٣ م.

- غريب القرآن، لأبي بكر السجستاني ت ٣٣٠ هـــ، تحقيق محمد أديب، دار قتيبة ، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـــ-١٩٩٥ م.

- الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام ت٢٢٤ هـ، تحقيق الدكتور محمد المختار، دار سحنون، تونس، الطبعة الثَّانية ١٩٩٦م.

- غلط الضُعفاء من الفقهاء،لأبي محمد عبد الله بن بري ت ٥٨٢ هـ، ضمن أربعة كتب في التَّصحيح اللغوي،تحقيق د.حاتم صالح الضامن، عالم الكتب ، بيروت، د.ت.

- في اللهجات العربية ،د. إبراهيم أنيس، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٥.

- في علم الدلالة، للدكتور عبد الكريم جبل، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ١٩٩٧ م.

- الكتاب،سيبويه،تحقيق عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢.

- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة،للدكتور عبد العزيز مطر، الدار القومية ، القاهرة ، د. ت.

- اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة، محمد بن عبد الله التمين،دائرة الشئون الإسلامية ،دبي،الإمارات،ط١ ،١٤٢٩ ٥ - ٢٠٠٨ م.

- لسان العرب، لابن منظور "ت ٧١١ هـ"، طبعة جديدة محققة ومنقحة، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

- اللغة والنحو ،للدكتور حسن عون، مطبعة رويال، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٥٢ م.

- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، د.غالب فاضل المطلبي، وزارة الثقافة، العراق، ١٩٧٨ م.

- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى ت ٢١١هـ، عارضه د.محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
- المُحتَسَب، ابن جنِّيّ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- المُحْكم والمحيط الأعظم، لابن سِيدَه، طبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨ م.
- المُخصّص، لابن سِيدَه، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣١٩ هـ.
- مدخل إلى علم اللغة، للدكتور محمود فهمي حجازي، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها،السيوطي،شرح محمد جاد المولى، مكتبة دار التراث،الطبعة الثالثة، د.ت.
- مستويات التحليل اللغوي، للدكتور فايز تركي، دار الكتب العلمية،بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٠ م.
- مسند أحمد، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني البغدادي ت٢٤١ هـ، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
- مصنفات اللَّحْن والتثقيف اللُّغوي حتَّى القرن العاشر الهجري، للدكتور أحمد محمد قدور، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٦.
- معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة ،للدكتور محمود ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤.

- معاني الأبنية في العربية، د.فاضل السامرائي، دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية،١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م.

- معاني القراءات ، لأبي منصور الأزهري ، تحقيق ودراسة د. عيد مصطفى درويش وآخر، الطبعة الأولى ١٩٩١ م.

- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ت ٣١١ هـ،تحقيق د. عبد الجليل شلبى، ، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

- معاني القرآن،الأخفش،تحقيق د.هدى قراعة،مكتبة الخانجي ،القاهرة ، الطبعة الأولى،١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

- معاني القرآن،للفرَّاء ، تحقيق محمد علي النجار وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٥٥ — ١٩٧٢ م.

- معجم الأدباء ،ياقوت الحموي الرومي،تحقيق الدكتور إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،الطبعة الأولى،١٩٩٣ م.

- معجم القراءات ، للدكتور عبد اللطيف الخطيب،دار سعد الدين ، دمشق، سوريا ،الطبعة الأولى،٢٠٠٢ م.

- المعرب من الكلام الأعجمي، للجواليقي ت ٥٤٠ه ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب،القاهرة ،١٩٦٩ م.

- المقتضب ، للمبرد "ت ٢٨٥ هـ" ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،القاهرة،١٩٩٤ م.

- المقرب،ابن عصفور الإشبيلي "ت ٦٦٩ هـ" ،تحقيق أحمد عبد الستار الجواري،الطبعة الأولى،١٣٩٢ هـ -١٩٧٢ م.

- المقصور والممدود ،نفطويه "ت ٣٢٣ ه" ،تحقيق د.حسن فرهود،المطبعة العربية الحديثة ،القاهرة ،١٩٨٠ م.

- ملامح الدرس الصوتي وعلاقته بالدلالة في كتاب الزَّاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري" المؤتمر الدولي الرَّابع للصوتيات العربية ، مجمعيات – ندوات (٧) ، منشورات مجمع اللغة العربية ، طرابلس ، ٢٠١٠ م.

- الممنوع من الصرف في العربية ،د.عبد العزيز سفر،مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ،٢٠٠٠ م.

-منهج ابن هشام في شرح بانت سعاد، للدكتور محمود ياقوت، دار قطري ابن الفجاءة، الدوحة، قطر ، ١٩٨٦.

فهرس المحتويات

الفهرس العام

تم بحمد الله

مطابع الجامعة الإسلامية